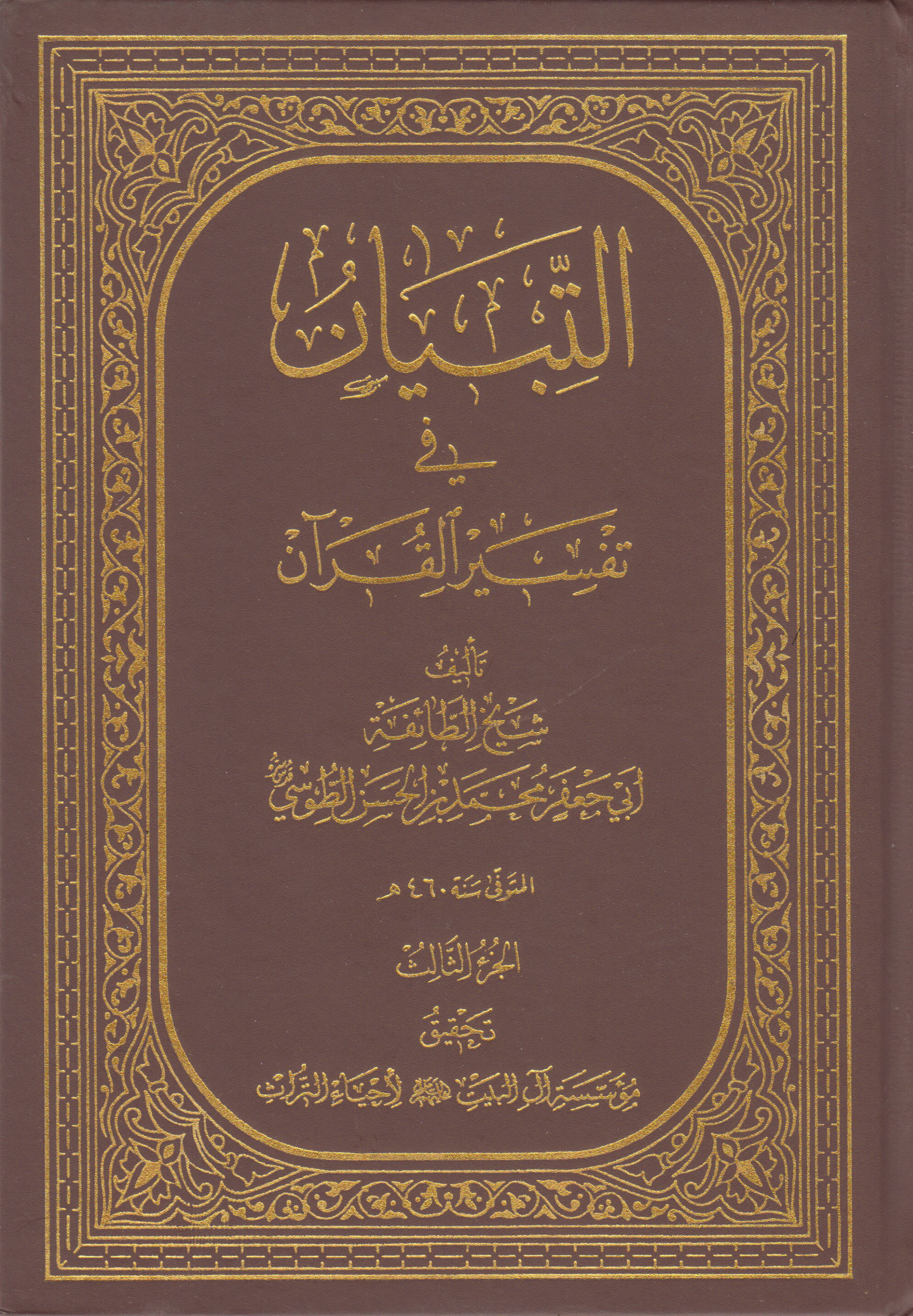

التبيان
في
تفسير القرآن
تأليف
شيخ الطائفة
أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
المتوفى سنة ٤٦٠ هـ
الجزء الثالث
تحقيق
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث



٤٣٨

التبيان في تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة

أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره

المتوفى سنة ٤٦٠ هـ

الجزء الثالث

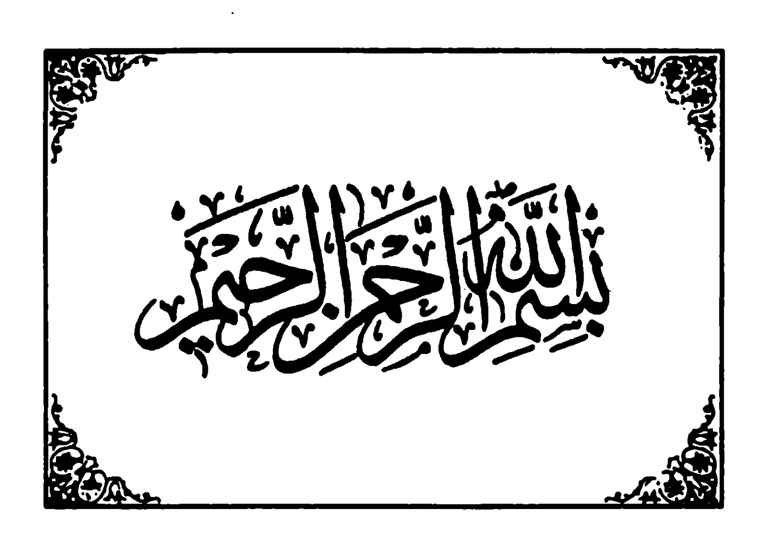
تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

الطوسي ، محمّد بن الحسن ، ٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ ق .
التبيان في تفسير القرآن / أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ؛ تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم.
٣٠ج.
الفهرسة طبق نظام فيپا.
المصادر بالهامش.
١ ـ تفاسير شيعية . ألف : الطوسي ، محمّد بن الحسن ٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ ق.
ب :مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث (قم). ج :عنوان .
١٣٨٨ ٢ ت ٩ط / BP٩٤ ٢٩٧ / ١٧٢٦
الرقم في المكتبة الوطنية الإيرانية ١٨٧٣٨٩٢

شابك (ردمك) ٧ ـ ٣٢٨ ـ ٣١٩ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ /دورة ٣٠ جزءاً احتمالاً
ISBN 978 - 964 - 319 - 328 - 7 / 30 VOLS.
شابك (ردمك) ١ ـ ٥٩٩ ـ ٣١٩ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ / ج ٣
ISBN 978 - 964 - 319 - 599 - 1 / VOL.3

الكتاب :	التّبيان في تفسير القرآن /ج ٣
المؤلّف :	الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي
تحقيق ونشر :	مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم
الطبعة :	الأولىٰ ـ شوال ـ ١٤٤٠ هـ
الفلم والألواح الحسّاسة (الزينك) :	تيزهوش ـ قم
المطبعة :	الوفاء
الكمّية :	٣٠٠٠ نسخة
السعر :	٢٥٠/٠٠٠ ريال


بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net


يا علي يا فاطمة

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
قم المقدّسة: شارع الشهيد فاطمي (دورشهر) زقاق ٩ رقم ١ ـ ٣
ص. ب ٣٧١٨٥/٩٩٦ هاتف: ٥ ـ ٣٧٧٣٠٠٠١ فاكس: ٣٧٧٣٠٠٢٠

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾



قوله تعالى :

﴿قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ آية واحدة .

القرّاءُ كُلُّهم على تخفيف الشّين ، مفتوحة الهاء .

وقرأ الحسنُ : بتشديد الشّين ، وضمِّ الهاء .

وقرأ الأعمشُ : ﴿إنّ الْبَقَرَ مُتَشَابِهٌ﴾ . وكذا هو في مُصحف ابن مسعود[١] .

والمعوّل على ما عليه القرّاء ، وما هو مثبت في المُصحف المعروف .

تقدير الكلام : قال قوم موسى ـ لمّا أُمروا بذبح البقرة ـ لموسى ، وترك ذكر موسى ؛ لدلالة الكلام عليه .

وأهلُ الحجاز يؤنِّثون البقر ، فيقولون : هذه بقر ، وكذلك النّخل ، وكلُّ جمع كان واحده بالهاء وجمعه بطرح الهاء فإنّهم يؤنّثون ذلك ، وربّما ذكّروا ذلك ، قال الله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٢] بالتّأنيث ، وفي موضع آخر : ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ﴾[٣] ، والأغلبُ عليهم التّأنيث .

وأهل نجد يذكّرون ، وربما أنّثوا ، والتذكير الغالب [٤].

---

(١) إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٣٦ ، المصاحف للسجستانيّ : ٦٨ ، شواذّ القراءات للكرمانيّ : ٦٥ ، مصطلح الإشارات في القراءات : ١٤٣ت ٧٠ .

(٢) سورة الحاقّة ٦٩ : ٧ .

(٣) سورة القمر ٥٤ : ٢٠ .

(٤) انظر : المذكّر والمؤنّث للمبرّد : ٨٣ و٩١ و١٠ و١٠٧ و١٠٨ ، وللسجستانيّ : ٨٤ و١٠٢ ، وللتستريّ : ٩٢ ، وللأنباريّ ١ : ١٢٤ و١٤١ و١٤٢ـ ١٤٣ .

فمن ذكَّر نصبَ الهاءَ من ﴿تَشَابَهَ﴾ يعني: التَبَسَ واشْتَبَهَ. ومن أنَّث رَفَعَ الهاءَ؛ لأنَه يُريدُ: يتَشَابَهُ علينا.

والبَقَرُ والباقِرُ، والجامِلُ والجِمالُ، بمعنى واحد.

وقرأ بعضهم: ﴿إنّ الباقِرَ تَشَابَه عَلَيْنا﴾[1].

وهو شاذّ، قال الشاعر:

وَمــا ذَنْـبُهُ أنْ عـافَتِ ٱلمَـاءَ بـاقِرٌ ... وَمَا أَنْ تَعافَ ٱلمَـاءَ إلّا لِيُضْرَبا[2] [٣٠٤]

وقال الآخر:

مَالِي رَأَيْـتُكَ بَـعْدَ أَهْـلِكَ مُـوحِشاً ... خَـلِقاً كَـحَوْضِ ٱلبـاقِرِ المُـتَهَدِّمِ[3] [٣٠٥]

---

(١) معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٥٤ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٣٦ ، شواذّ القراءات للكرمانيّ : ٦٥ ، مختصر شواذّ القرآن : ١٤ ، مصطلح الإشارات في القراءات : ١٤٣ ت ٧٠ .

(٢) البيت للأعشىٰ الكبير ميمون بن قيس ، وتقدّمت ترجمته في ٢ : ٢٣ .

معنى البيت : يتّضح من البيت السابق عليه وهو :

لكالثّور والجِنّيُّ يَضْرِبُ ظَـهْرَهُ ... وما ذَنْبُهُ أن عَافَت الماءَ مَشْـرَبَا

قيل : إنّه مثل يضرب لعقوبة فرد بذنب غيره ، ومعناه هنا : إنّ البقر إذا لم تشرب وعافت الماء ضربوا الثور حتى يرد الماء فتتبعهُ البقر ، فلا جناية ولا ذنب للثور غير إعراض الباقِر ـ اسم جمع البقر ـ عن الماء .

الشاهد فيه : استعمال «الباقر» وارادة البقر منه .

انظر : ق ١٤ ب ٢٦ و٢٧ : من الديوان ١٦٣ ، جمهرة الأمثال للعسكري : ٢٨٨ ت ٤١٠ ، المعاني الكبير ٢ : ٩٢٨ .

(٣) البيت للشاعر الحارث بن خالد المخزوميّ القرشيّ ، والي مكة للحاكم الأُمويّ عبدالملك بن مروان ، وكان أبوه خالد والياً على مكة لعمر بن الخطّاب ، وبعده لعثمان بن عفّان ، وجدّ الشاعر العاص بن هشام قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم بدر كافراً ، وكان الحارث شاعراً مُجيداً رقيق المعاني جيّدها غلب عليه الغزل ، توفّي عام ٨٥ هـ .

وقال آخر:

. . . . لَهُمْ جامِلٌ لا يَهْدَأُ اللّيلَ سامِرُهْ[1] [٣٠٦]

يريد الجِمال.

والذي ذهب إليه ابن جُريج وقَتادة، ورووهُ عن ابن عبّاس عن النَّبيّ ﷺ: (إِنّهم أُمروا بأدنى بقرة؛ لكنّهم لمّا شدّدوا على أنفسهم، شَدّد اللهُ عليهم؛ وأَيْمِ اللهِ، لو أنّهم لم يستثنوا ما بُيِّنت لهم إلى آخر الأبد)[2].

يعني: أَنّهم لو لم يقولوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾، (ما اهتدوا إليها

لترجمته راجع: مقدمة الديوان، الأغاني ٣: ٣١١، معجم الشعراء المخضرمين والأمويّين: ٩٠.

والبيت من مقطوعة يعرّض فيها بعائشة بنت طلحة لشغفه بها مكنّياً عنها بجارتها بُشْرَة.

الشاهد فيه: استعماله «الباقر» وإرادة البقر منه.

انظر: الديوان: ٩٧ ت ٣٦ ب٢، الأغاني ٣: ٣٣٥.

(١) من قصيدة للحطيئة ـ وتقدمت ترجمته في ٢: ٢١٣ ـ يهجو فيها الزِّبرقان بن بدر التميميّ السعديّ. وصدره:

وإن تك ذا شاءٍ كثيرٍ فإنّهم ذوو جامل . . . .

المعنى: الجامل: اسم جمع لجماعة الإبل مع رعاتها، لا يهدأ: لا يسكن ولا ينام عنها الراعي؛ لكثرتها، السامر: الراعي.

المعنى: الحطيئة يخاطب الزِّبرقان قائلاً: إنْ كنت صاحب غنم وشاء كثير فإنّ هؤلاء لهم من الإبل الشيء الكثير، حتى أنّ السامرين ـ الرعاة ـ يسهرون الليل لحفظها.

انظر: الديوان برواية وشرح ابن السِّكيت: ١٠١ ب٢١.

(٢) يبدو أنّه مضمون حديث تجد الإشارة إليه في: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٥٠، تفسير مقاتل بن سليمان ١: ١١٤، السنن الكبرى للبيهقيّ ٦: ٢٢٠، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٣٦ ـ ١٣٧ ت ٦٩٠ ـ ٦٩٣، تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١: ٢٧٤ ت ٦٧، وانظر: مجمع الزوائد ٦: ٣١٤، تفسير الدرّ المنثور ١: ٤٠٩.

أبداً.

ومعنى: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾)[1] بتعريف الله إيّانا، وبما شاء الله لنا من اللّطف والزّيادة في البيان.

وكلّ من اختار تأخير بيان المجمل عن حال الخطاب استدلّ بهذه الآية على جواز ذلك، وسنبيّن ذلك فيما بعد إن شاء الله[2].

قوله عزّ وجلّ:

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَاشِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (٧١) آية بلا خلاف.

المعنى: أنّ البقرةَ الّتي أمرتُكم بذبحها ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ أي: لم يذلّلها العملُ بإثارة الأرض بأظلافها.

﴿وَلاَ تَسْقِي ٱلْحَرْثَ﴾ معناه: ولا يُستقىٰ عليها الماءُ، فتَسقي الزّرع، كما يُقال للدّابة الّتي قد ذلّلها الرّكوب والعمل: دابّةٌ ذَلولٌ بيّنةُ الذِّل ـ بكسر الذّال ـ وفي مثله من بني آدم: رجل ذَليلٌ بيّن الذُّلّ والذِّلّةِ[3].

قال الزجّاج: يحتمل أن يكون أراد: ليست بذلول وهي تثير

---

(١) ما بين القوسين أثبتناه من النسخة «خ».

(٢) يأتي بيانه بعد صفحات عند أواخر الكلام عن الآية الأخرى (٧٢).

(٣) أشارت لذلك من مصادر اللّغة عدة، منها: العين ٨: ١٨٦، تهذيب اللّغة ١٤: ٤٠٦، جمهرة اللّغة ١: ١١٨، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٣٣٠، الصحاح ٤: ١٧٠١، المحيط في اللّغة ١٠: ٥٧، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٤٨، لسان العرب ١١: ٢٥٦، تاج العروس ١٤: ٢٥٢، مادة «ذلل».

الأرض[١]. ويحتمل: أنّها ليست ذلولةً، ولا مثيرةً للأرض.

(والإثارة: تَفْرِيقُ الشَّيْءِ، تقول: أَثَرْتُ الأرْضَ إثَارَةً، إذَا قَلَبْتَها للزَّرعِ[٢].

ووُصفت بهذه الصفة؛ لأنّه)[٣] قيل: إنّها كانت وحشيّة، في قول الحسن[٤].

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مُفَعَّلَةٌ من السّلامة، يقال منها: سُلِّمَتْ تُسَلَّمُ، فهي مُسَلَّمَةٌ.

(وقال مجاهد: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من الشِّيَةِ)[٥] ﴿لَّاشِيَةَ فِيهَا﴾: لا بياضَ فيها ولا سَوادَ.

وقال قتادة: مسلّمة من العيوب. وبه قال الربيع.

وقال ابن جريج: «لا عوار»[٦] فيها[٧].

(١) معاني القرآن وإعرابه له ١: ١٥٢، وقارن: تهذيب اللغة ١٤: ٤٠٦ «ذلّ».

(٢) تجد الإشارة للمعنى هذا ضمن مادة «ثور» في المصادر التالية، وفي البعض بنحو عناية: تهذيب اللّغة ١٥: ١١٠، جمهرة اللّغة ١: ٤٢٣ و٢: ١٠٣٥، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٢٠٥، لسان العرب ٤: ١٠٨، تاج العروس ٦: ١٥٣، وغيرها.

(٣) ما بين القوسين أثبتناه من النسخة «خ».

(٤) انظر: تفسير الحسن البصري ١: ١٠٠، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٣٨ ت ٧٠٤، تفسير النكت والعيون ١: ١٤٢، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٦٠، وفي البعض منها دون نسبة.

(٥) ما بين القوسين أثبتناه من النسخة «خ».

(٦) بدل المحصورة في «ؤ، س، والحجريّة» والمطبوعات: لاعوان، والمثبت في: «خ، هـ المختصرة» والأخيرة على طريقتها دون نسبة، ويؤيّده ما جاء في تفسير جامع البيان ٢: ١٠٨، ونسبه لابن عباس عن ابن جريج.

(٧) أشارت جملة من مصادر التفسير إلى الآراء هذه، بعضها مع النسبة وأُخرى بدون نسبة: انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٤٢ ت ٧٣٣ و٧٣٥، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ١٠٦، تفسير الكشف والبيان ١: ٢١٨، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١١٧، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ١٨٨، تفسير النكت

ﷲ

قال المُؤَرِّج[1]: ﴿لَاشِيَةَ فِيهَا﴾ أي: لا وَضَحَ فيها بلغة أزد شَنُوءَة[2][3].

والذي قاله أهلُ اللّغة: إنّ ﴿لَاشِيَةَ فِيهَا﴾، أي: لا لون فيها يخالف لون جلدها[4].

وأَصله: وَشْيُ الثّوب، وهو: تحسين عيوبه التي تكون فيه بضروب

والعيون ١: ١٤١، تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١: ٢٧٥، تفسير ابن أبي زمنين ١: ١٥٠، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٥٩، تفسير الوسيط ١: ١٥٦.

(١) أبو فَيْد السَّدُوسيّ، مُؤَرِّج بن عَمْرو بن الحارث البصريّ، النحويّ الأخباريّ، من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيديّ، عالم بالعربية والحديث والأنساب، أخذ عن أبي زيد الأنصاريّ، وسمع الحديث عن شُعبة بن الحَجّاج وابن العلا وغيرهما، روى عنه أحمد بن محمّد اليزيديّ. له مصنّفات، منها: غريب القرآن، كتاب الأنواء، كتاب المعاني، وغيرها، وكلّها أثر بعد عين، توفّي عام ١٩٥هـ.
له ترجمة في: أخبار النحويّين البصريّين: ٤٩ و٥٢، المعارف لابن قتيبة: ٥٤٣، معجم الأدباء ١٩: ١٩٦، الفهرست لابن النديم: ٩٨، تاريخ بغداد ١٣: ٢٥٨ ت ٧٢١١، وغيرها.

(٢) أزد شَنوءَة: هم بطن من الأُزد من لخم القحطانية، والنسبة إليها شَنَويّ، وقد نسب إليهم جمع منهم: غصن بن القاسم، وسفيان بن أبي زهير النَّمريّ الشَّنَويان الأزديّان وغيرهم.
راجع: الأنساب للسمعانيّ ٣: ٤٦٢، نهاية الإرب للقلقشنديّ: ٢٨٢ ت ١١٠٣، اللباب للجزريّ ٢: ٢١٢، معجم قبائل العرب لكحالة ٢: ٦١٤.

(٣) ذُكر هذا القول وبلا نسبة في: أمالي الشريف المرتضى ٢: ٤٠، تفسير النكت والعيون ١: ١٤١، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٩، تفسير مقاتل بن سليمان ١: ٥٦، تنوير المقباس: ١١، والإتقان للسيوطي ٢: ١١٥.

(٤) ذكرت ذلك جملة من مصادر اللّغة، منها: العين ٦: ٢٩٨، جمهرة اللّغة ١: ٢٣٩-٢٤٠، تهذيب اللّغة ١١: ٤٤٤، المحيط في اللّغة ٧: ٤٠٧، الصحاح ٦: ٢٥٢٤، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ١٣٩، المخصّص ٢: ١٢٦ و٣: ٣٢٠، لسان العرب ١٥: ٣٩٢، تاج العروس ٢٠: ٢٩٣، «وشي»، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج ١: ١٥٢.

مختلفة من ألوان سَداهُ وَلُحْمَتِهِ ، يقال منه : وَشَيْتُ الثّوبَ أَشِيْهِ شِيَةً ووَشْياً .

ومنه قيل للسّاعي بالرّجل إلى السّلطان أو غيره : واشٍ ؛ لكذبه عليه عنده ، وتحسينه كذْبَه عنده بالأباطيل ، يقال منه : وَشَيْتُ به وِشَايةً . قال كَعْبُ بنُ زُهَير :

يَسْعَى الوُشاةُ بِجَنْبَيْها وَقَـوْلُهُمُ ‏ ‏ ‏ ‏ إنَّكَ يابن أَبي سُلْمى لَمَقْتُولُ[1] ‏ [٣٠٧]

يعني : أنَّهم يتقوّلون الأباطيل ويخبرونه أنّه إنْ لحق بالنبيِّ قتَله .

وقال بعض أهل اللّغة : إنّ الوَشْيَ : العلامة ، وأصله : شِيَةٌ من وَشَيْتُ ، لكن لمّا أُسقطت منها الواو أُبدلت مكانها الهاء في آخرها ، كما قالوا : وَزَنْتُه زِنَةً ووَعَدْتُهُ عِدَةً ، وكذلك وَشَيْتُهُ شِيَةً[2] .

و﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ موصولةُ الهمزةِ ، وإذا ابتدأت ﴿ٱلْـَٔـٰنَ﴾ قطعت الألف الأُولى ؛ لأنّ ألفَ الوَصل إذا أُبتدِئ بها قُطعت .

---

(١) البيت ٣٤ من اللّاميّة الشهيرة التي مدح فيها كعبُ بن زهير ـ وتقدم في ١ : ٤٧ ـ النبيّ الأكرم ، ومطلعها :

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبولُ ‏ ‏ ‏ ‏ متيَّمٌ إثْرَها لم يُجْزَ مَكْبُولُ

المعنى : أنّ الوشاة يخبرون بوعيد النبيّ الأكرم بقتلي .

الوشاة : الساعون بالأخبار كذباً ويزيّنونها . بجنبيها ـ ويروى : جنابيها ـ : حواليها ، والضمير عائد لسعاد . وقولُهم ـ ويرُوى : وقيلَهم بالنصب ؛ لأنّه مصدر ناب عن فعله ـ : أي يقولون .

الشاهد فيه : ما أشار إليه الشيخ المصنفﷺ .

أُنظر الديوان بشرح السكريّ ب ٢٩ من اللّامية : بانت سعاد : ١٩ ، شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام: ١٧٥، حاشية على شرح بانت سعاد للبغدادي ٢ق ١ : ٦٤٠ .

(٢) لتوضيح ذلك راجع : الكتاب لسيبويه ٣ : ٤٤٩، معاني القرآن للنحّاس ١ : ٢٣٦، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٨٢ ، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٤ ، تهذيب اللغة ١١ : ٤٤٤ ، الصحاح ٦ : ٥٥٤، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٧٦ ، إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١ : ٤٣ .

قال الفرّاء: والأصل الأوان فحذفت الواو، والألفُ واللّامُ دخلتا في آن؛ لأنّهما ينوبان عن الإشارة[١].

(المعنى: أأنت إلى هذا الوقت تفعل هذا؟ فلم تُعرَب (الأن) كما لم تُعرَب هذا)[٢].

ومن العرب من يقول: ﴿قَالُواْ لَانَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ فيُذهب ألف الوصل ويفتحُ اللّام ويحذفُ الهمزةَ التي بعد اللام، ويثبت الواو في (قالوا) ساكناً؛ لأنّه إنّما كان يُذهبها؛ لسُكون اللّام، واللّام قد تحرّكت؛ لأنّه حوّل عليها حركة الهمزة[٣]، قال الشاعر:

وقد كُنْتَ تُخْفِي حُبَّ سَمْراءَ حِقْبَةً فَبُحْ لانَ مِنْها بِالّذي أنْتَ بايحُ[٤] [٣٠٨]

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٤٦٨، باختلاف في بعض الألفاظ لا يضرّ في المراد. يبيّن الفرّاء سبب بناء «ألآن»، لأنّها تضمّنت معنىٰ «هذا» وهو اسم مبني، فهي كذلك أيضاً. وراجع تهذيب اللغة ١٥ : ٥٤٦، «الآن».

(٢) ما بين القوسين من النسخة «خ»، وفي النسخة «هـ» وغيرها باختلافٍ في بعض الألفاظ لا يضرّ.

(٣) مجملاً: أصل آن: أوان، أبدلوا من الواو ألفاً وحذفوا إحدى الألفين؛ لالتقاء الساكنين، فأصبح آن، وللتوسعة انظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٢٣، المدخل للحداديّ: ٥٨٢، المحرّر الوجيز ١ : ٢٦٠، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٧٧، وتعرّض له بتفصيل: إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٤٣، مشكل إعراب القرآن ١ : ٧١ ت ١٢٤، معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٥٢، معاني القرآن للأخفش ١ : ١٠٦، معاني القرآن للنحّاس ١ : ٤٣، تهذيب اللّغة ١٥ : ٥٤٦ «الآن»، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٥٣١، لسان العرب ١٣ : ٤٠، تاج العروس ١٨ : ٤٣ «أون».

(٤) البيت للشاعر الجاهليّ عَنْتَرَة ـ أو عَنْتَر ـ بن شَدّاد العَبْسِيّ، شاعرهم وفارسهم المشهور بالمِغْوار، ولأنّه ولد من أم حبشية فورث بعضَ صفاتها خصوصاً سواد لونها وبعضَ ملامحها، لأجلها تنكّر له أبوه وقومه فحمل حقداً باطناً عليهم إلى أن أثبت جدارته، واحتاج قومه له خصوصاً في معارك داحس والغبراء، بقي حيّاً حتى ﴿

ومعنى قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: الآن بيّنت الحقَّ، وهو قول قَتادة. وهذا يدلّ على أنّه كان فيهم من يشكّ في أنّ موسى عليه السلام ما بيّن الحقّ.

و[الثاني]: قال عبدالرحمن بن زيد: إنّه حين بيّنها لهم قالوا: هذه بقرة فلان ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾، وهذا قول من جوّز أنّه قبل ذلك لم يجئ بالحقّ على التفصيل، وإن أتى به على وجه الجملة[1].

وقوله: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: كادوا لا يفعلون أصلاً؛ لغلاء ثمنها؛ لأنّه حكي عن ابن عباس ومحمّد بن كعب: أنّهم اشتروها بملء جلدها ذهباً من مال المقتول.

وقيل: بوزنها عشر مرات.

والثاني: ما قال عِكْرِمة ووهب: إنّهم كادوا ألّا يفعلوا؛ خوفاً من الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم.

قال عِكْرِمة: ما كان ثمنها إلّا ثلاثة دنانير[2].

اشترك في حرب ذي قار عام ٦١٠م. للتوسعة راجع: معجم الشعراء الجاهليّين: ٢٧٤، من قصيدة قالها في غارة له على بني تَميم وضبّة.

المعنى: السمراء: البيضاء المشرّبة بحمرة، إشارة إلى محبوبته، حقبة: مدّة ما من الزمن غير محدودة.

الشاهد فيه: قوله: لانَ، يريد الآن على ما أشار الشيخ المصنّف رحمه الله وحسب ما جرى عليها من حذف وتغيير.

انظر: الديوان ٣٤ ب ٣، وشرح الديوان: ٣٧.

(١) الأقوال تجدها في: تفسير مقاتل بن سليمان ١: ١١٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٤٣ ت ٧٣٩، تفسير النكت والعيون ١: ١٤١، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٦٠ ـ ٢٦١، وغيرها.

(٢) تجد الإشارة إلى الآراء في: تفسير تنوير المقباس: ١١، تفسير القرآن العظيم لابن

ومعنى كاد : همّ ولم يفعل ، ولا يقال : كاد أنْ يفعل ، وإنّما يقال : كاد يفعل[١] ، قال الله تعالى : ﴿مَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ قال الشاعر :

.... قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ البِلَىٰ أَنْ يَمْصَحا[٢] [٣٠٩]

أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٤٤ ت ٧٤٣ و٧٤٤ ، تفسير جامع البيان ٢ : ١١٦ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٩ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٥٧ ، تأويلات أهل السنّة ١ : ٦٣ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٦٠ ، تفسير عبدالرزّاق الصنعاني ١ : ٢٧٦ ت ٧٤ و٧٦ ، وغيرها .

(١) انظر «كاد ، كود ، كيد» في تهذيب اللّغة ١٠ : ٣٢٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ١٠٤ ، المحيط في اللغة ٦ : ٣٠٣ ، الصحاح ٢ : ١٤٤ ، قاموس اللّغة ١ : ٤٦٣ ، لسان العرب ٣ : ٣٨٣ ، تاج العروس ٥ : ٢٢٨ .

(٢) شطر ـ ذيل ـ رجز اختلف في نسبته بين رؤبة ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ٨٧ ـ وأبيه العجاج ، ـ تقدّمت ترجمته في ١ : ١٠٠ ـ وهو أحد شواهد البحث الأدبيّ الخلافيّ : جواز اقتران خبر «كاد» خصوصاً ، وأفعال المقاربة عموماً بـ : «أن» وعدمه ؛ نظراً إلى الجنبة المعنويّة على ما قيل ؛ لأنّ معنى كاد : همّ ولم يفعل ، وهو منافٍ لدخول «أن» معنوياً ، وعلى أيٍّ : فبعضٌ منَعه مطلقاً ، وبعضٌ خصّه بـ «فَعَل» ومشتقّاتها ، وثالث : فرّق بين الشعر وضرورته فجوّزه ، والنثر فمنعه ، وهكذا الآراء متعدّدة مختلفة ، وقال آخر : إنّه جاء في الحديث الشريف عن أفصح من نطق بالضادﷺ قوله : (كاد الفقر أنْ يكون كفراً) وعلّق بعضهم : لولا هذا عن أفصحهم لما جاز دخول «أنْ» علىٰ خبر «كاد» .

للحديث راجع : الكافي ٢ : ٢٣٢ ت ٤ ، أمالي الصدوق : ٣٧١ ت ٤٦٥ ، عمدة القاري ١٧ : ٢٤٠ سطر ٩ ، إرشاد الساري ٥ : ١٧٦ سطر ١٧ ، وغيرها .

نعود للشاهد ، قيل صدره :

رَبْعٌ عَفا مِنْ بَعْدِما قَدْ آمّحَىٰ ....

وقيل غير ذلك قريب منه جدّاً .

المعنى : كادَ : همّ ولم يفعل ، ولا يقال : كادَ أنْ يفعل ، بل : كاد يفعل ، إلّا في ضرورة الشعر . البِلى : القِدمَ . المَصْح : ذهاب الأثر والاندراس فلا يُعرف .

الشاهد فيه : «أنْ يَمْصَحا» دخول «أن» على خبر «كاد» للضرورة .

هذا ، واستشهد به جمع ناسبيه لرؤبة ، انظر : ضرائر الشعر : ٦١ ، الكامل في

يقال: مَصَحَ الشيءُ: إذا فني وذهب، يَمْصَحُ مُصُوحاً[1]، وأنشد الأَصْمَعِيُّ[2]:

كَادَتِ النَّفْسُ أَنْ تَفِيْضَ عَلَيْهِ ... إِذْ ثَوَىٰ حَشْوَ رَيْطَةٍ وَبُرُودِ[3] [٣١٠]

ولم يجئ منه إلّا فَعَلَ يَفْعَلُ وتثنيتها.

وقال بعضهم: وقد جاءت بمعنى إيقاع الفعل لا بمعنى الهمّ والقرب من إيقاعه، وأنشد قول الأعشى:

الأدب ١: ١٩٥، الكتاب ٣: ١٦٠، النكت للأعلم ٢: ٧٩٠، شرح أبيات سيبويه للنحّاس: ٢٣٦ ت ٦٤٧، وغيرها، وقد ذُكر بيتاً مفرداً في زيادات ديوانه: ١٧٢ ت ٢١.

وذكره جَمْعٌ دون نسبة، راجع: تأويل مشكل القرآن: ٥٣٤، الإنصاف: ٥٦٦ ت ٣٧١، المقرب: ١٠٨، ما يجوز للشاعر في الضرورة: ٣٠٨ ت ٩٨، المقتضب ٣: ٧٥. ومن الملاحظ أنّ الجميع تعرّض للبحث هذا على أنّ خير من فصّل الكلام فيه البغدادي في خُزانته ٩: ٣٤٧ ضمن الشاهد ٧٥٣.

(١) تجد «مصح» في: العين ٣: ١٢٨، جمهرة اللّغة ١: ٥٤٣، تهذيب اللّغة ٤: ٢٧٥، لسان العرب ٢: ٥٩٨.

(٢) تقدّمت ترجمته في ٢: ٧٧.

(٣) على الرغم من شهرته بين اللّغويّين والنحاة، فقد اختُلف في نسبته، فقيل: هو لأبي زيد الطائيّ، وقيل: لمحمّد بن مناذر البصريّ. وعلى كلٍّ فالشاعر يرثي أحدَهم ـ قيل: هو الجُلَاح الحارثيُّ ـ قائلاً: كادت نفسي أن تخرج عليه حزناً عندما رأيته غدا ملفوفاً بالأكفان.

تفيض: اختلف في ضبطها بين الظاء والضاد، ذهب الأصمعي ومنه الخلاف إلى الضاد، وأجاز الأخرون الظاء محتجّين بهذا البيت حيث رووه: تفيظ ـ بالضاد ـ بغيره. للتوسعة انظر: لسان العرب ٧: ٤٥٤، تاج العروس ١٠: ٤٨٢، كنز الحفّاظ في كتاب تهذيب الألفاظ: ٤٥٠، إصلاح المنطق: ٢٨٥، الفرق بين الضّاد والظّاء للصاحب: ١٥، وللقيسي الصّقلي: ٣٤. والريطة: الملاءَة إنْ كانت قطعة واحدة وهنا المراد الأكفان.

الشاهد فيه: اقتران خبر «كاد» بـ «أنْ» على قلّة، والأكثر تجرّده.

انظر: أدب الكاتب: ٣١٤ ت ٤٣٣، الاقتضاب ٣: ٢٤٦ ت ١٩٥، خزانة الأدب للبغدادي ٩: ٣٤٨ ضمن الشاهد ٧٥٣، لسان العرب ٦: ٢٣٤.

.... وَكادَ يَسْمُو إلىٰ الجَرْباءِ فَارتَفَعا[1] [٣١١]

الجرباء : السماء ، أي : سما وارتفع . وقال ذو الرُّمَّة :

ولَوْ أَنَّ لُقْمانَ الحكيمَ تَعرَّضَتْ   لِعَينَيهِ مَيٌّ سافِراً كادَ يَبْرَقُ[2] [٣١٢]

أي : لو تعرّضت لعَينيه لَبَرِق ، أي : دَهِشَ وتحيّر .

ورُوي عن أبي عبدالرحمن السُّلَميّ[3] أنّه قرأ : ﴿لاَ ذَلُولَ﴾ بفتح

---

(١) رزق الشعر هذا شيئاً من الاختلاف لا بأس به ـ زيادة ونقيصة وتغييراً بما لا يؤثر على الشاهد ـ بين الأُصول الخطيّة والديوان والمصادر . آثرنا ضبطه على النسخة «خ» بدلالة معجم مقاييس اللّغة ١ : ٤٤٩ . وأمّا الديوان : ١٥٩ ق١٣ ب٥٩ فقد ورد فيه :

يجيش طوفانه اذعبَّ محتفلاً   قَدْ كَادَ يَسْمو إلىٰ الجُرفَينِ مُطّلِعَا

وهو لا يؤثّر ولا يضرّ بالشاهد ، بل أثّر على المعنى المراد .

وعلى كلٍّ فالشاعر يمدح هوذة بن علي الحنفي ، وأنَّ له من معالي الأُمور والهمم والفضائل ، وكرائم الأعمال والحسنات ما جعله يرتفع إلى السماء .

وعلى رواية الديوان : يشبّه جوده وكرمه بفيضان نهري دجلة والفرات على الجانبين .

والشاهد : عدم دخول «أن» في خبر «كاد» .

(٢) البيت لذي الرّمة ـ وتقدّم الشاعر في ١ : ٦٧ ـ من قصيدة يذكر فيها حبيبته ميّاً ، وهو في الديوان بشرح الباهلي ١ : ٢٤١ ب١٢ ، ق١٣ .

ميّ : المنقرية ، وهي حبيبته التي هام بها وجداً عفيفاً . سافراً : مسفرة الوجه كاشفته ملقية نقابها عنه . برق : فتح عينيه مشدوهاً متحيّراً متعجّباً من جمالها .

يصفُ حسن وجمال «ميّ» بأنّه على حدٍّ إنْ رآها لقمان الحكيم على عبادته وزهده وعزوفه عن الملّاذ وحكمته لتحيّر مندهشاً ومنشدهاً من جمالها مأخوذ اللُّبّ متحيّراً لا يعرف ما يصنع .

والشاهد : عدم دخول «أنْ» في خبر «كاد» .

(٣) مقرئ الكوفة ، عبدالله بن حبيب بن رُبَيْعة السُّلَميّ ، أبو عبدالرحمن ، ولد في حياة النبيّ الأكرمﷺ ، أخذ القراءة عن أمير المؤمنينعليه السلام وغيره ، وعنه أخذ عاصم ويحيى وعطاء وغيرهم ، توفّي قيل : ٧٥هـ ، وغير ذلك .

اللام غير منوّنٍ[١] ؛ وذلك لا يجوز ؛ لأنّه ليس المراد النّفي ، وإنّما المراد بها بقرةٌ غيرُ ذلولٍ .

وعندنا : أنّه لا يجوز في البقرة غيرُ الذّبح ، فإن نحر مختاراً لم يجز أكله ، وفيه خلاف ، ذكرناه في خلاف الفقهاء[٢] .

قد استدلّ أصحابُنا بهذه الآيات على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة[٣] .

انظر : غاية النهاية ١ : ٤١٣ ت ١٧٥٥ ، طبقات القرّاء للذهبي ١ : ٣١ ت ٩ ومصادره .

(١) ذُكرت القراءة هذه في : مختصر شَواذّ القرآن : ١٤ ، شَواذّ القراءات للكرمانيّ : ٦٥ ، إعراب القراءات الشّواذّ ١ : ١٧٤ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٣٦ .

(٢) إشارة إلىٰ الخلاف بين الشيعة الإماميّة والعامّة وفيما بين العامّة في كيفيّة تذكية البقر بين الذّبح والنّحر ، والتفصيل يطلب من محلّه . اُنظر من الشيعة : كتاب الخلاف للشيخ الطوسيّ ٢ : ٤٤٣م ٣٤٢ ، تذكرة الفقهاء ٨ : ٢٤٨م ٥٩٠ ، الوسيلة لابن حمزة : ١٨٤ ، غنية النزوع لابن زهرة ٢ : ٣٩٦ ، الجامع للشرائع : ٣٨٨ ، إرشاد الأذهان ٢ : ١٠٩ ، قواعد الأحكام ٣ : ٣٢٢ ، الدروس ٢ : ٤١٥ ، وغيرها .

وللعامة ، اُنظر : الأُم ٢ : ٢١٧ ، مختصر المزنيّ : ٥٨٤ ، حلية العلماء ٣ : ٤٢٤ ، الهداية ٤ : ٦٧ ، اللّباب ٣ : ٢٢٨ ، الفقه على المذاهب الأربعة للجزيريّ ١ : ٧٢٥ ، الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة ٢١ : ١٧١ ـ ٢٠٤ و٨ : ١٦٥ ت ١٤ .

(٣) من الواضح أنّ مسألة تأخير البيان إلىٰ وقت الحاجة من فروع مسألة المجمل والمبيّن ، والاختلاف بين الأُصوليين ومن الفريقين في ذلك ـ تأخير البيان ـ واضح ، ومنشعب طويل الذيل .

إذ هو تارة : عن وقت الحاجة والامتثال ، فالظاهر أنّ عدم الجواز محلُّ إجماع ؛ للزوم تكليف ما لا يطاق أو للمغايرة .

وأُخرى : عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة ، على أقوال ، فهم : بين مجوّز ، ومانع ، ومفصِّل بين المجمل والعام ، و . . . .

والحاصل : أنّ البحث كلّاً معركة آراء كلٍّ يُدلي دَلوَه بما تمليه عليه ثقافة انتمائه

فإن قالوا : إنّ الله أمرهم بذبح بقرة هذه الصفات كلّها لها ، ولم يبيّن ذلك في أوّل الخطاب حتى سألوا عنه وراجعوا فيه ، فبيّن حينئذٍ المراد لهم شيئاً بعد شيء ، وهذا يدلّ على جواز تأخير البيان .

فإن قيل : ولِمَ زعمتم أنّ الصفات المذكورة في البقرة الأولى التي أُمروا بذبحها ، وما الذي تنكرون أنّهم أُمروا بذبح البقرةِ ، أيَّ بقرة كانت ، فلمّا راجعوا تغيّرت المصلحة فأُمروا بذبح بقرة أُخرى هي : ﴿**لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ**﴾ ، فلمّا راجعوا تغيّرت المصلحة فأُمروا بذبح ﴿**بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا**﴾ ، فلمّا راجعوا تغيّرت المصلحة فأُمروا بذبح بقرة ﴿**لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَشِيَةَ فِيهَا**﴾ ، وإنّما يصحُّ لكم لو كانت الصفات المذكورة كلّها مرادة في البقرة الأولى؟

قلنا : هذا باطل ؛ لأنّ الكناية في قوله : ﴿**ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا**

↩ الفكري ومرتكزاته العَقَدِيّة ، والتعرض يطول فالإحالة على المصادر للتفصيل خير . فلمصادر الخاصة انظر :

الذريعة إلى أصول الشريعة ١ : ٣٦١ ، عدة الأصول ٢ : ٤٤٩ ، الأمالي للمرتضى ٢ : ٣٦ و٤٠ و٢٢٣ ، غنية النزوع ١ : ٣٣١ ، مبادئ الوصول إلى علم الأصول : ١٦١ ، تهذيب الأصول : ١٦٥ ، نهاية الوصول إلى علم الأصول ٢ : ٤٤٠ وما بعدها ، معارج الأصول : ١٦٢ ، تمهيد القواعد : ٢٣٣/ القاعدة ٨٦ ، معالم الدين : ١٥٧ ، زبدة الأصول : ١٤٥ ، ومنها إلىٰ غيرها .

وأمّا من العامة فهي كثيرة أيضاً منها : الإحكام في أُصول الأحكام ٣ : ٤٤ ، التقريب والإرشاد ٣ : ٣٨٦ ، التلخيص ٢ : ٢٠٨ ، البرهان للجوينيّ ١ : ١٢٨ ، المعتمد في أُصول الفقه ١ : ٣٤٢ ، الإشارة في أُصول الفقه : ٢٦٦ ، شرح اللّمع ١ : ٤٧٣ ، المستصفى ٣ : ٦٥ ، المحصول ٣ : ١٨٧ ، منتهى الوصول : ١٤١ ، وغيرها كثير ومن الطرفين ؛ إذ الأُصوليون أغلبهم ـ بل لعل جميعهم ـ تطرقوا لهذه المسألة في موردها .

﴿مَا هِيَ﴾ لا يجوز أن تكون كناية إلّا عن البقرة التي تقدّم ذكرها وأُمروا بذبحها ؛ لأنّه لم يجر في الكلام ما يجوز أن تكون هذه الكناية كناية عنه إلّا البقرة ، ويجري ذلك مجرى أن يقول أحدنا لغلامه : أعطني تُفّاحة ، فيقول الغلام : ما هي بيِّنها ؟ فلا يَصرف أحد من العقلاء هذه الكناية إلّا إلى التفّاحة المأمور باعطائه إيّاها .

ثمّ قال بعد ذلك : ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ﴾ وقد علمنا أنّ الهاء في قوله : ﴿إِنَّهُ يَقُولُ﴾ هي كناية عنه تعالى ؛ لأنّه لم يتقدّم ما يجوز أن يكون كناية عنه إلّا اسمه تعالى . فكذلك يجب أن يكون قوله : ﴿إِنَّهَا﴾ كناية عن البقرة المتقدّم ذكرها ، وإلّا فما الفرق بين الأمرين؟ وكذلك الكلام في الكناية الثانية والثالثة سواء .

ولا خلاف بين المفسّرين أنّ الكناية في الآية من أوّلها إلى آخرها كناية عن البقرة المأمور بها في الأوّل .

وقالت المعتزلة : إنّها كناية عن البقرة التي تعلّق التكليف المستقبل به[١] .

ولا خلاف بين المفسّرين : أنّ جميع الصفات المذكورات للبقرة أعوز

---

(١) مصادر المعتزلة في التفسير مفقودة ، إلّا أنّه أُشير إليها في جملة من المصادر منها : عدّة الأصول للشيخ الطوسي ٢ : ٤٦٠ ، الذريعة للسيّد المرتضى ١ : ٣٧٠ ، تفسير الفخر الرازيّ ٣ : ١٢٤ ، تفسير اللباب ٢ : ١٦٧ ـ ١٦٨ ، المعتمد ١ : ٣٥٥ ، الإحكام في أُصول الأحكام ٣ : ٣٣ ـ ٣٤ ، وفيما تقدّم في صفحة ١٩ هامش ٣ ضمن تفسير الآية ٧١ ما يفيد من المصادر .

اجتماعها للقوم حتى توصّلوا إلى ابتياع بقرة لها هذه الصفات كلّها بملء جلدها ذهباً، وروي أكثر من ذلك.

ولو كان الأمر على ما قال المخالف وجب ألّا يعتبروا فيما يبتاعونه إلّا الصفات الأخيرة دون ما تقدّمها، وتلغى الصفات المتقدّمة.

وفي إجماعهم على أنّ الصفات كلّها معتبرة دليل على أنّ الله تعالى أخّر البيان.

فإن قيل: لِمَ عُنِّفوا على تأخيرهم امتثالَ الأمر الأوّلِ، مع أنّ المراد بالأمر الأوّل تأخّر؟ ولِمَ قال: ﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ**﴾؟

قلنا: ما عُنّفوا بتأخير امتثال الأمر الأوّل، وليس في الظاهر ما يدلّ عليه؛ بل كان البيان يأتي شيئاً بعد شيء كلّما طلبوه من غير تعنيف، ولا يدلّ على أنّهم بذلك عصاة.

فأمّا قوله في آخر القصّة: ﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ**﴾، فإنّما يدلّ على أنّهم كادوا يفرّطون في آخر القصّة وعند تكامل البيان، ولا يدلّ على أنّهم فرّطوا في أوّل القصّة.

ويقوي ذلك قوله تعالى بعد جمع الأوصاف: ﴿**ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ**﴾ أي: جئت به على جهة التفصيل وإنْ كان جاءهم بالحقّ مجملاً. وهذا واضح بحمد الله، وقد استوفينا الكلام في هذه الآية وغيرها في العدّة في أُصول الفقه[1] بما لا مزيد عليه.

(١) استوفى الكلام عليها مفصّلاً في: العُدّة في أُصول الفقه ٢: ٤٥٧ ـ ٤٦٢، وراجع الذريعة إلىٰ أُصول الشريعة ٢: ٣٦٤، والأمالي ٢: ٣٦ وما بعدها، وهما للسيّد الشريف المرتضىٰ.

قوله عزّ اسمه:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّٰرَءتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٧٢) آية.

تقدير الآية: واذكروا إذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها، وهو عطف على قوله: ﴿ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[1] وهو مقدّم على قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾[2]؛ لأنّهم إنّما أُمروا بذبح البقرة بعد تدارئهم في أمر المقتول.

ومعنى ﴿ادَّارَءْتُمْ﴾: اختلفتم، وأصله تدارأتم، فأُدغمت التاء في الدال بعد أنْ سُكِّنت، وجعلوا قبلها ألفاً؛ ليمكن النطق بها. قال أبو عبيدة: ادَّارأتم بمعنى اختلفتم فيها، من التَّدارُؤ ومن الدَّرْء[3]. وقيل: الدّرْأ: العِوَج، أي: اعوججتم عن الاستقامة، ومنه قول الشاعر:

فَنكَّبَ عَنْهُمُ دَرْءَ الأَعَادِي وَداوَوْا بالجُنُونِ مِنَ الجُنُونِ[4] [٣١٣]

---

(١) سورة البقرة ٢: ٤٠.

(٢) سورة البقرة ٢: ٦٧.

(٣) مجاز القرآن ١: ٤٥.

(٤) سادس بيت من مقطوعة ذات سبعة أبيات للشاعر أبي البلاد الطُّهَويّ، من بني طهيّة، وأتاه اللّقب ـ أبو الغُول ـ لغُولٍ قتله كما يدّعي هو.

المعنى: إنّ الضرب ـ المذكور في البيت السابق ـ دفع عن هؤلاء القوم تدافع الأعداء واعوجاجهم، والخصوم وخلافهم ونزاعهم، فقد داووا الشرَّ بالشرِّ كما قيل.

والشاهد فيه: استعمال (الدّرء) بمعنى: الخصومة والخلاف وإن كان معناها الدفع.

راجع: الحيوان للجاحظ ٣: ١٠٧ و٦: ٢٤٦، ديوان الحماسة لأبي تمّام: ٣٠ ↵

أي : اعوجاج الأعادي .

وقال قوم : الدَّرءُ : المدافعةُ ، ومعناه : تدافعتم في القتل ، ومنه قوله : ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾[1] .

وقال رُؤبة بن العجّاج :

.... أَدْرَكْـــتها قُــدَّامَ كُـلّ مِـدْرَهِ [٣١٤]

بِـالدَّفْعِ عَــنّي دَرْءَ كُـلِّ عُنْجُهِي ....[2]

ويقال : فلان لا يدارئ ولا يُمارئ ، أي : لا يُخالف[3] .

وقوله : ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي : مظهر ما كنتم تُسرّون من القتل .

ت ٣ ب٦ ، وهكذا في : أمالي القالي ١ : ٢٦٠ ، شرح الحماسة للمرزوقيّ ١ : ٣٨ ت ٣ ب٦ ، شرح الحماسة للتبريزيّ ١ : ١٤ ب٦ ، وبتفصيل عن الشاعر والشعر راجع : خزانة الأدب للبغداديّ ٦ : ٤٣٣ ش٤٨٣ ، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويّين : ٣٥٣ .

(١) سورة النور ٢٤ : ٨ .

(٢) البيتان عجز وصدر للبيتين ٢٤ و٢٥ من المقطوعة الرجزية ٥٨ ، في ديوان رؤبة ، ـ وتقدّم في ١ : ٨٧ ـ : ١٦٥ ، يمدح فيها نفسه .

المِدْرَهْ : الذي يقدّم عند النزاع مدافعاً بلسانه أو يده ، الدَّرْءُ : الدفع والمدافعة ، العَنْجَة والعُنْجهيّة : الكِبْرُ والتّعالي والحمق والجهل ، والخشونة ، والجافي من الرجال .

وقد استشهد به آخرون ، منهم تفسير جامع البيان ٢ : ١١٧ ـ ١١٨ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٢ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٨٧ «عنجه» لسان العرب ١٣ : ٥١٤ ، تاج العروس ١٩ : ٦٣ «عجه» فيهما .

(٣) مادة «درأ» تجدها في : الهَمْز : ٥٩ ، العين ٨ : ٥٩ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ١٥٦ ، جمهرة اللّغة ٢ : ١٠٥٧ و١٠٩٦ و٣ : ١٢٦٦ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٣١٣ ، المحيط في اللّغة ٩ : ٣٤٤ ، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٣٧٢ ، المخصص ٧ : ٢٠ ، لسان العرب ١ : ٧١ ، تاج العروس ١ : ١٥٠ .

قوله تعالى :

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣) آية بلا خلاف .

روى ابن سيرين عن عبيدة السَّلمانيّ[1] قال : كان رجلٌ من بني إسرائيل عقيماً ، وله مال كثير ، فقتله وارثه ، وجرّه فقذفه على باب ناسٍ آخرين ، ثم أصبح يدّعيه عليهم ، حتى تسلّح هؤلاء وهؤلاء ، وأرادوا أن يقتتلوا .

فقال ذَوُو النُّهىٰ : أَتَقْتَتِلونَ وفيكم نبيُّ الله؟

فأمْسَكوا ، حتّىٰ أَتوه ، فأمرهم أنْ يذبحوا بقرةً فيضربوه ببعضها ، فـ:﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ قال : فوجدوها عند رجل ، فقال: لا أبيعها إلّا بملء جلدها ذهباً ـ وكان بارّاً بأبيه ـ فعوّضه الله عن ذلك وجازاه عن برّه بأبيه أَن باعَ البقرة بملء جلدها ذهباً ، فضربوه ببعضها ، فتكلّم ، فقال : قتلني فلان ، ثمّ عاد ميّتاً ، فلم يُورَّث قاتلٌ

---

(١) أبو مسلم ، عَبِيدَةُ بن عمرو السّلمانيّ ، المراديُّ ، الكوفيّ ـ وقد اختلف في ضبط أوّله بين الفتح والضمّ ، وكذا ثانيه تبعاً لأوّله ، والأكثر الفتح ـ فقيه ، مقرئ ، ثبت في الحديث ، ثقة ، أسلم عام الفتح وهو بأرض اليمن ، لذا لا صحبة له ، عدّ من أولياء أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، شهد معه النهروان وصفّين .

روى عن علي عليه السلام وابن مسعود ، وعنه محمّد بن سيرين والنخعيّ والشّعبيّ وآخرون ، توفي عام : ٧٢هـ .

انظر : تنقيح المقال ٢ : ٢٤٢ ت ٧٧٠١ ، توضيح المشتبه ٦ : ١٢٩ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٤٠ ت ٩ ، المعارف : ٤٢٥ وغيرها كثير .

بعده[١].

واختلفوا في أيّ موضع من البقرة ضُرب القتيل:

فقال الفرّاء: ضُرب بذنبها.

وقال البعض: أقلّ من النّصف.

وقال ابن زيد: ضُرب ببعض آرابها[٢].

وقال أبو العالية: ضُرب بعظم من عظامها.

وقال السُّدِّيُّ: ضُرب بالبَضْعةِ الّتي بين الكتفين.

وقال مجاهد وعِكْرِمة وقَتادة: ضُرب بفخذ البقرة[٣].

والهاء في قوله: فـ ﴿ٱضْرِبُوهُ﴾ كناية عن القتيل.

والهاء في قوله: ﴿بِبَعْضِهَا﴾ كناية عن البقرة.

وهذه الأقاويل كلّها محتملة الظاهر.

والمعلوم: أنّ الله تعالى أمر أن يُضرب القتيل ببعض البقرة، ولا يضرّ الجهل بذلك البعض بعينه؛ وإنّما أمرهم بذلك لأنّهم إذا فعلوه أُحيي الميت، فيقول: فلان قتلني؛ ليزول الخُلْف والتدارُؤ بين القوم.

---

(١) تعرضت لذكرها جملة من المصادر كلٌّ بنحوٍ، انظر: تفسير الصنعانيّ ١: ٢٧٥ ت ٧١، تفسير جامع البيان ٢: ١٢٧، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٣٦ ت ٦٩٠، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٧، تفسير ابن زمنين ١: ١٥١، وانظر: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٣٤، الاستذكار لابن عبدالبرّ ٢٥: ٢٠٤ ت ٣٧٧١٣ـ ٣٧٧١٧.

(٢) الآراب: قِطَع اللّحم. راجع: المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٢٨٨.

(٣) حكى الفرّاء ذلك ولم يتبنّاه في معاني القرآن ١: ٤٨، وانظر تفسير مجاهد: ٢٠٦، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١١٧، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٧٥ ت ٧٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٤٥ ت ٧٥٢، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٩، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٢٠، تفسير النكت والعيون ١: ١٤٣، وغيرها.

والقديم تعالى وإنْ كان قادراً على الإخبار بذلك فإنّ هذا أظهر، والإخبار به أعجب؛ لأنّه معجز خارق للعادة.

والتّقدير في الآية: فقلنا: اضربوه ببعضها، فضربوه فحيي، كما قال: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾[1] تقديره: فَضَرَبَ فانفلق.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فيه إضمار، كأنّه قال: فقلنا: اضربوه ببعضها ليحيى.

﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: اعلموا بما عاينتموه أنّ الله قادر على إحياء الموتى للجزاء والحساب الذي أوعدكم به.

ولمّا ضربوه ببعض البقرة أحياه الله تعالى، فقال: قتلني ابن أخي ثم قُبض، وكان اسمه عاميل.

فقال بنو أخيه: والله ما قتلناه، فكذّبوا بالحقّ بعد معاينته.

وإنّما جُعل سبب إحيائه الضَّربَ بموات لا حياة فيه؛ لئلّا يلتبس على ذي شبهة أنّ الحياة انتقلت إليه ممّا ضُرب به؛ لتزول الشبهة وتتأكّد الحُجّة.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يحتمل أن يكون حكاية عن قول موسى لقومه، ويحتمل أن يكون خطاباً من الله تعالى لمشركي قريش.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: لتعقلوا. وقد كانوا عقّالاً قبل ذلك؛ لأنّ من لا عقل له لا تلزمه الحجّة، لكنّه أراد تنبيههم، وأن يقبلوا ما يُدْعون إليه ويطيعوه ويعرفوه حقّ معرفته.

---

(١) سورة الشعراء ٢٦ : ٦٣.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤) آية واحدة بلا خلاف.

قرأ ابن كَثِير وحده هاهنا: ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء، والباقون بالتّاء[١].

الخطابُ بقوله: ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ قيل: فيمن يتوجّه إليه قولان:

أحدهما: أنّه أُريد بنو أخي المقتول حين أنكروا قتله، بعد أن سمعوه منه عند إحياء الله تعالى له إنّه قتله فلان، هذا قول ابن عباس.

والثاني: قول غيره: إنّه متوجّه إلى بني إسرائيل كُلّهم، قال: وقوله: ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد آيات الله كلّها التي أظهرها على يد موسى[٢].

وعلى الوجه الأوّل يكون ذلك إشارةً إلى الإحياء.

ومعنى ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي غَلُظَتْ «ويَبِسَتْ»[٣] وعَسَتْ.

---

(١) ذكرت ذلك جملة من مصادر القراءات منها: السبعة في القراءات: ١٦٠، معاني القراءات للأزهريّ: ٥٣، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٦ ت١٨، حجة للقراءات: ١٠١، الحجة للقراء السبعة ٢: ١٠١، الحجة في القراءات السبع: ٨٢، الاقناع في القراءات السبع: ٣٧٣ ت ٧٤، وغيرها كثير.

(٢) معاني القرآن للزّجاج ١: ١٥٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٤٦ ت ٧٥٥ و٧٥٦، تفسير بحر العلوم ١: ١٣٠، تفسير الوسيط ١: ١٥٨ بدون نسبة في الجميع، أمّا تفسير النكت والعيون ١: ١٤٤، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٦٣، فقد نسبت الرأي الأوّل لابن عباس، وراجع التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣: ١٢٨ ـ ١٣٠.

(٣) في النسخة «ج»: «المثبت»، وفي نسخة «هـ»: «عَسَتْ»، وفي «ؤ»: «عَتَتْ»، وفي «س»: «وغسّت»، وفي المختصرة: «عتت».

القَسْوةُ: ذهابُ اللّينِ والرّحمةِ والخُشوعِ والخُضُوعِ منه، يقال: قَسا قَلبُه يَقْسُو قَسْواً وقَسْوةً وقَسَاوةً وقُسيّاً[١].

وقوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد إحياء الميّت لكم ببعض من أعضاء البقرة بعد أنْ تدارَأُوا فيه وأخبرهُم بقاتله، والسبب الذي من أجله قتله، وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهد هذا أن يخضع ويلين قلبه.

ويحتمل أن يكون من بعد إحياء الميّت والآيات الأُخر التي تقدّمت، كمسخ القِردَةِ والخنازير، ورفع الجبل فوقهم، وانْبجاس الماء من الحجر، وانفراق البحر، وغير ذلك.

وإنّما جاز ﴿ذَٰلِكَ﴾ وإنْ كانوا جماعة، ولم يقل: (ذلكم)؛ لأنَّ الجماعة في معنى الجمع والفريق، فالخطاب في لفظ الواحد ومعناه جماعة.

وقوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ يعني قلوبهم، شبّهها بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدّة.

﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، أي: أو أشدّ صلابة؛ لامتناعهم بالإقرار اللّازم من حقّه والواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات.

ومعنى ﴿أَوْ﴾ في الآية يحتمل أُموراً[٢]:

---

(١) في مصادر اللغة التي يشار إليها: قَساً، والمثبت من النسخة «خ»، وراجع المصادر اللّغوية التالية: العين ٥: ١٨٩، تهذيب اللّغة ٩: ٢٢٥، جمهرة اللّغة ٢: ٨٥٣، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٥٢٠، المخصص ٧: ٢٠٠، الصحاح ٦: ٢٤٦٢، لسان العرب ١٥: ١٨٠، تاج العروس ٢٠: ٧٨ «قسو، قسا» فيها، وغيرها.

(٢) «أو» يُذكر لها عدّة معان، منها: الإباحة، التفصيل، التميّز، الإبهام أو الإيهام، الاستدراك بمعنى بل، والعطف بمعنى الواو، وغيرها.

أحدها: ذكره الزجّاج فقال: هي بمعنى التخيير، كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، أي: أيّهما جالست جائز لك، فكأنّه قال: إن شبّهت قلوبهم بالحجارة جاز، وان شبّهتها بما هو أصلب كان جائزاً[1].

والثاني: أن تكون ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، وتقديره: فهي كالحجارة وأشدّ قسوة، كما قال: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[2] (معناه: ويزيدون)[3]، ومثله قول جرير:

[١١٥] نالَ الخِلافَةَ أوْ كَانَتْ لَهُ قَدَراً ... كَما أَتَى رَبَّهُ مُوسىٰ عَلى قَدَرِ

وقال توبة بن الحُمَيِّر:

[١١٤] وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلىٰ بِأَنِّي فَاجِرٌ ... لِنَفْسِي تُقاها أَوْ عَلَيْها فُجُورُها

↩ وقيل: إنّها للقدر المشترك بين هذه المعاني، والتفصيل يفهم من القرائن.
وقال بعضهم: إنّ ذلك تابع لموارد وقوعها في الكلام، فمثلاً تكون بعد الاستفهام للشك، وهكذا.
وبعضهم نفى أن تكون لها بعض المعاني.
وللتوسعة والتفصيل أنظر: الجنى الداني: ٢٢٧، معاني الحروف للرّمانيّ: ٧٧، حروف المعاني للزّجّاجيّ: ١٣ ت ٤٨ و٥٠، الصاحبي: ١٧٠، تأويل مشكل القرآن: ٥٤٣، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٨٤، معاني القرآن للفرّاء ١: ٧٢، شرح المفصّل ٨: ٩٩، أمالي المرتضى ٢: ٥٤، أمالي الشجريّ ٣: ٧٠ مجلس ٧٥، الانصاف في مسائل الخلاف: ٤٧٨م ٦٧، الخصائص ٢: ٤٥٧، تهذيب اللّغة ١٥: ٦٥٧، تاج العروس ١٩: ١٧٧.
هذا وقد أشارت التفاسير إلى بعضها أيضاً منها: تفسير جامع البيان ٢: ١٣١، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٢١، تفسير النكت والعيون ١: ١٤٥، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ١٩١، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٦٤، وضح البرهان ١: ٩٩ وغيرها وقد تقدم بحثها في الجزء ٢: ٢٧٦ ـ ٢٧٨.

(١) معاني القرآن للزّجّاج ١: ١٥٦، وراجع: صفحة ٩٦ منه.
(٢) سورة الصافّات ٣٧: ١٤٧.
(٣) ما بين القوسين أثبتناه من النسخة «خ» فقط.

أي : وعليها ، ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ . . .﴾ الآية[1] .

والثالث : أن يكون أراد الإبهام على المخاطبين ، كما قال أبو الأسود الدؤلي[2] :

[٣١٥]
أُحِبُّ مُـحَمَّداً حُـبّاً شَـدِيدَاً ... وَعَـبّاساً وحَـمْزَةَ والوَصِـيّا
فإنْ يَكُ حُـبُّهُم رُشْـداً أُصِـبْهُ ... وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إنْ كان غَيّا[3]

---

(١) سورة النور ٢٤ : ٣١ .

(٢) ظالم بن ظالم ـ وقيل : بن عمرو ـ الدؤلي ، أحد سادات التابعين والمحدّثين والفقهاء والقرّاء ، ومن الطبقة الأُولى من شعراء الإسلام ، اقترن اسمه بعلم النحو ؛ لوضعه أُسسه وبإرشاد من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، عُدّ تارة : في أصحابه وحواريّه وشهد معه صفّين والجمل وغيرهما .

وثانية : في أصحاب الإمام الحسن عليه السلام .

وثالثة : في أصحاب الإمام الحسين عليه السلام .

ورابعة : في أصحاب الإمام السجّاد عليه السلام .

وقد اختلف في ضبط اسمه ولقبه كثيراً ، وكان غنياً ذا مال وعبيد وإماء .

روى عن أمير المؤمنين وأبي ذرّ وابن عباس ، وعنه روى أُميّة بن يعمر وأخيه يحيى ونصر بن عاصم وغيرهم ، توفي بالطّاعون عام ٦٩ .

للتوسعة : انظر : تنقيح المقال ٢ : ١١١ ت ٥٩٧٩ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٨١ ت ٢٨ ، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ٢٧٦ ت ١٢٤ الطليعة من شعراء الشيعة ١ : ٤٥٥ ت ١٣٥ ، مشاهير شعراء الشيعة ٢ : ٣٦١ ت ٤٨١ مقدمة الديوان ، الشعر والشعراء ٢ : ٧٢٩ ، أخبار النحويين البصريين : ١٣ ، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ١ : ٧ ، وانظر : الفهرست ، التبيين في أصحاب أمير المؤمنين ٢ : ٨٩ ت ٦٧ .

(٣) من مقطوعة يردُّ بها على بعض بني قُشَير أصهاره وكان جارهُم ، فقد اعترض عليه بعضهم تفضيله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على جميع من تقدّمه في الخلافة ، فردّ عليهم بمقطوعة من ١٣ بيتاً ، هذه منها .

المعنى : واضح .

وأبو الأسود لم يكن شاكّاً في حبّهم، ولكنّه أبهم على من خاطبه.

وقيل لأبي الأسود حين قال ذلك: شَكَكْتَ؟! فقال: كلّا، ثمّ استشهد بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] أفتراه كان شاكّاً حين أخبر بهذا.

والرابع: أن يكون أراد: بل أشدُّ قسوة، ومثله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[2]، أي: بل يزيدون، ولا تكون بل للإضراب عن الأوّل بل مجرّد العطف.

والخامس: أنّها كالحجارة، أو أشدّ قسوةً عندكم.

والسادس: أن يكون أراد مثل قول القائل: أطعمتُك حِلواً وحامضاً، وقد أطعمه النّوعين جميعاً، وهو إنّه لم يشكّ أنّه أَطعمه الطّعمين معاً.

فكأنّه قال: فهي كالحجارة أو أشدّ قسوةً، ومعناه أنّ قلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثْلَيْن إمّا أنْ تكون مثلاً للحجارة في القسوة، وإمّا أنْ تكون أشَدّ منها، ويكون معناه على هذا: بعضها كالحجارةِ قسوة، وبعضها أشدّ قسوةً من الحجارة.

↩ والشاهد: ما أشار إليه الشيخ المصنّف من أنّ قوله: «فإن يك...» ظاهره الشك، ولكنّه ليس بمراد، بل المراد الإبهام على المخاطب. هذا، وفي الديوان: وفيهم أسوة...، عوض: ولست بمخطئ...، ولا ضير فيه.

انظر: الديوان: ١٥٣ ت ٦٥ ب٣ و٥. وقد استشهد به جمع منهم: السيد المرتضى في أماليه ١: ٢٩٣، والماوردي في تفسيره النكت والعيون ١: ١٤٥، وغيرهما.

(١) سورة سبأ ٣٤: ٢٤.

(٢) سورة الصافّات ٣٧: ١٤٧.

وكلُّ هذه الوجوهُ محتملةٌ ، وأحسنُها الإبهام على المخاطَبين .

ولا يجوز أن يكون لمعنى الشّكّ ؛ لأنّ الله تعالى عالم لنفسه لا يخفى عليه خافية . وكذلك في أمثال ذلك ، نحو قوله : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[1] وغير ذلك .

وأنشدوا في معنى «أو» يراد به «بل» قول الشاعر :

بَـدَتْ مِـثْلَ قَـرْنِ الشَّـمْسِ فـي رَوْنَـقِ الضُّحىٰ [٣١٦]
وصُـــورَتِها أَوْ أَنْتِ فِـــي العَـــيْنِ أمْـــلَحُ[2]

يريد : بل أَنْتِ أملحُ .

والرّفع في قوله : ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يحتمل أمرين :

---

(١) سورة النجم ٥٣ : ٩ .

(٢) استشهد بالبيت جمع ، ونسبه قسم منهم لذي الرّمة ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ٦٧ ـ قاطعين ، وآخرون دون نسبة ، أمّا الديوان ـ وهو بشرح أبي نصر الباهليّ ـ فقد خلا أصل الديوان منه وذكر في الملحقات .

والمصادر الناسبة منها : معاني القرآن للفرّاء ١ : ٧٢ ، المحتسب ١ : ٩٩ ، الخصائص ٢ : ٤٥٨ وهما لابن جنّيّ ، لسان العرب ١٤ : ٥٤ وغيرها .

وغير الناسبة منها : الأزهية : ١٢١ ، الإنصاف : ٤٧٨م ٦٧ ، الصحاح ٦ : ٢٢٧٥ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٤٦٣ و١٦ : ١٠٠ ، أمالي المرتضى ٢ : ٥٤ ، خزانة الأدب للبغداديّ ١١ : ٦٥ ش٣٩٥ ، وغيرها ، على أنّ أغلبهم حكاه عن الفرّاء وهو نسبه لذي الرّمة .

والحاصل ، أنّ الشاعر يشبّه محبوبته بقرن الشمس ، وهو : أوّل ظهورها وطلوعها ، أو أوّل إشعاع لها . رونق الصبح : أوّله وبدايته .

والشاهد فيه : قوله : «أو أنت أملحُ» فقد أضرب الشاعر عن التشبيه الأوّل لها بقرن الشمس إلى أنّها أملح وأجمل منها .

هذا ، ويحتمل بعضهم أنّها ساقطة من حائيّته المذكورة في الديوان ٢ : ٦٤ ت ٣٩ .

أحـــدهما: أن يكـون عـطفاً عـلى مـعنى الكـاف التـي فـي قـوله: ﴿**كَالْحِجَارَةِ**﴾؛ لأنّ معناها: فهي مثلُ الحجارة.

والآخَر: أن يكون عطفاً على تكـرير هـي، فـيكون التّقدير: فـهي كالحجارة، أو هي أَشَدُّ قسوةً من الحجارة.

وقُرئَ بـنصب الدّال شـاذّاً، ويكـون نـصبه عـلى أَنّ مـوضعه الجَـرَّ بالكاف، وإنّما نُصبَ؛ لأنّه على وزن أفعل لا ينصرف[1].

وقوله: ﴿**وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ**﴾.

معناه: أنّ من الحجارة ما هو أنفع من قلوبكم القاسية، تتفجّر منها الأنهار، ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ**﴾.

والتقدير: وإنّ من الحجارةِ حجارةٌ تتفجّر منها أنهارُ الماءِ، فاستغنىٰ بذِكْر الأنهار عن ذكر الماء.

وذَكَّر قوله: ﴿**مِنْهُ**﴾؛ للفظ ﴿**ما**﴾.

والتفجّر: التفعّل، من تَفَجَّرَ الماءُ، وذلك إذا تنزّل خارجاً من منبعه. وكلُّ سائلٍ شخَص خارجاً من موضعه ومكانه فقد انْفَجَر، ماءً كان ذلك أو دماً أو صديداً أو غير ذلك، قال عُمر بن لجأ[2]:

---

(١) أشارت إلى ذلك من مصادر القراءات ما يلي: إعراب القراءات ١: ١٧٦، مختصر شواذّ القرآن: ١٤، شواذّ القراءات للكرمانيّ: ٦٦، معاني القرآن للزّجّاج ١: ١٥٦ وغيرها.

(٢) أبو حفص، عُمر بن لجأ ـ وقيل: لحأ ـ بن حدير بن مصاد التيمي من بني تيم ابن عبد مناة. شاعرٌ راجز، فصيح، من شعراء العصر الأموي، عدّ في الطبقة الرابعة من الإسلاميّين، تهاجا وجَرير طويلاً. توفّي في الأهواز سنة ١٠٥هـ.

وَلمّا أَنْ قُرِنْتُ إلى جَرِيرٍ ... أَبَىٰ ذُو بَطْنِهِ إلّا انْفِجارا[١] **[٣١٧]**

يعني : خروجاً وسيلاناً .

وقوله : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ تشقّق الحجارة : انصداعها ، وأصله : يَتَشَقَّقُ ؛ لكنّ التاءَ أُدغمت في الشّين فصارت شيناً مشدّدة .

وقوله : ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ .

يعني : فيخرج منه الماءُ فيكون عيناً نابعة لا أنهاراً جاريةً حتى يكون مخالفاً للأوّل .

وقال الحسين بن علي المغربيّ : الحجارة الأُولى حجارة الجبال تخرج منها الأنهار ، والثانية حجر موسى الذي ضربه فانفجرت منه عيونٌ ؛ فلا يكون تكراراً[٢] .

راجع : طبقات فحول الشعراء ٢ : ٥٨٣ ت ٧٨٠ و٥٨٨ ت ٧٨٦ ، الشعر والشعراء ٢ : ٦٨٠ ت ١٤٦ ، الأعلام ٥ : ٥٩ ، ديوان النقائض ١ : ٤٠٢ و٤٠٣ و٢ : ٢٧٥ ، معجم الشعراء المخضرمين والأمويّين : ٣٠٧ .

(١) للبيت قصّة ذكرت في بعض المصادر .

المعنى : ذو بَطْنِهِ : كناية عن أنّه مبطون لا يستطيع حفظ ما في بطنه ، فهو يسلح على نفسه .

والشاهد كما أشار إليه الشيخ رحمه الله هو قوله : إلّا انفجاراً . أي : إلّا خروجاً وسيلاناً ؛ لعدم قدرته على التماسك ؛ نتيجة خوفه وضعفه واضطرابه فإنّه يسلح على نفسه .

هذا ، وما في بعض المصادر من إبدال الانفجار إلى انحدار لا يمكن المساعدة عليه ؛ لانتفاء محل الشاهد حينئذٍ .

طبقات فحول الشعراء ٢ : ٤٣٢ ، تفسير جامع البيان ٢ : ١٣٤ ، الأغاني ٨ : ٧٢ .

(٢) راجع المصابيح في تفسير القرآن العظيم ١ : ١٥٤ ، وتجد الإشارة إليه ومن دون

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. قال أبو علي والمغربي[١]: معناه بخشية الله، كما قال: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[٢] أي: بأمر الله، قال: وهي حجارة الصواعق والبَرَد[٣].

والكناية في قوله: ﴿مِنْهَا﴾ قيل: فيها قولان:

أحدهما: أنّها ترجع إلى الحجارة؛ لأنّها أقربُ مذكور.

والثاني: قال قوم: إنّها ترجع إلى القلوب لا إلى الحجارة؛ فيكون معنى الكلام: وإنّ من القلوب لما يخضع من خشية الله، ذكره ابن بحر[٤]، وهو أحسن من الأوّل.

ومن قال بالأوّل اختلفوا، فمنهم من قال: المراد بالحجارة الهابطة: البَرَدُ النّازلُ من السّحاب. وهذا شاذّ، لم يذكره أحد غير أبي علي الجُبّائي.

نسبة في: تفسير بحر العلوم ١: ١٣٠، البحر المحيط ١: ٢٦٦، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١: ١٥٩، وغيرها.

(١) هكذا ـ بالعطف ـ هو الصحيح؛ إذ المراد من أبي علي: هو الجُبائيّ، ومن المغربيّ: الحسين بن علي، وكنيته: أبو القاسم، وقد تقدّما في: ج ١ صفحة ٩ و١٥٧ على التوالي ويؤيد ذلك ما نسبه الفخر الرازيّ للجُبائيّ في تفسيره. فما في النسخة «خ» من دونها ـ الواو ـ غلط. وانظر أغلب مصادر الهامش (٣) الآتي.

(٢) سورة الرّعد ١٣: ١١.

(٣) أُشير إلى ذلك في: تفسير النكت والعيون ١: ١٤٦، التفسير الكبير ٣: ١٣١، الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٦٥، تفسير البحر المحيط ١: ٢٦٦، اللباب في علوم الكتاب ٢: ١٩٠. وقد نسب في بعضها إلى بعض المتكلمين، والمراد منه الجبائيّ عادة، وأمّا مؤلّفاته ـ فكما تقدّم ـ فهي مفقودة.

(٤) تعرّض لذكر ذلك وبدون نسبة ـ غالباً ـ أغلب المفسّرين كلٌّ بنحوٍ، للمثال اُنظر: أغلب المصادر المتقدّمة في الهامش ١ و٣، وراجع: أمالي المرتضى ٢: ٥٥، تأويلات أهل السُّنّة ١: ٦٤ ت ٧٤.

وابن بحر هو محمّد بن بحر الأصفهاني وتقدّم في ج ١، ص ١٠.

وقال الأكثر: إنّ المراد بذلك الحجارة الصلبَة ؛ لأنها أشدّ صلابة .

وقالوا : في هبوطها وجوه :

أحدها : أنّ هبوطَ ما هبط من خشية الله تفيُّؤُ ظلاله .

وثانيها : أنّه الجبلُ الذي صار دكّاً لمّا تجلّى له ربّه[1] .

وثالثها : قاله مجاهد : إنّ كلّ حجر تردّى من رأس جبل فهو من خشية الله .

ورابعها : أنّ الله تعالى أعطىٰ بعض الجبال المعرفةَ ، فعقل طاعة الله تعالى فأطاعه ، كالذي : رُوي في حنين الجِذع ، وما روي عن النبيّ عليه‌السلام أنّه قال : (إنّ حَجراً كان يُسلِّم عليَّ في الجاهليّة إنّي لأعرفه الآن)[2] .

وهذا الوجه فيه ضعف ؛ لأنّ الجبل إنْ كان جماداً ، فمُحال أن يكون فيه معرفة الله . وإنْ كان عارفاً بالله وبُنيته بُنية الحيّ فإنّه لا يكون جبلاً .

وأمّا الخبر عن النبيّ عليه‌السلام فهو خبر واحد . ولو صحّ ، لكان معناه : أنّ الله تعالى أحيا الحجر فسلّم على النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وأعاده حجراً ، ويكون ذلك معجزاً له عليه‌السلام .

وأمّا حنين الجذع فإنّ الله تعالى خلق فيه الحنين ، فكان بذلك خارقاً

---

(١) كأنّه ناظر إلى الآية ١٤٣ من سورة الأعراف ٧ ، أو لِما جاء في دعاء السمات : «وبنور وجهك الذي تجلّيت به للجبل فجعلته دكّاً» .

(٢) للجميع انظر : تفسير مجاهد : ٢٠٧ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٧ ، تفسير السمعانيّ ١ : ١٩٦ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٦٦ ، تأويلات أهل السُنّة ١ : ٦٤ ت ٧٤ ، وغيرها .

وللروايات : المصنّف لابن أبي شيبة ١١ : ٤٦٤ ت ١١٧٥١ ، مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٨٩ ، صحيح مسلم ٤ : ١٧٨٢ ت٢ ، سنن الترمذيّ ٥ : ٥٩٣ و٥٩٤ ت ٣٦٢٤ و٣٦٢٧ ، سنن ابن ماجه ١ : ٤٥٤ ت١٤١٥ ، دلائل النبوّة للبيهقيّ ٢ : ١٥٣ ، وغيرها كثير .

للعادة؛ لأنه إذا استند إليه النبيّ ﷺ سكن وإذا تنحّى عنه حنّ.

وقال قوم: يجوز أن يكون الله تعالى بنى داخله بُنية حيّ، فصحّ منه الحنين[١].

وقال قوم: معنى ﴿يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةَ اللهِ﴾: أنّه يُوجب الخَشيةَ لغيره؛ لدلالته على صانعه، كما قيل: ناقة تاجرة[٢]، إذا كانت من نجابتها وفراهتها تدعو الناس إلى الرغبة فيها[٣]، كما قال جَرير بن عَطية:

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهانَ أمّا نَهارُهُ فَأَعْمى وَأَمّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ[٤] [٣١٨]

«فجعل»[٥] الصِّفة للّيل والنّهار، وهو يريد صاحبه النّبهانيّ الذي يهجوه بذلك؛ «من أجل»[٦] أنّه كان فيهما على ما وصفه به.

والذي يقوى في نفسي: أنّ «معنى الآية»[٧] الإبانة عن قساوة قلوب

---

(١) يبدو أنّ هذا على مذهب المعتزلة؛ لأنهم يشترطون أُموراً لذلك، منها: البنية واعتدال المزاج والعقل. راجع: التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣: ١٣١.

(٢) لأنّها تجذب المشترين إليها؛ لكمال صفاتها وحسن منظرها، فكأنّها تساعد مالكها على بيعها. انظر: الإبل للأصمعي: ١٠٠، تهذيب اللّغة ١١: ٣، لسان العرب ٤: ٨٩، تاج العروس ٦: ١٢٧، «تجر».

(٣) معاني القرآن للزجّاج ١: ١٥٧، تفسير جامع البيان ٢: ١٣٨، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٦٦.

(٤) من قصيدة لجرير ـ وتقدّمت ترجمته في ٢: ٢٠ ـ يهجو فيها الأعورَ، واسمه أسودان النبهانيّ، وكان نزل على الشّاعر فأكرمه ولكنّ الأعورَ أساءَ الأدبَ.

المعنى: واضح؛ إذ يصفه بعدم الرؤية للخيرات نهاراً، وأمّا ليلاً فهو بصيرٌ في ارتكاب الذنوب من سرقة وزنى.

والشاهد: ظاهر الصفتين ـ العمى والبصر ـ كونها للّيل والنّهار، وفي الحقيقة هي للأعور.

انظر: ديوان جَرير بشرح محمّد بن حبيب ٢: ٨٧٦، ق ١٧ ب ١٠، ديوان النقائض ١: ٤٢ ق ٢٤ ب ١٠.

(٥ ـ ٧) المحصورات مطموسة في نسخة «خ».

الكفّار، وأنّ الحجارة ألين منها؛ لأنّه لو كانت ممّا تلين لشيءٍ ما لَلانَتْ[١] وتفجّرت منها الأنهار، وتشقّقت منها المياه، ولهبطت من خشية الله، وهذه القلوب لا تلين مع مشاهدتها الآيات التي شاهدتها بنو إسرائيل.

وجرى ذلك مجرى ما يقوله في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَـٰشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٢] ومعناه: لو أنزلنا القرآن على جبلٍ، وكانت الجبال ممّا تخشع لشيءٍ ما لرأيته خاشعاً متصدّعاً، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرءَانَاً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾[٣]، إلى آخرها سواء.

وأُدخلت هذه اللّامات فيها تأكيداً للخبر[٤].

ويجوز في قوله: ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ إسكان الهاء، وقد قُرئَ به؛ لأنّ الفاء مع الهاء قد جعلت الكلمة بمنزلة: فَخْذ، فتحذف الكسرة استثقالاً[٥].

والمعنى في الآية: أنّه تعالى لمّا أخبر عن بني إسرائيل وما أنعم عليهم به، وأراهم من الآيات وغير ذلك، قال مخبراً عن عصيانهم

---

(١) في جميع النسخ دون «ما» إلّا «خ».

(٢) سورة الحشر ٥٩ : ٢١.

(٣) سورة الرعد ١٣ : ٣١.

(٤) في قوله: لما يتفجّر، لما يشّقّق، لما يهبط. وفي نسخة «خ»: الآيات، عوض: اللّامات، ولا محصّل لها.

(٥) إشارة لجواز إسكان الحرف الأوسط من الكلمة إذا كان حرف حلق دون طرفيها، مثل: فَخِذ، فيجوز فيه ـ حرف الحلق ـ التحريك والإسكان. انظر: معاني القرآن للزّجّاج ١ : ١٥٧، الموضّح ١ : ٢٦٣ ت ١١ و٢ : ٨٧٤ ت ٣ و٩١٩ ت ١٧ و٣ : ١٣٣ ت ٤، إملاء ما منّ به الرحمن ٢ : ٢٦٧.

وطغيانهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

ثمّ أخبر تعالى أنّه لا امتناع عند الحجارة ممّا يحدث فيها من أمره وإنْ كانت قاسيةً، بل هي مُتَصَرِّفة على مراده، لا يعدم شيء ممّا قدّر فيها. وبنو إسرائيل مع كثرة نعمه عليهم وكثرة ما أراهم من الآيات يمتنعون من طاعته، ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقّه؛ بل تقسو وتمتنع من ذلك.

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: عندما يحدث فيها من الآية الهائلة كالزّلازل وغيرها، وأضاف الخشية إلى الحجارة وإن كانت جماداً على مجاز اللّغة والتشبيه.

والمعنى في خشوع الحجارة: أنّه يظهر فيها ما لو ظهر في حيّ مختارٍ قادرٍ لكان بذلك خاشعاً؛ وهو ما يُرى من حالها. وأنّها متصرِّفة لا امتناع عندها ممّا يراد بها، وهو كقوله: ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[1]؛ لأنّ ما ظهر فيه من الميلان، لو ظهر من حيّ لدلّ على أنّه يريد أنْ ينقضّ، ليس أنّ الجدار يريد شيئاً في الحقيقة، ومثله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] وقوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ

---

(١) سورة الكهف ١٨ : ٧٧.

(٢) سورة الإسراء ١٧ : ٤٤.

(٣) سورة الحج ٢٢ : ١٨.

يَسْجُدَانِ﴾[١] وقال زيد الخيل[٢].

[١٦٣] بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِـهِ   تَرىٰ الأُكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلحَوافِـرِ

فجعل ما ظهر في الأكم من آثار الحوافر، وقلّة امتناعها عليها، ومدافعتها لها ـ كما يدافع الحجر الصلب الحديد الصلب ـ سجوداً لها، ولو أنّ الأكم كانت في صلابة الحديد حتى تمتنع على الحوافر، ولا تؤثّر فيها، ولا تذهب يميناً ولا شمالاً، ولا تتطامن كثرة ترداد الحوافر عليها، ما جاز أن يقال: إنّها تسجد للحوافر.

وقال ابن أحمر[٣]:

وَعَـرَفْتُ مِـنْ شُـرُفَاتِ مَسْجِدِها   حَـجَرَيْنِ طَـالَ عَـلَيْهما القَـصْرُ [٣١٩]

بَكَـيا الخَـلاءَ فَقُلْـتُ إذْ بَكَـيَا   مَا بَعْـدَ مِـثْلَ بُكـاهُما صَـبْـرُ[٤]

---

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٦.

(٢) أبو مُكنِف، زيد بن مُهَلْهِل بن زيد من طيّ، شاعر مخضرم، محسن خطيب لَسِنٌ، مُقِلّ، معدود في الفرسان، ولكثرة ما يملكه من الخيل سُمّي زيد الخيل، أدرك الإسلام، وفد على النبيّ الأكرم ضمن وفد طيّ فأسلم، وسمّاه النبيّ ﷺ زيد الخير، وسُرّ به ومنحه أرضاً، مات في حُمّىٰ أصابته سنة ٩هـ، وتقدم في ٢ : ٥٧.

له ترجمة في: الشعر والشعراء ١ : ٢٨٦ ت ٢٦، الأغاني ١٧ : ٢٤٥، أُسد الغابة ٢ : ١٤٩، تاريخ مدينة دمشق ١٩ : ٥١٧ ت ٢٣٤٩، وغيرها.

(٣) هذا هو الصحيح في اسم الشاعر، وما ذُكِر من كونه: ابن أحمد، ابن حَمْزة، ابن حَلْزة، فغير صحيح، وقد تقدّمت ترجمته في التبيان ٢ : ١٨٥.

(٤) نهاية البيت الأوّل مطابق للنسخ، أمّا في الديوان والأضداد: الدّهر. وكذا ما قبل آخر الثاني، ففي الديوان والأضداد: بكاكُما، على الخطاب، والمثبت ـ على الغيبة ـ من النّسخ، ولا ضير فيهما على الشّاهد.

المعنى: مفردات البيتين واضحة، طال: إن أُريد منها: شاد وارتفع، فالمثبت ←

وقال جَرير:

[٢٠٨] لمّا أتى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَواضَعَتْ سُورُ المَدِينَةِ والجِبالُ الخُشَّعُ[١]

فصيّرها متواضعة.

والعربُ يَفهم بعضها مُرادَ بعضٍ بهذِه الأشياء، فمن تعلّق بشيء من هذا؛ ليطعن به، فَإنّما يطعنُ على لغةِ العرب، بل على لغةِ نفسه من أهلِ أيّ لغةٍ كان؛ فإنّ هذا موجودٌ متعارف في كلِّ لغةٍ، وعند كلِّ جيلٍ.

وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من قرأ بالتاء قال: الخطاب متوجّه إلى بني إسرائيل، فكأنّه قال: وما الله بغافل يا معشر المكذّبين بآياته والجاحدين نبوّة نبيّه محمّد ﷺ عمّا تعملون.

ومن قرأ بالياء فكأنّ الخطاب لغيرهم والكناية عنهم.

والغفلة عن الشيء: تركه على وجه السّهو عنه والنّسيان.

فأخبرهم الله تعالى أنّه غير غافلٍ عن أعمالهم السيئة ولا ساهٍ عنها[٢].

صحيح، وإن أُريد منها: بُعْدُ الزّمن، فالدّيوان والمصدر أصحّ؛ إذ ختم البيت بكلمة «الدهر».

هذا، ولم نصل ـ ولا محقّق الدّيوان وجامعه ـ إلى مُخاطَبِهِ ومن يعني، وما يريد من مجمل القصيدة.

والشاهد: إطلاقُه صفةَ البُكاءِ على من لا تصدر منه حقيقة، وإنّما هو على المجاز والاتّساع في اللّغة.

انظر: الديوان لابن أحمر: ٨٩، الأضداد: ٢٩٦، ضمن ت ١٩٥.

(١) البيت تقدّم في ٢: ١٨٧ ولنفس الاستشهاد، وترجمة جرير تقدّمت في ٢: ٢٠.

(٢) انظر: معاني القراءات للأزهريّ: ٥٣، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١١٣، حجّة القراءات لأبي زرعة: ١٠١.

قوله تعالى :

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) آية بلا خلاف .

الألف في قوله : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ ألف استفهام ، والمراد بها هاهنا الإنكار ، كقوله : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ﴾[١] فإذا كان في الأوّل نفيٌ كان الجواب : بَلىٰ ، وإذا لم يكن نفيٌ كان الجواب : لا .

وهذا خطاب لأمّة النبيّ ﷺ ، فكأنّه قال : أفتطمعون أيّها المؤمنون أنْ يؤمنوا لكم من طريق النّظر والاعتبار ونفي الشُّبَه والانقياد للحقّ ، وقد كان فريق منهم ، أي : ممّن هو في مثل حالهم من أسلافهم يسمعون كلام الله ويعلمون أنّه حقٌّ ويعاندون ، فيحرّفونه ويتأوّلونه على غير تأويله .

وقوله : ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ فالفريق جمع ـ كالطائفة ـ لا واحد له من لفظه ، وهو فعيل من الفَرَق ، سُمّي به الجمع كما سُمّيت الجماعة بالحزب من التحزُّب[٢] ، قال أعشى بن ثعلبة :

---

(١) سورة الملك ٦٧ : ٨ و٩ .

(٢) تجد المادة «فرق» في العين ٥ : ١٤٧ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٨٤ ، تهذيب اللّغة ٩ : ١٠٣ ، المحيط في اللّغة ٥ : ٣٩٥ ، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٣٨٣ ، لسان العرب ١٠ : ٢٩٩ ، تاج العروس ١٣ : ٣٩١ .

وأمّا مادة «حزب» في : العين ٣ : ١٦٤ ، تهذيب اللّغة ٤ : ٣٧٣ ، المحيط في اللّغة ٣ : ١٥ ، المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ٢٣١ ، الصحاح ١ : ١٠٩ ، لسان العرب ١ : ٣٠٨ ، تاج العروس ١ : ٤١٦ .

أَجَدُّوا فَلَمَّا خِفْتُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ[1] [٣٢٠]

وقوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾ يعني من بني إسرائيل؛ وإنّما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعدهم من بني إسرائيل من اليهود الذين قال الله تعالى لأصحاب محمّد: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ لأنّهم كانوا آباءهم وأسلافهم فجعلهم منهم، إذ كانوا عشائرهم وفَرْطَهم وأسلافهم.

وقوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ قال قوم منهم مجاهد والسُّدّيّ: إنّهم علماء اليهود الذين يحرّفون التوراة، فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً؛ اتّباعاً لأهوائهم وإعانةً لمن يرشوهم[2].

وقال ابن عبّاس والرّبيع وابن إسحاق والبلخيّ: إنّهم الذين اختارهم موسى من قومه، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره، وحرّفوا القول في إخبارهم لقومهم حين رجعوا إليهم وهم يعلمون أنّهم قد حرّفوا[3].

---

(١) للأعشىٰ ميمون بن قيس، وتقدّمت ترجمته في ١ : ٥٦، يهجو الحارث بن وَعْلة.
معنى البيت: واضح إجمالاً، وقد أوضحه محقّق الديوان بما لا مزيد عليه.
أَجَدُّوا: الهمزة للاستفهام، وجدّوا: أسرعوا ـ قوم زينب ـ، فريقين: جماعتين وقسمين. مصعد: متوغّل في شعاب الجبل أو الهضبة أو الطريق، مصوّب: المنحدر في الوديان والسهول.
الشاهد فيه: استعمال الفريق في الجمع والجماعة من الاشخاص.
انظر: الديوان: ٢٥١ ق٣٠ ب٦.

(٢) ذُكر ذلك أيضاً في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٤٩ ت ٧٧٣ و٧٧٤، تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٧، تفسير السمعانيّ ١ : ٩٧، وفيهما بلا نسبة، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٦٧.

(٣) أشارت إلى ذلك جملة من المصادر: تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٧، تفسير بحر العلوم ١ : ١٣١، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٢٢، التفسير البسيط ٣ : ٧٩، التفسير الوسيط ١ : ١٦٠ وهما للواحديّ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٦٧، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٩٧، تفسير معالم التنزيل ١ : ١٠٨.

وهذا أقوى التأويلين ؛ لأنّه تعالى أخبر عنهم بأنّهم يسمعون كلام الله ، والذين سمعوا كلام الله بلا واسطة هم الذين كانوا مع موسى ، فأمّا هؤلاء فإنّما سمعوا ما يضاف إلى كلامه بضرب من العرف دون حقيقة الوضع .

ومن قال بهذا ، قال : هم الذين سمعوا كلام الله الذي أوحى به إلى موسى .

وقال قوم : هو التّوراة التي عَلِمَها علماءُ اليهود .

وقوله : ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ قيل : فيه وجهان :

أحدهما : وهم يعلمون أنّهم يحرّفونه .

والثاني : من بعدما تحقّقوه وهم يعلمون ما في تحريفه من العقاب[1] .

والذي يليق بمذهبنا في الموافاة أن نقول : إنّ معناه : وهم يعلمون أنّهم يحرّفونه .

فإن قيل : فلِمَ إذاً أخبر الله تعالى عن قوم بأنّهم حرّفوا وفعلوا ما فعلوا لا من المعاندة يجب أن يُؤيَس من إيمان من هو في هذا الوقت ، وأيُّ عُلقةٍ بين الموضعين والحالين؟

قيل : ليس كلّ ما لم يُطمَع فيه يُؤيَس منه على وجه الاستيقان بأنّه لا يكون ؛ لأنّ الواحد من أفناء العامة لا يطمع أن يصير ملكاً . ومع ذلك لا يمكن القطع على كلّ حال إنّ ذلك لا يكون أبداً ، ولكن لا يُطمع فيه ؛ لبعده ، والله تعالى نفى عنهم الطمع ، ولم يؤيسهم على القطع والبتات ،

---

(١) المصادر المتعرّضة لهذين الوجهين والقول السابق مشتركة ، منها : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٤٩ ت ٧٧٤ و٧٧٧ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٨ ، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١ : ١١٨ ، تفسير الوسيط ١ : ١٦٠ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٦٧ ، وغيرها .

وإنّما لم يَطمع فيهم ؛ لبعد ذلك في الوهم منهم مع أحوالهم التي كانوا عليها . وشبّههم بأسلافهم المعاندين ، وقد كانوا قادرين على أن يؤمنوا ، وكان ذلك موهماً منهم جائزاً .

وهؤلاء الذين عاندوا وحرّفوا وهم يعلمون كان قليلاً عددُهم ، يجوز على مثلهم التواطُؤ والاتّفاق وكتمان الحقّ ؛ وإنّما يمتنع ذلك في الجمع العظيم والخلق الكثير ، لأمرٍ يرجع إلى اختلاف الدّواعي ؛ فأمّا على وجه التواطُؤ والعمد فلا يمتنع فيهم أيضاً ، فيبطل بذلك قول من نسب فريقاً إلى المعاندة دون جميعهم وإن كانوا بأجمعهم كفّاراً .

قوله تعالى :

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) آية .

هذه الآية فيها إخبار عمّن رفع الله الطمع في إيمانهم من يهود بني إسرائيل الذين كانوا بين أظهرهم ، فقال : أفتطمعون أيّها المؤمنون أن يؤمنوا لكم وهم القوم الذين **﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَ﴾** هم الذين **﴿إِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾** ، أي : صدّقنا بمحمّد وبما صدّقتم به وأقررنا بذلك ، فأخبر الله بأنّهم تخلّقوا بأخلاق المنافقين وسلكوا منهاجَهم .

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي : إذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم إلى بعض منهم فصاروا في خلاء الناس ، وذلك

هو الموضع الذي ليس فيه غيرهم ﴿قَالُوٓاْ﴾ : يعني قال بعضهم لبعضٍ : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ .

فقال ابن عبّاس : ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ، أي : بما ألزمكم الله به ، فيقول الآخرون : إنّما نستهزئُ بهم ونضحك .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس : أنّ معناه قالوا : لا تحدِّثوا العرب بهذا ، فإنّكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فأنزل الله هذه الآية ، أي : تقرّون بأنّه نبيّ ، وقد علمتم أنّه قد أُخذ له الميثاقُ عليكم باتّباعه ، وهو يخبركم بأنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره ونجده في كتابنا ، إجحدوه ولا تقرّوا لهم به ، فقال الله تعالى : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[1] .

وقال أبو العالية : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي : بما أنزله في كتابكم من نعت محمّد ﷺ ، وبه قال قَتادة .

وقال مجاهد : ذلك قول يهود بني قريظة حين سَبَّهُم النبيُّ بأنّهم إخوة القردة والخنازير ، قالوا : من حدّثك هذا ؟ [قال :][2] حين أرسل إليهم عليّاً ، فآذوا محمّداً عليه السلام ، فقال : «يا إخوة القردة والخنازير» ، فقال بعضهم لبعضٍ : ما أخبره بهذا إلّا منكم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ؛ ليكون لهم حجّة عليكم .

وقال السُّدّيُّ : هؤلاء ناسٌ من اليهود آمنوا ثمّ نافقوا فكانوا يحدّثون المؤمنين من العرب بما عُذّبوا به ، فقال بعضهم لبعضٍ : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٧٧ .

(٢) العبارة من دونها قلقة ، أُضيفت بالاستعانة بتفسير الطبريّ : جامع البيان ٢ : ١٤٨ .

﴿فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من العذاب ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِۦ﴾ ليقولوا: نحن أحبّ إلى الله منكم وأكرم عليه منكم[1]؟ ومثله روي عن أبي جعفر عليه السلام[2].

وأصل الفتح في كلام العرب: القضاءُ والنّصر والحكم، يقال: اللّهمّ افتح بيني وبين فلان، أي: احكم بيني وبينه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾[3] يعني هذا القضاء، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾[4] يعني يوم القضاء[5]، وقال الشاعر:

---

(١) أُشير إلى الأقوال من أوّل الآية وإلى هنا في جُملة من المصادر، منها: تفسير جامع البيان ٢: ١٤٨، تفسير النكت والعيون ١: ١٤٧ ـ ١٤٩، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١١٩، تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١: ٢٧٧ ت ٧٨، تفسير مجاهد: ٢٠٧، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٢٣. وانظر: تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١: ١٣١، تفسير الوسيط للواحديّ ١: ١٦٠ ـ ١٦١، تفسير مقاتل بن سُليمان ١: ١١٧ ـ ١١٨، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ١٩١ ـ ١٩٢، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٩٧ ـ ٩٨، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٦٧ ـ ٢٦٩، وغيرها كثير.

(٢) نحوها بل قريبة منها في تفسير علي بن إبراهيم القمي ١: ٥٠ ـ ٥١ وفيه من دون نسبة ما، والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٢٩١، وفي تفسير البرهان ١: ٢٥٠ ـ ٢٥١ ت ٤١٤ نسبه للإمام العسكري عليه السلام حيث اعتمد التفسير، وانظر الكافي ٢: ٤٧٤ ب١١ ح١.

وقد نقل وقائع الفتح في حرب بني قريظة كاملة الشيخ المجلسي في البحار ٢٠: ١٨٦ ـ ٢٨٠ ب١٧، والسيد المرتضىٰ في الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ١١: ٢٦٣ و: ١٢ بكامله.

(٣) سورة السجدة ٣٢: ٢٨.

(٤) سورة السجدة ٣٢: ٢٩.

(٥) ذكرت ذلك أغلب مصادر اللّغة، منها للمثال: العين ٣: ١٩٤، جمهرة اللّغة ١: ٣٨٦، تهذيب اللّغة ٤: ٤٤٥، المحيط في اللّغة ٣: ٥٤، معجم مقاييس اللّغة ٤: ٤٦٩، المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٢٧٦، المخصص ٥: ٥١٧ و٥٧٩ و٧: ٧٦٩، الصحاح ١: ٣٨٩، مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٦٢١ ـ ٦٢٢، مجاز

لله

[٣٢١] أَلا أبْلِغْ بني عُضْمٍ رَسُولاً فَإِنّي عن فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ[١]

ويقال للقاضي : الفتّاح ، قال الله تعالى : ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾[٢] يعني : احكم به .

ويقال : فَتَحَ : بمعنى عَلِمَ ، فقال : افْتَحْ عَلَيَّ هذا ، أي : أَعلِمْنِي بما عِنْدَكَ فِيهِ .

فإذا كان معنى الفتح ما وُصف فقد بَانَ أنّ معنى الآية : أَتحدّثونهم بما حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ، ومِنْ حُكْمه : ما أخذ به ميثاقهم من الايمان بمحمّد بما بيّنه في التّوراة ، ومِنْ قضائه أنّه جعل منهم القردة والخنازير .

فإذا ثبت ذلك فأقوى التأويلات قول من قال : أَتحدّثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمّد ﷺ وصفته في التوراة ، وأنّه رسول الله ﷺ إلى خلقه .

القرآن ١ : ٢٢٠ ، لسان العرب ٢ : ٥٣٦ ، تاج العروس ٤ : ١٤٨ وغيرها ضمن مادة «فتح» .

(١) أقدم مصادره : مجاز القرآن ١ : ٢٢٠ ، إصلاح المنطق : ٢٤٤ ، أمالي القالي ٢ : ٢٨١ ، معجم مقاييس اللّغة ٤ : ٤٦٩ ، المخصص ٧ : ١٢٦ ، وفيها باختلاف في شطره الأوّل ، ولا ضير فيه على الشاهد ، وفي الجميع دون نسبة .

أمّا تهذيب اللّغة ٤ : ٤٤٧ ، لسان العرب ٢ : ٥٣٨ ، تاج العروس ٤ : ١٤٨ (فتح) فيها ، وراجع : سمط اللآلي ٢ : ٩٢٧ ، فقد نسبه للأسعر الجعفي مرثد بن الحارث ابن معاوية المعاصر لامرئ القيس ، وقد ذُكر فيه بعض الاختلافات . ولترجمة الشاعر ومصادرها راجع معجم الشعراء الجاهليّين : ١٦ .

هذا ، وفي جميع المصادر أعلاه بيت مفرد لم نصل لمراد الشاعر منه بوضوح إلّا للقليل وهو : إن بني عُضْم هم رهط الشاعر الشهير عمرو بن معدي كرب ، ويظهر أنّ الجعفي يريد إبلاغهم رسالة استغنائه عن مقاضاته معهم في ما بينهم .

والشاهد فيه : استعمال «فُتاحَتِكم» وإرادة المقاضاة أو الحكم منه .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٨٩ .

وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قوم من اليهود ليسوا بالمعاندين المتواطئين، إذا لقوا المسلمين، حدّثوهم بما في التوراة من صفة محمّد فنهاهم كبراؤهم عن ذلك، وقالوا: لا تخبروهم بما في التوراة؛ فيحاجّوكم به عند ربكم، فنزلت الآية.

ومعنى قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا تفقهون ـ أيّها القوم ـ أنّ إخباركم محمّداً صلى الله عليه وآله وأصحابه بما تحدّثونه به، وإقراركم لهم بما تقرّون لهم من وجودكم نعت محمّد صلى الله عليه وآله في كتبكم، وأنّه نبيّ مبعوث، حجّة عليكم عند ربّكم يحتجّون بها عليكم.

قال أبو عبيدة: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: بما منّ عليكم وأعطاكم ليحاجّوكم به[1].

وقال الحسن في قوله: ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾، أي: في ربّكم فيكونوا أولى منكم إذا كانت حجّتهم عليكم.

قال الحسن: ثمّ رجع إلى المؤمنين فقال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنّهم لا يؤمنون فلا تطمعوا في ذلك[2].

---

(١) هو مَعْمر بن المُثَنّىٰ أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن ١: ٤٥.

(٢) تجد قولي الحسن في: التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣: ١٣٧، والثاني: في تفسير النكت والعيون ١: ١٤٩، وراجع: الجامع لأحكام القرآن ٢: ٤.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى:

﴿أَوَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧) آيـة بلا خلاف.

معناه: أَوَ لا يعلمون أنّ الله يعلم سرّهم وعلانيتهم، فكيف يستجيزون أَنْ يُسرّوا إلى إخوانهم النهيَ عن التّحدّث بما هو الحقّ؟! وليسوا كسائر المنافقين الذين[1] وإنْ كانوا يُسرّون الكُفر فإنّهم غير عالمين بأنّ الله يعلم سرّهم وجهرهم؛ لأنّهم جاحدون له، وهؤلاء مقرّون، فهم من هذه الجهة أَلْوَمُ وأعجبُ شأناً وأشدّ جُرأةً.

وقال قَتادة في: ﴿أَوَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من كفرهم وتكذيبهم محمّداً إذا خلا بعضهم إلى بعضٍ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ إذا لقوا أصحاب محمّد قالوا: آمنّا بذلك. ومثله رُوي عن أبي العالية[2].

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) آية بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر المدني: ﴿أَمَانِيَ﴾، مخفّفاً، والباقون: بالتشديد[3].

---

(١) «الذين»: زيادة من النسخة «خ» فقط.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٥١ ت ٧٨٦ ـ ٧٨٨، جامع البيان ٢: ١٥٢، الدرّ المنثور ١: ٤٣١.

(٣) ذكرت القراءة مصادر عدة، وبعضها من دون نسبة، راجع: معاني القرآن للفرّاء ⇐

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني من هؤلاء اليهود الذين قصّ الله قصّتهم في هذه الآيات وقطع الطّمع عن إيمانهم.

وقال أكثر المفسّرين: سمّوا أمّيين؛ لأنّهم لا يحسنون الكتابة ولا القراءة، يقال منه: رجل أمّيٌّ بيّن الأمّيّة(١).

ومنه قوله عليه السلام: (إنّا أمّة أمّيّون لا نكتب ولا نحسب)(٢).

وإنّما سمّي من لا يحسن الكتابة أمّيّاً؛ لأحد أمور:

[الأوّل]: قال قوم: هو مأخوذ من الأمّة، أي: هو على أصل ما عليه الأمّة من أنّه لا يكتب؛ لأنّه يستفيد الكتابة بعد أن لم يكن يكتب.

الثاني: أنّ الأمّة الخِلْقة، فسمّي أمّيّاً؛ لأنّه باقٍ على خِلْقته، ومنه قول الأعشى:

وَإنّ مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ   حِسانُ ٱلوُجوهِ طِوَالُ الأُمَمْ(٣)   **[٣٢٢]**

﴿ ١: ٤٩، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٤٠، المحتسب لابن جنّي ١: ٩٤، مختصر في شواذّ القرآن: ١٤، معاني القراءات للأزهريّ: ٥٣، شواذّ القراءات للكرمانيّ: ٦٧، التبيان في إعراب القرآن ١: ٨٠، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٤٩، وهكذا بعض التفاسير.

(١) كثيرون منهم: السمرقنديّ في بحر العلوم ١: ١٣١، والثعلبيّ في الكشف والبيان ١: ٢٢٣، والماورديّ في النكت والعيون ١: ١٤٩، وغيرهم في غيرها.

(٢) بلفظه روته أغلب الجوامع الحديثية، منها: صحيح البخاريّ ٣: ٣٥، صحيح مسلم ٢: ٧٦١ ح ١٥، مسند أحمد بن حنبل ٢: ٤٣ و٥٢ و١٢٩، سنن النّسائيّ ٤: ١٣٩، سنن أبي داود ٢: ٤٩٦ ح ٢٣١٩، وغيرها.

وأمّا من الخاصة، فراجع: بحار الأنوار ٥٨: ٣٥٦ ك السماء والعالم ب السنين والشهور وأنواعها ضمن أواخر الفائدة الثالثة، ومنه لغيرها.

(٣) من قصيدة للاعشى ميمون ـ وتقدم في ١: ٥٦ ـ، يمدح فيها قيس بن مَعْدِي كَرِبْ ويفخر بقومه وحسبه بني معاوية وحسبه، وليس معاوية الأموي الحاكم. ﴾

والثالث : أنّه مأخوذ من الأم ، وإنّما أُخذ منه لأحد أمرين :

أحدهما : لأنّه على ما ولدته أُمّه من أنّه لا يكتب .

والثاني : نُسبَ إلى أُمّه ؛ لأنّ الكتابة كانت في الرّجال دون النّساء ، فنُسب من لا يكتب من الرّجال إلى أُمّه ؛ لجهله بالكتابة دون أبيه[1] .

وقال أبو عبيدة : الأمّيّون : هم الأُمم الذين لم ينزل عليهم كتاب ، والنبيّ الأُمّيّ : الذي لا يكتب[2] ، وأنشد لتُبّع[3] :

المعنى : في البيت وقبله وبعده يصف قومه ـ بني معاوية ـ بأنّهم أُناس حسان الوجوه ذوو قامات فارعة وذوو وجوه حسنة متناسقة جميلة . ولكثرة ضيافتهم فقبابهم وخيامهم كبيرة عالية ، وهم أهل حرب وسلم ، وكرم ونجدة ، وهم سادات قومهم ورؤساؤهم .

والشاهد : استعمال «الأُمم» بمعنى : الخلقة والهيئة والمنظر .

ومن اللّافت أنّ المثبت مطابق للأُصول الخطيّة مختلف مع الديوان بطبعتيه ففيها عوض «حسان الوجوه» : عِظامُ القِبابْ ، وفي اللسان ١٢ : ٢٢ : بيض الوجوه .

هذا ، ورواية الشيخ المصنف مدعومة بمصادر استشهدت به ، وعلى رواية المتن راجع : الكنز اللّغوي : ١٦٤ ، الأمالي للقاليّ ١ : ٢٥ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ١٢٧ ، المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٢٨٨ وعنه بحار الأنوار ١٦ : ١٣٥ وغيرها ، وانظر : الديوان : ٩١ ، ق٤ ب٤٦ ، وكذا طبعة مكتبة الثقافة : ١٩٩ .

(١) من جملة المصادر المشيرة لذلك : تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٩ و١٥٠ و٣٨٠ ، تفسير السمعانيّ ١ : ٩٩ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٣١ ، تفسير الوسيط ١ : ١٦٢ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٢٣ ، معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٥٩ و٣٩٠ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٧٠ ، تفسير زاد المسير ١ : ١٠٥ ، وغيرها .

(٢) إلى هنا ورد في مجاز القرآن له ١ : ٩٠ ، واللّافت عدم الاستشهاد بالبيت هذا في جميع موارد اللّفظة من كتابه المجاز .

وراجع : المعجم في فقه لغة القرآن ٣ : ٣٧٦«الأُمّيّين» .

(٣) هو حسّان بن أسعد بن أبي كرب الحميريّ ، من عظماء تبابعة اليمن في الجاهلية ، ولعلّه أكثرهم غارات وأقواهم كتائب ، أوّل من كسى الكعبة ، قاوم الوثنية

لَهُ أُمَّـةٌ سُـمِّيَتْ فـي الزَّبُـورِ   أُمِّيَّةً[1] هِيَ خَيْرُ الأُمَـمْ[2][3]   [٣٢٣]

وروي عن ابن عباس: إنّ الأُمّيّين قوم لم يصدّقوا رسولاً أرسله الله عزّ وجلّ ولا كتاباً أنزله، فكتبوا كتاباً بأيديهم، ثمّ قالوا لقوم جُهّال: هذا من عند الله، وقال: قد أخبر أنّهم يكتبون بأيديهم، ثمّ سمّاهم أُمّيّون؛ لجحودهم لكتب الله عزّ وجلّ ورسله[4].

والوجه الأوّل أوضح في اللّغة. وهذا الوجه مليح؛ لقوله في الآية الثانية: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فأثبت أنّهم يكتبون، ومن قال بالأوّل يحتاج أن يجعل هذا مستأنفاً لغير من تقدّم ذكره أو لبعضهم.

متّخذاً مدينتي مأرب وظفار لسكناه الأولى للشتاء، وللصيف الثانية.

وأسّس في مدينة مأرب محلاً جعله مدرسة لتعليم أبناء الذوات، قيل: عاش في القرن العاشر قبل الهجرة (أي الرابع قبل الميلاد).

انظر: تاريخ مدينة دمشق ١١: ٣ ترجمة ٩٨٤، وخير من جمع مصادر ترجمته: معجم الشعراء الجاهليّين: ٦٦.

(١) في «ؤ، هـ، س»: أُمّته، وفي «س»: أُمّة، والمثبت من «ج»، ولعلّه الأوفق.

(٢) للمادّة اللّغوية «أمم» انظر: العين ٨: ٤٢٦، تهذيب اللّغة ١٥: ٦٣٠، جمهرة اللّغة ١: ٥٩ و٢٤٨، المحيط ١٠: ٤٥٨، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٥٧١، لسان العرب ١٢: ٢٢، تاج العروس ١٦: ١٢، وانظر: الفائق في غريب الحديث ١: ٥٦، غريب الحديث لابن قتيبة ١: ٣٨٤، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١: ٦٨، الغريبين للهرويّ ١: ١٠٨.

(٣) لم نجده في المتوفّر من المصادر لدينا، على أنّ الشاعر يشير إلى بعثة النبيّ الأكرم ﷺ، وأنّ أُمّته مسمّاة في الزبور: أُمّيّة وهي خير الأُمم جميعاً.

والشاهد فيه: قوله: «أُمّيّة» بمعنى عدم القراءة والكتابة.

(٤) روته عن ابن عباس عدّة من المصادر منها: تفسير النكت والعيون ١: ١٥٠، تفسير جامع البيان ٢: ١٥٤، وغيرها.

وقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ﴾ أي لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله الله عزّ وجلّ، ولا يدرون ما أودعه تعالى من حدوده وأحكامه وفرائضه، كهيئة البهائم، وإنّما هم مُقلِّدة لا يعرفون ما يقولون، و﴿الكتاب﴾ المعنيّ به التوراة، وإنّما أَدخل عليه لام التعريف؛ لأنّه قصد به قصد كتاب معروف بعينه.

ومعنى الآية: منهم فريق لا يكتبون ولا يدرون ما في الكتاب الذي عرفتموه، الذي هو عندهم، وهم ينتحلونه، ويدّعون الإقرار به من أحكام الله عزّ وجلّ وفرائضه وما فيه من حدوده التي بيّنها فيه.

﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: ومعنى أمانيّ: قال ابن عبّاس ومجاهد: إلّا قولاً يقولون بأفواههم كذباً.

وقال قتادة: الأَمانيّ: أنّهم يتمنّون على الله ما ليس لهم.

وقال آخرون: إلّا أمانيّ: إلّا أحاديث[1].

وقال الكِسائي والفرّاء وغيرهما: معناه إلّا تلاوة[2]، وهو المحكيّ عن

---

(١) الأقوال والآراء تجدها في: تفسير مجاهد: ٢٠٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٥٢ ت ٧٩٢ ـ ٧٩٤، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٠، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٧٧ ت ٧٩، تفسير الوسيط ١: ١٦٢، تفسير ابن عباس: ١٢، صحيفة علي بن أبي طلحة: ٨٤، تفسيركتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١١٩، تفسير ابن أبي زمنين ١: ١٥٣، معاني القرآن للفرّاء ١: ٤٩، وغيرها.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزّجاج ١: ١٥٩، معاني القرآن للفرّاء ١: ٤٩، تفسير بحر العلوم ١: ١٣١، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٢٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٠، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٥٨.

أبي عبيدة على ما رواه عنه عبدالملك بن هِشام[(١)(٢)]، وكان ثقة[(٣)].

وضعّف هذا الوجه الحسين بن علي المغربي، وقال: هذا لا يُعرف في اللّغة[(٤)].

ومن صحّحه استدلّ بقوله تعالى: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[(٥)]، قال كعب بن مالك[(٦)]:

---

(١) عبدالملك بن هشام بن أيّوب، أبو محمّد الذُّهليّ النّحويّ الأخباريّ، روى عن جمع منهم أبو عبيدة وغيره، نشأ وترعرع في البصرة، ثمّ نزل مصر، له في النّحو واللّغة يدٌ ومؤلّفات، منها: شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب، كتاب التيجان لمعرفة ملوك الزمان، أنساب حمير وملوكها، وهذّب سيرة ابن إسحاق ونقّحها حتى اشْتَهَرَت باسمه وعرفت به، فقد قيل: إنّ فضله عليها لا يقلّ عن مؤلّفها.

وكما تقدّم رحل إلى مصر، وفيها توفّي عام ٢١٨هـ.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء ١: ٤٢٨ ت ١٣١ وتاريخ الإسلام (حوادث ٢١١ ـ ٢٢٠هـ): ٢٨١/ ت ٢٤٩ ومصادرهما، ومقدمة السيرة.

(٢) حكاه عنه ابن هِشام في سيرته النبوية ٢: ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٣) التوثيق هنا هو الموثقية بالمعنى الأعم لا المختصة بالجرح والتعديل.

(٤) راجع تضعيف الوزير المغربي في تفسيره المصابيح ١: ١٥٦ـ ١٥٧، وهو منقول بالمعنىٰ، ولآراء اللّغويّين في كيفية إفادة هذا المعنى من هذه اللّفظة. أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٧٧٩ ومع ملاحظات العاملي: ٦٨٣ ـ ٦٨٤، العين ٨: ٣٨٩، تهذيب اللّغة ١٥: ٥٣٣، المحيط في اللّغة ١٠: ٤١٥، معجم مقاييس اللغة ٥: ٢٧٦، الصحاح ٦: ٢٤٩٧، لسان العرب ١٥: ٢٩٢، تاج العروس ٢٠: ١٩٨، «مني». وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٨٥، وشرحه الروض الأنف ٤: ٣٣٥.

(٥) سورة الحجّ ٢٢: ٥٢.

(٦) كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري الخزرجيّ السلميّ، أحد شعراء رسول الله ﷺ، شهد العقبة وما بعدها متخلّفاً عن غزوة تبوك، آخىٰ النبي بينه

لا

تَــمَنَّىٰ كِــتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَــيْلِهِ ... وَآخِرَهُ لاقىٰ حِمامَ المَقادِرِ[1] [٣٢٤]

وقال آخر:

تَــمَنَّىٰ كِــتابَ اللهِ بــالّليلِ خــالِياً ... تَـمَنِّيَ داودَ الزَّبُـورَ عـلىٰ رِسْـل[2] [٣٢٥]

والزبير بن العوام، اختلف في سنة وفاته بين ٤٠ هـ، ٥٠ هـ، ٥١ هـ.

للتوسعة في ترجمته راجع معجم الشعراء المخضرمين: ٣٩٦، ومصادره وافية.

(١) البيت من جملة القصيدة ٢٦ قالها في رثاء عثمان بن عفان، وسقط في الطبع من محلّه في الديوان: ٢١١، وأُلحق في آخره: ٢٩٤ مفرداً.

المعنى: لعلّه واضح.

والشاهد: استعمال: تمنّى بمعنى: تلا وقرأ.

وقد استشهد به جمع لمحلّ الشاهد لدى الشيخ المصنف، راجع: تفسير النكت والعيون ١: ١٥٠، المحرر الوجيز ١: ٢٧١، الجامع لأحكام القرآن ٢: ٦ ونسبه، وفي تفسير السمعانيّ ١: ٩٩ عوض «وآخره»: «فياليْتَهُ ما»، وهو مخلّ بالوزن، معجم مقاييس اللّغة ٥: ٢٧٧، وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٨٥، وشرحه الروض الأُنف ٤: ٣٣٥، ولم ينسب فيهما.

هذا، وفي تنزيه الأنبياء للمرتضىٰ: ١٤٧ نسب إلىٰ حسّان بن ثابت ولم أجده في ديوانه.

وجاء في تفسير ابن كثير بتحقيق المرعشلي ١: ١٢١ ذيل الآية ٧٨: نسبته إلىٰ كعب. ومصادر أُخرىٰ.

(٢) لم نصل إلى قائله رغم كثرة من استشهد به من المفسّرين واللّغويين وغيرهم. ثمّ إنّ بين النسخ والمصادر اختلافاً في آخر الشطر الأوّل بين المثبت ـ بالليل خالياً ـ من الخطيّات وبين ـ آخر ليله ـ في المصادر.

المعنى: لعلّه واضح كما في السابق، أي: تلا كتاب الله متأنّياً، كما تلا داود الزبور كذلك.

والشاهد فيه: «تمنّى» بمعنى: قرأ وتلا. وهو كذلك لدى جميع المصادر المستشهدة به.

انظر: من التفسير للمثال: تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٦، الدرّ المصون ١: ٢٦٩ ت ٥٦٢، تفسير ابن كثير بتحقيق المرعشليّ ١: ١٢١، اللباب ٢: ٢٠٤

وقال أبو مسلم محمّد بن بحر الإصفهانيّ : الأَمانيّ : التقدير ، قال الشاعر :

وَلَا تَقُولَنْ لِشَيْءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ ... حَتَّىٰ تَبَيَّنَ ما يَمْنِي لَكَ ٱلمَانِي[1] [٣٢٦]

أي : يُقدِّرُ لك المقدِّر[2] .

و﴿إِلَّا﴾ هاهنا استثناء منقطع ، ومعناه : لكن أمانيَّ ، وكلُّ موضع يُعلم

ت ٦٠٣ وفيها : آخر ليلة . وراجع : السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٨٦ ، والروض الأُنف ٤ : ٣٣٥ وفيهما المثبت .

ومن اللّغة للمثال : المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٥١١ ، لسان العرب ١٥ : ٢٩٤ ، الغريبين للهرويّ ٦ : ١٧٨٢ ، تاج العروس ٢٠ : ٢٠٢ ، وغيرها .

(١) للشاعر أبي قلابة الطابخيُّ الهذليّ ، سيّد بني قومه لحيان الهذليين ، وهم أشدّ بني هُذيل مِنعة وقوّة وبغياً ، ولهم مياه ، وقد اشترك أبو قلابة في الحرب التي كانت بين لحيان وخزيمة وأبلى فيها بلاء حسناً ، وهو غير المتقدّم في ١ : ٢٧ .

لترجمته راجع معجم الشعراء الجاهليّين : ٢٩٧ ، وهو البيت الأخير من مقطوعة يذكر فيها حوادث يوم الأَحَثّ بين قومه وبني كاهل .

المعنى : الماني : القادر تعالى . يمني : يُقدِّر ويقضي .

والشاهد : استشهد به ابن بحر الاصفهاني على استعمال «يمني» بمعنى يُقدِّر . وهو كذلك لدى كلّ من استشهد به ، أو ذكره .

فأصل : أُمْنِيَة : أُمْنُويَةٌ وزان أُفْعُولَةٌ ، أُدغمت الواو في الياء وكسرت الياء ؛ لمحلّها ، فأصبحت : أُمْنِيَّةٌ وزان أُفْعَولَة ، من منَىٰ يمنِي إذا تلا وقرأ . وراجع معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٩٧ باب الجمع .

انظر ديوان أبو قُلابة ضمن ديوان الهُذَليين ٣ : ٣٩ ، شرح أشعار الهُذليين للسكريّ ٢ : ٧١٣. وراجع : تفسير النكت والعيون ١ : ١٥٠ ، تهذيب اللّغة ١٥ : ٥٣٠ ، النهاية لابن الأثير ٤ : ٣٦٨ ، الفائق في غريب الحديث ٣ : ٣٩٠ وأساس البلاغة ٢ : ٤٠٣ ، وهما للزمخشري ، معجم البلدان ٥ : ٢٠٤ حيث فسّره به أوّلاً ثمّ عرّج على محلّ التسمية ، ولسان العرب ١٥ : ٢٩٢ في الجميع ، أورده متعرضاً للخلاف فيه ، معجم مقاييس اللّغة ٥ : ٢٧٦ «منى» وغيرها كثير .

(٢) نسبه إليه الماوردي في النكت والعيون ١ : ١٥٠ .

أنَّ ما بعد «إلّا» خارج عن الأوّل فهو بمعنى لكن، كقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾[1]: وكقولهم: ما في الدار أحدٌ إلّا حماراً، وإلّا وتداً.

قال الشاعر:

لَـيْسَ بَـيني وَبَـيْنَ قَـيْسٍ عِـتَابٌ غَيْرُ طَعْنِ الكُلَى وَضَرْبِ الرِّقَابِ[2] [٣٢٧]

وقال آخر:

حَـلَفتُ يَـمِيناً غَـيرَ ذِي مَـثْنَوِيَّةٍ وَلَا عِلْمَ إلّا حُسْنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ[3] [٣٢٨]

---

(١) سورة النساء ٤: ١٥٧.

(٢) بيت شعر تمثّل به معاوية في جوابه على كتاب أمير المؤمنين عليه السلام عندما كتب إليه يدعوه ومن معه للبيعة، فلم يجد ما يجيب إلّا هذا البيت.

وهو متدافع النسبة بين شاعرين هما عمرو بن الأهتم وابن الأيهم التغلبيّان.

المعنى: بعد حصول القطيعة والعداوة بين القبيلتين العربيتين تغلب وبني قيس عيلان، يقول الشاعر: فليس لهم عندي شيء من عتاب الأحبة إلّا القتال وضرب السيوف والرقاب وطعن الرّماح.

والشاهد: «غيرُ طعن» حيث جعله من أنواع العتاب على المجاز والتوسّع، أو قُل: استعمال «غير» بمعنى لكن للدلالة على خروج ما بعدها عمّا قبلها.

هذا وقد اختلف في إعراب «غير» بين الرفع على البدل من عتاب، والنصب على الانقطاع.

وللتوسعة راجع: الكتاب ٢: ٣٣٤ ت ٥٣٤، شرح أبيات سيبويه: ١٩٥ ت ٥٠٨، المقتضب ٤: ٤١٣، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٩٤، وتعرّض للبحث مفصّلاً: الوحشيات ٤٢ ب ١ ق٥٥، شرح المفصّل ٢: ٨٠، معجم الشعراء للمرزبانيّ: ٧٠، سمط اللآلي ١: ١٨٤، شرح نهج البلاغة للحديديّ ٣: ٢١١، وقعة صفّين: ١٥١، الإمامة والسياسة ١: ٦٨، الفتوح للكوفيّ ٢: ٥٨٢، ولترجمة الشاعرين راجع معجم الشعراء المخضرمين والأمويّين: ٣١٣و٣١٥.

(٣) البيت للنابغة الذّبيانيّ ـ وتقدّمت ترجمته في ١: ٥٥ ـ من القصيدة: (٣) ب ٥ في الديوان: ٤٠، يمدح فيها عمرو بن الحارث.

المعنى: أنّي حلفتُ يميناً ولم أستثنِ فيها؛ وذلك ثقة منّي وحسن ظنٍّ بأنّ

لل

معناه : لكن حسن ظنّي .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً﴾(١)، وقوله : ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾(٢).

ولولا ، ولوما ، وهلّا ، وإلّا الثقيلة في معنى واحد ، قال الشاعر :

تَعُدّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْخَرَ مَجْدِكُمْ ... بَنِي ضَوْطَرى لَوْلا الكَمِيَّ المُقَنَّعا(٣) [٣٢٩]

↵ ممدوحي يقدم على هذا العمل .

والشاهد : هو ما ذكره الشيخ ﷺ من استعمال «إلّا» بمعنى لكن ، وهو كذلك لدى المستشهدين به .

هذا ، وقد اختلف في ضبط آخره بين المثبت و : بغائب .

راجع : إضافة للديوان ، تاريخ مدينة دمشق ١٩ : ٢٢١ ت ٢٣١٥ ، تفسير جامع البيان ٢ : ١٥٩ ، التفسير الكبير ٣ : ١٣٩ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٥ ، وغيرها كثير .

(١) سورة النساء ٤ : ٩٢ .

(٢) سورة هود ١١ : ٤٣ .

(٣) البيت لجرير بن عطية ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ١٢٩ ـ من القصيدة ٢٦ في ديوانه بشرح محمّد بن حبيب ٢ : ٩٠٣ ، يَرُدُّ فيها على الفرزدق افتخاره بفعل أبيه لعقره النوق مفاخرة . وكذا النقائض لأبي عبيدة ٢ : ٢١٣ق ٨٢ ب٥٨ ، وفيها بعض الاختلاف مع المثبت من المخطوطات ، وهو الأصحّ لمحلّ الاستشهاد .

المعنى : عقر النيب : إشارة إلى التفاخر بين سحيم الرياحي وغالب والد الفرزدق ، وغلبة هذا في عدد النوق المعقورة . الضوطري : الرجل الضخم الذي لا فائدة ترجى منه ، أو يقال : لابن الأمة . الكميّ : الرجل الشجاع . المقنَّع : لابس القناع والزرد لإخفاء وجهه من العدوّ .

يخاطب الفرزدق ورهطه : بأنّ الفخر إنّما هو بعدد الرجال الشجعان في العشيرة والقبيلة لا عدد النوق المعقورة ؛ لأنّ هذا زائل وذاك ثابت باق .

والشاهد : استعمال «لولا» بمعنى : هلّا .

وللتوسعة راجع المصادر أعلاه ، وانظر : الخصائص ٢ : ٤٥ ، شرح المفصّل ٢ : ↵

يعني : هَلّا . وقال آخر :

أَتَـيْتَ بِـعَبْدِ اللهِ فـي القِـدِّ مُـوثَقاً   فَهَلّا سَـعِيداً ذَا الخِـيانَةِ وَالغَـدْرِ[1] [٣٣٠]

وقال آخر :

وَما سَجَنُوني غَيْرَ أَنّي ابْـنُ غـالِبٍ   وَأَنّي مِنَ الأَثْرَينِ عندَ الزعـانفِ[2] [٣٣١]

---

٣٨ و١٠٢ ، تاج العروس ٢٠ : ١٩٨ ، معجم مقاييس اللّغة ٥ : ٢٧٦ ، تهذيب اللّغة ١١ : ٤٩٠ ، شرح الرضي على الكافية ١ : ٤٧٠ ت ١٥٩ ، نهاية الإرب للآلوسي ٣ : ٣٠ ـ ٣١ ، وغيرها .

(١) اتّفقت المصادر على عدم نسبته لشاعر ما ، وأجمعت على الاستشهاد بـه لمـحلّ الشاهد لدى الشيخ المصنف ﷺ .

المعنى : القِدّ : بكسر القاف ـ وقيل : بالفتح ـ وتشديد الدال ، سير يصنع من جلد غير مدبوغ ، يوثق به الأسير ، وتشدّ به الأحمال .

يقول الشاعر لمخاطَبه : إنّ إتيانك بعبدالله مـقيداً لا يُـعدّ فـخراً . إذ الفـخر هـو مجيئك بالغادر الخائن سعيد؟!

والشاهد : انتصاب سعيد بعد هلّا التحضيضية المختصة بالدخول على الأفعال ولو تقديراً كما هنا ، وهو على تقدير : فهلّا أتيتَ بسعيدٍ ، أو نحوه ، وهـو شـاهد الجميع .

من مصادره : معاني القرآن للـفرّاء ١ : ١٩٦ ، مـجالس ثـعلب ١ : ٥٩ ، أمـالي الشجريّ ٢ : ١١٤ ، الزاهر في معاني كـلمات النـاس ٢ : ١٠ ، المـقاصد النـحوية (هامش الخزانة للبغداديّ) ٤ : ٤٧٥ ، وغيرها .

(٢) للفرزدق ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ٩٧ ـ ونضيف هنا قوله الذي نقله الأَصبهانيّ الأُمويّ في الأغاني ٢١ : ٣٦٠ عندما بلغه مقتل الإمـام الحسـين عليه السلام : «إنْ غـضبت العربُ لابن سيّدها وخيّرها فاعلموا أنّه سيدوم عزّها وتبقى هـيبتها ، وإن صـبرت عليه ولم تتغيّر لم يزدها الله إلى آخر الدهر إلّا ذُلّاً» وأنشد :

فإنْ أَنْتُم لَمْ تَثْأرُوا لابْـنِ خَـيْرِكُمْ   فَالقُوا ٱلسِّلاحَ وَٱغْزِلُوا بـالمَغازِلِ

وأمّا الشاهد فهو من قصيدته التي يذكر بها آل مروان وإكرامهم له ، وتخليصهم إيّاه من السجن الذي كان حقداً عليه ؛ لشرفه وكرم آبائه وأنّه مـن سُلالة غـالب ، وجدّه الذي منع وأد البنات قبال أُولئك اللئام الرذال الذين سجنوه .

واحدها زعنف ، وهو : التابع .

وكلّ موضع حَسُنَ أنْ يُوضع فيه مكان «إلّا» «لكن» ، فاعلم أنّه استثناء منقطع .

ولو قيل هاهنا : ومنهم أُمِّيون لا يعلمون الكتابَ ، ثمّ قال : لكن يتمنّون ، لكان صحيحاً .

والأمانيّ ، واحدها أُمْنِيَّةٌ ؛ مُثَقَّل ، ومن خفّف الياء قال : لأنّ الجمع يكون على غير واحده بنقصان وزيادة . والأماني كلّهم يخفّفونها ؛ لكثرة الاستعمال ، وكذلك الأضاحي[1] .

وأولىٰ التأويلات قول ابن عباس ومجاهد : إنّ الأُمّيّين : الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية ، وإنّهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله على موسى شيئاً ، لكنّهم يتخرّصون الكذب ويقولون الباطل .

ﷺ وهناك رواية لمطلع البيت عوض «سجنوني» : «شيّخوني» أي : جعلوني رئيساً لهم بسبب شرفي وكرم آبائي . . .

علماً أن كلمة الروي ـ الزعانف ـ وردت في النسخ إلّا «هـ» بالغين المعجمة والياء ـ الزغايف ـ ولم أجد لها معنى مناسباً ، ولعلّها بالمهملة والنون ـ الزعانف ـ كما في «هـ» والتي فسّرت : بأجنحة السمك ، والرديء والرذل من كلّ شيء . . . وما تخرّق من أسافل القميص ، يُشَبَّه به رذال الناس . وبنحو هذا فسّرها محمّد بن حبيب (ت : ٢٤٥) في شرحه لديوان جرير ١ : ٤٢٩ ق ٧٧ ب٣ ، ونقل البغدادي في الخزانة ٨ : ٩ ضمن ش ٥٧٩ عن المناقضات لابن حبيب : أنّ الزعانف : الأتباع ، واحده زِعْنِفَة وهو من زعانف الثوب . . . وكذلك لئام الناس ورذالهم .

وهذا هو المناسب للمقام ، ومجيئهُ بالمعجمة ـ الزغانف ـ تصْحيف له .

والشاهد فيه : غير أنّي ، أي : لولا أنّي ، أو : إلّا أنّي .

انظر : الديوان ٢ : ١٠ ، العين ٢ : ٣٣٣ ، صحاح اللّغة ٤ : ١٣٦٩ ، لسان العرب ٩ : ١٣٤ ، تاج العروس ١٢ : ٢٥٠ ، «زعف ، زعنف» فيها .

(١) أشارت لذلك من مصادر اللّغة : العين ٨ : ٣٨٩ ، تهذيب اللّغة ١٥ : ٥٣٣ ، لسان العرب ١٥ : ٢٩٢ ، تاج العروس ٢٠ : ١٩٨ .

والتمنّي في هذا الموضع: تخلّق الكَذِبِ وتخرّصه، يقال منه: تمنّيت، إذا افتعلتَه وتخلّقتَه. ومنه ما روي عن بعض الصحابة إنّه قال: «ما تعنّيت ولا تمنّيت»[1] أي: ما تخرّصت الباطل، ولا اختلقت الكذب والإفك.

ويقوّي ذلك قوله في آخر الآية: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ فبيّن أنّهم يتمنّون ما يتمنّون من الكَذِبِ ظَنّاً لا يقيناً.

ولو كان المعنى: أنّهم يَتْلُونَه لما كانوا ظانّين، وكذلك لو كانوا يتمنّونه؛ لأنّ الذي يَتْلُوه إذا تدبّره عَلِمَه، ولا يقال فيمن يقرأ كتاباً لم يتدبّره وتركه: إنّه ظانّ لما يتلوه إلّا أن يكون شاكّاً فيما يتلوه لا يدري أحقّ هو أم باطل، ولم يكن القوم الذين عاصروا النبيّ ﷺ من اليهود شاكّين في التوراة أنّها من عند الله.

وكذلك المتمنّي لا يجوز أن يقال: هو ظانّ بتمنّيه؛ لأنّ التمنّي من المتمنّي إذا وجد لا يقال فيه: إنّه شاكّ فيما هو عالم به؛ لأنّه ينافي العلم. والمتمنّي في حال وجود تمنّيه لا يجوز أن يقال: هو يظنّ تمنّيه.

وقوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ قال جميع المفسّرين: معناه

---

(١) ضبط القول هذا على الأُصول الخطيّة ـ وهو فيها بالمهملة ـ وأمّا المصادر فمختلفة، ففي البعض بالعين المعجمة، وفي أخرى بالمهملة، وهكذا مصادر اللّغة فلم يترجّح لدينا شيء منها، وعلى أيٍّ فهو منسوب لعثمان بن عفان. ومن مصادره الكثيرة: سنن ابن ماجة ١: ١١٣ ت ٣١١، المعجم الكبير ١: ٨٥ ت ١٢٤، كنز العمال ١٣: ٢٨، شرح نهج البلاغة للمعتزليّ ٢: ١٥٦، غريب القرآن لابن قتيبة: ٥٥، الغريبين للهرويّ ٦: ١٧٨٢، لسان العرب ١٥: ٢٩٥، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٣٦٧ «منا» وغيرها كثير، وأنت أعلم بصحّة الادّعاء من كذبه.

يشكّون[١].

والذي أقوله: إنّ المراد بذلك نفي العلم عنهم، وقد ينتفي العلم تارة بالشكّ، وتارة بالظنّ، فأمّا في الحقيقة فالظنّ غير الشكّ، لكنّ المعنى متفق عليه هاهنا.

قوله عزّ اسمه:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) آية بلا خلاف.

قال الزجّاج: الويل: كلمة يستعملها كلّ واقعٍ في هلكة، وأصله في

(١) بهذا الوضوح لم نجده إلّا في جامع البيان ٢: ١٦١، تفسير بحر العلوم ١: ١٣٢، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٢١، تفسير البحر المحيط ١: ٢٧٦.

هذا، وقد نقل القرطبيّ في الجامع لأحكام القرآن ٢: ٦، والسيوطيّ في الاتقان في علوم القرآن ٢: ٣٧، عن أبي بكر الأنباريّ عن ثعلب: أنّ العرب تجعل الظنّ علماً وشكّاً وكذباً... وقال: إذا قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشكّ فالظنّ يقين، وإذا اعتدلت براهينهما فالظنّ شكٌّ، وإذا زادت براهين الشكّ على براهين اليقين فالظنّ كذب. وتساعد على ذلك مصادر اللّغة، إذ صرح بعضها: أنّ الشك نقيض اليقين، وبعضها: أنّ الظن شك ويقين إلّا أنّه ليس بيقين عيان إنما هو تدبّر... إلىٰ آخره.

انظر: العين ٨: ١٥١، و٥: ٢٧٠، جمهرة اللّغة ١: ١٣٩، تهذيب اللّغة ١٤: ٣٦٢ و٩: ٤٢٥ و٣٢٥، مفردات الفاظ القرآن مع تعليقات الشيخ الكوراني: ٤٨٨، ٤٢٩، ٧٨١، الأضداد للأنباريّ: ١٤ ت ١، المحيط في اللّغة ١٠: ١٢، و٦: ١٢١، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٨، و٦: ٦٣٨ و٥١٠، لسان العرب ١٠: ٤٥١، و١٣: ٤٥٧، تاج العروس ١٣: ٥٩٤، و١٨: ٣٦٣ و٥٩٦ وغيرها، الموادّ «ظن، شك، يقن» فيها.

وراجع ما تقدّم في ٢: ١٨٨ وإحالته علىٰ صفحات أُخرىٰ من كتابنا عند تفسير الآية ٤٦ هامش ٣.

اللّغة: العذاب والهلاك، وارتفع بالابتداء، وخبره ﴿لِّلَّذِينَ﴾. ولو كان في غير القرآن لجاز «فويلاً» بالنّصب على معنى: جعل اللهُ ويلاً لِّلَّذِينَ، والرفع على معنى ثبوت الويل للّذين[1]، ومثله الويح والويس إذا كان بعدهنّ لامٌ رَفعتهُنّ.

وأمّا التَّعْس والبُعد وما أشبههما فهو نصبٌ أبداً؛ فإنْ أضفت ويل وويح وويس نَصبت من غير تنوينٍ، تقول: ويلَ زيدٍ، وويحَ زيدٍ، وويسَ زيدٍ. ولا يحسن في التَّعس والبُعد الإضافة بغير لام، فلذلك لم ترفع.

وقد نصب قومٌ مع اللّام فيقولون: ويلاً لزيد، وويحاً لخالد[2]، قال الشاعر:

كَسَا اللُّؤْمُ تَيْماً خُضْرَةً في جُلُودِها فَوَيْلاً لِتَيْمٍ مِنْ سَرابِيلِها الخُضْرِ[3] [٣٣٢]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١٦٠، وعنه تهذيب اللّغة ١٥ : ٤٥٤.

(٢) تعرّض لذكر ذلك من مصادر اللّغة: تهذيب اللّغة ٢ : ٢٤٢، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٠، لسان العرب ٣ : ٨٩، تاج العروس ٤ : ٣٥٧ «بعد».

ولـ (تعس) تهذيب اللّغة ٢ : ٧٨، لسان العرب ٦ : ٣٢، تاج العروس ٨ : ٢١٧.

ولـ (ويح): تهذيب اللّغة ٥ : ٢٩٤، المحكم والمحيط الأعظم ٤ : ٣٨، لسان العرب ٢ : ٦٣٨، تاج العروس ٤ : ٢٥٢.

ولـ (ويس): تهذيب اللّغة ١٣ : ١٤٣، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٦٤٣، لسان العرب ٦ : ٢٥٩.

ولـ (ويل) العين ٨ : ٣٦٦، تهذيب اللّغة ١٥ : ٤٥٤، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٤٦٠، لسان العرب ١١ : ٧٣٧، تاج العروس ١٥ : ٧٨٨، وغيرها.

وراجع: الخصائص لابن جنّيّ ١ : ٣٩٢، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٩٩.

(٣) البيت ٢٠ ق ١٧٧ من قصيدةٍ للشاعر جَرير الخَطِفيّ ـ وتقدّمت ترجمته في ٢ : ٢٠ ـ في ديوانه بشرح محمّد بن حبيب ٢ : ٥٩٤، هاجياً فيها بني تيم بن عديّ رهط عمرو بن لجأ الخارجي قائلاً: إنّهم من شدّة لؤمهم كأنّما أصبحت لهم علامة أو ﴾

قال ابن عباس : «الويل» في الآية : العذاب .

وقال الأصمعيّ : هو التقبيح ، ومنه قوله : ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[1] .

وقال المفضّل : معناه الحزن .

وقال قوم : هو الهوان والخزي ، ومنه قول الشاعر :

يـازِبْرِقانُ أخـا بَـني خَـلَفٍ   ما أنْتَ وَيْلَ أَبِيكَ والفَخْرُ[2]   [٣٣٣]

⇐كالثوب الأسود يلبسونه ، ويشار إليهم به .

فالخضرة : السمرة أو السواد . الويل : مصدر لا فعل له ، معناه : الهلاك .

السرابيل ـ جمع سربال ـ : القميص .

والشاهد : لدى الشيخ المصنفﷺ وجميع المصادر الآتية قوله : (فويلاً لتيمٍ) على النصب ، وان كان يجوز الرفع فيه على الابتداء .

هذا ، والملاحظ اختلاف رواية محل الشاهد بين المثبت وقوله : (فيا خزيَ تيم) كما في الديوان بمختلف طبعاته ، على أنّ رواية الشيخ مؤيدة بجملةٍ من المصادر المتقدمة والمستشهدة به لمحل الشاهد .

انظر : الكتاب لسيبويه ١ : ٣٩٧ت ٢٦٣ ، المقتضب ٣ : ٢٢٠ ، اللّامات : ١٢٥ ، شرح المفصّل لابن يعيش ١ : ١٢١ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٩٩ ، تحصيل عين الذهب للشنتمريّ : ٢٠٩ ت ٢٦١ ، والنكت في كتاب سيبويه ١ : ٣٧٦ .

(١) سورة الأنبياء ٢١ : ١٨ .

(٢) البيت للمُخَبَّل السعدي رَبِيع بن رَبِيعَةَ بن عَوْف السعَدْيّ . لترجمته راجع معجم الشعراء المخضرمين والأمويّين : ٤٣٩ ، ومصادره .

المعنى : زبرقان : إشارة لابن عمّه ابن بدر . ويل ، أوويب : كما في بعض المصادر ، هما بمعنى واحد ، يستعملان لتحقير وتصغير الآخر .

المعنى العامّ : الشاعر يهجو ابن عمّه محقّراً إيّاه ، ويخاطبه ما أنت والفخر الويل ـ الويب ـ لأبيك .

هذا ، وبين المصادر اختلاف في ضبط محلّ الشاهد بين المثبت وويب ، ولا ضير فيه ؛ لأنهما بمعنى واستعمال واحد .

⇐

وقال أبو سعيد الخدري : الويل : وادٍ في جهنم .

وقال عثمان بن عفّان[(١)] : هو جبل في النار[(٢)] .

وقوله : ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ معناه : أنّهم يتولّون كتابته ، ثمّ يضيفونه إلى الله ، كقوله : ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[(٣)] و﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[(٤)] أي :

والشاهد فيه : استعمال «الويل» بمعنى الهوان والخزي تحقيراً له .

انظر : الديوان ضمن (عشرة شعراء مقلّون ، صنعة الدكتور حاتم صالح الضّامن) : ٦٠ ت ١١ ، وهكذا ذكره جمع مستشهدين به لمرادهم منهم : الكتاب ١ : ٢٩٩ ، الجُمَل للخليل : ٣٠٩ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ١ : ٢٣٦ ، النكت للأعلم ١ : ٣٦١ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١٢٤ ت ٢٨٠ ، خزانة الأدب للبغدادي ٤ : ١٥٠ و٦ : ٩١ ، شرح المفصّل ١ : ١٢٢ و٢ : ٥١ ، معجم الشعراء المخضرمين والأُمويّين : ٤٣٩ .

(١) عثمان بن أبي العاص ـ عفّان ـ بن أُمية بن عبد شمس ، أبو عمرو القرشي الأُموي ، تسلّم الحكم عام ٢٤هـ بإشارة من سابقه ، يوضّحه ما حكي عن أميرالمؤمنين عليه السلام لعبدالرحمن بن عوف : خدعتني ، وإنّك إنّما ولّيته لأنّه صهرك وليشاورك كلّ يوم في شأنه . ذهب إلى ربّه عام ٣٥هـ ، حاملاً ما احتطبه علىٰ ظهره ليجيب عنها وأنّىٰ له ذلك .

له ترجمة في أغلب مصادر التاريخ الإسلامي ، منها : تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ٣٠٣ و٤٢٩ ومصادره غنيّة .

(٢) الأقوال كلّاً تجدها في : تفسير النكت والعيون ١ : ١٥١ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٥٣ ت ٧٩٨ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٢٤ ، تفسير جامع البيان ٢ : ١٦٤ ، تفسير السمعانيّ ١ : ١٠٠ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٧٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٦٣ ، غريب القرآن للسجستانيّ : ٣٤٨ ، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٣٢١ ، الغريبين للهرويّ ٦ : ٢٠٤٢ ، تهذيب اللّغة ١٥ : ٤٥٥ .

وراجع : صحيح الترمذي ٥ : ٣٢٠ ت ٣١٦٤ ، البعث والنشور للبيهقي : ٢٧١ و٢٨٠ ، مستدرك الحاكم ٢ : ٥٠٧ و٥٣٤ و٤ : ٥٩٦ ، مسند أحمد ٣ : ٧٥ ، وغيرها من المصادر كثير .

(٣) سورة ص ٣٨ : ٧٥ .

(٤) سورة يس ٣٦ : ٧١ .

نحن تولّينا ذلك، ولم نَكلْه إلى أحدٍ من عبادنا. ومثله: رأيته بعيني، وسمعته بأُذني، ولقيته بنفسي. والمعنى في جميع ذلك: التأكيد؛ ولأنّه قد يأمر غيره بالكتابة، فتضاف إليه مجازاً، فلذلك يقول الأُمّي: كتبتُ إلى آل فلان بكذا، وهذا كتابي إليك، وكما تقول: حَملْتُ إلى بلد كذا، وإنّما أمرتَ بحمله.

فأعلمنا الله تعالى أنّهم يكتبونه بأيديهم، ويقولون: هو من عند الله، وقد علموا يقيناً إذا[١] كتبوه بأيديهم أنّه ليس من عند الله.

وفي الآية دلالة على إبطال قول المجبِّرة؛ لأنّه تعالى عابهم بهذا القول، إذ نسبوا ما كتبوه من التحريف إلى أنّه من عند الله، وجعل عليهم الويل. وإذا كان تحريفه من الكتاب ـ ليس من عند الله من جهة القول والحكم ـ فليس ذلك منه من جهة القضاء والحكم ولا التقدير[٢] والمشيئة[٣].

وقال ابن السرّاج: معنى ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾، أي: من تلقاء أنفسهم[٤].

وقوله: ﴿لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ قال قوم: إنّه عرضُ الدّنيا؛ لأنّه قليل المدّة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[٥] ذهب إليه

---

(١) كذا في النسخ، ولعلّ الصحيح: إذ.

(٢) في النسخة «خ»: القدر، ولكلٍّ وجه.

(٣) ردّ على هذا القول جمع من الأعلام منهم: النصير الطوسي في تلخيص المحصّل: ٣٢٩ ـ ٣٣٣، والقاضي عبدالجبار في متشابه القرآن ١: ٩٦ ت ٤٢، والفخر الرازيّ في محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين: ٢٨٣ ـ ٢٨٧، وغيرهم من الأعلام.

(٤) لم نجده في مصنّفاته المتوفّرة، ولعلّه في كتابه احتجاج القرّاء، قيل: إنّه منشور في إحدى أعداد مجلّة كلّية الآداب العراقية، وهي ليست في متناول أيدينا، راجع: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى ٣: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٥) سورة النساء ٤: ٧٧.

أبو العالية . وقال آخرون : إنّه قليل ؛ لأنّه حرام[1] .

وروي عن أبي جعفر عليه‌السلام ـ وذكره أيضاً جماعة من أهل التأويل ـ : أنّ أحبار اليهود كانت غيّرت صفة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ؛ ليوقعوا الشك للمُستضعفين من اليهود[2] .

وقوله : ﴿وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ يقول : ممّا يأكلون به الناس السفلة وغيرهم .

وأصل الكسب : العمل الذي يُجتلب به نفع أو يُدفع به ضرر ، وكلّ عاملٍ عملاً بمباشرة منه لما عمل ومعاناة باحتراف[3] ، فهو كاسب لما عمل ، قال لَبيد بن ربيعة :

لِــمُعَفَّرٍ قَــهَدٍ تَــنازَعَ شِــلْوَهُ غُبْسٌ كَواسِبُ لا يُمَنُّ طَعامُها[4] [٣٣٤]

---

(١) أشارت لذلك من التفاسير : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٥٥ ت ٨٠٩ و ٨١٠ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٥٢ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٧٣ .

(٢) تجده في تفسير المصابيح للمغربي ١ : ١٥٧ ، التفسير المنسوب للإمام العسكري : ٣٠٢ ت ١٤٥ ، المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٥٢ ، الاحتجاج : ٤٥٦ ، وعن الأوّل عدة مصادر من الشيعة منها للمثال : تفسير البرهان ١ : ٢٥٦ ت ٥١٧ ، بحار الأنوار ٩ : ٣١٨ ضمن الحديث ١٢ ، و٧٠ : ١٦٨ ضمن ح١٨ وغيرها .

وقد روت العامّة نحوه عن الكلبيّ والسُدِّيّ وابن عباس ، راجع : تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٢٠ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٥٤ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٧٣ ، تفسير الوسيط ١ : ١٦٣ ، التفسير البسيط ٣ : ٩٤ ، وهما للواحدي ، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٥٥ ت ٨١٧ ، تفسير مجاهد : ٢٠٨ ، تفسير الكشف والبيان ٣ : ٤٩ ، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٣٢٢ ، وغيرها كثير .

(٣) المثبت من النسخة «خ» ، ويساعد عليه السياق والمعنى ، وفي النسخ الأُخرىٰ : (ومعناه هاهنا الاحتراف) .

(٤) الشاعر لَبِيدٌ ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ٧٩ ـ يصف بقرة وحشية أكل السباع ←

وقيل : الكسب : عبارة عن كلّ عملٍ بجارحة يُجتلب به نفع أو يدفع به مضرّة ، ومنه قيل للجوارح من الطير : كواسب[١] .

قوله عزّ اسمه :

﴿وَقَالُواْ لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدَاً فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠) آية بلا خلاف .

قوله : ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني : اليهود الذين قالوا : ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ (أي : لا تلاقي أجسامَنا النارُ)[٢] ، ولن ندخلها ﴿إِلَّآ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ . وإنّما لم يبيّن عددها في التنزيل ؛ لأنّه تعالى أخبر عنهم بذلك ، وهم عارفون بعدد الأيام التي يوقّتونها في النار ، فلذلك ترك تسمية عدد تلك الأيام ، وسمّاها ﴿مَّعْدُودَةً﴾ لما وصفنا .

وقال أبو العالية وعِكْرِمةُ والسُّدِّيُّ وَقَتادةُ : هي أربعون يوماً ، ورواه

↵ ولدها .

المُعفّر : الأكيل الذي سُحِبَ في التراب ، وقيل : المفطوم . قَهْد : الأبيض اللّون ، وقيل : الصغير الأذن من الضأن تعلوها حمرة . شِلْوَهُ : بقيته . الغبس : الذئاب أو الكلاب الوحشية ذات اللّون الرمادي . كواسب : التي تعيش من صيدها . لا يُمَنُّ طعامها : لا يُطْعِمُها أحد فَيَمُنُّ عليها ؛ لاعتمادها على كسبها بنفسها ، وهو الشاهد .

والشاهد : قوله : «كواسب» وإرادة ما تقدّم .

انظر : ديوان لَبيد بن ربيعة بشرح الطوسيّ ق ٤٨ ب ٣٨ : ٣٠٨ .

(١) لزيادة المعرفة حول مادة «كسب» ينظر : مفردات ألفاظ القرآن مع التعليقات : ٦٢٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٧٢٦ ، لسان العرب ١ : ٧١٦ ، تاج العروس ٢ : ٣٧٢ ، عمدة الحفاظ ٣ : ٣٩٥ ، بصائر ذوي التمييز للفيروز آباديّ ٤ : ٣٤٩ ت ١٣ .

(٢) زيادة من النسخة «خ» تساعد عليها النسخة المختصرة .

الضحاك عن ابن عباس .

ومنهم من قال : لأنّها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل .

وقال ابن عباس : إنّ اليهود تزعم : أنّهم وجدوا في التوراة مكتوباً : إنّ ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة ، وهم يقطعون مسيرة كلّ سنة في يوم ، فإذا انقطع المسير ، انقطع العذاب وهلكت النار[١] .

وقال مجاهد وسعيد بن جُبير عن ابن عباس : إنّها سبعة أيّام ؛ لأنّ عمر الدّنيا سبعة آلاف سنة ، وإنّهم يُعذَّبون بعدد كلِّ ألف سنة يوماً واحداً من أيّام الآخرة ، وهو كألف سنة من أيّام الدنيا[٢] .

ولمّا قالت اليهود ما قالت من قولها : ﴿لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ على ما بيّنّاه ، قال الله تعالى لنبيّه : ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدَاً﴾ بما تقولون من ذلك أو ميثاقاً ، فالله لا ينقض عهده ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الباطل جهلاً وجرأةً عليه .

وفي القرّاء من قرأ : ﴿أَتَّخَتُّمْ﴾ بإدغام الذّال في التّاء ، ومنهم من لم يدغم[٣] .

---

(١) تجد الإشارة إلىٰ الأقوال أعلاه في : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٥٦ ت ٨١٤ ـ ٨١٨ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ٥٠ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٥٢ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاري ١ : ١٢٠ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٢٦ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٧٤ ، تفسير ابن عباس : ١٢ .

(٢) إضافةً لمصادر الهامش السابق ، راجع : تفسير مجاهد : ٢٠٨ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٢٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٥٥ ت ٨١٣ ، وما تقدّم ضمن تفسير الآية ٥١ في ٢ : ٢٦٩ .

(٣) تجد ذكر ذلك ـ أي : أتخذتم وأتّختُّمْ ـ في : السبعة في القراءات : ١٥٥ ت ٢١ ،

وأصل «أَتَّخَذْتُمْ» «أَإِتَخَذْتُم». دخلت ألف الاستفهام على ألف القطع من نفس الكلمة، فَكُرِهَ اجتماعهما فحذفت الأصلية، وبقيت التي للاستفهام؛ لأنّها لمعنى، وهي وإنْ كانت للاستفهام في الأصل فالمراد بها هاهنا النكير والتوبيخ، والإعلام لهم ولغيرهم أنّ الأمر بخلاف ما قالوه، وأنّهم يقولون بغيرِ علم[1].

والدليل على أنّها ألف الاستفهام كونُها مفتوحة؛ ولو كانت الأصلية، لكانت مكسورة في «أَتَّخذتم» ولذلك لم يدخل بينهما المدّة، كما قالوا في ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[2]، لأنّ قوله: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾[3] لو أخبر بها لكانت مفتوحة، ولو لم تدخل المدّة لاشتبهت ألف الاستفهام بهمزة الخبر، وليس كذلك هاهنا؛ لأنّ الفتحة تختص للاستفهام وفي الخبر تكون مكسورة، وفي المفتوحتين لابدّ من الجمع بين الهمزتين. ومنهم من يَفْصِلُ بينهما بمدّة، ومنهم من لا يَفْصِل، نحو قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ﴾[4][5].

الحجة للقرّاء السبعة ٢ : ٦٨، الموضح ١ : ٢٧٥ ت ٢٠، إعراب القرآن للنّحّاس ١ : ٢٤١ و٢٤٤، معاني القرآن للزّجّاج ١ : ١٦١، وغيرها.

(١) باختصار: دخلت همزة الاستفهام الإنكاري المفتوحة على الفعل «إتّخذتم» فأصبح «أَإِتّخذتم»، وهو من الأخذ، ولامتناع همزتين سُهّلت الأولى الأصلية إلى ياء فأصبح «أَيتخذتم»؛ لأن الثانية فيها معنى الإنكار فلا يمكن حذفها، ولاضطراب الياء في الاشتقاق أُبدلت تاءً وأُدغمت في التاء الأصلية بعدها فأصبحت: «أَتَّخَذْتُم».

(٢) سورة يونس ١٠ : ٥٩.

(٣) سورة النور : ٢٤ : ٣٦.

(٤) سورة الملك ٦٧ : ١٦.

(٥) انظر: السبعة في القراءات: ١٦٢، معاني القراءات للأزهريّ: ٥٤، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ : ٢٤٩، الكافي في القراءات السبع: ٧٩ وغيرها.

قوله تعالى:

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِ خَـطِيٓـَٔتُهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْـحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ ﴿٨١﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة: ﴿خَطِيئاتُهُ﴾ على الجمع، الباقون: على التوحيد[1].

قوله: ﴿بَلَىٰ﴾ جواب لقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ فردّ الله عليهم بأن قال: ﴿بَلَىٰ﴾ تمس من ﴿أَحَـٰطَتْ بِهِ خَطِيٓـَٔتُهُ﴾ أبداً.

و﴿بَلَىٰ﴾ تكون جواباً للاستفهام الذي أوّله جُحُود، وتكون جواباً للجحد وإن لم تكن استفهاماً، كقوله: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ﴾ إلى قوله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾[2] ويقول القائل: لم أفعل كذا وكذا، فيقول له غيره: بلى قد فعلت.

وبلى ونعم جوابان، أحدهما يدخل فيما لا يدخل فيه الآخر؛ لأنّ بلى تدخل في باب الجُحُود.

وقال الفرّاء: إنّما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد؛ لأنه إذا قال لغيره: مالَكَ عليَّ شيءٌ، فقال له: نعم، فكأنّه قد صدّقه؛ وكأنّه قال: نعم، ليس لي عَلَيْكَ شيءٌ، فإذا قال: بلى، فكأنّما هو ردّ لكلام صاحبه، أي: لي عليك شيء، فلهذا اختلفت نعم وبلى[3].

---

(١) أشارت إلى ذلك عدّة من مصادر القراءة، منها: حجّة القراءات لأبي زرعة: ١٠٢ ذاكراً أدلّة كلٍّ منهما، الحجّة في القراءات السبع لابن خالويه: ٨٣، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١١٤ بتفصيل، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٤٩، بتفصيل أيضاً، معاني القراءات للأزهريّ: ٥٤، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٦، وغيرها.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٥٨ و٥٩.

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٥٢ بتصرف.

وقوله: ﴿سَيِّئَةً﴾: مَن همَّز أتى بيائين بعدهما همزة. ومن ترك الهمزة ـ على لغة أهل الحجاز ـ يقول: «سِيَّة» مثل: عِيَّة. ومن ليّن قال: «سيئْة» كأنّه يشير إلى الهمزة ويسكّنها.

وقال مجاهد وابن عباس وأبو وائل[١] وقتادة وابن جريج: «السيئة» هاهنا: الشرك.

وقال السُّدّيّ: الذنوب التي وعد الله عليها النار[٢].

والذي يليق بمذهبنا هاهنا قول مجاهد؛ لأنّ ما عدا الشرك لا يستحقّ عندنا عليه الخلود في النار[٣].

---

(١) هو شفيق بن سلمة، وتقدم في ١: ٢٩١.

(٢) أُشير إلى الأقوال في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٥٧ ت ٨٢٣ و٨٢٤، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٧٨ ت ٨٢، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٢٦، تفسير الوسيط ١: ١٦٤، وغيرها.

(٣) مسألة الخلود في النار وما يلحقها بحث كلامي تعرّض له علماء الفريقين في زبرهم الكلامية، فبعض ذهب إلى أنّ الخلود مختص بالشرك وعدم الايمان، وآخرون إلى عمومه وشموله لمرتكبي الذنوب الكبيرة التي أوعد الله عليها النار، وهكذا الآراء سجال بينهم، لزيادة المعرفة يراجع ومن الفريقين.

فمن الخاصة للمثال: أوائل المقالات (ضمن مصنفات الشيخ المفيد) ٤: ٤٦، رسائل الشريف المرتضى ٢: ٢٧، الذخيرة: ٣٠٠، شرح جمل العلم والعمل: ١٤٢، الاقتصاد: ٢١٢ ـ ٢١٦، تلخيص المحصل: ٤٠٠ و٤٦٦ ـ ٤٦٧، تجريد العقائد: ٣٠٤، تمهيد الأصول: ٢٥٢ ـ ٢٦٠، اللوامع الالهية: ٤٧١ ـ ٤٧٧، كشف المراد: ١٤٧، إرشاد الطالبين: ٤٢٣، وغيرها، وانظر شرح المصطلحات الكلامية: ٣٦١ ت ١٣٠٩، الأسفار الأربعة ٩: ٤٨٧ ف ٨، الشواهد الربوبية: ٣٧٠ ـ ٣٧٥.

ومن العامة للمثال أيضاً: مقالات الإسلاميين للأشعري: ١٤٨ ـ ١٥٠، مجرد مقالات الشيخ أبو الحسن الاشعري ٩٩ ـ ١٠٠ و١٤٤، شرح الأصول الخمسة: ٦٥٧ و٦٦٦، الإنصاف: ٨٢، الإرشاد للجويني: ٣٢٢، تمهيد الأوائل: ٣٩٨، ٤١٥، الأربعين في أُصول الدين: ٢٠٨، التمهيد لقواعد التوحيد: ١٢١ ـ ١٢٦،

﴿وَأَحَـٰطَتْ بِهِ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : إنّها الشرك[1].

وقال الربيع بن خُثَيْم[2] : من مات عليها[3].

وقال ابن السراج[4] : هي التي سدّت عليه مسالك النجاة[5].

وقال جميع المعتزلة : إنّه إذا كان عقابُه أكثرَ من ثوابِه[6][7].

والذي نقوله : الذي يليق بمذهبنا : إنّ المراد بذلك الشّرك والكفر ؛ لأنّه الذي يُستحقّ به (الخلود ، فأمّا ما عداه فلا يُستحقّ به)[8] الدّخول

الفرق بين الفِرَق : ٣٤٨ ، الملل والنحل ٢ : ٧٦٨ ـ ٧٩١ ، شرح المواقف ٨ : ٣٠٦ ، شرح المقاصد ٥ : ١٣١ .

وراجع : الخلود في جهنم لمحمّد عبدالخالق كاظم فقد أشبعه بحثاً .

(١) تقدمت مصادره في الهامش «٣» آنفاً .

(٢) أبو يزيد ، الربيع بن خُثَيْم بن عائذ الثوريّ الكوفيّ الناسك ، أرسل عن النبيّ الأكرم ، وروى عن عبدالله بن مسعود ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعمر بن ميمون . وعنه روى الشعبيّ وإبراهيم النخعيّ وابن يَساف وغيرهم، في حاله ووثاقته اختلاف .

خير من وضّح حاله ونقّحه : تنقيح المقال ٢٧ : ١٠٤ ت ٨٠٦٠ ومصادره ، وراجع سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٥٨ ت ٩٥ ، ومصادره .

(٣) تجد الإشارة إلى قوله في : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٥٨ ت ٨٢٨ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٢٦ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٣٣ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٧٥ .

(٤) محمّد بن السريّ ، ابن السراج النحويّ ، وتقدّم في ١ : ١١٦ .

(٥) حكي عنه في : تفسير السمعانيّ ١ : ١٠٢ ، النكت والعيون ١ : ١٥٣ وذكر بلا عزو في تفسير الوسيط للواحديّ ١ : ١٦٤ ، والتفسير البسيط له أيضاً ٣ : ٩٩ ، تفسير القرآن لعزالدين السلمي ١ : ١٤١ .

(٦) في بعض النسخ : «كان ثوابه أكثر من عقابه» ولا يصح ؛ لأنّه مصادرة أوّلاً ، ولأنّ البحث مبني لديهم على الإحباط ، أو قل : الإحاطة ، أي : بإحاطةِ العقابِ الثوابَ .

(٧) انظر : بعض مصادر الهامش ٥ صفحة : ١٧٥ : ١ ممّا يخص المعتزلة منها ، والحظ : متشابه القرآن : ٩٧ .

(٨) المحصورة بين القوسين أُثبتت من النسخة «خ ، ل» .

مؤبّداً، فلا يجوز أن يكون مراداً بالآية.

وقوله: ﴿وَأَحَـٰطَتْ بِهِ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ يقوّي ذلك؛ لأنّ المعنى فيه أنْ تكون خطاياه كلّها اشتملت عليه ولا يكون معه طاعة يستحقّ بها الثواب، تشبيهاً بما أحاط بالشيء من كلّ وجه. ولو كان معه شيء من الطاعات، لكان مستحقّاً للثواب فلا تكون السيئة محيطة به؛ لأنّ الإحباط عندنا باطل، فلا يحتاج أن تراعىٰ كثرة العقاب وقلّة الثواب؛ لأن قليل الثواب عندنا يثبت مع كثير العقاب، لما ثبت من بطلان التحابط بأدلّة العقل وليس هذا موضع ذكرها[1].

ولأنّ الآية التي بعدها فيها وعد لأهل الإيمان بالثواب الدائم، فكيف يجتمع الثواب الدائم والعقاب الدائم، وذلك خلاف الإجماع؟ ومتى قالوا: أحدهما يُبطل صاحبه. قلنا: الإحباط باطل ليس بصحيح على ما مضى.

قوله:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَاتِ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُـمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ آية.

هذه الآية متناولة لمن آمن بالله وصدّق به، وصدّق النبيّ ﷺ، وعمل الصالحات التي أوجبها الله تعالى عليه، فإنّه يستحقّ الجنّة خالداً أبداً. وظاهرها يمنع من أنّ مرتكب الكبيرة مخلّد في النار؛ لأنّه إذا كان مؤمناً

---

(١) الإحباط تقدم له توضيح مع ذكر بعض المصادر حوله، انظر ٢: ١٥٩، عند تفسير الآية ٤٢ من سورة البقرة.

مستحقّاً للثواب الدائم ، فلا يجوز أن يستحقّ مع ذلك عقاباً دائماً ؛ لأنّ ذلك خلاف ما أجمع المسلمون عليه ، ومتى عادوا إلى الإحباط كُلّموا فيه ، وبُيّن بُطلان قولهم .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ابن كَثير وحمزة والكسائي : ﴿لاَ يَعْبُدُونَ﴾ بالياء ، الباقون : بالتاء[1] .

وقرأ ﴿حَسَناً﴾ بنصب الحاء والسين : حَمْزَةُ والكسائيُّ .

الباقون : ﴿حُسْناً﴾ بضمّ الحاء وإسكان السين[2] .

وتقدير الآية : واذكروا أيضاً يا معشر بني إسرائيل إذ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون إلّا الله ، وإنّما ارتفع ؛ لأنّ أصله : أَنْ لا تعبدوا إلّا الله ، فلمّا أُسقطت «أَنْ» رفع ، كما قال الشاعر :

---

(١) ذُكر ذلك في غير واحد من مصادر القراءة ، منها : السبعة في القراءات : ١٦٣ ، حجّة القراءات : ١٠٢ ، معاني القراءات للأزهريّ : ٥٤ ، وغيرها .

(٢) تجد ذلك في عدّة مصادر للقراءات ، منها : حجة القراءات : ١٠٣ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٢٦ ، الغاية في القراءات العشر : ١٨٠ ، معاني القراءات للأزهريّ : ٥٤ ، التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٦ ت ٢١ ، الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٥٠ ت ٤٥ ، وغيرها .

ألا أيُّهذا اللّائِمي أشْهَدُ الوَغىٰ [٣٣٥]
وَأنْ أشْهَدَ اللّذّاتِ هل أنت مُخْلِدِي(١)

---

(١) لِطَرَفَةَ بن العَبْد ، ونعتذر عن سقوط ترجمة الشاعر طَرَفَة فيما تقدّم ، ومحلّها في ٢ : ١٧١ ، ونستدركها هنا :

أبو عمر ، طَرَفَة بن العبد بن سُفيان . . . بن ضُبَيْعَة البَكْرِيُّ عُدّ من الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية ، له المعلّقة الشهيرة وديوان شعر يعتمده اللغويون ، ونظراً لما قاساه وأمّه من ظلم أعمامه فقد عاش متشرداً مندفعاً للشرب واللهو منفقاً ما عنده علىٰ الملذّات ، جرئ علىٰ الهجاء ، توفّي في ريعان شبابه ، قيل : دون الثلاثين عاماً .

مصادر ترجمته كثيرة خير من جمعها : معجم الشعراء الجاهليين : ١٩٥ ـ ١٩٩ ومصادره .

والبيت هو من ق ١ ت ٥٤ من معلّقته الشهيرة في ديوانه بشرح الأعلم : ٣١ ، وغيره .

المعنى : يخاطب الشاعر لائمه ـ على اقتحام الحروب خوف الموت عليه ، ويمنعه من صرف ماله على الملذّات خوف فقره ـ بالقول للائمه : هل في وسعك ضمان بقائي وخلودي لأكف عن ذلك .

المفردات : الوغى : الصوت في الحرب ، ثمّ أُطلقت على الحرب نفسها ، قال ابن جنّي : بالمهملة الصوت ، وبالمعجمة الحرب ، اللائم أو الزاجر ـ على بعض النسخ ـ : الشخص المانع له من اقتحام الحرب وصرف ماله على الملذّات ، مخلدي : الضامن لبقائي وحياتي أبداً .

والشاهد فيه : رفع «أحضرُ» ـ أو «أشهدُ» على بعض النسخ ـ لتجرّده عن العامل وهو الأصل ، ويجوز نصبه بأنْ المضمرة ، وهذا على الخلاف بين مدرستي الكوفة والبصرة في الإعمال بعد الحذف .

وقد استشهد به جمع لمورد الشاهد لدى الشيخ المصنف‌ﷺ ، وراجع : الكتاب ٣ : ٩٩ ، شرح أبيات سيبويه للنحّاس : ٢٢٨ ، ت ٦٢٤ ، تحصيل عين الذهب : ٤١٩ ت ٦٦٤ ، الانصاف لابن جني ٢ : ٥٦٠ ت ٣٦٨ ، شرح المفصل ٤ : ٢٨ ، مجالس ثعلب ١ : ٣١٧ ، رصف المباني : ١٩٤ ت ١٣٥ ، شرح القصائد التسع المشهورات للنحّاس ١ : ٢٧٢ ، ق ٢ ب ٥٤ ، ولابن جنّي : عنه خزانة الأدب للبغدادي ١ : ١١٩ ش ١٠ ، المصباح المنير : ٦٦٦ «وعد» . وراجع الكتاب لسيبويه ٣ : ١١٥ ش ٦٧٤ ، وغيرها كثير .

ومثله قوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾[١].

ومن قرأ بالياء، تقديره: أنّه أخبر أنّه تعالى أخذ ميثاقهم لا يعبدون إلّا الله وبالوالدين إحساناً، ثمّ عدل إلى خطابهم فقال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، والعرب تفعل ذلك كثيراً.

وإنّما استجازوا أن يصيروا إلى المخاطبة بعد الخبر؛ لأنّ الخبر إنّما كان عمّن خاطبوه بعينه، لا عن غيره. وقد يخاطبون ثمّ يصيرون بعد ذلك إلى الخبر عن المخاطب؛ مثال الأوّل قول الشاعر:

شَطَّتْ مزارَ العاشقينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِراً عليَّ طلابُكِ ٱبْنَةَ مَخْرَمِ[٢] [٣٣٦]

---

(١) سورة الزمر ٣٩: ٦٤.

(٢) البيت من معلّقة عنترة العبسيّ ـ وتقدّمت ترجمته في ٣: ١٤ ـ. اختلف في روايته، والمثبت من الأصول الخطيّة. وأمّا المصادر فروايتها:

حَلَّتْ بِأَرْضِ الزائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلابُها ٱبْنَةَ مَخْرَمِ

المعنى للروايتين متقارب جداً، إذ يصرّح أنّ محبوبته عَبْلَة بعدت عنه، فعسر عليه زيارتها؛ للبعد، وخوف الرقباء.

شَطَّتْ: بعدت، حلّت: استقرت؛ الزائرين: يروى بالهمز ـ زائرين ـ من الزأر والصياح، والياء ـ زايرين ـ من الزيارة؛ مخرم: اسم رجل ولعله والد حبيبته عبلة، مرخم في غير نداء إذ أصله مخرمة.

والشاهد فيه وعلى الروايتين: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب.

هذا، ورواية الشيخ المصنّف مدعومة برواية مصادر متقدمة جدّاً منها: مجاز القرآن ١: ٢٣ و٢٥٢ و٢٧٣، معاني القرآن للأخفش ١: ٣١٣ ت ١١١، الكامل في اللّغة والأدب ٢: ٥٦، و٣: ٢٢، والتعازي والمراثي: ١٠٣، الصاحبي: ٣٥٧، وغيرها.

وللرواية الأخرى ـ حلّت ـ انظر: ديوان عنترة بن شداد: ١٦، شرح القصائد العشر المشهورات ٢: ٩، شرح القصائد العشر للتبريزي: ٢١٣، أشعار الجاهليّين الستّة ٢: ١١٢، شرح القصائد السبع الطوال للأنباريّ: ٢٦٢.

وقد أُشير في أغلب هذه المصادر إلى الرواية الأُولى.

مزارَ نُصِبَ ، والتاء من أَصْبَحَتْ كناية عن المرأة فأخبر عنها ثم خاطبها .

ومثال الثاني قول الشاعر :

أَسِيئي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُومَةٌ لَدَيْنا وَلا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ[1] [٣٣٧]

وقال زهير :

فَإِنِّي لَوْ أُلاقِيكِ آجْتَهَدْنا وَكانَ لِكلِّ مُنْكَرَةٍ كِفاءُ

وَأُبْرِئُ مُوضِحاتِ الرَّأسِ مِنْهُ وَقَدْ يَبْرِي مِنَ الجَرَبِ الهِناءُ[2] [٣٣٨]

---

(١) للشاعر كُثَيِّر ـ عَزَّة ـ بن عبدالرحمن ـ وتقدّمت ترجمته في ٢ : ٨٩ ـ من قصيدة يذكر فيها محبوبته عَزَّة مطلعها :

خَليلَيَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فَاعْقِلا قَلُوصَيكُما ثمَ ابكِيا حَيثُ حَلَّتِ

وفي بيت الشاهد : يخاطبها قائلاً : أسأت إلينا أو أحسنت فأنت لست بالملومة والمذمومة ولا المقلية المُبغَضة .

أَسِيئي : قُولي ما أسوأه ، الملومة : من اللّوم والعتاب ، المقليّة : المُبْغَضَة ، والقِلَى : البُغْض ، تَقَلَّتِ : تبغّضت .

والشاهد لدى جميع من استشهد به : الالتفات من الخطاب إلى الغيبة والإخبار ، أي : من «أسيئي» إلى «تقلّت» .

وقيل : إنّه أصدق بيت لوصف الدنيا ، فلو كان وصفها به لكان أشعر الناس .

انظر : الديوان : ٥٧ ب ٣١ ق ٢١ . وقد استشهد به غير واحد ، منهم : أمالي المرتضى ٢ : ٢٣٤ ، أمالي الشجري ١ : ٧٤ م ٨ ، عيار الشعر : ٨٩ ، الصاحبي : ٣٥٦ ، خزانة الأدب للبغدادي ٥ : ٢١٤ ضمن الشاهد ٣٧٣ .

وتجده في الأغاني ٩ : ٣٠ ، أمالي القالي ٢ : ١٠٩ ، تهذيب اللّغة ٤ : ٣١٨ ، لسان العرب ١٣ : ١١٥ ، ١٥ : ١٩٨ ، تاج العروس ١ : ١٧٦ ، ٢٠ : ١٠٠ ، الصحاح ٦ : ٢٤٦٧ .

(٢) البيتان لزهير بن أبي سُلمى ـ وتقدمت ترجمته في ١ : ١١٢ ـ من قصيدة يذكر فيها بني عُلَيْم ، مطلعها :

عفا من آل فاطمة الجواءُ فَيُمْنٌ فالقوادمُ فالحِساءُ

ومن قرأ بالتاء فإنّ الكلام من أوّله خطاب ، وتقديره : وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ، وقلنا : لا تعبدوا إلّا الله .

وقال بعض النحويين : إنّ المعنى وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلّا الله وبالوالدين إحساناً ، حكاية ؛ كأنّه قال : استحلفْناهم لا تعبدون إلّا الله ، أي قلنا لهم : والله ، أو قالوا : والله لا يعبُدون[1] . والأوّل أجود .

وقوله جلّ ثناؤه : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ عطف على موضع أنْ المحذوفة في ﴿تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ (فصار معنى الكلام ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِيَ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بأن ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾)[2] ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ فرفع لا تعبدون ، لمّا حذفت أن ، ثمّ عطف بالوالدين على موضعها ، كما قال الشاعر :

مُعاوِيَ إِنّنا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ فَلَسْنَا بِالجِبالِ وَلا الحَدِيدَا[3] [٣٣٩]

↲ وقد اختلف فيهما كثيراً ، ولعلّه لا ضير فيه على الشاهد .

الهناء : القَطِران ، وهو علاج الجَرَب في الحيوان خصوصاً الجمال ، الموضحات : الشجاج الكاشفة عن بياض العظم ، إذ الوضح : البياض .

الشاهد فيه : الانتقال من الخطاب إلى الغيبة .

انظر : الديوان بشرح الأعلم : ١٤٤ ب٥٧ ـ ٥٨ ، وبشرح ثعلب ق٣ ب٥٨ ـ ٥٩ : ٧١ ـ ٧٢ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٣١٥ ، نقد الشعر لقدامة بن جعفر : ١٥٦ ، الجليس الصالح ٣ : ١٢٣ ، سر الفصاحة : ٢٠١ ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر : ٢٠٢ ، العمدة في محاسن الشعر ١ : ٥١٣ ب٤١ .

(١) لعلّه إشارة إلى قول الأخفش في معانيه ١ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ، أو قول الزجّاج في معانيه ١ : ١٦٢ .

(٢) ما بين القوسين أثبتناه من النسخة «خ» .

(٣) أقدم من وجدته رواه سيبويه [ت ١٨٠] ونسبه لعُقَيْبَةَ الأسديّ ، وينسب لآخرين ↲

فعطف «ولا الحديدا» على موضع «بالجبال».

وأمّا الإحسان فمنصوب بفعل مضمر يؤدّي عن معناه قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ إذ كان مفهوماً معناه، فتقدير الكلام: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأنْ لا تعبدوا إلّا اللهَ وأنْ تُحسنوا إلى الوالدين إحساناً، فاكتفى بقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ عن أن يقول: بأنْ تُحسنوا إلى الوالدين إحساناً، إذ

↵أيضاً، ويظهر عنه أخذ كلّ من أتى بعده.

وقد روى بعده آخر يدلّ على رَويّ النّصب، وهو:

أَدِيرُوها بَـنِي حَـرْبٍ عَـلَيْكم وَلا تَرْمُوا بِها الغَرَضَ البَعِيَدَا

وذهب بعض إلى أن لا شاهد في البيت؛ لأنّ رويّه الجر لا النصب فهو عطف على اللّفظ لا المحل؛ حيث بعده:

أَكَـلْتُمْ أَرضَـنا فَـجَرَزْتُمُوها فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أوْمِـنْ حَـصِيدِ

أَتَطْمعُ فِي الخُلودِ إِذا هَـلَكْنا وَلَيْسَ لَنَا وَلاَ لَكَ مِنْ خُلُودِ

وقد وُجّه رأي سيبويه بأمور، منها: أنّهما لشاعرين، والثاني: عبدالله بن الزّبير الأسدي، ومنها: جواز إنشاد القوافي بالوجهين الجر والنصب، إلى غير ذلك.

وعلى أيٍّ، فإنّ الشاعر ذهب إلى معاوية يشكوه جور عمّاله وظلمهم، مذكراً إيّاه أنّهم بشر لهم طاقة محدودة في التحمّل.

مُعاوِي: مرخم معاوية بن أبي سفيان. أسْجِحْ: أرفق وسهّل.

والشاهد: ما أشار إليه الشيخ﵀: من عطف الحديدا ـ المنصوب ـ علىٰ بالجبالِ المنصوب محلاً؛ لزيادة الجارّ.

للتوضيح ينظر: الكتاب ١: ٦٧، وفي ط بولاق ١: ٤٦ ت ٥١، النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم ١: ٢٠٥، شرح أبيات سيبويه للنحّاس: ٦٦ ت ١٠٣، تحصيل عين الذهب للأعلم: ٨٧ ت ٤٩، المقتضب ٢: ٣٣٨ وذكر العجز فقط، معاني القرآن للفرّاء ٢: ٣٤٨، الحجّة للقراءات السبع لابن خالويه: ١٣٢، أمالي القالي ١: ٣٦، سمط اللآلي ١: ١٤٨، سرّ صناعة الإعراب ١: ١٣١، رصف المباني: ٢٢٥ ت ١٨١، الإنصاف في مسائل الخلاف ١: ٣٣٢، شرح المفصل ٤: ٩، شرح الرضي على الكافية ١: ٣٨٠ ت ١٢٠، شرح شواهد المغني للسيوطي ٢: ٨٧٠، ت ٧١٩، خزانة الأدب للبغدادي ٢: ٢٦٠ ش ١٢٤، شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٧: ٥٣ ت ٧٢٦ وفيهما بتفصيل.

كان مفهوماً بما ظهر من الكلام .

وقال بعض أهل العربية : تقديره : وبالوالدين فأحسنوا ، فجعل الباء التي في الوالدين من صلة الإحسان مقدَّمة عليه[١] .

وقال آخرون : المعنى : ألّا تعبدوا إلّا الله وأحسنوا بالوالدين إحساناً[٢] ، فزعموا أنّ الباء في ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ من صلة المحذوف ـ أعني : مِنْ أَحْسِنوا ـ فجعلوا ذلك من كلامين .

والإحسانُ الذي أُخذ عليهم الميثاق بأن يفعلوه إلى الوالدين : ما فُرض على أمّتنا من فعل المعروف بهما ، والقول الجميل ، وخفض جَناح الذلّ رحمةً بهما ، والتحنّن عليهما ، والرأفة بهما ، والدعاء لهما بالخير ، وما أشبهه ممّا نَدب الله تعالى إلى الفعل بهما .

وقوله : ﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي : وبذي القُربى ، أن تصلوا قرابته منهم ورحمه .

والقُرْبىٰ مصدر على وزن فُعْلىٰ من قولك : قَرُبَ مِنّي رَحِمُ فُلانٍ قَرابةً ، وقُرْبىٰ وقُرْباً بمعنى واحد .

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ : جمع يتيم ، مثل أسير وأَسارىٰ ، ويدخل في اليتامى الذكور منهم والإناث .

---

(١) لعلّه ناظر ـ وكما تقدّم في ٨٣ ـ إلى الأخفش في معاني القرآن ١ : ٣٠٧ ـ ٣٠٩ . وراجع : تفسير جامع البيان ٢ : ١٩١ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

(٢) يحتمل إشارة للزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٦٣ ، وراجع : الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٢٩ ، تفسير جامع البيان ٢ : ١٩١ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ١٦ .

ومعنى ذلك: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأنْ لا تعبدوا إلّا الله وحده، دون ما سواه من الأنداد، وبالوالدين إحساناً، وبذي القُربىٰ: أن تصلوا رَحِمه، وتعرفوا حقّه، وباليتامى: أن تتعطّفوا عليهم بالرأفة والرحمة، وبالمساكين: أنْ تؤتوهم حقوقهم التي ألزمها الله في أموالكم.

والمسكين: هو المتخشّع المتذلّل من الفاقة والحاجة، وهو مِفْعيل من المَسْكَنَةِ، وهي: ذُلّ الحاجة والفاقة[1].

وقوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ فيه عدول إلى الخطاب بعد الخبر على ما مضى القول فيه[2].

وقد ذكرنا اختلاف القرّاء في: حُسناً وحَسَناً[3].

واختلف أهل اللغة في الفرق بينهما، فقال بعض البصريّين: هو على أحد وجهين:

إمّا أنْ يكون أراد بالحُسْن: الحَسَن، ويكون لمعنيين: مثل البُخل، والبَخَل.

وإمّا أنْ يكون جعل الحُسْن: هو الحُسن في التشبيه؛ لأنّ الحَسَن مصدر، والحُسْن هو الشيء الحَسن، فيكون ذلك كقول القائل: إنّما أنت أكلٌ وشربٌ.

---

(١) تقدّم في الجزء ٢: ٧٣ ما يخصّه.

(٢) تقدّم في صفحة: ٨١ عند بدايات الآية هذه.

(٣) فيما تقدّم في: ٧٩، عند بداية الآية.

وراجع: مادة «حسن» تَجدها في: تهذيب اللّغة ٤: ٣١٤، جمهرة اللّغة ١: ٥٣٥، المحكم والمحيط الأعظم ٣: ١٩٧، لسان العرب ١٣: ١١٤، تاج العروس ١٨: ١٤٠.

وأجمع من جميع هذه المصادر: المعجم في فقه لغة القرآن ١٢: ٨٥ ـ ٣١٥.

قال الشاعر:

وَخَـيْلٍ قَـدْ دَلَـفْتُ لَـهَا بِـخَيْلٍ تَـحِيَّةُ بَـينِهِمْ ضَـرْبٌ وَجِـيعُ[١] [٣٤٠]

فَجَعَلَ التّحيّة ضرباً.

وقال آخر: بل الحُسْن هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحَسن، والحَسن هو البعض من معاني الحُسْن؛ ولذلك قال تعالىٰ إذْ أَوصى بالوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾ يعني بذلك أنّه وصّاه بجميع معاني الحُسن[٢].

---

(١) اختلف في نسبته لعمرو بن معدي كرب أبي ثور، وابن الأيهم وغيرهما، والأكثر أنه للأوّل.

وخيلٍ: الواو: واو ربَّ، والخيل: خيل الأعداء، دلفتُ: تقدّمتُ لها. قابلتها. زحفت، بخيل: الفرسان الأقوياء الصابرون على العدو.

المعنى: قابلت الفرسان المهاجمين «الخيل الأُولى في البيت» بخيول قويّة، وهي الخيل الثانية، وفرسان شرسين شجعان قادرين على صدّ المعتدين، وتحية المدافعين للمهاجمين الضرب المؤلم والقتل والإبادة لا السلام.

الشاهد: لدى الشيخ وجميع المستشهدين به: تنزيل الضرب الوجيع منزلة السلام بين المتحاربين على التوسع.

من المصادر المستشهدة به: الكتاب ٢: ٣٣٥ ت ٥٣٥، النوادر لأبي زيد: ٤٢٨، المقتضب ٢: ٤٠، معاني القرآن للأخفش ١: ٣٠٩، شرح أبيات سيبويه للنّحاس: ٢١٩ ت ٥٩٠، تحصيل عين الذهب: ٣٥٥ ت ٥٢٧، النكت في تفسير كتاب سيبويه ١: ٦٢٦، خزانة الأدب للبغداديّ ٩: ٢٥٧ ش ٧٣٧، الخصائص ١: ٣٦٨، وأخيراً ديوان عمرو بن معدي كرب ـ جمع الطرابيشيّ ـ: ١٤٩.

وقد ذكر الأصمعيّ في الأصمعيّات: ١٧٢ ق٦١ لعمرو قصيدةً بالرويّ نفسه والمقصود، لعلّ هذا منها ومحلّه ـ على ما يظهر ـ بين الأبيات ٢٢ ـ ٢٥.

(٢) لزيادة المعرفة راجع: حجة القراءات لأبي زرعة: ١٠٣، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١٢٧، الموضّح في وجوه القراءات وعللها ١: ٢٨٦، معاني القرآن وإعرابه ١: ١٦٣، معاني القرآن للأخفش ١: ٣٠٨ ـ ٣٠٩، تفسير جامع البيان ٢: ١٩٢، ☜

وقرئ في الشواذّ: ﴿حُسنى﴾، لا يُقرأ بها؛ لشذوذها، حكاها الأخفش، وذلك لا يجوز؛ لأنّ فُعلى وأفعل لا يُستعمل إلّا بالألف واللام، نحو: الأحسن والحسنى، والأفضل والفُضلى، قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1][2].

وروي عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام وعن عطاء أنّهما قالا: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ للناس كلّهم[3].

وعن الربيع بن أنس: ﴿قُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ أي: معروفاً[4].

↰ وغيرها.

وخير من تتبّعها وتوسّع فيها: المعجم في فقه لغة القرآن ١٢: ٨٥ ـ ٣١٥، فراجع.

(١) ﴿حُسْناً﴾ فيه ثلاث قراءات:

أ ـ «حُسْناً» بضمّ الحاء وسكون السين والنصب على المفعولية.

ب ـ «حَسَناً» بفتح الحاء والسين والنصب على صفة المصدر.

جـ ـ «حُسْنىٰ» على أنّه اسم مؤنث مشتق، وزان فُعلى وأَفْعل، ولا يستعمل إلّا مع التعريف أو الإضافة، وبدونهما لا يقرأ به.

للتوسعة راجع: معاني القرآن للأخفش ١: ٣٠٩، معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج ١: ١٦٣، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٤١، مشكل إعراب القرآن للقيسيّ ١: ٥٨ ت ١٣٨، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ١٠٢، مختصر في شواذّ القرآن لابن خالوَيْه: ١٤ ـ ١٥، شواذّ القراءات للكرمانيّ: ٦٨٠، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٨٢، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٧٨، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٢٨، وغيرها.

(٢) سورة يونس ١٠: ٢٦.

(٣) تجدها في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٦١ ت ٨٤٣، أحكام القرآن للجصّاص ١: ٣٩، تفسير جامع البيان ٢: ١٩٧.

وراجع: تفسير العيّاشيّ ١: ١٣٩، ت ١٦٧ ـ ١٧٠، ففيه قريب منها جدّاً، وعنه في بحار الأنوار ٧٤: ١٦١ ت ١٩، الكافي ٢: ١٦٥ ب ٧٠ ت ١٠.

(٤) إضافة لتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٦١ ت ٨٤٣، تفسير جامع ↲

وعن ابن الحنفيّة[1] أنه قال: ﴿هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ﴾ هي مُسْجَلة للبَرّ والفاجر[2]، يريد بمُسْجَلة: إنّها مرسلة[3].

ومنهم[4] من قال: أُمروا بأن يقولوا لبني إسرائيل حسناً.

قال ابن عباس: يأمرون بألّا إله إلّا الله منْ لم يقلْها ورغب عنها، حتى يَقُولَها كما قالوها، فإنّ ذلك قُرْبةٌ لهم من الله. قال: والحَسَنُ ـ أيضاً ـ من لَيِّن القول، من الأدب الحَسَنِ الجميلِ، والخلُقِ الكريم، وهو ممّا ارْتضاه الله وأحبّه.

✍ البيان ٢ : ١٩٧، راجع: تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٢٢٨، تفسير زاد المسير ١ : ١١٠.

(١) محمّد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو القاسم المدنيّ، الشهير بابن الحنفيّة، نسبة لأمّه خولة بنت جعفر بن قيس من أشراف بني حنيفة، رهط مالك بن نويرة، وقصّتهم مع خالد بن الوليد وهتكه الحرمات فيهم شهيرة معروفة، ظاهرها تهمة الامتناع عن أداء الزكاة للحاكم، وباطنها ولاؤهم لأمير المؤمنين عليه السلام، وقد خبط الذهبيّ في سِيَرِه بشأنها خبط عشواء ولعلّها مقصودة. أجاب داعي الباري تعالى عام ٨١ هـ.

لترجمته: خير من أبان الحال والمقال: تنقيح المقال ٣ : ١١١ ت ١٠٦٤٩، سير أعلام النبلاء ٤ : ١١٠ ت ٣٦ ومصادرهما، وانظر: قراءة جديدة لحروب الرِّدَّة. للعاملي.

(٢) ذكرت عنه في عدّة مصادر منها: تفسير مجمع البيان ٩ : ٣٨٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ٣ : ٩٨٥ ت ٥٥١٤، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٢٨ و٩ : ١٩٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ : ١٥٨، ومصادر الهامش الآتي.

(٣) المرسلة: الشاملة للجميع، إذ لم يشترط فيها برّ دون فاجر، فالإحسان إلى كلّ أحد وإن كان فاجراً جزاؤه الإحسان. شُعَبُ الإيمان ٦ : ٥٢٥ ت ٩١٥٥، معجم مقاييس اللّغة ٣ : ١٣٦، الصحاح ٥ : ١٧٢٦، الفائق في غريب الحديث ٢ : ١٥٦، الغريبين في القرآن والحديث ٣ : ٨٦٨ ـ ٨٦٩، غريب الحديث للهرويّ ٤ : ٣٤٩، غريب الحديث لابن الجَوْزيّ ١ : ٤٦٣، «سجل» فيها بتصرّف.

(٤) «منهم»: ساقطة من «خ» مثبتة في البواقي، والضرورة تستدعيها.

وقال ابن جريج: ﴿قُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾: أي صِدقاً في شأن محمّد صلى الله عليه وآله.

وقال سُفيان الثوري: مروهم بالمعروف، وانهوهم عن المنكر.

وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدّوها بحدودِها الواجبةِ عليكم.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معناه: اعطوها أهلها كما أوجبها عليكم.

والزكاة التي فرضها الله على بني اسرائيل، قال ابن عباس: ما كان فرض في أموالهم قُرباناً تهبط إليه نارٌ فتحملُها، فكان ذلك تَقبّله، ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبَّل.

وروي عنه ـ أيضاً ـ: أنّ المعنيَّ به: طاعة الله والإخلاص[1].

وقوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ خبرٌ من الله تعالى عن يهود بني إسرائيل أنّهم نكثوا عهدَه ونقضوا ميثاقَه، بعدما أخذ ميثاقهم على الوفاء له، بأنْ لا يَعبُدوا غيره، وبأنْ يُحسنوا إلى الآباء والأُمّهات، ويصلوا الأرحام، ويتعطّفوا على الأيتام، ويؤدّوا حقوق المساكين، ويأمروا عباد الله بما أمرهم به، ويُقيموا الصّلاة بحدودها، ويؤتوا زكاة أموالهم، فخالفوا أمره في ذلك كلّه، وتولّوا عنه معرضين إلّا

---

(١) تجد الإشارة إلى الأقوال مجموعة ومتفرقة تارة، وأخرى منسوبة وغير منسوبة تارة أُخرى في جملة مصادر منها: تفسير جامع البيان ٢ : ١٩٩، تفسير بحر العلوم ١ : ١٣٤، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٢١، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٥٥، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٢٨، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٣٣٢، تفسير النكت والعيون ١ : ١٥٤، تفسير الوسيط ١ : ١٦٦، تفسير معالم التنزيل ١ : ١١٣، المحرر الوجيز ١ : ٢٧٨، وغيرها، وانظر صحيفة علي بن أبي طلحة : ٨٤ ت ٢٤.

من عصمه الله منهم، فوَفَى لله بعهده وميثاقِه.

ووصف هؤلاء بأنّهم قليل بالإضافة إلى من لم يؤمِن.

وقال بعضهم: أراد ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ اليهودَ الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وعنى بسائر الآية أسلافهم؛ كأنّه ذهب إلى أنّ معنى الكلام: ثمّ تولّيتم إلّا قليلاً منكم، ثمّ تولّى سلفكم إلّا قليلاً منهم، ثمّ قال: وأنتم يا معاشر بقاياهم معرضون أيضاً عن الميثاق الذي أُخذ عليكم.

وقال قوم: بل قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ خطاب لمن كان بين ظهراني مُهاجَرِ رسولِ الله ﷺ من يهود بني إسرائيلَ، وذمٌّ لهم بنقضهم الميثاقَ الذي أُخذ عليهم في التوراة، وتبديلِهم أمرَ الله وركوبِهم معاصيه[1].

وروي عن ابن عباس أنّه قال: قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ نسخ بقوله: قاتلوهم حتى يقولوا: لا إله إلّا الله، أو يقرّوا بالجزية.

وقال آخرون: ليست منسوخة، لكن أُمروا بأن يقولوا حسناً في الاحتجاج عليهم إذا دعوا إلى الإيمان، وبيّن ذلك لهم.

وقال قَتادة: نسختها آية السيف[2].

---

(١) تجد ذلك في: تفسير جامع البيان ٢: ٢٠٠، المحرر الوجيز ١: ٢٧٩، وغيرهما.

(٢) تعرّض لبحث نسخها وعدمه جمع، منهم: الجصّاص في أحكام القرآن ١: ٣٩، والنحّاس في الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: ٢٦، وابن البازيّ في ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه: ٢٣، والمعافريّ في الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ٢: ٤٢ ـ

والصحيح أنّها ليست منسوخة ، وإنّما أمر الله تعالى بالقول الحسن في الدعاءِ إليه والاحتجاجِ عليه ، كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله : **﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾**[1] وبيّن في آية أُخرى ، فقال : **﴿وَلاَ تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**[2] وليس الأمر بالقتال ناسخاً لذلك ؛ لأنّ كلّ واحدٍ منهما ثابتٌ في موضعه .

---

٤٣ ، والسيّد الشريف المرتضى في رسالة المحكم والمتشابه : ٦٧ ، وفي الطبعة المسمّاة بالآيات الناسخة والمنسوخة : ٦١ ، والأشعريّ في ناسخ القرآن ومنسوخه : ٢٠٥ ، إضافة لأغلب التفاسير عند الآية هذه .

(١) سورة النحل ١٦ : ١٢٥ .

(٢) سورة الأنعام ٦ : ١٠٨ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى عزّ اسمه :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَاتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٨٤) آية بلا خلاف .

قد بيّنّا فيما مضى أنّ الميثاق : هو العهد[١] .

والمعنى في الآية : واذكروا إذ أخذنا ميثاق أسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والأنبياء الماضين صلوات الله عليهم ، وإنّما أضاف إليهم لمّا كانوا أخلافاً لهم على ما مضى القولُ فيه .

وتقدير الإعراب في هذه الآية مثل الذي في الآية الأُولى سواء[٢] .

وأمّا سَفْكُ الدم : فإنّه صَبّه وإراقته .

ومعنى ﴿لَاتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَٰرِكُمْ﴾ : النهي عن أنْ يقتل بعضُهم بعضاً ، فكان في قتلِ الرجلِ منهم الرجلَ منهم قَتْلُ نفسِه إذ كانت ملّتهما واحدةً ودينهما واحداً ، وكان أهلُ الدين الواحد في ولاية بعضهم بعضاً بمنزلة رجلٍ واحدٍ كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله : (إنّما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر)[٣] .

---

(١) انظر ما تقدّم ضمن تفسير الآية ٦٣ في ٢ : ٣٨٩ ، والآية ٨٣ في الصفحة ٧٩ وما بعدها من هذا المجلّد .

(٢) انظر الهامش السابق .

(٣) الحديث مروي في مصادر عدّة ، وطرق متعدّدة منها : صحيح البخاريّ ٨ : ١٢ ب ٢٧ من كتاب الأدب ، صحيح مسلم ٤ : ١٩٩٩ ح٢٥٨٦ ، مسند أحمد ٤ : ٢٧٠ ، شُعَبُ الإيمان للبيهقيّ ٦ : ١٠٢ ت ٧٦٠٩ ، وراجع : الكافي ٢ : ١٣٢ ب أُخوّة ﴿﴾

فهذا قول قَتادة وأبي العالية[١].

ويحتمل أن يكون المراد: لا يقتل الرجلُ منكم غيرَه فيقادَ به قصاصاً. فيكون بذلك قاتلاً نفسَه؛ لأنّه كالسبب فيه، وأُضيف قتل الوليّ إيّاه قصاصاً إليه بذلك؛ كما يقال لرجل يُعاقب لجناية جناها على نفسه[٢]: أنت جنيت على نفسك.

وفيه قول ثالث: وهو أنّ قوله: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ أراد به إخوانكم؛ لأنّهم كنفسٍ واحدة[٣].

وقوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: أقررتم بذلك أيضاً، وبذلتموه من أنفسكم، وأنتم شاهدون على تقدّمكم بأخذنا منهم الميثاق، وبما بذلوه من أنفسهم. فذكر جلّ ذكره إقرارَهم وشهادَتهم؛ لأنّ أخذ الميثاق كان على أسلافهم وإن كان لازماً للجميع؛ لتوكيد الحجّة عليهم.

وقال بعض المفسّرين: نزلت هذه الآية في بني قريظة والنضير[٤].

↵ المؤمنين بعضهم لبعض، بحار الأنوار ٧٤: ٢٢١ ب ١٥ حقوق الإخوان واستحباب تذاكرهم الأحاديث، وغيرها كثير.

(١) أشارت إلى ذلك ـ أي: قول قَتادة وأبي العالية ـ مصادر، منها: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٦٢ و١٦٣ ت ٨٥١ و٨٥٢، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٥، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٢٩، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٨٠، وغيرها كثير.

(٢) «على نفسه» لم ترد في النسخة «هـ».

(٣) تجد الإشارة إلى هذين القولين في: تفسير جامع البيان ٢: ٢٠١، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٥، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٨٠، تفسير الكشّاف ١: ٢٩٣.

(٤) تجد الإشارة إلى ذلك في: تأويل مشكل القرآن: ٣٧١، تفسير بحر العلوم ١: ١٣٤، تفسير الوسيط ١: ١٦٧، تفسير ابن عباس (تنوير المقباس: ١٣).

يقول: حرّم الله في الكتاب أن تسفكوا دماءكم، أي: لا تقتتلوا فيقتل بعضكم بعضاً، ولا تتركوا أسيراً في يد الآسرين ليقتلوه.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَـٰرِكُمْ﴾ معناه: لا تغلبوا أحداً على داره فتخرجوه، فقبلتم ذلك وأقررتم به، وهو أخذ الميثاق ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بذلك.

وأمّا النّفْس فمأخوذة من النّفاسة، وهي: الجلالة، فنفس الإنسان أنفس ما فيه.

والدار: هي المنزل الذي فيه أبنية المُقام، بخلاف منزلة الارتحال.

وقال الخليل: كلّ موضع حلّه قومٌ فهو دارٌ لهم، وإنْ لم يكن فيه أبنية[1].

وقيل أيضاً: إنّ معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ إنّ إقرارهم هو الرضا به والصبر عليه، كما قال الشاعر:

أَلَسْتَ كُلَيْبِيّاً إذا سِيمَ خُطَّةً ... أَقَرَّ كإقْرارِ الحَلِيلَةِ لِلْبَعْلِ[2] [٣٤١]

---

(١) النصّ عن الخليل في العين من دون جملة (وان لم يكن فيه أبنية) وكذلك هو في أغلب كتب اللّغة، راجع: العين ٨: ٥٦، تهذيب اللّغة ١٤: ١٥٣، المحيط في اللّغة ٩: ٣٤٠، المحكم والمحيط الأعظم ٩: ٤١٦، تاج العروس ٦: ٤١٣.

هذا، ولكن في جملة من كتب التفسير نسبت ما في المتن للخليل، منها: تفسير النكت والعيون ١: ١٥٤، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ١٨، تفسير فتح القدير ١: ١٠٨.

(٢) للشاعر الإسلاميّ خِداش بن بِشر المُجاشِعيّ، الشهير: بالبَعِيث؛ لشعر قاله أوّل أمره، ت ١٣٤هـ.

والبيت من مقطوعة يهجو بها بني كُلَيْبٍ رهطَ جَريرٍ، واصفاً إيّاهم بالجُبْن ☜

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يَحتمل أمرين:

أحدهما: ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم بالإقرار.

والثاني: وأنتم تَحْظُرون دماءَكم، وإخْراج أَنفسِكم من ديارِكم.

وحُكي عنِ ابن عباس أنّه قال: ذلك خطاب من الله تعالى لليهود الذين كانوا بين ظهرانَي مهاجَرِ رسولِ الله ﷺ أيّام هجرته إليهم موبّخاً لهم على تضييعهم أحكام ما في أيديهم من التوراة التي كانوا يقرّون بحكمها، فقال الله تعالى لهم: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ يعني بذلك أقرّ أوائلكم وسلفكم، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على إقرارهم بأخذ الميثاق عليهم بأن لا يسفكوا دماءهم، ولا يُخرجوا أَنفسَهم من ديارهم، وتُصدّقون بأنّ ذلك حقّ من ميثاقي عليكم.

وقال أبو العالية: ذلك خبرٌ من الله عن أوائلهم، ولكنّه أخرَج الخبرَ بذلك مُخرَجَ المخاطبة عنهم على النّحو الذي وصفناه في سائر الآيات[1].

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: وأنتم شُهودٌ.

↩ والخوف من كلِّ حركة ضعيفة فضلاً عن القوية، وبأنّهم خانعون خاضعون كالزّوجة لزوجها.

والشاهد فيه: استعماله الإقرار بمعنىٰ الرضا.

انظر: الشعر والشعراء للدينوريّ ١: ٤٩٧، العقد الفريد ٥: ٢٩٨، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢: ٨٥٤ ب ٨١، تفسير البحر المحيط ١: ٢٨٩.

وأمّا ما جاء في ديوان المعاني للعسكريّ ١: ١٧٥، وتفسير باهر البرهان ١: ١٠٥ من نسبته للفرزدق فلا يمكن تأييده.

(١) حكي القولان في تفسير جامع البيان ٢: ٢٠٣ ـ ٢٠٤، تفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١: ٣٣٥.

قوله تعالى عزّ وجلّ:

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَـٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥) آية بلا خلاف.

قرأ أهلُ الكوفةِ: ﴿تَظَاهرون﴾ هاهنا، وفي التحريم[1] بتخفيف الظاء، الباقون بالتشديد فيهما.

وقرأ حمزة: «أَسْرى» بفتح الهمزة، وسكون السين بغير ألف بعدها.

وقرأ أهلُ المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب: ﴿تُفادوهم﴾ بضمّ التاء وبألف[2].

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَـٰؤُلَآءِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون أُريد به: ثُمَّ أنتم يا هؤلاء، فترك (يا) استغناءً بدلالة الكلام عليه، كما قال: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾[3] ويكون معنى

---

(١) في بعض النسخ وكذا بعض المصادر: المتحرّم، وهو الاسم الثاني للسورة ٦٦، والإشارة للآية ٤ منها، ونحوها الآية ٤ من سورة الأحزاب ٣٣.

(٢) علىٰ أنّ هناك قراءة ثانية وهي ﴿تُفدوهم﴾ بضمّ التاء ودون ألف، وتعرّضت لذكر ذلك أغلب مصادر القراءة، منها: السبعة في القراءات: ١٦٣ ـ ١٦٤ ت ٣١، حجة القراءات: ١٠٤ ـ ١٠٥، معاني القراءات للأزهريّ: ٥٥ ـ ٥٦، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٧، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٥٠ ـ ٢٥٢، ت ٤٦ ـ ٥٢ المُوضَح ١: ٢٨٧ ـ ٢٨٩ ت ٣٠ ـ ٣٢، الحجة للقرّاء السبعة ٢: ١٣٠ ـ ١٣٨، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٨٤ ت ٤، ولاحظ الهامش فيه.

(٣) سورة يوسف ١٢: ٢٩.

الكلام: ثم أنتم يا معشر يهود بني إسرائيل بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم: ألّا تَسْفكوا دماءَكم، ولا تُخرجوا أنفسَكم من دياركم، وبعد شهادتكم على أنفسكم بذلك أنّه حقٌّ لازم لكم الوفاءُ به تقتلون أنفسَكم وتُخرجون فريقاً من ديارِهم متعاونين عليهم في إخراجِكم إيّاهم بالإثمِ والعدوانِ.

والتعاون: هو التظاهر، وإنّما قيل للتعاون: التظاهر؛ لتقوية بعضِهم ظهرَ بعضٍ، فهو تفاعُل من الظُّهر، وهو: مساندةُ بعضِهم ظهرَه إلى ظهرِ بعضٍ، قال الشاعر:

تَظاهَرْتُمْ أَشْبَاهَ نِيبٍ تَجَمَّعتْ ... عَلىٰ وَاحِدٍ لا زِلْتُمْ قِرنَ واحِدِ[1] [٣٤٢]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾[2] وقوله:

---

(١) بيت شعر مفرد قالته سلمى بنت الشاعر الأُمويُّ الروح، عُديّ بن زيد بن... الرُّقاع... بن أدد المتوفّى ح ٩٥هـ.

والملاحظ أنّ صدر البيت هذا رزق حظّاً من الاختلاف والتصحيف لا يحسد عليه، حتى أنّه في بعضها خرج عن الاستشهاد بعيداً، مثل:

تَجَمَّعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلْدَةٍ ....

والمثبت من النسخة «خ» والمطبوعة النجفيّة.

يقال: إنّ عدّة من الشعراء قصدوا أباها للمهاجاة، فوصلوا في غيابه، فاستقبلتهم بنته هذه، وعندما علمت بمقصدهم خاطبتهم على البداهة بالبيت هذا، واصفة لهم بالضعف والجبن وعدم القدرة على مواجهة حتى الفرد الواحد إلّا مجتمعين، وكيف إذا كان ذلك أباها.

للإحاطة راجع: الشعر والشعراء ٢: ٦١٨، الكامل للمبرّد ١: ٢٦٤، جمهرة اللّغة ٢: ١٠٢٩، الأغاني ٩: ٣١٠، أمالي القالي ٣: ٧٠ (الذيل)، المعاني الكبير: ٨٤٥، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٠، تفسير الدر المصون ١: ٤٧٩ ت ٥٩٣، تفسير اللباب ٢: ٢٤٩ ت ٦٣٤، تاريخ مدينة دمشق ٤٠: ١٣١ ضمن ترجمته رقم ٤٦٦٣، وضمن ترجمته في معجم الشعراء المخضرمين والأُمويّين: ٢٨٣.

(٢) سورة التحريم ٦٦: ٤.

﴿وَٱلْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[2] وقوله : ﴿سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا﴾[3] وقوله : ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً﴾[4] ويقال : اتَّخِذْ مَعَكَ بَعِيْراً أَوْ بَعِيْرَيْنِ ظِهْرِيَّيْنِ[5]، يعني : عُدَّةً .

والوجه الآخرُ: أن يكون معناه : ثمّ أنتم القوم تقتلون أنفسَكم ، فيرجع إلى الخبر عن ﴿أَنْتُمْ﴾ ، وقد اعتُرض بينهم وبين الخبر عنهم بـ﴿هَؤُلَآءِ﴾ ، كما تقول العربُ : أَنا ذا أَقُومُ ، وأَنا ذا أَجْلِسُ . ولو قيل : أَنا هذا يَجْلِس ، كان صحيحاً ، وكذلك : أنت ذاك تقومُ .

وقال بعض النحويّين: إنّ قوله : ﴿هَـٰؤُلَآءِ﴾ في قوله: ﴿ثُـمَّ أَنْـتُمْ هَؤُلَآءِ﴾ تنبيه ، وتوكيد لأنتم ، وزعم أَنَّ ﴿أَنْتُمْ﴾ وإن كانت كناية عن أسماء جميع المخاطبين فإنّما جاز أن يؤكّد بهؤلاء وأُولاء يُكنّى بها عن مخاطبين ، كما قال خُفاف بن نَدَبَة :

---

(١) سورة التحريم ٦٦ : ٤ .

(٢) سورة الإسراء ١٧ : ٨٨ .

(٣) سورة القصص ٢٨ : ٤٨ .

(٤) سورة الفرقان ٢٥ : ٥٥ .

(٥) جاء في النسخ والمطبوع : نفراً ونفرين ظِهريَّيْن ، وإن كان لا يخلو من وجه ، ولكن المثبت تدعمه أقوى النسخ وهي : «خ» ، بالإضافة لمصادر اللّغة التي ذكرت أنّ البعير الظِهْرِيَّ : هو المعدّ للحاجة . وعليه أغلب المصادر ، وبعضها أضاف : يقال : اتّخذ معك بَعِيْراً أو بَعِيْرَيْنِ ظِهْرِيَّيْنِ . . .

انظر للقسم الأوّل : العين ٤ : ٣٧ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٦٤ ، تهذيب اللّغة ٦ : ٢٤٤ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٥٤٠ ، المحيط في اللّغة ٣ : ٤٦٣ ، المحكم والمحيط الأعظم ٤ : ٢٨٥ ، لسان العرب ٤ : ٥٢٢ ، تاج العروس ٧ : ١٦٦ .

ولخصوص القسم الثاني المؤيّدة للنصّ المثبت : تهذيب اللّغة ، لسان العرب ، تاج العروس . «ظهر» في الجميع .

هذا ، وقد نسب هذه الجملة الفارسيُّ في الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٣١ إلى الأصمعيّ .

[٦٦] أَقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ تَبَيَّنْ خُفافاً، إنّني أنا ذلِكا[١]

يريد أنا هو، وكما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[٢].

والإثم، قال قوم: معناه هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن إليه القلب[٣]، ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وآله لنوّاس بن سَمْعان[٤] حين سأله عن البِرّ والإثم، فقال صلى الله عليه وآله: (البرّ ما اطمأنّت إليه نَفسُك، والإثم ما حاك في صَدْرِك)[٥].

وقال قوم: معنى الإثم: ما يُستحقّ عليه الذمّ[٦]، وهو الأصحّ.

---

(١) تقدّم في ١: ١٦٥ شيء من ترجمة الشاعر، وبداية شطره الثاني هناك: «تأمل» ولعلّه من اختلاف الرواية ولا ضير؛ لعدم تأثيره على الشاهد في الصورتين.

(٢) سورة يونس ١٠: ٢٢.

(٣) يظهر أنّ المعنى متصيّد من الحديث الشريف المشار إليه برواية نوّاس وغيره، ولم نجد له في كتب اللّغة ذكر، اللّهم إلّا كتب غريب الحديث، مثل: غريب الحديث لابن سلّام ١: ٤٤٠، الفائق في غريب الحديث للزمخشريّ ١: ٣٠٢، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤ وذهب إلى أنّ ذلك حكم البرّ والإثم لا تفسيرهما.

(٤) النَّوَّاسُ بن سَمْعان بن خالد الكلابيّ، الأنصاريّ، له صحبة، روى عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وعنه روى جمع، منهم: جبير بن نُفير الحضرميّ، وأبو إدريس الخولانيّ، عُدّ ممّن سكن الشام.

انظر: تهذيب الكمال ٣٠: ٣٧ ت ٦٤٨٦، الإصابة ٦: ٢٥٧ ت ٨٨٢٣، تهذيب التهذيب ١٠: ٤٢٨ ت ٨٦٩، وغيرها.

(٥) يظهر أنّ مفاد الرواية متكرّرٌ وبألفاظ متقاربة، وطرق عدّة، وهكذا في مصادر متعدّدة، منها: المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٩٠ ت ٢٢، مسند الشاميّين ٢: ٩٦ ت ٩٨٠، صحيح مسلم ٤: ١٩٨٠ ت ٢٥٥٣، سنن الدارميّ ٢: ٢٤٦، ٣٢٢، مستدرك الحاكم ٢: ١٤، مسند أحمد ٤: ١٨٢ و٢٢٨، سنن البيهقيّ ١٠: ١٩٢.

(٦) انظر مصادر الهامش ٣ وأضف إليها: تفسير النكت والعيون ١: ١٥٥، وتفسير ←

والعدوان مجاوزة الحقّ، وقال قوم: هو الإفراط في الظلم[١].

وأَسْرىٰ: جمع أَسِير، وأُساری: جمع أَسْرىٰ. كما قالوا: مَرِيضْ ومَرْضَىٰ وجَرِيحْ وجَرْحَىٰ، وكَسيرٌ وكَسْرىٰ، هذا قول المفضل بن سلمَة[٢].

وقال أبو عمرو بن العلاء: الأُساریٰ الذين هم في الوثاق، والأَسْرىٰ الذين في اليد وإنْ لم يكونوا في الوثاق[٣].

ومعنى تُفادوهم أو تَفدوهم: طلبُ الفدية من الأسير الذي في أيديهم من أعدائهم، قال الشاعر:

قِـفي فـادِي أَسِيرَكِ إِنَّ قَـوْمِي ... وَقَوْمَكِ ما أَرى لَهُمُ ٱجْـتِماعَا[٤] [٣٤٣]

الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٠.

وأمّا من مصادر اللّغة لمادة «أثم»: العين ٨: ٢٥٠، تهذيب اللّغة ١٥: ١٦٠، المحيط في اللّغة ١٠: ١٩٥، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ١٨٥، المخصص ٦: ٤٤٣ و٧: ٥٤٦، الصحاح ٥: ١٨٥٧، لسان العرب ١٢: ٥، تاج العروس ١٦: ٥.

(١) معاني القرآن للزجّاج ١: ٦٦، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٥، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٨٣، تفسير الوسيط ١: ١٦٨، وغيرها.

(٢) اختلف كثيراً في ذلك وزناً وعلّة ونسبة، للتوسعة انظر: اللباب في علوم الكتاب ٢: ٢٥٠ بتوضيح، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٣٦، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٣٩، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٣٠، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١٤٣، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٥٢، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٦٦.

(٣) مفاده: تفريق ابن العلاء بين الأسير الذي يستسلم مستأمِناً دون أخذٍ، فجمعه أسرى، وبين الذين يؤخذون عنوة وقسراً في ساحة الحرب أو غيرها فيوثقون، فهم أُسارى. فكلاهما مفرده أسير ولكنّه فَرّقٌ في الجمع.

انظر: إضافةً لأغلب مصادر الهامش أعلاه، معاني القراءات للأزهريّ: ٥٦، تفسير السمعانيّ ١: ١٠٤، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٥، فتح القدير ٢: ٣٢٥.

(٤) البيت الثاني من ق١٣ للشاعر القُطاميّ - وتقدّم في ٢: ٣٥٣ - يمدح فيها زُفر الكلابيّ الذي نجّاه وحماه من بني أسد بعد أن أحاطوا به يوم الخابور في الجزيرة،

وكان هذا مُحرَّماً عليهم وإن صار مباحاً لنا، فذكر الله تعالى توبيخاً لهم في فعل ما حُرِّم عليهم.

وقال آخرون: إنّه افتداءُ الأسير منهم إذا أَسَّرَهُ أعداؤهم[١].

وهذا مدح لهم ذكره من بعد ذمّهم أنّهم خالفوه في سفك الدماء، وتابعوه في افتداء الأسرى، استشهاداً على هذا التأويل بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

وقال قوم: الفرق بين تفدوهم وتفادوهم: إنّ «تفدوهم» هو: افتكاك بمالٍ، و«تفادوهم»: افتكاك الأسرى بالأسرى[٢].

واختلفوا فيمن عنى بهذه الآية، فروى عِكْرِمَة عن ابن عبّاس أنّه قال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ أي: أهل الشرك حتى يسفكوا دماءهم معهم، ويُخرجوهم من ديارهم معهم، قال:

مريدين قتله، فحال بينهم وبينه، وكساه وأكرمه مائة ناقة رتاع.

المعنى: قفي: خطاب لضباعة بنت زفر التي نَجته، فادي: خذي الفدية من الأسير وأطلقيه، قَوْمي: بني تغلب، قومك: بني قيس.

انظر: الديوان: ٢٥٨، ولترجمته ٢: ٣٥٣ ت ٢٧٢.

وراجع: الأغاني ٢٤: ٣٩، خزانة الأدب للبغداديّ ٢: ٣٦٧ ش ١٤٣، شرح الديوان: ٢٥٨ ق ١٣ ب ٢.

(١) انظر: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٤٠، وقد أشارت إلى ذلك جملة تفاسير منها: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٣٥ ـ ٣٣٧، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١٠٤، الكشف والبيان ١: ٢٣١، تأويلات أهل السنّة ١: ٦٩ ت ٨٥، المحرر الوجيز ١: ٢٨١ ـ ٢٨٥، وغيرها كثير.

(٢) أشارت إلى الفَرق جملة مصادر منها: معاني القراءات: ٥٦، الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٥٢، تفسير البحر المحيط ١: ٢٩١، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢١.

وراجع تهذيب اللغة ١٤: ١٩٩، لسان العرب ١٥: ١٤٩، تاج العروس ٢٠: ٤٢.

أنبأهم الله بذلك من فعلهم، وقد حرّم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداءَ أسْراهم.

فكانوا فريقين: طائفة منهم: بنو قَيْنُقاع، وإنّهم حلفاء الخَزْرَج. والنَّضِيرُ وقُرَيظةُ، وإنّهم حُلفاءُ الأوس.

فكانوا إذا كانت بين الأوْسِ والخَزْرَجِ حرب خرجت بنو قَيْنُقاع مع الخَزْرَج، وخرجت النّضِيرُ وقُرَيْظَةُ مع الأَوْسِ، يظاهر كلُّ فريقٍ حلفاءَه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم.

والأَوْسُ والخَزْرَجُ أهلُ شِرْكٍ يعبدون الأوثان لا يعرفون جنّةً ولا ناراً، ولا قيامةً ولا كتاباً، ولا حلالاً ولا حراماً، فإذا وضعت الحربُ أوزارها افتدوا أَسْراهم تصديقاً لما في التوراة وأخذاً به، يفتدي بنو قَيْنُقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، وتفتدي النّضيرُ وقُرَيْظَةُ ما كان في أيدي الخزرج، ويُطِلّون[1] ما أصابوا من الدِّماء، وما قتلوا من قتلوا منهم، فيما بينهم مظاهرةً لأهل الشرك عليهم.

يقول الله تعالى حين أنَبأهُم[2] بذلك: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ أي: تفادونهم بحكم التوراة، وفي حكم التوراة أن لا يقتل، ويخرجونه من داره، ويظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا، ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج

---

(١) في الأصول: «يطلبون»، والمثبت هو الصحيح، مؤيّداً بالسياق والمصادر، والمعنى اللّغوي؛ لأنّها بمعنى: أخذ الدية أو هدرها وإسقاطها.

(٢) المثبت مطابق للأصول، وفي بعض المصادر: «أنبَهُم» وله وجه وجيه؛ لمقتضى السياق.

نزلت هذه القصة[١].

وذكر فيه أقوال أُخر تزيد وتنقص لا فائدة في ذكرها، معناها مقارب لما أوردناه.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

القصد بذلك توبيخهم وتعنيفهم على سوء أفعالهم، فقال: ثمّ أنتم بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم ألّا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم، تقتلون أنفسكم ـ يعني به: يقتل بعضكم بعضاً ـ وأنتم مع قتلِكم مَنْ تَقتلون منكم إذا وجدتم أسيراً منكم في أيدي غيرِكم من أعدائكم تفدُونهم، ويُخرِج بعضُكم بعضاً مِنْ دياره، وقتلكم إيّاهم

---

(١) الآية نازلة لبيان مجريات حوادث قبل الاسلام والهجرة إلى يثرب، عندما كان أهلُها طائفتين أبناء عمّ نسبي، هم: الأوس، أبناء وأحفاد أوس بن حارثة، والخزرج، أبناء وأحفاد أخيه الخزرج بن حارثة، والأمّ واحدة اسمها: قيلة، لذا يطلق عليهم أبناء قيلة، وكانوا عبدة أصنام مشركين.

وفي أطراف يثرب سكنت ثلاث طوائف من اليهود، هم: بنو قَيْنُقاع متحالفين مع الخزرج، وبنو النَّضير وقُرَيْظَةُ مُحالفين الأوس.

وبعد الهجرة النّبوية المباركة، صهر الإسلامُ الأوس والخزرج في بوتقته، وجعلهم إخواناً متحابّين نابذين الأحقاد السابقة، وأطلق عليهم النبيّ الأكرم اسم «الأنصار» قبال «المهاجرين» الواردين إليها من غيرها.

فهي من باب الإشارة والحكاية لما مضى.

وقد تعرّض لذكر ذلك مصادر، منها: السيرة النبوية ٢: ١٨٨، الروض الأُنف ٤: ٣٣٨، العُجاب في بيان الأسباب ١: ٢٧٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ مفرّقاً الموضوع في ١: ١٦٣ و١٦٤ و١٦٦ ت٨٥٦ و٨٥٩ و٨٧٠، تفسير جامع البيان ٢: ٢٠٧، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٣٩، تفسير المحرر الوجيز ١: ١٧٤، تفسير الدرّ المنثور ١: ٤٥٥، الصحيح من سيرة الرسول الأعظم ١ ـ ٤.

وإخراجكم إيّاهم من ديارهم حرام عليكم، كما حرام عليكم تركُهم أسْرى في أيدي عدُوِّكم. فكيف تستجيزون قتلهم، ولا تستجيزون ترك فدائِهم (من عدوِّهم، أم كيف لا تستجيزون ترك فدائِهم؟!)[1] وتستجيزون قتلهم، وهما جميعاً في اللازم لكم من الحكم فيهم سواء؛ لأنّ الذي حَرَّمتُ عليكم مِنْ قَتِلهم وإخراجهم من دورهم نظيرُ الذي حرّمتُ عليكم من تركهم أسْرى في أيدي عدوّهم.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الذي فرضتُ عليكم فيه فرائضي، وبيّنت لكم فيه حُدُودي، وأخَذْتُ عَلَيْكُم بالعَمَل بما فيه ميثاقي، فتصدّقون به فتفادون أَسراكم من أيدي عدوّكم، وتَكْفُرونَ بِبَعْضِهِ فتجحدونَهُ فتقتلون مَنْ حرَّمْتُ عليكم قتلَه من أهل دينكم ومِنْ قومكم، وتُخرجُونهم من ديارهم، وقد علمتم أنّ في الكفر منكم ببعضه نقضاً منكم في عهدي وميثاقي.

وقوله: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

فالخزي: الذُّلّ وَالصّغارُ، يقال منه: قد خَزِيَ الرجلُ يَخزى خِزْياً.

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني في عاجل الدنيا قبل الآخرة.

ثمّ اختلفوا في الخزي الذي خزاهم الله بما سلف منهم من المعصية، فقال بعضهم: ذلك هو حكم الله الذي أنزله على نبيّه ﷺ من أخذ القاتل بمن قتل، والقَوَدُ به قصاصاً، والانتقام من الظالم للمظلوم.

---

(١) المحصورة أُضيفت من النسخة المعتمدة «خ».

وقال آخرون : بل ذلك هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم ذِلّةً لهم وصَغاراً .

وقال آخرون : الخِزْيُ الذي جُزوا به في الدُّنيا : إخراجُ رسول الله ﷺ بني النّضير عن ديارهم لأوّل الحَشر ، وقتلُ مُقاتلة بني قُريظة وسَبيُ ذراريهم ، فكان ذلك لهم خزياً في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم[1] .

ومعنى قوله : ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ أي : إلى أسوأ العذاب ، يعني : بعد الخزي الذي يحلّ بهم في الدنيا يردّهم الله إلى أشدّ العذاب الذي أعدّه الله لأعدائه .

وقال بعضهم : يردّهم يوم القيامة إلى أشدّ العذاب ، يعني أشدّ من عذاب الدنيا .

والأوّل أقوى ؛ لأنّه قال : أشدّ العذاب ، يعني : أشدّ جنس العذاب ، وذلك يقتضي العموم ، ولا يُخصّ إلّا بدليل .

وقوله : ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ منهم من قرأ بالياء ، والأكثر قرأه بالتاء ، فمن قرأه بالياء ردّه إلى من أخبر عنهم . ومن قرأ بالتاء ، ردّه إلى المواجَهِين بالخطاب[2] .

---

(١) الأقوال في الخزي تجدها في : تفسير كتاب الله العزيز للهَوّاريّ ١ : ١٢٢ ، تفسير مُقاتل بن سليمان ١ : ١٢٠ ، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ١٣٥ ، تفسير الوسيط ١ : ١٧٠ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٢٨٩ ، تفسير جامع البيان ٢ : ٢١٦ ، وراجع المعجم في فقه لغة القرآن ١٥ : ٦٥٩ «خزي» .

(٢) ذكرت ذلك جُملةٌ من مصادر القراءات ، ولعلّه حتّى التفسيريّة نحو : تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٢١٧ ، التفسير الكبير للرازيّ ٣ : ١٧٤ ، تفسير الطبرانيّ ١ : ٢٠٣ ، تفسير البيضاوي ١ : ١١٧ ، تفسير الدرّ المصون ١ : ٢٩ .

والياء أقوى ؛ لقوله : ﴿فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ﴾ ، وقوله :

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ﴾ ، فالردّ إلىٰ هذا أقربُ من قوله : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ، فاتّباع الأقرب أولى من إلحاقه بالأوّل ، والكلّ حسن .

والمعنى : وما الله بساهٍ عن أعمالِهم الخبيثةِ ؛ بل هو مُحصٍ لها ، وحافظ لها حتى يجازي عليها .

فإن قيل : ظاهر الآية يقتضي أن يصحّ الإيمان ببعض الأشياء وإن كفروا بالبعض الآخر ، وذلك منافٍ لمذهبكم في الإرجاء والموافاة[(١)] .

[قلنا][(٢)] : لأنّ المعنى في ذلك إظهار التصديق بالبعض ، والمنع من التصديق بالبعض الآخر .

ويحتمل أن يكون المراد أنّ ذلك على ما يعتقدونه ؛ لأنّكم إذا

↵ وأمّا مصادر القراءة : السبعة في القراءات : ١٦١ ـ ١٦٢ ، حجّة القراءات : ١٠٥ ، الحجّة لابن خالويه : ٨٢ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١١٣ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ : ٢٥٢ ت ٥٣ ، غاية الاختصار في القراءات العشرة ٢ : ٤١٢ ، التلخيص في القراءات الثمان : ٢١١ .

(١) تقدّم الكلام حول الإرجاء في ١ : ١٧٤هـ ٢ ، ونضيف هنا بعض مصادر أُخرىٰ : بحوث في الملل والنحل ٣ : ٧٣ ، شرح المصطلحات الكلاميّة : ١٧ ت ٦٩ و٣٢٥ : ت ١١٥٣ ، وانظر : ٤٧ : ١٩٧ ، معجم العناوين الكلاميّة : ١٦ و٣٥ ، مدخل : «إرجاء ، مرجئه ، إيمان» .

وكذلك الموافاة : تقدّمت في ٢ : ١٥٩ هـ ٢ و٣٨٨ هـ ١ ، ونضيف هنا شرح المصطلحات الكلاميّة : ٣٥٤ ت م ١٢٨٢ ، معجم العناوين الكلاميّة : ١٣٤ ، مدخل «موافاة» فيهما .

(٢) [قلنا] أُضيفت منّا لتوضيح بداية الجواب .

اعتقدتم جميع ذلك ثمّ «عملتم ببعضه»[١] دون بعض ، فكأنّكم آمنتم ببعضه دون بعض .

قوله تعالى :

﴿أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٨٦) آية بلا خلاف .

قوله : ﴿أُوْلَـٰئِكَ﴾ إشارة إلى الذين أخبر عنهم أنّهم يؤمنون ببعض الكتاب ، فيفادون أُساراهم من اليهود ، ويكفرون ببعض فيقتلون من حرّم الله عليهم قتله من أهل مِلَّتهم ، ويُخْرجون من داره من حَرَّم اللهُ إخراجَه . هم الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا ، ومعناه ابتاعوها على الضعفاءِ وأهلِ الجهلِ والغباءِ «من أهلِ مِلّتِهم»[٢] .

وإنّما وصفهم بأنّهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ؛ لأنّهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله عزّ وجلّ فيها عوضاً من نعيم الآخرة الذي أعدّه الله للمؤمنين . فجعل تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمناً لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا ، ثُمّ أخبر الله أنّه لا حظّ لهم في نعيم الآخرة ، وأنّ لهم في الآخرة عذاباً غير مخفّفٍ عنهم فيها العقاب .

وقوله : ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي لا ينصرهم أحدٌ في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى .

---

(١) في النسخة «خ ، س» : علمتم بعضه . والصحيح المطابق للسياق والنسخة «ؤ ، هـ ، والحجريّة» ومجمع البيان ١ : ٣٦٧ عند الآية ، هو المثبت .

(٢) المحصورة من النسخة «خ» وبدلها في البواقي : «منهم» .

قوله عزّ اسمُه :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٨٧) آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة : ﴿ٱلرُّسُل﴾ مُثقّل في جميع القرآن[١] .

وقرأ ابن كثير : ﴿ٱلْقُدْسِ﴾ بسكون الدال حيث وقع ، الباقون بتثقيلها[٢] .

ومعنى قوله : ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أنزلناه إليه وأعطيناه ، والكتاب المراد به : التوراة .

وقوله : ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ معناه : وأردفنا ، وأتبعنا بعضَه خلف بعضٍ ، كما يقفو الرجلُ الرجلَ : إذا سار في أثره من ورائه ، وأصله من القَفا ، يقال فيه : قفوتُ فلاناً : إذا صِرتَ خلفَ قَفاه ، كما يقال : دبَرْتُه : إذا صِرتَ في دُبُره ،

---

(١) هذه القراءة المشهورة للجمهور ، لذا لم يُشَرْ إليها في المصادر والتفاسير ، وقد تعرّض النحّاس لبعض اللّغات فيها في : إعراب القرآن ١ : ٢٤٥ .

(٢) وقد وقع في ثمان موارد في سورة البقرة ٢ : ٣٠ و٨٧ و٢٥٣ ، وسورة المائدة ٥ : ٤١ و١١٠ ، وسورة النحل ١٦ : ١٠٢ ، وسورة طه ٢٠ : ١٢ ، وسورة النازعات ٧٩ : ١٦ .

وراجع : السبعة في القراءات : ١٦٤ ، حجّة القراءات : ١٠٥ ، معاني القراءات للأزهريّ : ٥٦ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٤٨ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ : ٢٥٣ ، النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٠٨ ، التذكرة في القراءات : ١٩١ ت ٢٥ ، غاية الإختصار ٢ : ٤١٢ ت ٦٠٥ ، وغيرها كثير .

قال امرؤ القيس :

وَقَفَّى على آثارِهِنَّ بِحاصِبٍ فَمَرَّ العَشِيِّ البارِدِ المُتحَصِّبِ[1] [٣٤٤]

ومعنى قوله : ﴿بِالرُّسُلِ﴾ من بعد موسى ، والمراد بالرُّسل : الأنبياء ، وهم جمع رَسُولٍ ، يقال : رَسولٌ ورُسُلٌ ، كما يقال : رَجلٌ صَبورٌ وقومٌ صُبُرٌ ، ورَجلٌ شَكورٌ وقوم شُكُرٌ . والمعنى في ﴿قَفَّيْنَا﴾ أتبعنا بعضَهم بعضاً على منهاجٍ واحدٍ وشريعةٍ واحدة ؛ لأنّ كلَّ من بَعثَهُ الله نبيّاً بعد موسى إلى زمن عيسى بن مريم عليه السلام فإنّما بعثه بإقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاءِ إلى ما فيها ، فلذلك قال : ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ يعني على منهاجه

---

(١) البيت رزق حظّاً من التداخل والخبط بمقدار لا يحسد عليه .

فنسبةً : مردّد بين امرئ القيس وعلقمة الفحل في قصة الاحتكام إلى زوجة الأوّل .

وروايةً : فقد روي في المصادر بشكل بعيد عن الاستشهاد ، حتى أنّ ديوان الشاعرين لهما حظّ في ذلك : إمّا تركاً أو تغييراً أو نسبةً .

والتفصيل يطول ، وله انظر : ديوان امرئ القيس بتحقيق الاستاذ محمّد أبي الفضل إبراهيم : ٣٨٧ ت ٣٨ ، فقد نسبه لرواية الطوسيّ والسّكريّ وأبي سهيل وابن النحّاس وباختلاف في شطره الثاني . وأمّا ديوان علقمة بشرح الأعلم فخالٍ منه .

وأمّا المصادر الأُخرى : ففي الشعر والشعراء ١ : ٢١٨ ت ١٣ ف ٣٥٨ والمعاني الكبير ١ : ٨١ وهما لابن قتيبة ، فقد نسبه لعلقمة مع اختلاف في مطلع الشطر الأوّل منه وكامل الشطر الثاني وكأنّه غيره ، وهكذا في الأغاني ٨ : ١٩٥ ، الأزمنة والأمكنة ٢ : ٣٠٧ .

وأمّا مصادر اللّغة : فبعضها ذكرت صدر البيت لا غير ونسبته لامرئ القيس ، نحو ما رواه الشيخ ، راجع : تهذيب اللّغة ٩ : ٣٢٧ ، وذكر المحقق في الهامش أنّه لم يجد له تتمّة ، لسان العرب ١٥ : ١٩٤ ، تاج العروس ٢٠ : ٩٢ .

المعنى : آثارهنّ : الطرائد من الصيد ، غزال أو غيره . الحاصب : العَدْوُ الشديد للفرس والذي يثير الحصباء والأتربة من شدّة سرعته .

والشاهد : قَفَّى : أسرعَ خلف الصيد ، وهو كذلك في مصادر اللّغة المشار إليها .

وشريعته .

وقوله : ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ أعطينا عيسى بن مريم الحجج والدلالات على نبوّته من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص[١] ، ونحو ذلك من الآيات التي دلّت على صدقه وصحّةِ نُبُوّته .

وقوله : ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي : قوّيناه[٢] وأعنّاه ، يقال منه : أَيَّدَكَ الله ، أي قوّاك اللهُ ، وهو رجُلٌ ذو أيدٍ وذو آد ، أي : ذو قوّة ، ومنه قول العجّاج :

.... من أنْ تَبَدَّلْتُ بآدي آدا[٣] [٣٤٥]

يعني بقوّة شبابي قوّة الشيب ، قال الشاعر :

إنّ القِداحَ إذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَها بِالْكَسْرِ ذُو جَلَدٍ وَبَطْشٍ أَيِّدِ[٤] [٣٤٦]

---

(١) والأبرص ، ساقط من النسخة «خ» ، والسياق يقتضيه .

(٢) في نسخة «خ» زيادة : «وأعطيناه» ، وعليها علامة لعلّها للزيادة ؛ لعدم ظهور شيء في هامش المصوّرة .

(٣) شطر من مقطوعة رجزية للعجاج ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ١٠٠ ـ ينعى ويتحسّر فيها على زمنِ القوّة والشباب والفتوّة وتبدّلها إلى ضعف وعجز .
الآدي : الأولى بمعنى القوّة والشباب والنشاط .
الآدا : أيضاً بمعنى القوّة ، ولكن الضعيفة ، الغير القادر معها على القيام باحتياجاته الضروريّة .
انظر : الديوان ٢ : ٢٨٢ ت ١٧ ، أمالي الزّجّاجي : ٥٨ ، الخصائص ٢ : ١٧٤ ، المعاني الكبير ٣ : ١٢٢٤ ، مجاز القرآن ١ : ٤٦ و٢ : ١٧٩ ، الصحاح ١ : ٤٤٣ ، لسان العرب ٣ : ٧٦ «أيد» في الأخيرين .

(٤) البيت من جملة أبيات حَكَمِيّة اختلفت المصادر في نسبتها ، بين عبدالله بن عبدالأعلى بن عمرة الشيبانيّ ، وعبدالملك بن مروان الحاكم الأُمويّ ، وقيس بن عاصم ، وذكرت دون نسبة .

☜

يعني بالأَيِّد : القويّ .

وقال قَتادةُ والسُّدّيُّ والضَّحَّاكُ والرَّبيعُ : روح القدس هو : جبرائيل عليه السلام .

وقال ابن زيد : أيّد الله عيسى بالإنجيل رُوحاً كما جعل القرآن رُوحاً ، كلاهما رُوحُ اللهِ ، كما قال : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾[1] .

وروى الضَّحّاكُ عن ابن عباس : إنّ الروحَ : الاسمُ الذي كان يُحيْي به الموتى[2] .

↵ المعنى العام للبيت يظهر مع اللاحق واضحاً ، وهو :

عَزّت فلم تُكْسَر وإنْ هي بُدِدت ... فَالْوَهْنُ والتَكْسِيرُ لِلمُتَبَدِدِ

إذن هي ناصحة الأبناء والأرحام والعشيرة على الاجتماع والاتّحاد والوداد ، وعدم التفرقة والنزاع .

القِدَاح : الرّماح . الجَلَدُ والبَطْشُ والأيْدُ : مترادفات يراد منها : القوّة والقدرة والتمكّن والصلابة ، وقيل : الثقل .

وأمّا المصادر فقد رتّبت على التوالي ـ عبدالله ، عبدالأعلىٰ ، عبدالملك ، دون نسبةٍ ـ ، راجع : الحماسة البصرية ٢ : ٣٢ت ٨١ ، المنتظم لابن الجوزيّ ٦ : ٢٧٥ ، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠) : ١٤٣ ، تاريخ الخلفاء : ١٧٥ .

التعازي ١٢٤ ـ ١٢٥ ، تاريخ دمشق ٦٣ : ١٧٣ ت ٨٠٢٤ ، مروج الذهب ٣ : ٣٧٤ف ٢١٣٤ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧ : ٧ .

ديوان المعاني للعسكريّ ١ : ١٥١ .

تفسير الكشف والبيان ٣ : ١٨٢ ، الزاهر في معاني كلمات النّاس ١ : ٥٠٥ ، البداية والنهاية ٩ : ٦٧، محاضرات الأُدباء ١ : ٣٥٧، وانظر : الفتوح للكوفيّ ٧: ١٤٩ .

(١) سورة الشورى ٤٢ : ٥٢ .

(٢) الأقوال أشارت إليها المصادر التالية : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٦٨ ت ٨٨٤ و١٦٩ ت ٨٨٦ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٣٣ ، تفسير ↵

وأقوى الأقوال قول من قال: هو جبرائيل عليه السلام؛ لأنّ الله تعالى أيّد عيسى به، كما قال تعالى: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ﴾[1] فأخبر أنّه أيّده به، فلو كان المراد به الإنجيل لكان ذلك تكراراً.

وإنّما سمّى الله تعالى جبرائيل روحاً وأضافه إلى القُدُسِ؛ لأنّه كان بتكوين الله إيّاه روحاً من عنده من غير ولادة والدٍ وَلَدَه.

وقال قوم: سمّي روحاً؛ لأنّه بمنزلة الأرواح للأبدان تُحيى بما يأتي به من البيّنات.

وقال آخرون: سُمّي بذلك؛ لأنّ الغالب على جسمه الروحانيّة؛ لرقّته، وكذلك سائر الملائكة، وإنّما خُصّ به تشريفاً[2].

والتَّقدِيسُ: التّطهير. والقُدس: الطُّهر.

وقال السُّدّيُّ: القدسُ ـ هاهنا ـ: البركة. يقال: قَدَّسَ عليه، أي: بَرّكَ عليه، ويكون إضافة إلى نفسه كقوله: ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[3].

وقال الربيع: القُدْسُ: الربُّ.

الصنعانيّ ١: ٢٧٩ ت ٨٤، تفسير السمعانيّ ١: ١٠٦، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٦، تفسير بحر العلوم ١: ١٣٥، تفسير الوسيط ١: ١٧١، تفسير المحرر الوجيز ١: ٢٨٦، وراجع: تفسير معالم التنزيل ١: ١١٧، تفسير زاد المسير ١: ١١٣.

(١) سورة المائدة ٥: ١١٠.

(٢) ذُكرت هذه الأقوال في: تفسير النكت والعيون ١: ١٥٦، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٤٢، تفسير السمعانيّ ١: ١٠٦، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٤ وغيرها.

(٣) سورة الواقعة ٥٦: ٩٥.

وقال ابن زيد: القُدُسُ هو الله، وأيّده بروحه، واحتج بقوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾[1]، وقال: القُدُّوسُ والقُدُسُ واحد.

وروي عن ابن عباس: أنّ المُقَدَّسَ: الطاهر[2]، قال الراجز:

الحمدُ للهِ العليِّ القادسِ[3] [٣٤٧]

وقال رؤبة:

دَعَــوْتُ رَبَّ القــوّةِ القُــدُّوسَا[4] .... [٣٤٨]

وقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾.

والخطاب بذلك متوجّه إلى يهود بني إسرائيل، فكأنّه قال: يا معشر يهود بني إسرائيل، لقد آتينا موسى التوراة، وتابَعنا مِن بعدِه الرسلَ إليكم، وآتينا عيسى بن مريم الحُجَجَ والبيّنات، إذ بعثناه إليكم، وقَوَّيْناه بروح القُدُسِ، وأنتم كُلَّما جاءكم رسولٌ من رُسُلي بغير الذي تهواه أَنفسكم استكبرتُم عليهم تجبّراً وبغياً، فكذّبتم منهم بعضاً وقتلتم بعضاً.

فظاهر الخطاب وإن كان خُرِّج مخرج التقرير فهو بمعنى الخبر.

---

(١) سورة الحشر ٥٩ : ٢٣.

(٢) تجد الإشارة للأقوال في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٦٩ ت ٨٨٧ ـ ٨٨٩، تفسير النكت والعيون ١ : ١٥٦، تفسير جامع البيان ٢ : ٢٢٤، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٥٠، معاني القرآن للأزهريّ : ٥٦، وانظر: ما تقدّم في ٢ : ٢٥ ضمن تفسير آية ٣٠.

(٣) رجز لم نصل إلى قائله، واستشهد به الفارسيّ في الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٥٠ و١٥٢.

(٤) الشطر الأوّل من البيت الأوّل من قصيدة رجزية يمدح فيها أبان بن الوليد البجليّ، وجاء في الديوان: ربُّ العزّة، عوض القوّة، ولا أثر له على الشاهد، انظر: الديوان : ٦٨ ق ٢٥.

قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) آية واحدة.

القرّاء المعروفون على تسكين اللّام من قوله: ﴿غُلْفُۢ﴾. وقال ابن محيصن[١]: ﴿غُلُفُۢ﴾ بضمّ اللّام، ورُوي ذلك عن ابن عباس[٢].

فمَنْ قرأ بالتسكين قال: معنى غُلْف: ذوات غُلْفٍ، الواحدُ منها أَغْلَفُ وغُلُفٌ مثل أَحْمَر وحُمُرٌ، فكأنّهم قالوا: (قلوبنا في أوعية فلا تعي ما تأتينا به كما قالوا)[٣]: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا

---

(١) بكنيته هذه أشهر من اسمه المختلف فيه، والمشهور: محمّد بن عبدالرحمن بن محيصن السَهمِيُّ، مولاهم، المكيّ، مقرئ أهل مكة مع ابن كَثير، ثقة، روى عنه مسلم، كان عالماً بالعربية، عرض على مجاهد ودرباس وسعيد بن جبير. وعليه عرض أبو عمرو بن العلاء.

قيل: في قراءته مخالفة لرسم المصحف، مات بمكة سنة ١٢٣هـ.

انظر: غاية النهاية ٢: ١٦٧ ت ٣١١٨، طبقات القرّاء للذهبي ١: ٨٩ ت ٤١.

(٢) أُشير إليها في مصادر مختلفة، فمن كتب القراءة: السبعة في القراءات: ١٦٤، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١٥٣، معاني القراءات للأزهريّ: ٥٧، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٦٩، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٨٧، شواذّ القراءات للكرمانيّ: ٦٩.

ومن كتب اللّغة: تهذيب اللّغة ٨: ١٣٥، مفردات ألفاظ القرآن: ٦١٢، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٥٢٨، لسان العرب ٩: ٢٧١، تاج العروس ١٢: ٤١٧.

(٣) المحصورة مضطربة في النسخ، ففي «ؤ»: قلوبنا في أوعية، فَلِمَ لا تعي ما تأتينا به؟!، كما قالوا: ﴿قلوبنا في...﴾. وأمّا في الحجرية: قلوبنا أوعية، فَلِمَ لا تعي ما تأتينا به؟! قالوا كما قالوا: ﴿قلوبنا...﴾. وأمّا في النسختين «خ، س»: قلوبنا أوعية، كما قالوا، والمثبت من النسخة «هـ» أنسب تبعاً للقراءة بالتسكين، فانتبه فإنّ المعنى فرع القراءة.

وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[١] أي: لا تفقه؛ لأنّها في حِجاب، ومنه يقال للرجل الذي لم يُختن: إنّه أغْلَفُ، وللمرأة: غَلْفاءُ، ويقال للسيف إذا كان في غلافٍ: أَغْلَفُ، وقوسٌ غَلْفاءُ وجمعها غُلْفٌ، وكذلك كلّ نعت على وزن «أفْعَل» للذكر، والأُنثى «فَعْلاء» يُجْمع على «فُعْل» مضمومةَ الأوّلِ ساكنةَ الثاني نحو أحْمَر وحُمْر وأصْفَر وصُفْر، فيكون ذلك جماعاً للتأنيث وللتذكير.

ولا يجوز تثقيل عين الفُعْل إلّا في ضرورة الشعر، قال طَرَفَةُ:

أَيُّــها الفِــتْيانُ فِــي مَجْلِسِنا جَــرِّدُوا مِـنْها وِراداً وَشُـقُرْ[٢] [٣٤٩]

فحرّك لضرورة الشعر.

ومَنْ قرأ ﴿غُلُفٌ﴾ مثقّلاً قال: هو جمع غلاف مثل: مِثَالٌ ومُثُلٌ، وحِمارٌ وحُمُرٌ. فيكون معناه: أنّ قلوبَنا أوعيةٌ للعلم فما بالها لا تفهم، وهي أوعية للعلم.

---

(١) سورة فصّلت ٤١ : ٥.

(٢) تقدّمت ترجمة الشاعر في ١ : ١٢٦، والشاهد هو البيت (٥٨) من القصيدة (٢) من الديوان : ٥٠ بشرح الأعلم، واصفاً فيها أحواله وماضيه ولهوه وتنقّله في البلاد، وفي البيت هذا والذي قبله يتعرّض لوصف الخيل.

المعنى: جَرِّدوا: ألقوا عنها ما عليها، وأسرجوها؛ لِلُقاء والحرب، وقيل: الجريدة من الخيل: المختارة المنتقاة المعتمد عليها في الأمور الصعبة، ووراداً: جمع وَرْد من الخيل: هي التي لونها بين الأسمر والأحمر أي الكميت، وقيل غير ذلك، شُقُرْ: جمع أشقر، وهو الأحمر حمرة صافية، وقيل: هو من أكرم الخيل وخيرها.

الشاهد فيه: شُقُرْ وأصلُها: شُقْرٌ وزان «فُعْل»، حرّك ـ ثَقَّل ـ بالضمّ عينه ـ القاف ـ تباعاً للشين ـ فائه ـ المضمومة؛ للضرورة الشعريّة.

انظر إضافةً للديوان: خزانة الأدب للبغداديّ ٩ : ٣٨٣ آخر الشاهد ٧٥٩.

ويجوز أنْ يكون التسكين عن التثقيل، مثل: رُسْل ورُسُل[١].

وقال عِكْرِمَةُ: ﴿غُلْفٌ﴾ أي: عليها طابع[٢].

والمعنى عندنا: أنّ الله أخبر أنّ هؤلاء الكفّار إدّعوا: أنّ قلوبهم ممنوعةٌ من القبول، وذهبوا إلى أنّ الله منعهم من ذلك، فقال الله ردّاً عليهم: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: إنّهم لمّا كفروا فألِفوا كُفرهم، واشتدّ إعجابُهم به ومحبتهم إيّاه، منعهم اللهُ من الألطاف والفوائد ما يؤتيه المؤمنين ثواباً على إيمانهم وترغيباً لهم في طاعتهم وزجراً للكافرين عن كفرهم؛ لأنّ مَن سوّى بين المطيع والعاصي له فقد أساء إليهما.

وفي الآية ردّ على المجبّرة أيضاً؛ لأنّهم قالوا مثل ما يقوله اليهود من أنّ على قلوبهم ما يمنع من الإيمان ويحول بينهم وبينه، فكذّبهم الله تعالى في ذلك بأنْ لعنهم وذمّهم، فدلّ ذلك على أنّهم كانوا مخطئين كما هم مخطئون[٣].

وقال أبو عليّ الفارسيّ: ما يُدْرك به المعلومات من الحواسّ وغيرها،

---

(١) تجد بحث هذا الموضوع في جملة من المصادر، منها للمثال: الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٤٢ ـ ٣٤٣، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ٢٠٥، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١٠٦، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٣٣، تفسير بحر العلوم ١: ١٣٦، المحرر الوجيز ١: ٢٨٨، جامع البيان ٢: ٢٢٧.

وراجع: تأويلات أهل السنّة ١: ٧٠، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٧، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٧٠ ت ٨٩٢ ـ ٨٩٩، تفسير مقاتل بن سليمان ١: ١٢١، الوسيط ١: ١٧٢، تفسير البحر المحيط ١: ٣٠١.

(٢) انظر أكثر مصادر الهامش السابق، على أنّ أغلبها نسبته إلى قتادة.

(٣) أشارت إلى ذلك جملة من المصادر، منها: متشابه القرآن للقاضي: ٢٤٠ مسألة ٢٠٦، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣: ١٧٨، الكشّاف ١: ٢٩٥ ولاحظ هامشه، الوسيط ١: ١٧٢، اللباب في علوم الكتاب ٢: ٢٧٠.

إذا ذُكر بأنّه لا يُعْلَمُ به، وُصِفَ بأنّ عليه مانعاً، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(١) فإنّ القُفل لمّا كان مانعاً من الدخول إلى المُقْفَل عليه شَبَّهَ القُلوبَ به، ومثله قوله: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا﴾(٢) وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾(٣) ومثله ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾(٤) وقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾(٥)؛ لأنّ العين إذا كانت في غطاء لم يَنْفُذْ شُعاعُها، فلا يقع بها إدراك(٦)، فكأنّ شدّة عنادهم يحملهم على دفع المعلومات.

واللّعن هو: الإقصاء والإبعاد، يقال: لَعَنَ فُلانٌ فُلاناً يَلْعَنُهُ لَعْناً، فهو مَلْعُونٌ، ثمّ يصرف مفعول منه إلى فعيل، فيقال: هو لَعِينٌ، قال الشّمّاخُ بن ضِرار(٧).

دَعَوْتُ بِهِ القَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ ... مَقامَ الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ(٨) [٣٥٠]

---

(١) سورة محمّد ﷺ ٤٧ : ٢٤.

(٢) سورة الحجر ١٥ : ١٥.

(٣) سورة الكهف ١٨ : ١٠١.

(٤) سورة النّمل ٢٧ : ٦٦.

(٥) سورة البقرة ٢ : ١٨ و١٧١.

(٦) الحجّة للقرّاء السبعة لأبي عليّ الفارسيّ ٢ : ١٥٤ باختلاف يسير.

(٧) مَعقِل بن ضِرار بن سِنان المازنيّ الذبيانيّ الغطفانيّ، بلقبه الشّماخ أشهر وأعرف، عُدّ من طبقة لَبيد والنابغة والمخضرمين، له شعر قويّ المتن، وعدّ من الرجّاز البديهيّين، بقي حتّى شهد القادسيّة، توفّي في غزوة موقان ح عام ٣٠هـ.

راجع: طبقات فحول الشعراء ١ : ١٢٣، الشعر والشعراء ١ : ٣١٥ - ٣٢٠، الأغاني ٩ : ١٥٨، معجم الشعراء المخضرمين والأُمويّين : ٢٠٥.

(٨) بيت من قصيدة يمدحُ فيها الصحابيّ عَرابَةَ بن أوس. وفي بعض ألفاظه اختلاف ☜

أي المُبعد[١].

فصار معنى الآية: قالت اليهود: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ ممّا يدعونا إليه محمّد ﷺ، فقال الله: ليس ذلك كما زعموا، لكنّه تعالى أقصاهم وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها؛ لجحودهم به وبرسله.

وقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قال قَتادة: معناه فقليلاً منهم من يؤمن، أي: لا يؤمن منهم إلّا قليل.

وقال قوم: ﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون إلّا بقليل ممّا في أيديهم[٢].

بين المصادر ونسخنا لا يضرّ بالشاهد.

الرجلُ اللعين: تمثال ينصب وسط الزرع؛ لطرد الطير والوحش عن الزرع.

المعنى: يريد أنّ وروده الماءَ مبكراً قبل القطا والذئب وهما ممّا يوصفان بسبق الورود للماء قبل باقي الحيوان، وذلك علّني أرى محبوبتي أروى.

والشاهد فيه: استعماله «اللّعين» فعيل بمعنى مفعول وإرادة المُبْعَد والمطرود منه، وهو كذلك لدى كلّ من استشهد به.

انظر: إضافةٌ للديوان: ٣٢١ ب ٥ ق ١٨، مجالس ثعلب ٢: ٤٧٥، المُنْصِف ١: ١٠٩، المحتسب ١: ٣٢٧، مجاز القرآن ١: ٤٦، المعاني الكبير ١: ١٩٤، وغريب القرآن: ٢٧ وهما لابن قتيبة، شرح الكافية ٢: ٤٣ ت ٢٩٨، شرح المفصّل لابن يعيش ٣: ١٣، تفسير جامع البيان ٢: ٢٣٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٥.

(١) مصادر اللّغة لمادّة «لعن» منها: جمهرة اللّغة ٢: ٩٤٩، تهذيب اللّغة ٢: ٣٩٦، مجمل اللّغة ٣: ٨٠٩، الصحاح ٦: ٢١٦٩، المحيط في اللّغة ٢: ٥٠، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ١٥٨، لسان العرب ١٣: ٥٨٧، تاج العروس ١٨: ٥١٠.

(٢) تجد الإشارة إلى الرأيين في: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٤٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٧١ ت ٩٠٠، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٣٤، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ٢٠٦، تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١: ٢٧٩ ت

والذي نقوله : إنّ معنى الآية : أنّ هؤلاء ـ الذين وصفهم الله تعالى ـ قليلو الإيمان بما أنزله على نبيّه محمّد ﷺ ولذلك نصب قوله : ﴿فَقَلِيلاً﴾ ؛ لأنّه نَصَبه على نعتِ المصدر المتروك ، وتقديره : لعَنهم الله بكفرِهم فإيماناً قليلاً يؤمنون . ولو كان الأمر على ما قال قتادة لكان القليل مرفوعاً ، وكان تقديره : فقليلٌ إيمانهم .

وقال قوم من أهل العربية : إنّ ﴿ما﴾ زائدة لا معنى لها ، كقوله : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[1][2] وتقدير الكلام : فقليلاً يؤمنون ، وأنشد بيت مُهَلْهَل[3] :

لَوْ بِأَبانَيْنِ جاءَ يَخْطُبُها ضُرِّجَ ما أَنْفُ خاطِبٍ بِدَمِ[4] **[٣٥١]**

---

٨٦ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ١٠٧ ، تفسير الوسيط ١ : ١٧٢ ، تأويلات أهل السنّة ١ : ٧٠ ت ٨٨ ، وغيرها عند تفسير الآية الكريمة .

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٥٩ .

(٢) ناظرٌ إلى الأخفش في معاني القرآن له ١ : ٣١٩ .

(٣) بلقبه ـ مُهَلْهَل ـ أعرف وأشهر من اسمه : عَدِيُّ بن رَبِيعَةِ بن مُرَّةِ بن هُبَيْرَة التَغْلِبِيُّ ، أبو ليلى ، من أهل نجد ، شاعر من أبطال العرب في الجاهليّة ، شعره عالي الطبقة ، من أفصح الناس لساناً ، انصرف في شبابه إلى اللّهو والتشبيب بالنساء ، إلّا أنّ مقتل أخيه كُلَيْب غيّر مجرى حياته ، فتفجّر الشعر في نفسه تحت وطأة الألم والثأر ، فكانت حروب بكر وتغلب . مات حدود عام ٩٢ ق هـ .

راجع : جمهرة أشعار العرب ١ : ٥٧٧ ، الموشح : ٩١ ، الشعر والشعراء ١ : ٢٩٧ ت ٢٨ ، معجم الشعراء الجاهليّين : ٣٥٢ .

(٤) من مقطوعة قالها عندما أُلجئ لتزويج ابنته ـ وقيل : أُخته ـ في بني جَنْب ، بعد أن جاورهم هارباً ؛ لأنّه لم يَرهم أكفاءَها .

وقد اختلفت المصادر والنسخ في ضبط كلمة «ضُرِّجَ» بينها و«رُمِّلَ» و«خُضِّبَ» وهي بمعنى واحد .

المعنى : أبانين : جبلان أحدهما : أبان الأبيض ، والثاني : مُتالِع ، غُلِّب الأوّل

يعني: ضُرِّجَ أَنْفُ خاطبٍ، وما زائدة.

وقال قوم: ذلك خطأ في الآية وفي البيت، وإنّ ذلك من المتكلّم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء إذ كانت «ما» كلمةً تَجمعُ كلَّ الأشياء، ثمّ تَخصُّ بعضَ ما عمّته، فإنّها تُذْكر بعدها.

وفي الناس من قال: إنّما قال: ﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنّه كان معهم بعضُ الإيمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك ممّا كان فرضاً عليهم، وذلك هو القليل بالإضافة إلى ما جحدوا به من التصديق بالنبيّ ﷺ وما جاء به[1].

والذي يليق بمذهبنا أنْ نقول: إنّه لم يكن معهم إيمان أصلاً، وإنّما

على الثاني.

الشاعر يُشَبِّه الخاطِبَ الغير الكفؤ بالبعير الهجين الذي يتعرّض للناقة الكريمة، فيُقدع وجهه وأنفه بالعصا ضرباً يدميه ويلطخه، وكذا رُمِّلَ وضُرِّجَ.

والشاهد فيه: هو ما أشار إليه الشيخ المصنف من زيادة «ما»، وهو كذلك لدى جميع من ذكره مستشهداً به.

انظر: الديوان ٧٧، وفيه «ضرِّجَ»، وكذا الكامل في الأدب ٣: ٩١، الاشتقاق: ٧٧، الأغاني ٥: ٥١، الشعر والشعراء ١: ٢٩٩ ت ٢٨، عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ١٠٤، العقد الفريد ٥: ٢٢٢، معجم الشعراء للمرزبانيّ: ١٢٢ ونسبه لفارس العصا عُصَم بن نعمان، وأبو هلال العسكريّ في الأوائل: ٢٩٤ روى صدره بنحو آخر ولم يؤثّر على الشاهد، شرح ديوان الحماسة للمرزوقيّ ١: ١١٨ ضمن ت ١٥، رسائل الجاحظ: ٢٣٥، زهر الآداب ٣: ٨٧٩، شعراء النصرانيّة: ١٧٩، لسان العرب ٢: ٣١٣، وغيرها.

(١) تعرّضت لهذا جملة من كتب التفسير منها: معاني القرآن للفرّاء ١: ٥٩ ـ ٦٠، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ٢٠٦، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٣٤، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٤٤، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١٠٧، معالم التنزيل للبغويّ ١: ١١٨، زاد المسير ١: ١١٣، الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٦، البحر المحيط ١: ٣٠١ ـ ٣٠٢، الدرّ المصون ١: ٢٩٦.

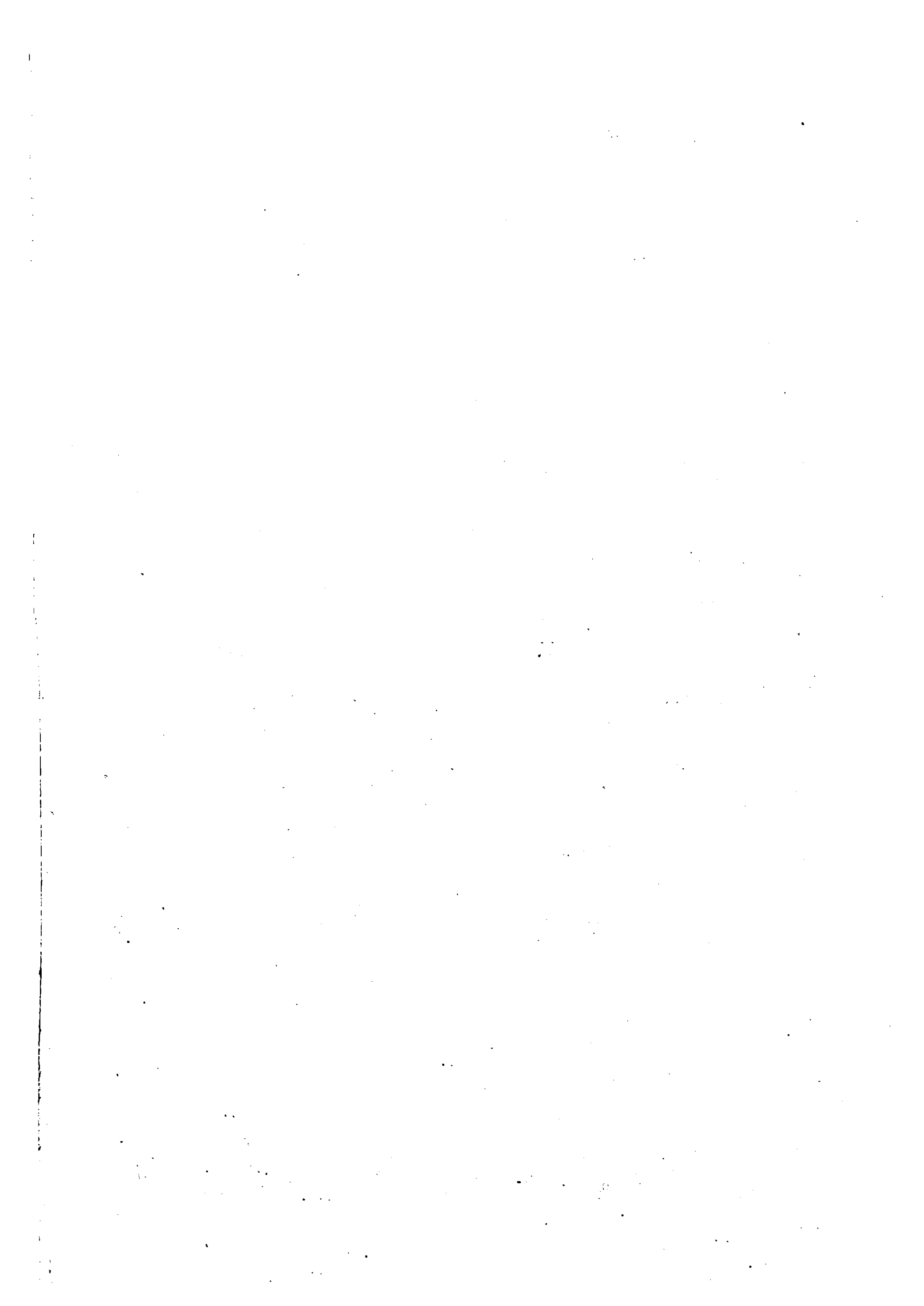
قال : ﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ كما يقول القائل : قلّما رأيت هذا قطّ .

وروي عنهم سماعاً ـ أعني العرب ـ: مررت ببلد قلّما يُنْبِتُ إلّا الكراث والبصل ، يريدون ما ينبت إلّا الكراث والبصل[1] .

---

(١) الراوي للمسموع هو الكسائيّ لدى الأغلب ممّن تقدّم في الهامش السابق ، وراجع : معاني القرآن للكسائيّ «جمع» : ٧٥ .

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ
مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا
لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ
مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا
وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ
بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾



قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٨٩) آية بلا خلاف.

التقدير: ولمّا جاءَ اليهودَ من بني إسرائيل ـ الذين وصفهم الله ـ كتابٌ من عند الله، يعني به القرآنَ الذي أنزله على محمّد ﷺ.

واشتقاق الكتاب من الكَتْبِ، وهو جمع كُتْبَة: وهي الخرزة. وكلُّ ما ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعض، فقد كَتَبْتَه. والكَتِيبَةُ من الجيش من هذا؛ لانضمام بعضِها إلى بعض[1].

وقوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (يعني: مُصَدّق للّذي معهم)[2] من الكُتب التي أنزلها الله قبل القرآن من التوراة والإنجيل وغيرهما.

ومعنى ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: لما في التوراة والإنجيل، والأخبار التي فيها.

ويحتمل أن يكون المراد: مصدّق بأنّ التوراة والإنجيل من عند الله.

و﴿مُصَدِّقٌ﴾ رفع؛ لأنّه نعت للكتاب، ولو نُصب على الحال كان

---

(١) إضافةً لما تقدّم في ١: ٥٤ ـ ٥٥، انظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٩٩، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٧٧٥، تاج العروس ٢: ٣٥١.

(٢) المحصورة زيادة من النسخة «خ».

جائزاً لكن لم يُقرأ به .

وقوله : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال أبو عبيدة : معناه : يستنصرون[١] .

قال ابن عباس : إنّ اليهود كانوا يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلمّا بعثه الله من العرب (كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه)[٢] ، فقال لهم مُعاذ بن جَبَلٍ[٣] وبِشْر بن مَعْرور[٤] : يا معشر يهود اتّقوا الله وأسلِموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمّد ﷺ ونحن أهلُ شرك ، وتخبروننا[٥] بأنّه مبعوث ، (وتصفونه لنا بصفته)[٦] .

---

(١) مجاز القرآن ١ : ٤٧ .

(٢) المحصورة زيادة من النسخة «خ» .

(٣) أبو عبدالرحمن ، مُعاذ بن جَبَل بن عمرو الأنصاريّ الخزرجيّ ، من الصحابة السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة ، وبدراً ، وأُحداً . آخى النبيُّ ﷺ بينه وبين عبدالله ابن مسعود ، روى عن النبيّ العظيم ، وعنه كثير ؛ ولأنّه من أصحاب الصحيفة فكان من أسرع المسارعين لبيعة أبي بكر وإحكامها ، والمتباطئين عن نصرة أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام ، توفّي في طاعون عَمَواس بالشام عام ١٨هـ .
انظر : طبقات خليفة : ١٧٤ ت ٦٣٢ ، طبقات ابن سعد ٣ : ٥٨٣ ، تنقيح المقال ٣ : ٢٢٠ ت ١١٨٧٧ .

(٤) بِشر وقيل : بَشير بن البراء بن مَعْرور الأنصاري الخزرجيّ من أشراف الخزرج ، ومن الصحابة ، وكبار البدريّين ، آخىٰ النبيّ الأكرم ﷺ بينه وبين واقد بن عبدالله التميميّ ، شهد المشاهد وآخرها خيبر ، ومات سنتها ـ سبع للهجرة ـ للأكلة المسمومة التي أكلها مع النبيّ الكريم .
انظر : تنقيح المقال ١٢ : ٣٢٢ ت ٣١٠٤ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٢٦٩ ت ٥٤ ، ومصادرهما .

(٥) في النسخ : تخبرونا . ولا يصحّ ؛ لتجرّد الفعل عن العامل .

(٦) المحصورة زيادة من النسخة «خ» .

فقال لهم سَلَّامُ بن مِشْكَمْ[١]، (أخو بني النَّضير)[٢]: ما جاء بشيء نعرفه، وما هو بالذي كُنّا نَذْكُرُ لكم، فأنزل الله ذلك[٣].

وقال قوم: معنى «يستفتحون»: يستحكمون ربّهم على كفّار العرب[٤] كما قال الشاعر:

[٣٢١] أَلا أَبْلِغْ بَنِي عُصْمٍ رَسُولاً   فَإِنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ[٥]

أي: محاكمتكم.

وقال قوم: معناه يستعلمون من علمائهم صفة نبيٍّ يُبعث من العرب، فكانوا يصفونه، فلما بُعث أنكروه[٦].

وأمّا جواب قوله: **﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾** فقال قوم: تُرك جوابه استغناءً بمعرفة المخاطَبين معناه، كما قال:

---

(١) سَلَّامُ بن مِشْكَمْ، أبو غَنمْ النَضريّ، حَبْرٌ من كبار أحبار اليهود، ومن سادات بني النضير، وأمينهم على أموالهم، معاصر للنبيّ الأكرم، ومن أعدائه وأعداء المسلمين، وزوجته زينب بنت الحارث اليهوديّة التي قدّمت الشاة المسمومة للنبيّ الأكرم عام خيبر لقتله ومن يتناول منها، كان له دور بارز يوم الخندق ضدّ المسلمين.

للتوسعة، انظر: أعلام القرآن: ٤٤٨.

(٢) المحصورة زيادة من النسخة «خ».

(٣) ذكر ذلك في جملة مصادر منها: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٧٢ ت ٩٠٥، سيرة ابن هشام ٢: ١٩٦، دلائل النبوة للأصفهاني ١: ٩٦ ـ ٩٧، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٨، وغيرها.

(٤) هذا هو رأي غالب أهل اللّغة، انظر «فتح» في: العين ١٣: ١٩٤، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٢٢، تهذيب اللّغة ٤: ٤٤٥، جمهرة اللّغة ١: ٣٨٦، المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٢٧٧، لسان العرب ٢: ٥٣٦.

وراجع: معاني القرآن للزجّاج ٥: ١٩، وغيرها.

(٥) تقدّم وما يحيط به برقم: ٣٢١ في ص ٤٩ ضمن تفسير الآية ٧٦.

(٦) ذكر ذلك في مفردات ألفاظ القرآن: ٦٢٢ «فتح».

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[١] فترك الجواب، وكان تقديره: ولو أنّ قرآناً سوى هذا القرآن سُيّرت به الجبالُ لسُيّرتْ بهذا، فتَرك ذلك؛ لدلالة الكلام عليه، فكذلك الآية الجواب فيها محذوف؛ لدلالة قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ عليه[٢].

وقال آخرون: قوله: ﴿كَفَرُواْ﴾ جواب لقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾، ولقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾. ونظيره قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فصار قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جواباً لقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾، ولقوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾[٣].

ومثله في الكلام قولك: ما هو إلّا أنْ جاءني فلان، فلمّا أنْ قعد وسعت له، فصار قولك: وسعت له، جواباً لقولك: ما هو إلّا أن جاءني، ولقولك: فلمّا أنْ قعد.

و﴿جَآءَ﴾ الأوّل للكتاب، وهكذا ﴿جَآءَ﴾ الثاني، قيل: إنّه للرسول، فلذلك كرّر.

وقوله: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾ فقد بيّنّا فيما مضى معنى اللعنة[٤]،

---

(١) سورة الرّعد ١٣ : ٣١.

(٢) هو اختيار الأخفش في معاني القرآن ١ : ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٣) سورة البقرة ٢ : ٣٨. وانظر ما تقدّم في ٢ : ١٢١ ضمن تفسيرها.

(٤) تقدّم في : ١١٩ ضمن تفسير الآية ٨٨.

ومعنى الكفر[1]، فلا وجه لإعادته .

وقد مضى الجواب عمّن يستدلّ بمثل ذلك على أنّ الكافرَ قد يكون عالماً ببعض الأشياء التي أوجبها اللهُ تعالى ، بخلاف ما يذهب إليه أصحاب الموافاة ، وأنّ من عَرَفَ اللهَ فلا يجوز أنْ يُكَفَّر ، وأنّ المعتَمَدَ[2] على ذلك أنْ نقولَ : لا يمتنع أنْ يكونوا قد عَرَفوا اللهَ وكثيراً ممّا وجب عليهم ، لكن لم يكن وقع نظرهم على وجه يستحقّون به الثواب ؛ لأنّ ذلك هو الممنوع منه .

وقد بيّنّا أيضاً شبهة من يتعلّق بذلك من أصحاب الضرورات ؛ لأنّ غايةَ ما في ذلك أنّ القومَ كانوا عارفين فجحدوا ما عَرِفوا . وليس يمتنع أنْ يكونوا عارفين استدلالاً ثمّ جحدوا ، فالضرورة لم يجْرِ لها ذكر[3] .

---

(١) تقدّم في ١ : ١٩٤ ضمن تفسير الآية ٦ .

(٢) هكذا في النسخ عدا «خ» ففيها : للمعتمد .

(٣) سبق وأن تقدّم بحثها في ج ٢ ، ص ١٥٨ ، وحيث كان الحريّ بيانها هناك ، ولجبران ما فات نقول :

إنّ بحث المعرفة ، وهل : أنّها ضرورية أم اكتسابية ، وما هو الضروريّ ، والمعرفة لدىٰ الكفّار ، و . . . موضوعٌ مفصّلٌ ، كلُّ مذهبٍ له رأي فيه ، بل ولعلّ كلَّ عَلَمٍ له رأي ، وعلىٰ كلٍّ تجده ضمن المصادر التالية .

فمن الشيعة للمثالِ راجع : أوائل المقالات (ضمن مصنفات الشيخ المفيد) ٤ : ٦١ ، الذخيرة : ١٥٤ ـ ١٧٠ ، الذريعة إلىٰ أُصول الشريعة ١ : ٢١ ـ ٢٢ ، مجموعة رسائل الشريف ١ : ١٦٢ و١٦٣ ، و٢ : ١٤٣ و٣٢٧ ـ ٣٣٠ و٣٩٠ ـ ٣٩١ وهي للسيّد الشريف المرتضىٰ ، تمهيد الأُصول ٥ ـ ٦ و١٩٠ و١٩٤ و١٩٧ و٢٠٤ و٢٩١ ، الاقتصاد : ١٧٩ و١٩٠ ، العدّة في أُصول الفقه ١ : ١٣ ـ ١٤ وهي للشيخ الطوسيّ ، وغيرها كثير .

ومن العامّة للمثال : المسائل والجوابات في المعرفة (ضمن مجموعة رسائل ☜

قوله تعالى:

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُواْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٩٠) آية.

أصل ﴿بِئْسَ﴾: بَئِسَ من البُؤْسِ، فأُسكنت الهمزةُ ونُقلت حركتُها إلى الباء، كما قالوا في ظَلِلْتُ: ظِلْتُ. وكما قيل للكَبِد: كِبْدٌ، فنقلت حركةُ الباءِ إلى الكاف، لمّا سُكّنتِ الباءُ.

ويحتمل أنْ تكون «بِئْسَ» ـ وإن كان أصْلُها بَئِسَ ـ من لغة من ينقلُ حركةَ العين من «فَعِلَ» إلى الفاءِ إذا كانت عينُ الفعلِ أحد حروف الحلقِ الستّةِ، كما قالوا في لَعِبَ: لِعْبَ، وفي سَئِمَ: سِئْمَ، وهي لغةُ تميم. ثمّ جُعلت دلالة على الذمّ والتوبيخ ووُصِلتْ بـ: (ما)[1].

الجاحظ) ٤: ٤٧ ـ ٦٥، مقالات الإسلاميّين للأشعريّ: ٥١ ـ ٥٣، الانصاف ٢٣ ـ ٢٤، التعريف والإرشاد ١: ١٨٤ ـ ١٨٥، وهما للباقلانيّ، شرح الأصول الخمسة: ٤٨ ـ ٦٧، شرح اللمع ١: ١٤٨ ـ ١٤٩.

ومن المصادر التي جمعت آراء مذاهبهم، راجع: الفرق بين الفِرَق: ١٢٩ ـ ١٣٠ و١٧٢ و١٧٥ و٢٠٦، الملل والنحل: ٨٩ و١٢٢ و١٢٤، وهما للاسفرائني البغدادي، الملل والنحل للشهرستانيّ ١: ٦٩ و٧١ و٧٢ و٨٠، وغيرها من الموارد في الجميع وكذا من المصادر.

(١) «بئس» انظر لها اللّغويات التالية: العين ٧: ٣١٦، المحيط في اللّغة ٨: ٤٠١، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٥٦١، الصحاح ٣: ٩٠٧، لسان العرب ٦: ٢٠، تاج العروس ٨: ١٩٥ مفردات ألفاظ القرآن: ١٥٣، ومع تعليقات العاملي: ١٥٤، «بؤس» فيه وغيرها، وراجع: معاني القرآن للفرّاء ١: ٥٦ ـ ٥٧.

واختلفوا في: ﴿ما﴾ فقال قوم من البصريّين: هي وحدها اسم، و﴿أَنْ يَكْفُرُواْ﴾ تفسيرٌ له، نحو: نِعْم رجلاً زيدٌ، و﴿أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ بدل من ﴿أَنْزَلَ﴾[1].

وقال الفرّاء معناه: بِئْسَ الشيءُ اشتَرَوْا به أنفسَهم أن يَكْفُروا، فـ(ما) اسم ﴿بِئْسَ﴾ و﴿أَنْ يَكْفُرُواْ﴾ الاسمُ الثاني.

وقوله: ﴿أَنْ يَكْفُرُواْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ بَغْياً﴾[2] إن شئتَ جعلت ﴿أَنْ﴾ في موضع رفع، وإنْ شئتَ في موضعِ خفضٍ، فالرفعُ: بئس الشيءُ هذا ﴿أَنْ يَكْفُرُواْ﴾، والخفضُ: بئس الشيءُ اشتروا به أنفسهم بـ ﴿أَنْ يَكْفُرُواْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ بَغْياً﴾.

وفي قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[3] مثلُ ذلك[4].

قال أبو عبيدة: والعربُ تجعلُ (ما) وحدها في هذا الباب بمنزلة الاسم التامّ «في قوله»[5]: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾[6] و«بِئْسَما أَنْتَ»[7]. قال الراجز:

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١ : ٣٢٢، وأشار إليه الزجّاج في معانيه ١ : ١٧٢.

(٢) في النسخ بما فيها المعتمدة «خ»: ﴿أن يُنزل الله من فضله...﴾ والمثبت هو الصحيح؛ لدوران البحث حوله، ويدعمه المصدر: معاني القرآن للفرّاء ١ : ٥٦، فراجع.

(٣) سورة المائدة ٥ : ٨٠.

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٥٦ ـ ٥٧.

(٥) اختلفت النسخ في ضبط المحصورة بينها و: وقوله، كقوله. والمثبت من المعتمدة «خ والمختصرة».

(٦) سورة البقرة ٢ : ٢٧١.

(٧) وهكذا هذه المحصورة، ففي النسخة «هـ»: قولهم: بئسما.

لا تَعْجَلا بِالسَّيْر وَادْلُواهَا

لَبِئْسَماَ بُطءٌ وَلاَ نَرْعَاهَا[١]

[٣٥٢]

قال: ويقولون: لَبِئْسَما تَزْويجٌ ولا مهر، فيجعلون (ما) وحدها اسماً بغير صلة[٢].

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: (نِعِمّا المال للرّجل الصالح)[٣]، فجعلت «ما» اسماً.

وقال قوم: هذا الوجه ضعيف؛ لأنّ هذا القول يكون التقدير: بئس الشيء اشتروا به أنفسهم، فقد صارت «ما» بصلتها اسماً مؤقّتاً؛ لأنّ اشتروا

---

(١) الرجز لزفر بن الخيار المحاربيّ ـ وقيل: المحاذي ـ وفيه عدّة شواهد؛ لذا رزق حظّاً لا بأس به من الشهرة، واختلاف رواية بعضها مؤثّر على الشاهد؛ بل كأنّه غيره، كما روي في الذيل والتكملة والصلة ٥ : ٥٢٢؛ لذا شككت في النسبة.

معنىٰ المفردات: ادلواها: دَلوتُ الناقة: سُقتها سوقاً رفيقاً رويداً بطيئاً. نرعاها: نطلقها للرعي.

المعنى العام: واضح.

ممّن استشهد به لمورده: تهذيب اللّغة ١٤ : ١٧٣ «دال» و١٥ : ٣٦٠ «نبل»، جمهرة اللّغة ١ : ٦٨٢ «دلو»، معجم مقاييس اللّغة «دلا» ٢ : ٢٩٣، المخصص ٣ : ٤١٠، أساس البلاغة «دلى» ١ : ٢٨١، لسان العرب ١٤ : ٢٦٧ «نبل»، تاج العروس «نبل» ١٥ : ٧١٢، شرح الشافية ٤ : ٤٤٩ ت ٢١٦، وغيرها.

(٢) رغم التتبّع لم نجده في مؤلّفاته المتوفّرة (المجاز، الديباج، شرح نقائض جرير والفرزدق، أخبار العقفة والبررة، أيام العرب) ولم نجد من نسب الرأي إلى أبي عبيدة بالرّغم من تعرّضهم للبحث كما سيجيء في هامش ٥ صفحة ١٣٥، وانظر: لسان العرب ٦ : ٢٢ «بأس».

(٣) تجدها في: المصنّف لابن أبي شيبة ١١ : ٣٨١ ت ٢٢٦٢٧ ومصادره، مسند أبي يعلى الموصلي ١٣ : ٢٢٠ ذيل ت ٧٣٣٦ ومصادره، تاريخ دمشق ٤٦ : ١٣٠ ضمن ترجمة عمرو بن العاص ٥٣٥٨، الفائق للزمخشري ٢ : ١١٠ «زعفر»، غريب الحديث لابن سلّام ١ : ٩٤ «زعب»، مسند أحمد ٤ : ٢٠٢، وغيرها، وانظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي ١ : ٣١٦ ت ١٨٩.

فعل ماضٍ وإذا وُصلت بفعل ماضٍ كانت معرفة مؤقّتة، تقديره بئس شراؤهم كفرهم، وذلك غير جائز عنده، فبانَ بذلك فساد هذا القول[١].

وبئس ونعم لا يلقاهما اسم علم كزيد وعمر، وأخيك وأبيك، فإنّما يلقاهما المعرّف بالألف واللام، كقولك: الرجل والمرأة وما أشبه ذلك، فإنْ نزعتَهما نصبت، كقوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلاً﴾[٢]، و﴿سَآءَ مَثَلاً ٱلْـقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَـٰتِنَا﴾[٣] فإنْ كانت نكرةً مضافةً إلى نكرةٍ جاز الرفعُ والنصبُ، كقولك: نِعمَ غلامُ سفرٍ غُلامكَ، بالرّفع والنصب، حكاه الفرّاء[٤][٥].

وقال بعضهم: إنّ ﴿أَنْ﴾ في موضع خفضٍ إن شئْتَ، وإنْ شئْت في موضع رفع، فالخفض أنْ تَرُدّه على الهاء في ﴿بِهِ﴾ على التكرير على كلامين؛ لأنّك قلت: اشتروا أنفسهم بالكفرِ. والرفعُ أنْ يكون مكرراً على موضع ﴿مَا﴾ التي تلي ﴿بِئْسَ﴾، ولا يجوز أن يكون رفعاً على قولك: بِئْسَ الرجلُ عبدُاللهِ[٦].

---

(١) لعلّ مراده ما ذكره الفرّاء في معاني القرآن ١ : ٥٦ ـ ٥٧، وراجع: تفسير جامع البيان ٢ : ٢٤٥ ـ ٢٤٧.

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٥٠.

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٧٧.

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٥٦ ـ ٥٧.

(٥) مسألة «نِعْمَ وبِئْسَ» بُحثت في غالب مصادر العربية بين إجمال وتفصيل، منها: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١٧٢، الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٩٧ ـ ١٢٦ ضمن المسألة ١٤، أسرار العربيّة : ٩٦ ـ ١٠٦ ضمن الباب ١٣، وهما لأبي البركات ابن الأنباريّ، شرح المفصل لابن يعيش ٧ : ١٢٧ ـ ١٤٢، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٤ : ٢٣٧ ـ ٢٥٧ ضمن باب أفعال المدح والذم، وغيرها.

(٦) يظهر أيضاً أنّه أراد الفرّاء في معانيه ١ : ٥٦، وراجع تفسير جامع البيان ٢ : ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

وقال بعضهم: أَولى هذه الأقوال: أن تجعل ﴿بِئْسَمَا﴾ مرفوعاً بالراجع من الهاء في قوله: ﴿ٱشْتَرَوْا بِهِ﴾ كما رفعوا ذلك بعبدالله في قولهم: بِئْسَما عبدُاللهِ، وجَعَلَ ﴿أَنْ يَكْفُرُواْ﴾ مترجماً[1] عن ﴿بِئْسَمَا﴾ فيكون التقدير: بئسَ الشيءُ باع اليهودُ به أنفسَهم كُفرهم بما أنزل اللهُ بغياً وحسداً أنْ يُنزِّل اللهُ من فضلِه. وتكون ﴿أَنْ﴾ التي في قوله: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ في موضع نصب؛ لأنّه يَعني به: أنْ يكفروا بما أنزل الله من أجل أنْ يُنزِّل الله من فضلِهِ على مَن يشاءُ من عبادِهِ، وموضع ﴿أَنْ﴾ «جزاء»[2].

والكسائي جعل ﴿أَنْ﴾ في موضع خفض بنيّة الباء[3].

وإنّما كان النصب أقوى؛ لتمام الخبر قبلها ولا خافض معها، وحرف الخفض إذا كان مضمراً لا يخفضُ به.

ومعنى قوله: ﴿ٱشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: باعوا به أنفسهم ـ على وزن افْتَعَلُوْا ـ من الشراء، وسُمِّي الشاري بهذا؛ لأنّه باع نفسَه ودُنياهُ عِندَهُ، وأكثر الكلام: شَرَيْتُ بمعنى بِعْتُ، واشْتَرَيْتُ بمعنى ابْتَعْتُ، قال يزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيَرِيّ[4]:

---

(١) المراد من الترجمة: عطف البيان أو البدل لدى البصريّين.

(٢) في جميع النسخ: جرّ. والظاهر ما أثبتناه؛ استناداً إلى سياق البحث، وما ورد في معاني القرآن للفرّاء ١: ٥٨، علماً أنّ المراد من الجزاء هو المفعول لأجله. وانظر في ذلك أيضاً: تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٢٤٦.

(٣) معاني القرآن له «جمع د. عكاشة»: ٧٦، حكاه عنه الفرّاء في معاني القرآن ١: ٥٨، والطبريّ في جامع البيان ٢: ٢٤٦، المحرر الوجيز ١: ١٧٨، الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٥٠، ولعلّ غيرهم.

(٤) أبو عثمان، يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرّغ الحميريّ ـ جدّ السيّد الحميريّ الشهيد ـ حليف قريش يقال: إنه كان عبداً للضحّاك الهلاليّ، فحرّره، وكان نديماً لسعيد بن ←

وَشَــرَيْتُ بُــرْداً لَـيْتَنِي مِنْ قَبْلِ بُرْدٍ كُنْتُ هٰامَهْ[1] **[٣٥٣]**

ومعنى قوله : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[2] أي : باعوه .

وربّما استعملت اشتريت بمعنى : بعت ، وشَريتُ بـمعنى : ابـتعت ، والأكثر ما قلناه[3] .

⇐ عثمان بن عفّان ، وهو شاعرٌ اشتهر بالمدح والغزل والهجاء ، وكان شـديد الهـجاء لبني أُميّة ، وأكثر السخرية من عبّاد وعبيدالله ابنا زياد بن أبيه ، وله الأبيات الشهيرة منها :

فأَشْهَدُ أَنَّ إِلَّكَ مِنْ زيـادٍ كإِلِّ الفِيلِ مِنْ وَلَدِ الأَتانِ

مات سنة ٦٩هـ .

راجع لترجمته : طبقات فحول الشعراء ٢ : ٦٨٦ ـ ٨٥٦ ـ ٨٦١ ، الشعر والشعراء ١ : ٣٦٠ ـ ٣٦٤ ت ٤٨ ، الأغاني ١٨ : ٢٥٣ ـ ٢٩٧ ، وفيات الأعيان ٦ : ٣٤٢ ت ٨٢١ .

(١) البيت ١٢ من جملة أبيات المقطوعة ٥١ في الديوان : ٢٠٧ ، وهو بيت رزق حظّاً من الشهرة لكثرة الاستشهاد به .

المعنى : شَرَيْتُ : بِعْتُ ، بُرْداً : غلامه الحبيبُ الذي كان بـمثابة ولده ، هـامة : الموت ، أو طائر نحو البومة .

في المقطوعة عموماً يبدي شدّة تعلّقه وحبّه لغلامه بُردْ ، وجزعه على فراقه له مُكْرهاً .

والشاهد فيه : استعماله «شريت» وأراد ابتعت .

هذا ، ومراجعة مصادر التخريج في الديوان لا تخلو من فائدة .

(٢) سورة يوسف ١٢ : ٢٠ .

(٣) الكلمة من الأضداد كما صرّح به الشيخ المصنّف ، وكذا المصادر اللغويّة التالية : العين ٦ : ٢٨٢ ، تهذيب اللّغة ١١ : ٤٠١ ، الصحاح ٦ : ٢٣٩١ ، المـخصّص ٥ : ٦٢٦ ، و٦ : ٣٦٤ ، و٧ : ٣٢ ، لسان العرب ١٤ : ٤٢٧ ، تاج العروس ١٩ : ٥٦٧ ، في الجميع «شرو ، شرى» . وجمهرة اللّغة ١ : ٣٦٩ «بيع» .

وراجع : مصادر الأضداد ، مـثل : الأضـداد للأنـباري : ٧٣ ت ٣٧ و : ٢٢٨ ت ١٤٣ ، الأضداد لابن الطيّب ١ : ٣٩٢ ، وثلاثة كتب في الأضداد : للأصمعيّ : ٥٩ ⇐

وقوله: ﴿بَغْياً﴾ أي: حسداً وتعدِّياً.

فإن قيل: كيف باعت اليهودُ أنفسَها بالكفر، وهل يُشترىٰ بالكفر شيءٌ؟

قيل: معنى الشراء والبيع ـ عند العرب ـ: هو إزالةُ مِلْكِ المالك إلى غيره بعوض يعْتاضُه منه، ثمّ تَسْتَعمِلُ ذلك في كلّ مُعتاضٍ من عمله عوَضاً خيراً كان أو شرّاً، فيقال: نِعْمَ ما باع فلان نفسَه به، وبئس ما باع به نفسَه. بمعنى نِعْمَ الكَسْبُ كَسْبُها، وبِئْسَ الكَسْبُ كَسْبُها. فكذلك قوله: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ لمّا أوْبقوا أَنْفُسَهم بكفرهم بمحمّدٍ ﷺ وأهلكوها، خاطبهم الله بالعُرف الذي يعرفونه، فقال: بِئْس ما اعْتاضُوا من كُفرِهم باللهِ وتكذيبهم محمّداً ﷺ إذْ كانوا رَضُوا به عِوَضاً من ثواب اللهِ وما أعدّ لهم لو كانوا آمنوا بالله وما أَنزل على أنبيائه بالنّار وما أعدّ لهم بكفرهم بذلك.

ونظيرُ هذه الآية قوله في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[1]. وكان ذلك حَسداً منهم؛ لكون النبوّة في غيرهم.

وقوله: ﴿بَغْياً﴾ نصبٌ؛ لأنّه مفعول له، والمعنى: فساداً، قال

ت ١٠٢ وللسجستانيّ: ١٠٦ ت ١٤٨ ولابن السكّيت: ١٨٥ ت ٣٠٩، والذيل للصّغانيّ: ٢٣٤ ت ٥٢٠، ثلاثة نصوص في الأضداد: لابن سلّام: ٤٥ وللتوزيّ: ٨٨، وللمنشئ: ١٥٣، وغيرها.

وراجع: أمالي المرتضى ١: ٤٤٠، خزانة الأدب للبغداديّ ٤: ٣٢٠ ضمن الشاهد ٣٠٣، الكامل في الأدب ١: ١١٣، أمالي الزجاجيّ: ٤٢، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٢٤٧.

(١) سورة النساء ٤: ٤٤ ـ ٥٤.

الأصمعيّ: مأخوذ من قولهم: بغى الجُرح: إذا فسد. ويجوز أن يكون مأخوذاً من شدّة الطلب للتطاول. وسمّيت الزانية بَغِيّاً؛ لأنّها تُطْلب، وأصل البَغي: الطَلَب[1].

و﴿بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ أي: لأن ينزل الله، وكذلك كلُّ ما في القرآن، ومثله قول الشاعر:

أَتَجْزَعُ أَنْ بَانَ ٱلْخَلِيطُ المُوَدِّعُ ... وَحَبْلُ الصَّفَا مِنْ عَزَّةَ المُتَقَطِّعُ[2] [٣٥٤]

وقوله: ﴿فَبَآءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أي: رجعوا. والمراد رجعت اليهود من بني إسرائيل بعدما كانوا عليه من الاستنصار بمحمّدٍ ﷺ في

---

(١) أشارت إلى هذا جملة من مصادر اللغة في مادّتي «بغي، بغو»، منها: معجم الأصمعيّ: ٤٤، الجمهرة ١: ٣٧٠ و٣: ١٠٢٥، تهذيب اللغة ٨: ٢٠٩، مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٦، المحيط في اللّغة ٥: ١٤١، الغريبين ١: ١٩٨، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٢٧، الصحاح ٦: ٢٢٨١، لسان العرب ١٤: ٧٥، تاج العروس ١٩: ٢٠٤، وغيرها.

(٢) البيت لم نجد من نسبه، ولا من استشهد به قبل الشيخ إلّا الفرّاء في معانيه وابن جرير الطبريّ في جامع البيان ٢٠: ٥٥١، مستشهدَينِ به على ما استشهد به الشيخ المصنف، وهو فتح همزة «أنْ»؛ للمضيّ، وعدم إرادة الجزاء والاستقبال، ومعه يلزم الكسر.

وقد ذكر نحوه في بعض مصادر العربيّة، وهو للفرزدق قائلاً:

أَتَغْضَبُ أَنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا ... جهاراً، وَلَمْ تَغْضَبْ لِقتل ابن خَازِمِ

ويذهب البعض إلى أنّ الوجهين ـ الفتح والكسر ـ قراءتانِ مرويتان صحيحتان.

ويظهر أنّ تتبّع البحث يطول، فالإحالة خير، راجع: معاني القرآن للفرّاء ١: ٥٨، و٢: ١٣٤، و٣: ٢٨، تفسير جامع البيان ٢٠: ٥٥١ عند تفسير الآية ٥ من سورة الزخرف، مغني اللبيب ١: ٢٦ ش ٢٩، وكرّره في: ٣٥ و٣٦، شرح شواهد المغني ١: ٨٦ ش ٢٦، شرح أبيات مغني اللبيب ١: ١١٧ ش٢٩، خزانة الأدب للبغدادي ٩: ٧٨ ش ٦٩٩، البحر المحيط ٨: ٦، إبراز المعاني من حرز الأماني: ٦٧٨ ذيل ت ١٠٢٠.

الاستفتاح به، وبعدما كانوا يُخبرون الناس من قَبلِ مبعثه أنّه نبيٌّ مبعوث مرتدّين على أعقابهم حين بعثه الله نبيّاً بغضب من الله استحقّوه منه بكفرهم وجحدهم نبوّته وإنكارهم إيّاه.

وقال السُّدّيّ: الغضب (الأوّل: حين عبدوا العجل، والثاني: حين كفروا بمحمّد صلى الله عليه وآله.

وقال عطاء وغيره: الغضب الأوّل: حين غيّروا التوراة قبل مبعث محمّد صلى الله عليه وآله، والغضب الثاني: حين كفروا بـ: محمّد صلى الله عليه وآله.

وقال عِكْرِمة والحسن: الأوّل حين كفروا بعيسى عليه السلام، والثاني: حين كفروا بمحمّد صلى الله عليه وآله)[1].

وقد بيّنّا أنّ الغضبَ من الله هو إرادة العقاب بهم[2].

وقوله: ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ معناه: وللجاحدين نبوّةَ محمّد صلى الله عليه وآله عذاب مهين من الله: إمّا في الدنيا، وإمّا في الآخرة.

---

(١) الجملة المحصورة ساقطة من النسخة «خ»، ويدعم الإثبات وجودها في النسخ الأُخرىٰ، واحتمال ذكرها في الهامش وارد لوجود الإشارة عليه، أضف ذكرها في جملة مصادر يشار إليها، وأخيراً ضعف العبارة بدونها.

أمّا المصادر الذاكرة للجميع منها: تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١ : ٢٧٨ ت ٨٣، تفسير جامع البيان ٢ : ٢٥١ ـ ٢٥٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٧٣ ـ ١٧٤ ت ٩١٤ ـ ٩١٧، التفسير الكبير للطبرانيّ ١ : ٢٠٧، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٣٥، تفسير النكت والعيون ١ : ١٥٨، تفسير الوسيط ١ : ١٧٤، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ١٠٨، تفسير معالم التنزيل ١ : ١١٩ ـ ١٢٠، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٩١، تفسير زاد المسير ١ : ١١٤، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٣٨، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٠٦، وانظر: تأويلات أهل السُّنّة ١ : ٧١.

(٢) تقدّم في ١ : ١٤٢ عند تفسير الآية ٧ من سورة الفاتحة.

و﴿مُّهِينٌ﴾ : هو المُذِلُّ صاحبَه ، المُخْزِي ، المُلْبِسَه هواناً وذلّة[١] .

وقيل : إنّ «المُهين» : هو الذي لا يُنتقل منه إلى إعزاز وإكرام[٢] ، وقد يكون غير مُهين إذا كان تمحيصاً وتكفيراً يُنقل بعده إلى إعزاز وتعظيم ؛ فعلى هذا من يُنقل من عذاب النار إلى الجنة لا يكون عذابه مُهيناً .

---

(١) استفادة ذلك صراحةً من المصادر اللّغوية لعلّه بنحو عناية ، انظر «مهن» فيما يلي : العين ٤ : ٦١ ، تهذيب اللّغة ٦ : ٣٢٩ ، المحيط في اللّغة ٤ : ٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٤ : ٣٣٧ ، الصحاح ٦ : ٢٢٠٩ ، لسان العرب ١٣ : ٤٢٤ ، تاج العروس ١٨ : ٥٥٧ ، المعجم المعجمي ٨ : ١٧٣ و٥٣٤ ، مجمع البحرين ٣ : ١٧٣١ .

(٢) خلاف فيمن يستحقّ الخلود في النار ، فيكون عذابه مهيناً مثل الكافر والمشرك ، ومن لا يستحقّ الخلود فلا يكون عذابه مهيناً ؛ لأنّه تمحيص له مثل صاحب الصغيرة من الموحّدين ، وأمّا أصحاب الكبائر من الموحّدين وخصوص المصرّين منهم فذهب بعض إلى الخلود ، وآخرون إلى أنّهم مُرْجَوْنَ للشفاعة واللّطف الإلهيّ ، وعلى كلٍّ البحث طويل بل معركة آراء تتبعّه يخرج بالهامش عن الهامشية ؛ إذ كلٌّ أدلى بدلوه حسب معتقده ومذهبه الكلاميّ ، وحتّى الفلاسفة كان لهم وجهة نظر في ذلك ، فالإحالة خير . راجع :

من الخاصّة للمثال : شرح جُمل العلم والعمل : ١٤٠ ، الذخيرة : ٢٧٦ و٣٠٠ ـ ٣١٥ ، وهما للسيّد الشريف المرتضىٰ ، الاقتصاد فيما يجب على العباد للشيخ الطوسيّ : ٢١٦ ، تلخيص المحصّل للنصير الطوسيّ : ٣٩٧ ، كشف المراد للعلّامة الحلّي : ٤٤٠ ، مناهج اليقين للعلّامة الحلّي : ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ، اللوامع الالهية للمقداد السيوريّ : ٤٧٤ ، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين له أيضاً : ٤٢٣ ، وغيرها كثير .

وأمّا من العامّة فللمثال أيضاً : التعرّف لمذهب التصوّف للكلاباذيّ : ٥٤ ـ ٥٩ ، مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين للأشعريّ : ١٤٨ ـ ١٥١ و٤٧٤ ، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلانيّ : ٣٩٨ ، مجرّد مقالات الشيخ أبو الحسن الأشعريّ لابن فَوْرَك : ١٥٧ ، شرح الأُصول الخمسة للقاضي : ٦٤٤ ، أُصول الدين للبغداديّ : ٢٤٢ ، الإرشاد للجوينيّ : ٣٢٩ ، الفائق في أُصول الدين للملاحيّ : ٤١٧ ، محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين للرازيّ : ٣٤٣ ، وغيرها .

قال المؤرّج[1]: ﴿فَبَآءُوا﴾: استوجبوا اللعنة بلغة جُرْهُم. ولا يقال: باءَ مفردة حتى يقول بكذا وكذا: إمّا بخير وإمّا بشرٍّ[2].

قال أبو عبيدة: ﴿فَبَآءُوا بِغَضَبٍ﴾ احتملوه وأقرّوا به[3].

وأصل البَواءُ: التقرير والاستقرار، قال الشاعر:

أُصَالِحُكُمْ حَتّىٰ تَبُوءُوا بِمِثْلِها كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْها قَبُولُها[4] [٣٥٥]

---

(١) مُؤَرِّج بن عَمْرو بن الحارث السَّدُوسيّ الشيبانيّ، أبو فيد، سكن مرو خراسان، ثمّ قدم بغداد مع المأمون، عُدّ أحد أئمّة أهل الأدب والحديث والتفسير، له مصنّفات عدّة، منها: غريب القرآن، جماهير القبائل، الأمثال، المعاني، الأنواء، وغيرها، صحب الخليل بن أحمد الفراهيديّ وأبا زيد الأنصاريّ، وروىٰ الحديث عن شِعْبَةَ بن الحجّاج وأبي عمرو بن العلا، مات عام ١٩٥هـ، وقيل غير ذلك.

راجع لترجمته: تاريخ مدينة السلام ١٥: ٣٤٦ ت ٧١٦٣، انباه الرواة ٣: ٣٢٧ ت ٧٧٦، سير أعلام النبلاء ٩: ٣٠٩ ت ٩٥، تاريخ الإسلام للذهبيّ (١٩١ ـ ٢٠٠): ٤١٤ ت ٣٢١، معجم الأدباء ٥: ٥٣٦ ت ٩٦٩ ومصادرها.

(٢) انظر ما تقدّم في ٢: ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ضمن تفسير الآية ٦١، على أنّه لم نجد لقول المؤرّج ذكراً في المصادر، وانظر «بوأ» في اللّغويّات التالية: العين ٨: ٤١١، تهذيب اللّغة ١٥: ٥٩٤، المحيط في اللّغة ١٠: ٤٤٣، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٥٦٠، مفردات ألفاظ القرآن: ١٥٨، لسان العرب ١: ٣٧، تاج العروس ١: ١١٦، وانظر: معاني القرآن للزجّاج ١: ١٧٤، الطراز الأوّل ١: ٣٤، المعجم في فقه لغة القرآن ٧: ٦٩.

(٣) في مجاز القرآن ١: ٤٢ و١٦١، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٦ حكاه عنه.

(٤) بيت ١٧ من القصيدة ٢٣ للأعشى الكبير ميمون بن قيس ـ تقدّمت ترجمته في ١: ٥٦ ـ، يخاطب فيها أبناء عمومته الجَحْدَرِيّين مقسماً على عدم صُلحه معهم إلّا أن يبوءُوا بمثل جنايتهم وبغيهم، وينادون بذلك صارخين مثل الحُبلىٰ المُقْرب في المخاض.

المعنى: تبوءُوا: تعودوا، يَسَّرتها: سهلتها وأعانتها علىٰ الولادة، القبول: القابلة أو المُوَلِّدَةُ التي تتلقّى الوليد عند انفصاله.

والشاهد: استعمال «تبوءُوا» بمعنى تحتملوا وتعترفوا.

قوله عزّ اسمه :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنْزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٩١) آية بلا خلاف .

قوله : ﴿بِمَآ أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني : القرآن ، ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعنون : التوراة ، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ﴾ يعني : بما بعده ، قال الشاعر :

تَمَنِّي الأَمَانِيِّ لَيْسَ شَيْءٌ وَرَاءَهَا ... كَمَوْعِدِ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبِ[1] [٣٥٦]

← وقد استشهد به لمورد الشاهد ابن هشام في السيرة النبوية ٢ : ١٩٠ وغيره .

وذكر البيت لشاهدهم جملة مصادر منها : مجاز القرآن ١ : ٣٩٠ ، لسان العرب ١١ : ٥٣٦ ـ ٥٤٧ ، وانظر «بَوَءَ» في المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٤٢٥ ، المخصّص ١ : ٧٤ ، الصحاح ٥ : ١٧٩٥ ، تاج العروس ١٥ : ٥٩٥ مادّة «قبل» ، وأجمعها المعجم في فقه لغة القرآن ٧ : ٦٩ ـ ١١٠ «بوء» .

(١) البيت وخصوصاً العجز منه هو من سوائر الأمثال الشهيرة ذكرته جلّ كتب الأمثال ، منها : موسوعة الأمثال ٥ : ٤٩٦ وحَشَدَ في الهامش كمّاً من مصادره ، كتاب الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر للأصفهانيّ : ٢٥٧ .

أمّا الصدر : فكلّ شاعر نظمه وفق مراده ، والعجز : الأغلب هو المذكور ، إلّا ما ندر .

وعلى كلٍّ لا يعدو المراد منه خُلف الوعد .

هذا وعلى كثرة المصادر المتوفّرة لم نجد بيت الشاهد كما أورده الشيخ رحمه الله .

والشاهد فيه : «وراءها» أي : لا يكون بعدها غير التخيّل والسراب .

ومراجعة هذه المصادر لا تخلو من توضيح وفائدة : جمهرة اللغة ١ : ١٧٣ ، المقرّب لابن عصفور : ١٤٤ ، شرح المفصّل ١ : ١١٣ ، درّة الغوّاص : ٨٨ ، الكتاب لسيبويه ١ : ٢٧٢ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ١٦٦ ، ديوان علقمة الفحل : ٨٢ ب ←

وقال الفرّاء: معنى ﴿وَرَآءَهُ﴾ هاهنا سواه، كما يقال للرجل يتكلّم بالحَسَن: ما وراء هذا الكلام شيء. يُراد به: ليس عند المتكلّم به شيء سوى ذلك الكلام[1].

وكذلك معنى قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ بما سوى التوراة وبما بعده من كُتب الله عزّ وجلّ التي أنزلها إلى رُسله.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً﴾ يعني: القرآن مصدّقاً لما معهم، ونُصب على الحال، ويسمّيه الكوفيّون: على القطع.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ضُمّ على الغاية، وكذلك أخواتها نحو: بعد، وتحت، وفوق، إذا جُعلت غايةً ضُمّت.

وفي ذلك خبر من الله ـ تعالى ذكره ـ أنّهم من التكذيب في التوراة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والقرآن عناداً وخلافاً لأمره وبغياً على رُسله.

وقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: قل يا محمّد ليهود بني إسرائيل ـ الذين قلت لهم: ﴿آمِنُوا﴾ قالوا لك: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ ـ: لِمَ تقتلون ـ إنْ كنتم مؤمنين بما أَنزلَ اللهُ عليكم ـ أنبياءَه وقد حرَّم الله في الكتاب الذي أَنزل عليكم قَتْلَهم، بل أمركم فيه

↩ ٨ ق٣، خزانة الأدب للبغداديّ ١: ٥٨ ضمن ش ٣، العقد الفريد ٣: ٩٠، مجمع الأمثال ٣: ٣٣٠ ت ٤٠٧٠، فصل المقال: ١١٣ ب ٣٢، جمهرة الأمثال ١: ٤٣٣ ت ٨٤٢، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ١٣١ ت ١٨٦، نثر الدرّ للآبيّ ٦: ١١٦ ت ١٢٥.

(١) معاني القرآن للفرّاء ١: ٦٠.

باتّباعهم وطاعتهم وتصديقهم، وفي ذلك تكذيب لهم في قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ وتعييرٌ عليهم.

وقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ وإنْ كان بلفظ الاستقبال المرادُ به الماضي، بدلالة قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وذلك لما مضى كما قال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾[1] أي: ما تَلَتْ. وقال الشاعر:

وَلَقَد أَمُرُّ على اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي ... فَمَضَيْتُ عَنْهُ وَقُلْتُ: لا يَعْنِينِي[2] [٣٥٧]

وفي رواية أُخرى: ثمّتَ قلتُ، يريد بقوله: ولقد أمرّ، مَرَرتُ؛ بدلالة

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٠٢.

(٢) بيت حَكَمِيّ كثير الدوران في مصادر النحو والأدب، فيه أكثر من شاهد لهم، وبعده:

غَضْبانُ، مُمْتلئ عليّ إهابُهُ ... إنّي وَرَبِّك سُخْطُه يُرْضِيني

اختلف في نسبته بين: شِمر بن عمر، وعُميرة بن جابر الحنفيّان، ورجلٌ من بني سلول، ودون نسبةٍ.

اللئيم: الدنئ الطبع أو الخسيس أو البخيل. يعنيني: يقصدني، يريدني.

المعنى: الشاعرُ يُنزّل من سبّه وشتمه وتعرّض له بمنزلة من لا يَعنيه ولا يَقصده؛ احتقاراً له.

والشاهد لدى الشيخ المصنّف وأغلب المصادر الآتية: استعماله الحاضر «أمُرُّ» وإرادة الماضي «مررت»؛ لاستمراره وعدم انقطاعه عن هذه الحالة بحيث تعرف له خُلقاً وطَبعاً وسِيرة، ولعدم صحّة نقض أوّل الكلام بآخره.

للتوسعة والنسبة للأوّل ـ لشمر ـ انظر: الأصمعيات: ٦٣ ت ٣٨ وفيه: «مررت» ومعه لا شاهد فيه.

وللثاني ـ لعميرة ـ: حماسة البُحتري: ٢٠٥ وهو مثل سابقه في عدم الشاهد.

وللثالث لرجل من بني سلول ـ: الكتاب ٣: ٢٢ ت ٥٩٧، البصائر والذخائر ٨: ١١٠ ت ٤٢٣، خزانة الأدب للبغداديّ ١: ٣٥٧ش ٥٥.

وللرابع ـ دون نسبة ـ: الكامل في الأدب ٣: ٨٠، التذكرة الحمدونية ٢: ١٢٣ ت ٢٥١، الأضداد للسجستانيّ (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد): ١٣٢، الصاحبيّ ٣٦٤، أمالي ابن الشجريّ ٣: ٤٨، شرح بانت سعاد للأنصاريّ: ٥٥، وغيرها كثير.

قوله : فمضَيْتُ ، ولم يقل : فأَمضي ، وقال آخر :

وَإِنـــي لآتِـيكُمْ تَشَكُّـرَ مَـامَضَى مِنَ الأَمْرِ واسْتِيجَابَ مَاكَان في غَدِ[1] [٣٥٨]

يعني بذلك : ما يكون في غد ، قال الحطيئة :

شَـهِدَ الحُـطَيْئَةُ حين يَـلقَى رَبَّـهُ أَنَّ الوَلِـيدَ أَحَـقُّ بِـالعُذْرِ[2] [٣٥٩]

---

(١) نَسبَه وبيت قبله إلى الطرمّاح كلُّ من استشهد به ، ويبدو في روايته أكثر من اختلاف ، لا يهم محلّ الشاهد منها شيء ، ولعلّ أهمّها أوّل البيت ، فالظاهر روايته بالفاء (فإنّي) أقوى ؛ لكونه جواب ما تقدّم في البيت السابق عليه وهو :

فَمَنْ كانَ لا يَأْتِيكَ إلّا لِحَاجَةٍ يَرُوحُ لَها حَتّى تُقَضَّى ويَغْتَدِي

تَشَكُّرَ : لأَشْكُرَ ، اسْتِيجَاب : طلب استمرار الجميل .

المعنىٰ : إنّي لأقصدكم وأزوركم ؛ لشكر أياديكم وفضلكم السابق عليَّ ، ولاستمرار ذلك وبقائه .

والشاهد : ما أشار إليه الشيخ المصنّف ﷺ : استعمال الماضي «كان» وإرادة المضارع «يكون» ؛ لما تقدّم في الشاهد السابق .

انظر : شرح الجمل للفراهيديّ : ١١٩ ، الحماسة للبحتريّ : ١٣٢ ، تفسير جامع البيان ٢ : ٢٥٨ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ١٨٠ و٢٤٤ ، الأضداد للأنباريّ : ٦١ ت ٢٩ ، الأضداد للسجستانيّ (ضمن ثلاث كتب في الأضداد) : ١٣٢ ، سرّ صناعة الإعراب ١ : ٣٩٨ ، الخصائص ٣ : ٣٣١ ، أمالي ابن الشجريّ ١ : ٦٧م ٧ و٢ : ٣٥م ٣٨ و٤٥٣م ٦٢ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٧٦ ، وغيرها .

(٢) عندما شرب الخمرَ الوليدُ بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان وصلّى بالناس مخموراً في مسجد الكوفة صلاة الصبح ـ وهي قضية متسالم عليها مشهورة ـ شهد جمع من المسلمين لدى عثمان بذلك فضربه الحدّ ، قال الحطيئة ـ وتقدّمت ترجمته في ٢ : ٢١٣ ـ مقطوعته المختلف في تعداد أبياتها ، وفي بعض ألفاظ بيت الشاهد أيضاً ولا ضير .

المعنى : واضح .

والشاهد : استعمال «شَهِدَ» الماضي وإرادة المستقبل «يَشْهَدُ» لما تقدّم في السابقين .

انظر : إضافةً إلى الديوان رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو ﴿

يعني : يَشْهَدُ .

وقال آخر :

[٣٦٠] فَـما أُضْحِي ولا أَمْسَيْتُ إلّا أرانـي مِـنْكُمُ فـي كَـوَّفانِ[1]

فقال : أُضْحي ، ثمّ قال : ولا أمْسَيْتُ . ومثله : ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[2] ، أي : يستخلده .

وقال بعض الكوفيّين : إنّما قال : ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وأراد به الماضي ، كما يقول القائل موبِّخاً لغيره ومكذِّباً له : لِمَ تكذِب ولِمَ تُبغِّضُ نفسَك إلى الناس؟ قال الشاعر :

[٢٩١] إذا ما انْتَسَبْنا لَمْ تَلِدْني لَئيمَةٌ وَلَمْ تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقِرِّي به بُدّاً[3]

فالجزاء للمستقبَل . والولادةُ كلُّها قد مضت ، وجاز ذلك ؛ لأنّه

الشيبانيّ : ١٧٩ ت ٥٧ ، والديوان بشرح ابن السّكيت : ١١٠ راجع : مجالس ثعلب ٢ : ٣٨٨ ، تفسير جامع البيان ٢ : ٢٥٨ ، العقد الفريد ٤ : ٣٠٨ ، الأغاني ٥ : ١٢٥ ـ ١٢٧ ، سِمط اللآلي ٢ : ٦٧٤ ، ربيع الأبرار ٢ : ١٠٢ ، أنساب الأشراف ٦ : ١٤٢ (٢٤١٠) ، الاستيعاب ٤ : ٥٥٢ ضمن ترجمته ت ٢٧٢١ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٤١٢ ت ٦٧ ، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) : ٦٦٣ ، وهُما للذهبي .

(١) استشهد به جمع لمواردهم ولم ينسبوه ، ورغم التتبّع الكثير لم أعثر على قائله . وقد اختلف في رواية بعض ألفاظ شطره الثاني ولا ضير .

الكوَّفان : بتشديد الواو المفتوحة : الرملة المستديرة ، أو العاصفة .

المعنىٰ : لعلّ مجمل معناه واضح ؛ إذ هو كناية عن العناء والشِّدَّةِ والمشَقَّةِ .

والشاهد لدى الشيخ : ما أشار إليه من استعمال الماضي أو المستقبل ـ أُضحي ولا أَمْسَيْتُ ـ ، وإرادة الحال أو الماضي .

راجع : تفسير جامع البيان ٢ : ٢٥٨ ، الصاحبي : ٣٦٤ وهما لمورد الشاهد .

ولغيره راجع : العباب الزاخر (حرف الفاء) : ٥٥٤ ، لسان العرب ٩ : ٣١١ .

(٢) سورة الهمزة ١٠٤ : ٣ .

(٣) تقدّم البيت والشاعر في ٢ : ٣٩٥ ، فراجع .

معروف[١].

وقال قوم: معناه فَلِمَ ترضون بقتل أنبياء الله إنْ كنتم مؤمنين؟[٢].

وقالت فرقة ثانية: فَلِمَ تقاتلون أنبياء الله؟ فعبّر عن القتال بالقتل؛ لأنّه يؤول إليه[٣].

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٩٢) آية بلا خلاف.

معنى ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ﴾ يعني: جاءَ اليهودَ موسى ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالّة على صدقه وصحّة نبوّته، كقلبِ العصا حيّة، وانبجاسِ الحجر، واليدِ البيضاء، وفَلَقِ البحر، والجرادِ والقُمَّلِ والضفادعِ، وغيرها من الآيات، وسمّاها بيّنات؛ لظهورها، وتبيُّنها للناظرين إليها أنّها معجزة لا يقدر على أن يأتي بها بَشَرٌ، وإنّما هي جمع بيّنة، مثل: طيّبة وطيّبات.

وقوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ﴾ يعني: بعد موسىٰ لمّا فارقهم ومضى إلى ميقات ربّه. ويجوز أنْ تكون الهاء كناية عن المجيء، فيكون التقدير: ثمّ اتّخذتم العجل[٤] من بعد مجيء موسى بالبيّنات[٥] وأنْتُم ظالمون، كما يقول القائل: جئتني فكَرِهْتُك، أي: كرهت مجيئك.

---

(١) إشارة لرأي الفرّاء الكوفيّ في معانيه ١ : ٦٠ ـ ٦١.

(٢) معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٧٥، تفسير الماورديّ ١ : ١٥٩.

(٣) إشارة لرأي الزجّاج في معانيه ١ : ١٧٥.

(٤) كلمة «العِجْلَ»: ساقطة من «خ».

(٥) في «خ»: مجيء البيّنات.

وليس المراد بـ ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا النسق، وإنّما المراد بها التوبيخ والتعجّب والاستعظام؛ لكفرهم مع ما رأوا من الآيات.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ يعني: إنّكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل، وليس ذلك[1] لكم، وعبدتم غير الله وكان ينبغي لكم أن تعبدوا الله؛ لأنّ العبادة لا تكون لغير الله، فأنتم بفعل ذلك ظالمون أنفسكم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٩٣) آية واحدة بلا خلاف.

تقديره: واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم وعُهودَكم بأنْ خذوا[2] ما آتيناكم من التوراة التي أنزلها اللهُ على موسى بجدٍّ واجتهادٍ، ومعناه: اقبلوا ما سمعتم، كما قيل: سمع الله لمن حمده، أي: قَبِلَ اللهُ حَمْدَهُ، قال الراجز:

السَّمْعُ والطَّاعَةُ والتَّسلِيمْ خَيْرٌ وأَعفَى لِفَتَى تَمِيْمْ[3] [٣٦١]

---

(١) في «خ»: ذلكم.

(٢) هكذا في «خ» وفي البواقي: تأخذوا.

(٣) بيت رجزٍ مفرد قائله جُبير بن الضحّاك الضَبيِّ عندما حَصَبَ عبدالله بن عمرو بن غيلانَ الثقفيّ والي معاوية على البصرة أثناء خطبته، هذا وفي رواية بعض المصادر اختلاف ليس بضارّ.

المعنى: واضح.

والشاهد فيه: الابتداء بالغائب ثمّ العود إلى الحاضر أو الخطاب، أو العكس؛ ←

فصار تقدير الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾ بأن ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ واعملوا بما سمعتم وأطيعوا الله ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ من أجل ذلك.

وقوله: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ كأنّ الكلام خَرَجَ مخرج الخبرِ عن الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب، لما تقدّم ذكره من ابتداء الكلام إذا كان حكاية، والعرب تخاطب ثمّ تعود بعد ذلك إلى الخبر عن الغائب ثمّ تخاطب؛ لأنّ قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾ بمعنى: قلنا لكم، فأجبتمونا.

وقوله: ﴿سَمِعْنَا﴾ إخبار من الله تعالى عن اليهود الذين أخذنا ميثاقهم أنْ يعملوا بما في التوراة، وأن يطيعوا الله بما يسمعون، أنّهم قالوا حين قيل لهم ذلك: سمعنا قولك وعصَينا أمرَك.

ويحتمل أن يكون ما قالوه، لكن فعلوا ما يدلّ على ذلك، فقامَ الفعلُ مُقامَ القولِ، كما قال الشاعر:

امْتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي
مَهْلاً رُوَيْداً قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي[1]

[٣٦٢]

للحكاية وهي من الأمور المتعارفة لدى العرب، وقد وضّحه الشيخ بعد أسطر.

راجع لمن استشهد به لمحلّ الشاهد: تفسير جامع البيان ٢: ٢٦٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٦٠، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢: ٢٩١، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٥٥. وانظر: تاريخ الطبريّ ٥: ٢٩٩.

(١) بالرّغم من استشهاد غير واحد من علماء الأدب به؛ لتعدّد ما فيه من الشواهد، مع ذلك لم يُنسب لدى أحد منهم.

المعنى: قطني: أصلها قط، أي: حسبي أو كفاني، أُدخل عليها نون الوقاية وأُضيفت الياء حفظاً لسكون الطاء؛ لأنّها مبنية عليه. رويداً: تصغير أرود، أي:

وقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ فيه وجوه:

أحدها: ما قال قتادة وأبو العالية: وأُشْرِبوا في قلوبهم حبّ العجل[1].

يقال: أُشرب قلبه حبّ كذا وكذا، قال زهير:

فَصَحَوْتُ عَنْها بَعْدَ حُبٍّ داخلٍ ... والحُبُّ يُشْرَبُهُ فُؤَادُكَ دَاءُ[2] **[٣٦٣]**

وقالت أعرابية:

بِأَهْلِيَ مَنْ عَادَى وَنَفْسِي فِداؤُهُ ... بِهِ هامَ قَلْبِي مُنْذُ حِينٍ وَلا يَدْرِي **[٣٦٤]**

هوًى أُشْرِبَتْهُ ٱلنَّفْسُ أَيَّامَ جَهْلِها ... وَلَجَّ عَلَيْهِ ٱلْقَلْبُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ[3]

↩ أنهل.

والشاهد فيه: فعليّة الجواب عوض قوليّته، بدليل عدم تكلّم الحوض.

لمصادره راجع من كتب اللّغة: العين ٥: ١٤، تهذيب اللّغة: ٨: ٢٦٤، الصحاح ٣: ١١٥٣، معجم مقاييس اللّغة ٥: ١٤، وغيرها، في الجميع «قطط».

ومن مصادر الأدب: إصلاح المنطق: ٥٧، الكامل في الأدب ٢: ٩١، مجالس ثعلب ١: ١٥٨، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٩٩، اللّامات للزجّاجيّ: ١٤٠، الخصائص لابن جنّي ١: ٢٣، أمالي الشريف المرتضى ٢: ٣٠٩، سِمط اللآلي: ٤٧٥، الأمالي لابن الشجريّ ٢: ٥١، الإنصاف لابن الأنباريّ: ١٣٠ ت ٨١، شرح المُفصّل لابن يعيش ٢: ١٣١، و٣: ١٢٥، رصف المباني: ٤٢٤ ت ٤٩١، وغيرها.

(١) تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٢٦٣، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٨٠ ت ٨٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٧٦ ت ٩٣٤، تفسير النكت والعيون ١: ١٦٠.

(٢) البيت ٣ من القصيدة ٤١ في ديوان زهير بن أبي سُلمى بشرح ثعلب: ٢٥٣، وفي ملحقات ـ ذيل ـ شرح الأعلم: ٢٠١ ق ٢١.

فصحوت: صرفت قلبي عن حبّها، تُشربه أو يُشرَبُهُ: تدخله.

المعنى: إنّ الحبّ داء تلزمه فؤادكَ.

وقد استشهد به لذلك في تفسير النكت والعيون ١: ١٦٠، وأساس البلاغة للزمخشريّ ١: ٤٨٤ «شرب»، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٣١.

(٣) مع كثرة التتبّع لم نعثر على من ذكره أو من استشهد به.

وقال السُّدّيُّ : لمّا رجع موسى إلى قومه أخذ العجل الذي وجدهم عاكفين عليه ، فذبحه ، ثمّ حَرَّقه[١] بالمبرد ، ثمّ ذَرّاهُ في اليَمِّ فلم يبقَ بحر يجري يومئذٍ إلّا وقع فيه شيء منه ، ثمّ قال : اشْربوا منه ، فشربوا ، فمن كان يُحبُّه خرج على شاربه الذّهب[٢] .

والأوّل عليه أكثر مُحصِّلو المفسّرين وهو الصحيح ؛ لأنّ الماء لا يقال فيه : أُشْرِب منه فلان في قلبه ، وإنّما يقال ذلك في حبّ الشيء على ما بيّنّاه ، ولكن يُترك ذكر الحبِّ ؛ اكتفاءً بفهم السامع لمعنى الكلام ؛ إذ كان معلوماً أنّ العجل لا يُشرب القلبَ ، وأنّ الذي يُشربُ منه حبُّه ، كما قال : ﴿وَاسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[٣] وإنّما أراد أهلَها .

وقال الشاعر :

حَسِبْتَ بُغامَ راحِلَتِي عَناقاً ... وَما هِيَ وَيْبَ غَيْرِكَ بالعَناقِ[٤] [٣٦٥]

وعلى الإجمال ، الأعرابية تُفَدّي نفسها لمن هام قلبُها به ـ وبشدّة ـ حبّاً وشغفاً ، من حيث لا يعلم هو ، ومعترفة أنّ ذلك ـ الهوى والهيام والحبّ ـ كان فيما مضى منذ أيّام الصبا والجهل والطيش .

(١) ذَبَحَهُ : شَقَّهُ ، حَرَّقَهُ : بَرَدَه ، اختلف في ضبط الكلمة بين التشديد والتخفيف ولكلٍّ وجه .

وراجع : هامش لسان العرب ١٠ : ٤٥ .

(٢) ذكرت ذلك جملة من المصادر ، منها : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٧٦ ت ٩٣٣ ، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٢٦٤ ، تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١ : ٢٨٠ ت ٨٩ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٦٠ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ١١٠ ، الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٣٥٢ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٩٤ .

(٣) سورة يوسف ١٢ : ٨٢ .

(٤) اختلف في نسبته بين ثلاثة شعراء متّحدي الكُنيةِ وهي : ذو الخِرَق ، وكذا النسب : الطُّهَوِيُّ وهم : قُرْط أو ابن قُرْط أو قريط أخو سعيدة بن عوف ، وشُمَيْرُ بن

يعني بذلك : حَسِبْتَ بُغامَ راحلتي بُغام عِناقٍ .

وقال طَرفَة بن العَبْد :

أَلَا إنَّني سُقِّيتُ أَسْوَدَ حَالِكاً ألا بَجَلِي مِنَ الشَّرابِ ألا بَجَلْ[1] [٣٦٦]

عبدالله ، والثالث : خَليفَة بن حمل ، ويذهب البعض إلى الاتّحاد والوحدة ولا أقلّ بين اثنين منهم . انظر : معجم الشعراء الجاهليّين : ١٣٦ .

المعنى : الشاعر يخاطب ذئباً فاجأه قائلاً له : حسبت صوت راحلتي صوت انثى المعز ، فرِحْت تحاول اقتناصها وصيدها مستعيناً بآخرين .

البغام : صوت الناقة أو الضبية أو المعز . العَناق : الانثى من المعز . راحلتي : ناقتي أو بعيري . ويب : ويل .

والشاهد ما أشار إليه الشيخ المصنّف‌ﷺ من الاكتفاء ببغام الأُولى عن الثانية مثل : عناقاً ؛ لدلالة التشبيه عليه ، إذ لا يصح تشبيه الصوت ـ البغام ـ بالعناق نفسه .

راجع : دلائل الإعجاز ١ : ٣٠١ ت ٣٥٩ ، مجالس ثعلب ١ : ٦١ ، الجليس الصالح ١ : ٣٩٤ ، النوادر لأبي زيد : ٣٦٦ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ٦٢ ، الإنصاف ١ : ٣٧٢ ، رسالة الملائكة : ٢٢١ ، تذكرة النحاة : ١٨ .

ومن مصادر اللّغة : المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٢٢٢ ، معجم مقاييس اللغة ١ : ٢٧١ ، لسان العرب ١٠ : ٢٧١ «عنق» ، تاج العروس ١٣ : ٣٦١ و١٦ : ٥٦ «عنق» ، «بغم» .

(١) البيت ١٣ من ق ٦ ، لطَرَفَة بن العبد ـ وتقدّم الشاعر في ١ : ١٢٦ ش٤٦ ـ ، ففي الأبيات ١٠ ـ ١٣ يذكر ما قاساه من أذى جرّاء حُبُّ صاحبته الحنظليّة التي أشار إليها في البيت ١٠ .

المعنى : الشاعر يذكر الأيّام التي صرفها في حبِّ الحنظليّة ، وما أداه ذلك لتحمّل السوء والهم والشقاء الحالك سواداً .

الحالك : شديد السواد . أسود حالكاً : قيل : كناية عن كأس المنية ، أو الشراب الفاسد ، أو السمّ ، أو الماء ، ومنه المثل : ما عنده طعام ولا شراب إلّا الأسودان ، قيل : إنّ مصدره نوادر أبي مَسْحَل ١ : ٤٩ ، ولم نعثر عليه ، وهما الماء والتمر العتيق . بجلي : حَسْبي وكفاني .

انظر : الديوان بشرح الأعلم الشنتمريّ : ٩٠ ق ٦ ب ١٣ ، أشعار الشعراء الستّة

يعني بذلك: سُقِّيتُ سُمّاً أسود، فاكتفى بذكر أسود عن ذكر السمّ؛ لمعرفة السّامع بمعنى ما أراد بقوله: سُقِّيتُ أسودَ.

وقال آخر:

[١٠٤] وَكَيْفَ تُواصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ ... خَلالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبِ[1]

أي: كخلالة أبي مرحب.

وقال آخر:

وَشَرُّ المَنايَا مِيتَةٌ وسطَ أهْلِهِ ... .[2] [٣٦٧]

أي: مِيتَةُ مَيِّتٍ.

الجاهليّين للشنتمريّ ٢: ٨٢ ق ٦ ب ١٣، نوادر أبي زيد: ٣٠٧ وفيهما: شَرِبْتُ، عوض: سُقِّيتُ، ولا ضير فيه على الشاهد، تفسير جامع البيان ٢: ٢٦٦، وغيرها.

(١) البيت للنابغة الجعدي وتقدّمت ترجمة الشاعر في ١: ٤٦هـ ٣ والشاهد في ١: ٢٦٠ ت ١٠٤.

(٢) صدر بيت وعجزه:

.... كَهُلْكِ الفَتىٰ أيْقَظَ الحَيَّ حَاضِرُه

وقد نسبه للحطيئة ـ المتقدّم في ٢: ٢١٣ ـ كلّ من ذكره، وإن خلا منه أصل الديوان وورد في التكملة. وقد رزق في محلّ الشاهد اختلافاً معنوياً لا يضرّ بالاستشهاد.

المعنى: المنايا: جمع منيّة، هي الموت.

يقول: شرّ الميتات ميتة الرجل بين أهله وأولاده وحتف أنفه بدون أن يشهد حرباً.

والشاهد وكما أفاده الشيخ المصنف رحمه الله: حذف المضاف «مَيِّت» وإقامة المضاف إليه «مِيتَةَ مَيِّت» مقامه، وهو كذلك لدى كلّ من استشهد به.

للتوسعة انظر: الكتاب ١: ٢٧٤ ش١٨٤، النكت في كتاب سيبويه ١: ٣١٣، أمالي المرتضى ١: ٤٩، طبقات فحول الشعراء ١: ١١٢ ت ١٢٩، شرح السبع الطوال: ٣٧٠، الإنصاف ١: ٦١ ش٢٢، وغيرها، ونضيف لمصادر ترجمته: التبيين في أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٣: ٥ ت ٣٥.

وقد يقول العرب: إذا سرّك أن تنظر إلى السخاءِ، فانظرإلى هَرِمٍ[1] أو إلى حاتَمٍ[2]، فتَجتزئ بذكر الاسم عن ذكر فعله؛ للعلم به.

وقوله: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ معناه: قل يا محمّد ليهود بني إسرائيل: بئس الشيءُ يَأْمرُكم به إيمانُكم إنْ كان يأمرُكم بقتل أنبياءِ اللهِ ورُسله، والتكذيب بكتبه، وجَحدِ ما جاء من عندِه.

وقال الأزهريّ: معنى ﴿إِن كُنتُم﴾ أي: ما كنتم مؤمنين نفياً[3].

والأوّل: أجود.

ومعنى إيمانهم: تصديقهم الذي زعموا أنّهم مصدّقون من كتاب الله إذا قيل لهم: ﴿آمنوا بما أَنزل اللهُ﴾. قالوا: ﴿نؤمن بما أُنزل علينا﴾.

---

(١) هَرِم بن سِنان المرّيّ الذبيانيّ، من أجواد العرب في الجاهليّة، معاصر لحاتم الذي هو أشهر، مات حدود ١٥ ق هـ.

انظر: مجمع الأمثال للميدانيّ ١: ٣٣٦ ت ١٠٠٤، الأعلام ٨: ٨٢.

(٢) حاتَم بن عبدالله بن سعد الطائي القحطانيّ، أبو عدي، فارس جواد، جاهليّ نجديّ، بجوده يُضرب المثل، له شعر ضاع معظمه، مات قبل ولادة النبيّ الأكرم ﷺ بثمان سنين، أي: ح٤٢ ق هـ.

له ترجمة في: الشعر والشعراء ١: ٢٤١ ت ١٨ ق ٤٠١ ـ ٤١٤، نزهة الجليس ١: ٤٢٩، تهذيب تاريخ دمشق لبدران ٣: ٤٢٥، وانظر الأعلام ٢: ١٥١.

(٣) بالرغم من تصريح جمع باستعمال «إن» بمعنى «ما» لم نجد من نسبه إلى الأزهريّ، والأغلب دون نسبة، وكأنّه مجمع عليه مفروغ عنه، ولعلّ نسبته إلى الزّجّاج في معانيه ١: ١٧٥ أصحّ، وراجع: تهذيب اللّغة ١٥: ٥٦٧ فقد صرّح بأنّ «إن» تقع بمعنى ما، المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى: ٥٨١، معاني الحروف للرمانيّ: ٧٥، رصف المبانيّ في شرح حروف المعاني: ١٨٩، وانظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٣٠، تفسير زاد المسير ١: ١١٦، وراجع من كتب اللّغة: العين ٨: ٣٩٦، المحيط في اللغة ١: ٤٢٢، الصحاح ٥: ٢٠٧٤، تاج العروس ١٨: ٣٣ مادة «أنن» فيها وفي غيرها، والحظ تهذيب اللّغة ١٥: ٥٦٢ «أن» و: ٦٢٦، «ما» لعلّ فيها ما ينفع.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إنْ كنتم مُصدِّقين كما زعمتم، فأخبر أنّ تصديقَهم بالتوراة إنْ كان يأمرُهم بذلك، فبئس الأمرُ يأمرهم به. وإنّما ذلك نفيٌ عن التوراة أن تكون تأمر بشيءٍ ممّا يكرهه الله من أفعالهم، وإعلامٌ منه أنّ الذي يأمرهم به أهواؤُهم، وتحمل عليه عداوتهم. وهذا كما يقول الرجل: بئس الرجلُ أنا إنْ رضيتُ بفعلكَ أو ساعدتكَ عليه.

والمعنى: وأُشربُوا فِي قُلُوبهم حبّ العِجلِ بكُفرهِمْ، أي: لإلفهم للكفر وثبوتهم فيه، والكفرُ يدعو بعضُه إلى بعضٍ، ويُحسّن بعضُه بعضاً.

وليس المعنى في قوله: ﴿وَأُشْرِبُواْ﴾ أنّ غيرَهم فعل ذلك بهم؛ بل هم الفاعلون له، كما يقول القائل: أُنْسِيتُ ذلك، من النسيان، ليس تريد به إلّا أنّك فَعلت. وكقولهم: لقد أُوتي فُلانٌ عِلماً جَمّاً، وإن كان هو المكتَسِب له.

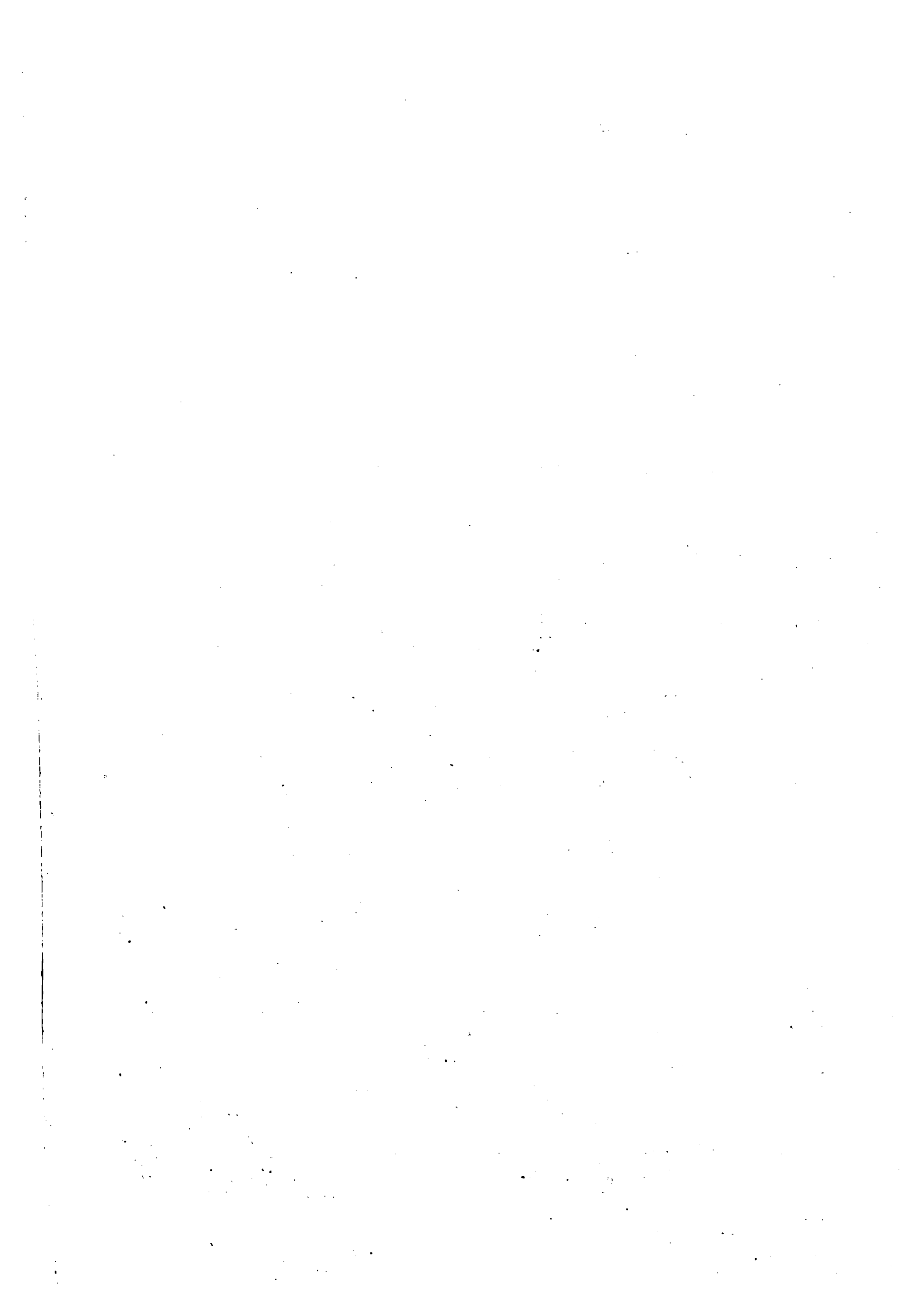
«قال الحسن: الذين»[1] قالوا: سمعنا وعصينا غيرُ الذين رُفع عليهم الطور بأعيانهم، لكنّهم كانوا على منهاجهم وسبيلهم، فأمّا أُولئك بأعيانهم فإنّهم آمنوا إمّا طوعاً وإمّا كرهاً.

والمعنى في (الباء) المتصلة بالكفر أنّهم كفروا بالله بما أُشربوا من محبّة العجل، وليس المعنى في ذلك أنّهم أُشربوا حبّ العجل جزاءً على كفرهم؛ لأنّ محبّةَ العجلِ كفرٌ قبيح، والله لا يفعلُ الكفرَ في العبدِ لا ابتداءً ولا مجازاةً.

---

(١) الجملة المحصورة في النسخ مضطربة، ففي «ؤ»: «والجنس الذين»، وأمّا في «هـ، س، حجري»: «وإنّ الجنس الذي»، وفي «خ والمختصرة»: المثبت، ويساعد عليه السياق، وليس فيه كثير إشكالٍ إلّا نسبة القول إلى الحسن، ولم نجده، وكون الجملة مستأنفة ليس إلّا.

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ
مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ
مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ
إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾



قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِنْدَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٩٤) آية واحدة بلا خلاف.

هذه الآية ممّا احتجّ الله تعالى بتأويلها لنبيّه ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظَهْرانَي مُهاجَرِه وفضَح بها أحبارَهم وعلماءَهم؛ لأنّه دعاهم إلى قضية عادلةٍ بينَه وبينهم فيما كان من الخلاف الواقع بينهم، فقال لفريق من اليهود: إنْ كنتم صادقين أنّ الجنّة خالصةٌ لكم دون النّاس كلّهم، أو دون محمّد وأصحابه الذين آمنوا به فتمنَّوُا الموتَ؛ لأنّ من اعتقد أنّه من أهل الجنّة قطعاً كان الموتُ أحَبَّ إليه من حياةِ الدُّنيا التي فيها النُّغصُ وأنواع الآلام والمشاقّ، ومفارقتها إلى نعيمٍ خالص يتخلّص به من أذى الدنيا.

وقوله: **﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ﴾** وإنْ كان صورتُه صورةَ الأمر فالمرادُ به التوبيخ وإلزام الحجّة.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (...لو أنّ اليهودَ تَمنَّوا الموتَ لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار)[1] فقال الله تعالى لهم: **﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾** تحقيقاً لكذبهم، فقطع على أنّهم لا يُظهرون التمنّي، وفي ذلك أعظمُ الدلالة على صدقه؛ لأنّه أخبر بشيء قبل كونه، فكان كما أخبر؛ لأنّه لا خلاف أنّهم لم يتمنّوا.

وقيل: إنّهم ما تَمنَّوا؛ لأنّهم علموا أنّهم لو تمنَّوا الموت لماتوا ـ كما

(١) تجدها في: مسند أحمد ١: ٢٤٨، السنن الكبرى للنسائيّ ٦: ٣٠٨ ت ١١٠٦١، مسند أبي يعلى ٤: ٤٧١ ت ٢٦٠٤، وانظر تعليقة المحقّق ذيله، تفسير النكت والعيون ١: ١٦١، أحكام القرآن للجصّاص ١: ٤٠، وغيرها.

قاله ـ فلذلك لم يتمنّوه. وهذا قول ابن عباس[١].

وقال غيره: إنّ الله صرفهم عن إظهار التمنّي؛ ليجعل ذلك آية لنبيّه صلى الله عليه وآله[٢].

أمّا التمنّي: فهو قول القائل لِمَا كان: لَيت لم يكن، ولِمَا لم يكن: لَيت كان.

وقال قوم: هو معنى في القلب غير أنّه لا خلاف أنّه ليس من قبل الشهوة. فمن قال من المفسّرين[٣]: إنّه أراد فتشهّوا، فقد أخطأ.

وقد روي عن ابن عباس أنّه قال: فاسألوا الموت[٤]، وهذا بعيد؛ لأنّ التمنّي بمعنى السؤال لا يُعرف في اللّغة.

---

(١) أشير إلى ذلك في جملة مصادر منها: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٤٠ ـ ٤١، تفسير النكت والعيون ١: ١٦١ ـ ١٦٢، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٣٧، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٢٦٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٧٧ ت ٩٣٦ ـ ٩٣٨، تفسير السمعانيّ ١: ١١٠ ـ ١١١، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٩٦، تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١: ٢٨٠ ت ٩٠ ـ ٩١، معاني القرآن للفرّاء ١: ٦٢، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٧٦، الدرّ المنثور ١: ٤٧٢ ـ ٤٧٤، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٥٣ ـ ٣٥٤، دلائل النبوة للبيهقيّ ١: ٢٧٤، وغيرها.

(٢) يظهر أنّ المعنى المذكور متصيّد وليس بلفظي؛ إذ لم نجده في المصادر التالية منسوباً، راجع: تفسير النكت والعيون للماورديّ ١: ١٦٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٥٧، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢: ١٩٤.

واللّغويّات راجع: العين ٨: ٣٨٩، تهذيب اللغة ١٥: ٥٢٩، المحيط في اللّغة ١٠: ٤١٥، مفردات ألفاظ القرآن: ٧٧٧، لسان العرب ١٥: ٢٩٢، تاج العروس ٢٠: ١٩٨.

وصرّح ابن الأثير في النهاية ٤: ٣٦٧ بما هذا لفظه، التمنّي: تشهِّي حُصُولِ الأمر المَرغُوب فيه، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون.

(٣) لعلّه ناظر إلى الطبري في تفسيره جامع البيان ٢: ٢٧٢.

(٤) رواه الطبريّ في تفسيره جامع البيان ٢: ٢٧٢، وعنه السيوطيّ في الدرّ المنثور ١: ٤٧٣.

فإن قيل : من أين أنّهم ما تمنّوه بقلوبهم عند من قال : إنّه معنى في القلب ؟

قلنا : لو تمنّوه بقلوبهم لأظهروه بألسنتهم ؛ حرصاً منهم على تكذيبه في إخباره ، وجَهْداً في إطفاء نوره . وهذه القصة شبيهة بقصة المباهلة ، وأنّ النبيّ ﷺ لمّا دعا النصارى إلى المباهلة امتنعوا ؛ لقلّة ثقتهم بما هم عليه ، وخوفهم من صدق النبيّ ﷺ .

ومعنى ﴿**خَالِصَةً**﴾ صافية يقال : خَلَصَ لي هذا الأمر ، أي : صار لي وحدي ، وصفا لي ، يَخْلُصُ خُلُوصاً وخَالِصَةً . والخَالِصَةُ : مصدرٌ كالعاقبة ، ويقال للرجل : هذا خُلْصاني ، أي : خالِصَتي من دون أصحابي[1] .

قوله عزّ اسمه :

﴿**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّـهُ عَـلِيمٌ بِـالظَّـٰلِمِينَ**﴾ (٩٥) آية بلا خلاف .

أخبر اللهُ تعالى عن هؤلاء الذين قيل لهم : ﴿**فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ**﴾ بأنّهم لا يتمنّون ذلك أبداً . وقد بَيّنّا أنّ ذلك دلالة على صدق النبيّ ﷺ من حيث تضمّنت أنّهم لا يتمنّون ذلك في المستقبل ، وكان كما قال .

وقوله : ﴿**أَبَداً**﴾ نصبٌ على الظرف ، أي : لن يتمنّوه طولَ عُمرِهم ،

---

(١) تجد (خلص) في المصادر التالية : العين ٤ : ١٨٦ ، تهذيب اللغة ٧ : ١٣٧ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٢٩٢ ، المحيط في اللّغة ٤ : ٢٤٦ ، المحكم والمحيط الأعظم ٥ : ٥٨ ، الصحاح ٣ : ١٠٣٧ ، لسان العرب ٧ : ٢٦ ، تاج العروس ٩ : ٢٧٢ ، المعجم في فقه لغة القرآن ١٦ : ٧٢٥ ، وهو أوسع مَنْ جمع شتات المادة .

كقول القائل: لا أكلّمك أبداً، وإنّما يريد ما عِشْتُ.

وقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ معناه: بالّذي قدّمت أيديهم.

ويحتمل أَن يكون المراد: تُقَدِّمُه أيديهم، فتكون ﴿ما﴾ مع ما بعدها بمنزلة المصدر.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ﴾ إنّما خصّ الظالمين بذلك ـ وإنْ كان عالماً بغيرهم ـ لأنّ الغرض بذلك الزجر، كأنّه قال: عليم بمجازاة الظالمين، كما يقول القائل لغيره مهدّداً له: أنا عالم بك بصيرٌ بما تعمله.

وقيل: إنّه عليم بأنّهم لا يتمنّونه أبداً؛ حرصاً على الحياة؛ ولأنّ كثيراً منهم يعلم أنّه مبطلٌ، وهم المعاندون منهم الذين يكتمون الحقّ وهم يعلمون.

قوله عزّ اسمه:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) آية بلا خلاف.

قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والربيع: إنّ المعنِيَّ بقوله: ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ اليهود، وأحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المجوس، وهم الذين ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾؛ لأنّه إذا دعا بعضُهم لبعضٍ يقول له: هزار سال بِزِه[1]: أي:

---

(١) بِزِهْ، أو زِهْ: بمعنى عِشْ، وقد أشار إلى تفصيل ذلك ومنشأه البيروني في الآثار الباقية: ٢٢٣، وقبله ابن أبي حاتم الرازيّ في تفسيره ١: ١٧٩ ت ٩٤٨ عن ﴿

عش ألف سنة ، واليهودُ أحرص على الحياة منهم[1] .

﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ أي : بمباعده من العذاب أنْ يُعمّر ؛ لأنّه لو عمّر ما تمنّى لما دفعه طول العُمْر من عذاب الله على معاصيه . وإنّما وصف اللهُ ـ جلّ وعزّ ـ اليهودَ بأنّهم أحرص الناس على حياة ؛ لِعلْمهم بما قد أُعِدّ لهم في الآخرة على كفرهم ممّا لا يُقِرُّ به أهلُ الشركِ ، فهُم للموت أكرَه من أهل الشركِ الذين لا يؤمنون بالبعث ؛ لأنّهم يؤمنون بالبعث ويعلمون ما لهم هناك من العذاب ، وأنّ المشركين لا يُصدِّقون ببعثٍ ولا عقابٍ ، فاليهود أحرص منهم على الحياة ، وأكره للموت .

وقوله : ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يعني : وما التعميرُ وطولُ البقاءِ بمُزَحزِحهِ من عذابِ الله ، و﴿هُوَ﴾ عمادٌ[2] ؛ لطلب «ما» الاسمَ أكثرَ منْ طلِبها الفعلَ ، كما قال الشاعر :

ابن عباس ، تفسير كتاب الله للهُوّاريّ ١ : ١٢٧ ، وذكره الطبريّ بنحو آخر في تفسيره ٢ : ٢٧٨ . وقد تصحّف لدى بعض المصادر كلٌّ بنحو ، وانظر : سنن سعيد بن منصور ١ : ٥٧٣ ت ٢٠١ ، والحظ تعقيب محقّقه آل حُميد ، المصنَّف لابن أبي شيبة ١٠ : ٤٧٣ ت ١٠٠٢٩ ك فضائل القرآن ، باب ما فسّر بالفارسية ، المستدرك للحاكم ٢ : ٢٦٣ ك التفسير ، ونحوه في التلخيص للذهبي في هامش المستدرك ، تفسير الوسيط ١ : ١٧٧ ، وعنها الدرّ المنثور ١ : ٤٧٥ .

(١) تجد الإشارة إلى ذلك لدى المصادر الآتية وغيرها كلٌّ بنحو : غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٨ ، تفسير كتاب الله للهُوّاريّ ١ : ١٢٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٧٨ ت ٩٤٧ ، تفسير بحر العلوم ١ : ٢ ١٣٩ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٦١ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٦٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٧٧ .

(٢) العِماد : ضَميرُ الفَصْل ، أو الدِّعامَةُ ، أو الصفة ، لدى البصريّين .

.... فهل هُوَ مَرْفُوعٌ بِما هاهنا رأسُ[1] [٣٦٨]

و﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ رفع بـ: ﴿مُزَحْزِحِهِ﴾، وحسنت الباءُ في قوله: ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ كما تقول: فما عَبدَ اللهَ بملازمةِ زَيدٍ. و﴿هُوَ﴾. التي مع ﴿مَا﴾ ذكره عمادٌ للفعل؛ لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة. وقال قوم: إنّ ﴿هُوَ﴾ التي مع ﴿مَا﴾ كناية عن ذكر العُمْر «كأنّه قال: يَوَدُّ أحدُهم أن يُعَمَّرَ ألف سنة، وما ذلك العُمر بمزحزحه من العذاب»[2] وجعلَ ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ مُترجماً عن ﴿هُوَ﴾. يُريدُ: ما هو بمزحزحه «التعمير، وقال أبو العالية: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ»[3] ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ أي: وإن عَمَّرَ.

قال الزجّاج: ﴿وَمَا هُوَ﴾ كناية عن أحدهم، كأنّه قال: وما أحدهُم بمزحزحِهِ من العذاب[4].

وقوله: ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ أي: بمبعده، قال الحطيئة:

---

(١) عجز بيت وصدره:

بثوبٍ ودينارٍ وشاةٍ ودرهم ....

والشاهد: بيت شعر من ثلاثٌ أبيات استشهد بها الفرّاء في معاني القرآن ١: ٥٢، وبعده الطبريّ في تفسيره جامع البيان ٢: ٢٨٠.

يقول: إنّ أبا يحيى ـ المذكور في أوّل الأبيات ـ قد أخذ هذه الرشى ـ الثوب والدينار والشاة ـ وأعطاهم حقّي، ثمّ يخاطبه: فهل أجد ناصراً لأخذ حقّي واسترجاعه منك فأكون مرفوع الرأس بعد هذا.

(٢) الجملة المنصّصة هذا موردها الصحيح بدلالة البحث والسياق، وكذا النسخة «خ»، وأمّا في النسخ «ۆ، هـ، س، الحجرية، والمطبوعات» فقد جاءت بعد نهاية قول الزجّاج بعد أسطر.

(٣) المنصّصة ساقطة من المطبوعات والنسخ، عدا «خ».

(٤) معاني القرآن للزجّاج ١: ١٧٨.

وقالتْ: تَزَحْزَحْ ما بِنا فَضْلُ حاجَةٍ إليكَ وَلا مِنّا لِوَهْيِكَ راقِعُ[١] [٣٦٩]

يعني تباعد، يقال منه: زَحْزَحَهُ يُزَحْزِحُهُ زَحْزَحَةً وزِحْزاحاً[٢]، فتأويل الآية: وما طولُ العمرِ بُمبعدِه من عذاب اللهِ ولا منجيهِ منه؛ لأنّه لابدّ للعمرِ من الفناءِ ومصيره إلى الله تعالى.

وقال الفرّاء: ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ (يريد أحرص من الذين أشركوا)[٣] أيضاً والله أعلم، كقولك: هو أسخى الناس ومن حاتم ومن هَرِم؛ لأنّ تأويل قولك: أسخى الناس، إنّما هو: أسخى من الناس[٤].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ـ قُرئ بالتاء والياء معاً[٥] ـ أي:

---

(١) الحُطيئة تقدّمت ترجمته في ٢ : ٢١٣، وديوانه برواية وشرح ابن السكّيت وغيره خالٍ منه، ولم نجد من استشهد به قبل الشيخ المصنف ﷺ غير الطبري في جامع البيان ٢ : ٢٨١، نعم ذكره الأصفهاني في أغانيه ١٤ : ١٥٧، ونسبه إلى قيس بن الحداديّة ضمن قصيدة عينية طويلة يذكر فيها أيّامه وحبيبته أُمّ مالك الخزاعية، وهكذا الأخفش الصغير في الاختيارين : ٢٢٧ ب ١١ ق ٤١، على أنّ في رواية البيت بعض اختلاف لا يضرّ.

المعنىٰ العام : واضح.

الوهي : الضعف.

راجع : لسان العرب ١٥ : ٤١٧، ونسبه للحُطيئة، تاج العروس ٢٠ : ٣٢١.

(٢) المادّة «زحح» تجدها في : العين ٣ : ١٨، جمهرة اللّغة ١ : ٩٧، تهذيب اللّغة ٣ : ٤١٥، المحيط في اللّغة ٢ : ٣٠٤، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٥٠١، لسان العرب ٢ : ٤٦٨، تاج العروس ٤ : ٧٣، وانظر : عمدة الحفاظ ٢ : ١٣٦، المعجم في فقه لغة القرآن ١٧ : ١٨٥.

(٣) المحصورة مثبتة من النسخة «خ»، ويساعد عليها المصدر.

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٦٢ ـ ٦٣.

(٥) أشارت إلى القراءة جملة من المصادر منها : معاني القراءات للأزهريّ : ٥٨، ﴿

لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالهم ؛ بل هو بجميعها محيط ، ولها حافظ حتى يذيقهم من العذاب .

ومعنى بَصِير : مُبْصِر عند أهل اللّغة ، وسَمِيعٌ بمعنى : مُسْمِع ، لكنّه صُرف إلى فَعِيل في بَصِير وسَمِيع ، ومثله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] بمعنى : مُؤْلِم .

و﴿بديع السموات﴾[2] بمعنى : مُبْدِع[3] .

وعند المتكلّمين المُبصر : هو المدرك للمُبْصَرات ، والبَصِيرُ : هو الحي الذي لا آفة به ؛ لأنّه يجب أن يُبصر المُبْصَرات إذا وُجِدَتْ ، وليس أحدهما هو الآخر ، وكذلك سَمِيعٌ ومُسْمِع[4] .

التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٩ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٥٠ ، الغاية في القراءات العشر : ١٨٢ ، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١ : ٢٩٠ ت ٣٥ .

(١) سورة البقرة ٢ : ١٧٨ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١١٧ .

(٣) راجع : «بصر» في : العين ٧ : ١١٧ ، تهذيب اللّغة ١٢ : ١٧٤ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣١٢ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٣٢٥ ، المحيط في اللّغة ٨ : ١٣٥ ، لسان العرب ٤ : ٦٤ .
و«بدع» : العين ٢ : ٥٤ ، تهذيب اللّغة ٢ : ٢٤٠ ، جمهرة اللّغة ١ : ٢٩٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٣ ، المحيط في اللّغة ١ : ٤٢٩ ، لسان العرب ٨ : ٦ .

(٤) إشارة من الشيخ المصنف ﷺ إلى بحث الصفات الثبوتية ، والفرق بين المراد اللُّغوي والاصطلاحيّ الكلاميّ ، ولمعرفة المزيد أُنظر للمثال :
من الشيعة : أوائل المقالات (ضمن مجموعة مصنّفات الشيخ المفيد) ٤ : ٥٤ ، الذخيرة : ٥٨٣ ـ ٥٨٦ ، شرح جمل العلم والعمل : ٥٥ ـ ٥٦ وهما للسيّد المرتضى ، الاقتصاد : ٧٠ وتمهيد الأُصول : ٤٦٠ وهما للشيخ الطوسيّ ، تقريب المعارف للحلبيّ : ٨٤ ـ ٨٥ ، التعليق في علم الكلام : ٣٩ ، قواعد المرام : ٩٠ ، المنقذ من التقليد ١ : ٥٥ ، كشف المراد : ٣١٣ ـ ٣١٥ ، مناهج اليقين : ١٧٥ ، إعلام الطرائق في الحدود والحقائق ١ : ١٤٥ ـ ١٤٦ ت ٦٠٥ ـ ٦٠٦ ، وغيرها كثير تظهر من خلالها .

وقوله: ﴿يَوَدُّ﴾ تقول: وَدَدْتُ الرجُلَ أَوَدُّ وُدّاً ووَدّاً ووِداداً ووَدَادَةً ومَوَدَّةً، وأَوَدُّ لا يكون ماضيه إلّا وَدِدْتُ[1].

وقال بعض المفسّرين: إنّ تأويل قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ أي: من الناس أجمع، ثمّ قال: وأحرص من الذين أشركوا على وجه التخصيص؛ لأنّ من لا يؤمن بالبعث والنشور يكون حرصه على البقاء في الدنيا أكثر ممّن يعتقد الثواب والعقاب[2].

فإن قيل: أليس نجد كثيراً من المسلمين يحرصون على الحياة، ويكرهون الموت؟ فكيف تدلّ هذه الآية على أنّ اليهود لم يكونوا على ثقة ممّا كانوا يدّعونه من أنّهم أولى به من المسلمين مع أنّ المسلمين يشاركونهم في الحرص علىٰ الحياة وهم علىٰ يقين من الآخرة وما فيها من الثواب والعقاب؟

قيل: المسلمون لا يدّعون أنّ الدار الآخرة لهم خالصة، ولا أنّهم

ومن العامة راجع: مقالات الإسلاميّين للأشعريّ: ٣٦ و١٧٣ ـ ١٧٦، تمهيد الأوائل: ٥٦، الإنصاف: ٢١٢ وهما للباقلانيّ، الغنية في أُصول الدين للجوينيّ: ٨٧، تلخيص الأدلّة لقواعد التوحيد: ٣٣٧، نهاية الأقدام: ٣٤١، محصّل أفكار المتقدّمين: ٢٤٨، أبكار الأفكار ٢: ٢٢٠، شرح المقاصد ٤: ١٣٨ وغيرها كثير أيضاً.

(١) مادة «ودد» ومشتقّاتها تجدها في: العين ٨: ٩٩، جمهرة اللّغة ١: ١١٥، تهذيب اللّغة ١٤: ٢٣٤، المحيط في اللّغة ٩: ٣٩٦، الصحاح ٢: ٥٤٩، المحكم والمحيط الأعظم ٩: ٣٦٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٨٦٠، المخصّص ٥: ٦١٦، لسان العرب ٣: ٤٥٣، تاج العروس ٥: ٣٠٤.

(٢) لعلّه إشارة إلى ما ذهب إليه الزجّاج في معاني القرآن ١: ١٧٨، والسمرقنديّ في تفسيره بحر العلوم ١: ١٣٩، والطبريّ في تفسيره جامع البيان ٢: ٢٧٥، والسَمَرْقَنْدي في تأويلات أهل السُنّة ١: ٧٣، والثعلبي في تفسير الكشف والبيان ١: ٢٣٨.

أحبّاءُ اللهِ، ولا أنّهم من أهل الجنّة قطعاً، كما كانت اليهود تدّعي ذلك، بل هم مشفقون من ذنوبهم يخافون أن يُعذّبوا عليها في النار، فلهذا يشفقون من الموت ويحبّون الحياة؛ ليتوبوا من ذنوبهم ويُصلحوا أعمالهم، ومن كان على يقين ممّا يصير إليه لم يؤثر الحياةَ على الموت، كما رُوي عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال: «لا أُبالي سقطَ الموتُ عليَّ أو سقطتُ على الموت»[1].

وقال عليه السلام: «اللّهمّ سَئِمْتُهم وَسَئِمُوني فَأبدِلْني بهم خَيْراً لي مِنهُم، وأبْدِلهُم بي شَراً منّي»[2].

وقوله عليه السلام: «اللّهمّ عجِّل إليَّ الراحة، وعجِّل لهم الشقوة»[3].

وكما روي عن عمّار[4] أنّه قال يوم صفّين:

---

(١) جملة مشهورة معروفة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ذكرها جمع منهم: أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيّين: ٣٤، والفارسي في الحجّة للقرّاء السبعة: ٤١٦، والراغب الاصفهاني في تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين: ٨٤، والمعتزلي المدائني في شرحه على نهج البلاغة ٦: ١١٧، والبيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١: ٧٠. وقد تمثّل بها حفيده علي الأكبر في عرصة كربلاء.

(٢) هذه قطعة من خطبة له عليه السلام ذكرها جمع منهم: الثقفي في الغارات ٢: ٤٥٩، والمسعودي في مروج الذهب ٣: ٣٤٩ ف ٢٠٨٥، والمغربيّ في شرح الأخبار ٢: ٤٢٩ ح٧٧٩، والشيخ المفيد في الفصول المختارة (ضمن مجموعة مصنّفاته) ٢: ١٦٩، والسيّد الشريف الرضي فيما جَمَعَ في نهج البلاغة من مختار كلامه ١: ٥٩ قطعة من خطبة ٢٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠: ٣٦١ ضمن ت ٩٣٦، والسيّد الحُسيني في مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١: ٣٨٠.

(٣) رغم التتبّع لم نعثر على مصدر لها، ويبدو انفراد الشيخ بروايتها عن مصادره.

(٤) حليف بني مخزوم عمّار بن ياسر، أبو اليقظان، أُمّه سميّة أوّل شهيدة على طريق الحق والإسلام، خاطبهم النبي صلى الله عليه وآله عندما رآهم يُعذّبون في الرمضاء: (صبراً آل ياسر موعدكم الجنّة)، شهد بدراً والمشاهد مع النبيّ الأكرم، وردت في حقّه روايات كثيرة منها: (من عادىٰ عمّاراً عاداه الله، ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله).

اليومَ ألقىٰ الأَحِبَه

مُحَمّداً وَصَحْبَه[1]

[٣٧٠]

وكما قال حذيفة[2] عند الموت : حبيبٌ جاءَ على فاقةٍ ، لا أَفْلحَ مَنْ

ومسجد قبا هو أوّل مسجد بني في الإسلام وعلى يد عمّار ، ومناقبه كثيرة ، فقد أخلص الصحبة بعد النبيّ الأكرمﷺ لأمير المؤمنينعليه‌السلام وشهد معه الجَمل وصفّين وقتل فيها ، وكان النبيﷺ أخبر بذلك قائلاً : (عمّار تقتله الفئة الباغية) وهكذا كان بعد أن نيّف على التسعين حيث لبّى نداء ربّه الكريم شهيداً عارفاً مدافعاً عن الحق ورايته جنب أميره علي بن أبي طالبعليه‌السلام ضدّ طاغية زمانه معاوية عام ٣٧هـ .

مصادر ترجمته كثيرة ، منها : تنقيح المقال ٢ : ٣٢٠ت ٨٥٩٨ ، أُسد الغابة ٣ : ٦٢٦ ت ٣٧٩٨ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٤٠٦ ت ٨٤ ، التبيين في أصحاب الإمام أمير المؤمنينعليه‌السلام ٣ : ٣٧٢ ت ٣٢٧ ومصادرها .

(١) رجزٌ ارتجزه عمّار بن ياسر يوم صفّين في حربه بجانب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ضدّ معاوية بن أبي سفيان وفئته الباغية ، ومخاطباً هاشم بن عتبة : يا هاشم : الجنّة تحت الأبارقة ، أي : السيوف .

راجع : وقعة صفّين : ٣٤٢ ، الطبقات الكبرى ٣ : ٢٥٨ ، الإمامة والسياسة : ١٤٦ ، مناقب أمير المؤمنين ٢ : ٣٥٢ ـ ٨٣٠ ، شرح شهاب الأخبار ١ : ٤٠٧ ت ٣٥٨ ، الاختصاص : ١٣ ـ ١٤ ، المستدرك على الصحيحين ٣ : ٣٩٤ ، شرح نهج البلاغة للمدائني ١٠ : ١٠٤ .

(٢) حُذَيْفَة بن حُسَيْل وقيل حسن ـ اليمان ـ بن جابر العَبْسِيّ ، أبو عبدالله ، صاحب سرّ رسول اللهﷺ ، وكان أعلمه أعيان المنافقين والفتن الجارية بين يدي الساعة ، آخى النبيّ الأكرم بينه وبين عمّار ، عدّ من الأركان الأربعة ، ومن السبعة الذين ضاقت بهم الأرض ، وهم الذين رزقوا ووفّقوا للصلاة على الزهراء مع سيّدهم أمير المؤمنينعليه‌السلام ، ولّاه عمر بن الخطّاب على المدائن ، وقبلها بإجازة أميره علي بن أبي طالبعليه‌السلام ، وكان عليها إلى أن بويع علي بن أبي طالبعليه‌السلام ، له مناقب كثيرة ، ووردت في حقّه روايات ، وبعد ذلك أوصى ولديه بلزوم أمير المؤمنين عليعليه‌السلام واتّباعه ، فكانا معه حتى استشهدا بين يديه بصفّين ، لبّى نداء ربّه الكريم عام ٣٦هـ .

نَدِمْ[1].

قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٧﴾ آية واحدة بلا خلاف.

قرأ ابن كثير ﴿لِجَبْرِيْل﴾ بفتح الجيم وكسر الراء وبعدها ياء ساكنة من غير همز.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر إلّا يحيى: بفتح الجيم والراء، بعدها همزةٌ مكسورةٌ، بعدها ياءٌ ساكنةٌ على وزن «خَزْعَبِيْل».

وروى يحيى كذلك إلّا أنّه حذف الياء بعد الهمزة، فيصير «جَبْرَئِل».

الباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء ساكنة من غير همز.

وقرأ أهل البصرة «ميكال» بغير همز ولا ياء.

وقرأ أهل المدينة بهمزة مكسورة بعد الألف، مثل «ميكاعل» الباقون بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على وزن «ميكاعيل».

قال أبو الحسن الأخفش: في «جبريل» ستّ لغات: جِبرائيل، وجَبرئيل، وجَبرال، وجَبريل، وجِبرال، وجِبريل.

ﷺ خير مَنْ ترجمه: تنقيح المقال ١٨: ١٣٤ ت ٤٧٦٤، التبيين في أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٤: ٢٦٣ ت ٢٣١، وجريدة مصادرهما شاملة.

(١) رويت عنه في جملة من المصنّفات، منها: المصنّف لابن أبي شيبة ١٥: ٣٩ ت ١٩٠٥٠، التعازي والمراثي: ٢٣٢، حلية الأولياء ١: ٢٨٢ ت ٤٢، تاريخ دمشق ١٢: ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ١٢٣١، تهذيب الكمال ٥: ٥٠٩ ت ١١٤٧، بغية الطلب في تاريخ حلب ٥: ٢١٧٣، جامع الأحاديث ١٩: ٣٢٦ ت ١٤٦٨٧ ـ ١٤٦٨٨، كنز العمّال ١٣: ٣٤٦ ت ٣٦٩٧ و٣٩٧٤.

وحكى الزجّاج : بالنون أيضاً بدل اللّام ، وهي لغة بني أسد ، وبتشديد اللّام[1] .

أجمع أهل التأويل على أنّ هذه الآية نزلت جواباً لليهود حين زعموا أنّ جبريل عدوّ لهم ، وأنّ ميكائيل وليّ لهم ، لمّا أُخبروا أنّ جبريل هو الذي ينزل على محمّد ﷺ ، وقالوا : جبريل عدوّنا يأتي بالحرب والجدب ، وميكائيل يأتي بالسلم والخصب ، فقال الله تعالى قل لهم : **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾** إذ كان هو المنزلُ للكتابِ عليه ، فإنّه إنّما نزّله على قلبه بإذن الله

---

(١) تجد هذه القراءات والأقوال في كتب القراءات والتفسير واللغة .

فمن الأُولى للمثال :كلاً من معاني القرآن للكسائي (جمع) : ٧٧ ، والأخفش ١ : ٣٢٤ـ ٣٢٥ ، والزجّاج ١ : ١٧٩ ،السبعة في القراءات : ١٦٦ ت ٣٦ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٥٠ ، الحجّة في القراءات السبع : ٨٥ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٦٤ ، حجّة القراءات : ١٠٧ ، الموضح لابن أبي مريم الفسوي النحوي ١ : ٢٩١ ت ٣٦ ، النشر في القراءات العشر ٢ : ٢١٩ ، وقائمة مصادرها كثيرة .

ومن الثانية : فالتفاسير تعرّضت لها عند الآية هذه (٩٧) من سورة البقرة ، وللمثال انظر : جامع البيان ٢ : ٢٩٤ ـ ٢٩٨ ، التفسير الكبير للطبراني ١ : ٢١٢ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٣٩ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ١١٣ ، معالم التنزيل ١ : ١٢٥ ، المحرّر الوجيز ١ : ٣٠٠ ، مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار ١ : ٤٧٤ ، زاد المسير ١ :١١٧ ، التفسير الكبير ٣ : ١٩٦ ، الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٣٧ ، البحر المحيط ١ : ٣١٧ ، الدرّ المصون ١ : ٣١٢ ، كنز الدقائق ١ : ٣٠٥ ، وغيرها .

ومن الثالثة : فقد تعرّضت لها من كتب اللّغة جملة ضمن مادّة «جبر» وبعضها باختصار والأخرى بتفصيل ، وللمثال انظر : العين ٦ : ١١٥ ، تهذيب اللّغة ١١ : ٥٧ ، المحيط في اللّغة ٧ : ٩٧ و٢٣٥ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٥٩٧ ، الصحاح ٢ : ٦٠٧ ، لسان العرب ٤ : ١١٣ و١١ : ٩٩ (جبرل) ، تاج العروس ٦ : ١٥٨ ، وانظر : عمدة الحفاظ ١ : ١٤٤ ، المعجم في فقه لغة القرآن ٨ : ٨٣٧ ـ ٨٤٤ ، وغيرها .

لا من تلقاء نفسه، وإنّما أنزل ما هو مصدّق لما بين يديه من الكتب التي في أيديهم لا مُكذّباً لها، وإنّه وإن كان فيما أنزل الأمرَ بالحرب والشدّة على الكافرين فإنّه ﴿هُدىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وقوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ولم يقل: على قلبي، كقولك للّذي تخاطبه: لا تقل للقوم: إنّ الخبر عندك، ويجوز أن تقول: لا تقل لهم: إنّ الخبر عندي، وكما تقول: قال القوم: جبريل عدوّنا، ويجوز أن تقول: قالوا: جبريل عدُوّهم.

ولا ينبغي أن يستنكر أحدٌ أنّ اليهود تقول: إنّ جبريل عدوّنا؛ لأنّ الجهل في هؤلاء أكثر من أنْ يُحصى، وهم الذين أخبر الله عنهم بعد مشاهدة فلق البحر والمعجزات الباهرة ﴿ٱجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[٢] وقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[٣].

ومثلُ ذلك طائفة من النّصارى تعادي سُليمانَ فلا تذكره ولا تعظمه ولا تقرّ بنبوّته.

وجبرائيل وميكائيل اسمان أعجميّان أُعربا.

وقيل: إنّ جِبْر: عبد، وإيل: الله، وميكْ: عُبيد[٤].

---

(١) تعرّضت لها المصادر التالية: تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ١: ٧٠، تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ١: ٦٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ١٣٣، الدرّ المنثور ١: ٤٧٥ وما بعدها، فتح القدير للشوكاني ١: ١١٦، وغيرها عند تفسير الآية.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٣٨.

(٣) سورة النساء ٤: ١٥٣.

(٤) انظر ذلك في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٨٢ ت ٩٦٣، ﴿

وضعّف ذلك أبو علي الفارسي من وجهين :

أحدهما : أنّ إِيْل لا يعرفُ في أسماء الله في لغة العرب .

والثاني : أنّه لو كان كذلك لأعرب آخر الكلمة ، كما فُعل ذلك في سائر الأسماء المضافة ، والأمر بخلافه[1] .

وكان سبب نزول هذه الآية ما روي أنّ ابن صوريا[2] وجماعة من يهود أهل فدك ، لمّا قدم النبيعليه‌السلام المدينة سألوه ، فقالوا : يا محمّد كيف نومك ؟ فقد أُخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان؟ فقال : (تنام عيناي وقلبي يقظان) ، قالوا : صدقت يا محمّد ، فأخبرنا عن الوليد يكون من الرجل أو من المرأة؟ فقال : (أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل ، وأمّا اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة) ، قالوا : صدقت يا محمّد ، فما بال الولد يشبه أعمامه ، ليس فيه من شبه أخواله شيء ، أو يشبه أخواله وليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال : (أيّهما علا ماؤُه كان الشبهُ له) ، قالوا : صدقت يا محمّد ، قالوا : فأخبرنا عن ربّك ما هو ؟ فأنزل الله تعالى

---

٩٦٤ ، ٩٦٥ ،تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٤٠ ، تفسير النكت والعيون للماوردي ١ : ١٦٣ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٥٠ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ : ٨٦ ، وغيرها .

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٦٩ ، ولعلّه بتصرّفٍ أو اختلاف النسخ .

(٢) عبدالله بن صُوْرِيا الفِطْيَوْني الأعور اليهودي ، أعلم من في الحجاز من اليهود بالتوراة ، وهو جاحد وحاقد على رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله ، يُعدّ الحبر الأعظم لأهل فدك وما والاها وساكنيها قبل منحها للزهراءعليها‌السلام .

راجع : السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٦١ ، الإصابة ٣ : ٣٢٦ ت ٤٧٦٤ ، أسباب النزول للواحدي : ١٣٥ ت ٤٠ و١٣٦ ، أعلام القرآن للشبستري : ٦١٥ .

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[1] إلى آخر السورة ، فقال له ابن صوريا : خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك واتّبعتك ، أيُّ مَلَكٍ يأتيك بما يُنزل الله لك؟ قال : فقال : (جِبْرِيلَ) . قال : ذلك عدوّنا ينزل بالقتال والشدّة والحرب ، وميكايل ينزل باليسر والرخاء ، ولو كان ميكايل هو الذي يأتيك آمنّا بك ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[2] .

وقوله : ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني : مصدِّقاً لما بين يديه ، ونصب ﴿مُصَدِّقاً﴾ على الحال . والهاءُ في قوله : ﴿نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[3] يا محمّد ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني : القرآن ، ويعني : مصدّقاً لما سلف من كُتب الله أمامه التي أنزلها على رُسله ؛ وتصديقُهُ لها : موافقة لمعانيها في الأمر باتّباع النبيّ عليه السلام وما جاء به من عند الله . وإنّما أَضافه ﴿وَهُدىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ من حيث كانوا المهتدين به ، والعاملين به على ما بيّنّاه فيما مضى[4] .

---

(١) سورة الإخلاص ١١٢ : ١ ـ ٤ ، بالرغم من أنّها مكيةٌ ، والحادثة حصلت في المدينة المنوّرة ، فإنّها من السُّوَر المحمولة بين المدينتين ، راجع : البرهان في علوم القرآن ١ :٢٠٣ .

(٢) لقد ذكرت ذلك جملة من كتب التفاسير بعضها بإجمال وأُخرى بتفصيل ، راجع : تفسير جامع البيان ٢ : ٢٩٤ ـ ٢٩٨ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٢٧ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٣٩ ، تفسير الوسيط ١ : ١٧٨ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٣٩ ، المحرّر الوجيز ١ :٢٩٩ ، التفسير الكبير للرازيّ ٣ : ١٩٤ ، وغيرها كثير ، وكلّها عند تفسير الآية هذه ، وانظر : دلائل النبوة للبيهقيّ ٢ : ٥٢٨ .

(٣) زيادة من النسخة «خ» .

(٤) تقدّم في الجزء ١ : ١٧١ ضمن تفسير الآية ٢ من هذه السورة .

قوله تعالى :

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ فَإِنَّ ٱللَّـهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٩٨) آية .

قد بيّنّا اختلاف القرّاء في جبريل وميكائيل فلا وجه لإعادته[١] .

وجبريل وميكال وإن كانا من جملة الملائكة فإنّما أُفردا بالذكر، لأجل أمرين :

أحدهما : ذُكرا لفضلهما ومنزلتهما، كما قال : **﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾**[٢] ولما تقدّم من فضلهما، وأنّ الآية نزلت فيهما وفيما جرى من ذكرهما .

والثاني : أنّ اليهود لمّا قالت : جبريل عدوّنا وميكال وليّنا، خُصّا بالذكر؛ لئلّا يزعم اليهود أنّ جبريل وميكال مخصوصان من جملة الملائكة، وغير داخلين في جملتهم، فنصّ الله تعالى عليهما؛ لإبطال ما يتأوّلونه من التخصيص، ثمّ قال : **﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** ولم يقل : (فإنّه) وكرّر اسم الله؛ لئلّا يُظنّ أنّ الكناية راجعة إلى جبرائيل أو ميكائيل . ولم يقل : (لهم)؛ لأنّه قد يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالإيمان .

وفي هذه الآية دلالة على خطأ من قال من المجبّرة : إنّ الأمر ليس بمحدث، احتجاجاً بقوله : **﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾**[٣] قالوا : فلمّا أُفرد

---

(١) مضت الإشارة إلى مصادره مفصّلاً في صفحة ١٧٠ و ١٧١، فراجع .

(٢) سورة الرحمن ٥٥ : ٦٨ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٥٤ .

الأمر بالذكر بعد ذكره الخلق دلَّ على أنَّ الأمر ليس بمخلوق[١]، ولو كان الأمر على ما قالوه لوجب أن لا يكون جبريل وميكائيل من الملائكة. ونظير ذلك أيضاً قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّين مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[٢].

قوله:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ (٩٩) آية بلا خلاف.

معنى الآيات يحتمل أمرين:

أحدهما: ذكره البلخيّ وجماعة من أهل العلم: أنّه سائر الآيات المعجزات التي أُعطيها النبيّ ﷺ من الآيات: القرآن وما فيه، وغير ذلك من الدلالات[٣].

---

(١) رأي المجبّرة هذا مع بعض الردّ عليه تجده في المصادر التالية: الإنصاف: ١١٦، تمهيد الأوائل: ٢٧١ وهما للباقلانيّ الأشعري ت ٤٠٣، ومتشابه القرآن: ٢٨٢ ـ ٢٨٥، تنزيه القرآن: ١٤٨، شرح الأصول الخمسة: ٥٤٤، المختصر في أُصول الدين (ضمن رسائل العدل والتوحيد): ٣٤٠، المغني ٧: ١٧٦ ـ ١٧٨، وهذه كلّها للقاضي المعتزليّ عبدالجبّار ت ٤١٥، الاعتقاد والهداية للبيهقيّ الأشعريّ: ٥٧، ت ٤٥٨، إبطال التأويلات لأبي يعلى الفرّاء الحنبليّ: ٢٦٣ و٢٩٤ و٢٩٥ و٣٤١ و٣٤٣ وغيرها، الفائق في أُصول الدين: ١٩٧، المطالب العالية من العلم الإلهيّ ٩: ١٥٦، طبقات المعتزلة: ١٢٤، وغيرها كثير، وراجع عُصرة المنجود للبيّاضيّ: ٢١٢، وغيرها كثير، وما تقدّم في ١: ١١.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٧.

(٣) أُشير إلى ذلك في جملة مصادر من دون اشارة ونسبة إلى البلخيّ، منها في: التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣: ١٩٩، البحر المحيط ١: ٧٥٤، تفسير تبصير الرحمن وتيسير المنان للمهائمي ١: ١١٩، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢:

و[ثانيهما:] قال بعضهم: هي الإخبار عمّا غمض ممّا في كتب الله السالفة من التوراة والإنجيل وغيرهما[١]. وقال ابن عباس: إنّ ابن صوريا القِطْيَوْنِي قال لرسول ﷺ: يا محمّد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أُنزل عليك من آية بيّنة فنتبعك لها. فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[٢].

فإن قال بعض اليهود: أنتم مقرّون بآياتنا ونحن نجحد بآياتكم، فحجّتنا لازمة لكم؛ لأنّها مردودة إلى ما تعترفون به.

قيل لهم: فيجب على هذا ألّا تكون لكم حجّةٌ على الدهرية[٣]

↵ ٣١٧. وانظر: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٦٣، تفسير أبي علي الجبائي «جمع»: ٧٧ ت ٢٣، تفسير أبي مسلم الأصفهاني «جمع»: ٤٤ ت ٢٨، تفسير أبي بكر الأصم «جمع»: ٣٧ ت ١٦، مجمع البيان ١: ٣٣٣.

(١) تفسير جامع البيان ٢: ٣٠٤، البحر المحيط ١: ٥١٧، تفسير الفخر الرازي ٣: ١٩٩، تفسير ابن كثير ١: ٣٤٤.

(٢) أُشير إلى ذلك في السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٩٦، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٨٣ ت ٧٩٠، تفسير جامع البيان ٢: ٣٠٥، تفسير الدرّ المنثور ١: ٤٩٧، أسباب النزول للواحدي: ١٣٦ ت ٤٠، وانظر: الروض الأُنف ٤: ٣٤٨، وأغلب التفاسير عند الآية هذه.

(٣) الدهرية: فرقة من الملاحدة تقول بقدم العالم، وأنّ المادة لا تفنى، وجميع ما حدث ويحدث في العالم إنّما هو فعل الطبيعة لا غير، وهكذا قولهم بقدم الدهر ومنه جاءتهم التسمية؛ إذ هو أبرز آرائهم ومحور كلامهم وبه يُمَيَّزون عن غيرهم، كفّرهم القرآن الكريم في سورة الجاثية: ٢٤ ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

للتوسعة راجع: الحور العين: ١٤٣، المقالاتُ والفِرَق للأشعريّ القميّ: ٦٤ و١٩٤، موسوعة الفِرَق والجماعات والمذاهب: ٣٤٧ ت ٣٥٣، قاموس المذاهب والأديان: ٩٧، دائرة المعارف الإسلامية ٩: ٢٣٧، وغيرها كثير.

والبراهمة[١] والثنويّة[٢] ؛ لأنّهم لا يعترفون بآياتكم .

وإنّما قال : ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ ولم يقل : الكافرون ، وإن كان الكفر أعظم من الفسق ؛ لأحد أمرين :

أحدهما : إنّه عنى الخارجين عن أديانهم وإن أظهروا أنّهم يتمسّكون بها ؛ لأنّ اليهود قد خرجت بالكفر بالنبيّ عليه‌السلام من شريعة موسى ، والفِسْق : هو الخروج عن أمر الله إلى ما يعظم من معاصيه .

والثاني : إنّه أراد الفاسقين المتمرّدين في كفرهم ؛ لأنّ الفِسْق لا يكون إلّا أعظم الكبائر ، فإن كان في الكفر فهو أعظم الكفر ، وإن كان فيما دون الكفر فهو أعظم المعاصي . هذا يجيء على مذهب الحَسَنِ ؛ لأنّه

---

(١) البراهمة : إجمالاً هم الذاهبون إلى أنّ للعالم مدبّراً قديماً قدمَ العالم ليس من جنسهم ، وأنّ عبادة الخالق عن طريق العقل لا الأنبياء ، وأنّ طاعة الخلق تنحصر بالمعرفة لا غير .

وقد وهم بعض في نسبتهم إلىٰ النبيّ إبراهيم عليه‌السلام من جهة الاسم ، وهُم بعد ذلك ثلاث فِرَق : أصحاب البدوة ، أصحاب الفكرة ، أصحاب التناسخ .

للمزيد راجع : الحور العين : ١٤٣ ، الملل والنحل للشهرستانيّ ٢ : ٢٥٠ ـ ٢٥٥ ، كنز الفوائد ١ : ٢٢٤ ، دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٤٩٨ ، قاموس المذاهب والأديان : ٥٠ ،وغيرها .

(٢) الثنويّة : فرقة مجوسيّة تذهب إلى أنّ للعالم أصلين مدبِّرين هُما : إله الخير وإله الشرّ ، أو ما يسمّونهما : بإله النورِ وأنّه حسّاس عالم ، وإله الظلام وأنّه جاهل أعمىٰ ، وأنّهما خالقان متساويان في الأزلية وكلّ شيء ، من أعلامهم : ماني ، مزدك ، ابن الدِّيصان ، زرادشت . وهناك خلاف في تعداد فِرَقهم ، وقد ورد ما يرد عليهم في المصادر الحديثيّة .

للتوسعة راجع : الاحتجاج ١ : ٢٧ ـ ٢٨ وغيرها ، الحور العين : ١٣٩ ، دائرة معارف القرن العشرين ٢ : ٧٧٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ٢١١ ـ ٢٢١ ، الاقتصاد فيما يجب على العباد : ٩٩ ، الملل والنحل للشهرستانيّ ٢ : ٢٥٠ ، قاموس المذاهب والأديان : ٧٠ ، وغيرها .

ذكر أنّ الفاسقين عني به جميع من كفر بها[١].

و﴿قَدْ﴾ تدخل في الكلام لأحد أمرين:

أحدهما: لقوم يتوقّعون الخبر.

أو لتقريب الماضي من الحال[٢]، تقول: قد ركب الأمير وجاءني زيد، وقد عزم على الخروج، أي عازماً عليه.

وهي هاهنا مع لام القسم على تقدير قوم يتوقّعون الخبر؛ لأنّ الكلام إذا أُخرج ذلك المخرج كان أوكد وأبلغ.

والآية: هي العلامة التي فيها عِبرة[٣].

وقيل: العلامة هي الحجّة.

والبيّنة: الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة، مأخوذةٌ من إبانة أحد الشيئين عن الآخر، فيزول التباسه به.

---

(١) قول الحسن هذا أشيرَ إليه في التفاسير التالية وغيرها منسوباً وبدون نسبةٍ راجع: تفسير الكشّاف ١: ٣٠٤، تفسير غرائب القرآن ١: ٣٤٤، البحر المحيط ١: ٥١٨، تفسير أنوار التنزيل ١: ١٢٣، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢: ٣١٨، نظم الدرّ للبقاعيّ ١: ٢٠٤، وغيرها.

(٢) هذا هو الأمر الثاني.

(٣) أشارت إلى هذا من مصادر اللّغة: العين ٨: ٤٤١، المحيط في اللّغة ١: ٤٧٢، الصحاح ٦: ١٩٣، لسان العرب ١٤: ٦١، مفردات ألفاظ القرآن: ١٠١، بصائر ذوي التمييز ٢: ٦٣ ت ١٢، المعجم في فقه لغة القرآن ٤: ٣٨٩، وفي الجميع «أيا» ومن دون القيد. وللاشتقاق راجع: الصحاح أعلاه.

وبالنسبة إلىٰ المفارقة بين الكفر والفسق راجع: تفسير جامع البيان للطبري ٢: ٣٠٦، تفسير القرطبي ٢: ٢٢٦، تفسير ابن كثير ١: ٣٤٤، تفسير البحر المحيط ١: ٥١٧ ـ ٥١٨، البسيط ٣: ١٨٠، منتهىٰ الطلب في تحقيق المذهب ٢: ٤٧٦، الحدائق الناضرة ٤: ١٩٤، الصارم المسلول ٣: ١٠٢٢، تفسير اللباب ٢: ٣١٧، وغيرها كثير.

قوله تعالى:

﴿أَوَ كُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ آية واحدة.

الواو في قوله: ﴿أَوَ كُلَّمَا﴾ عند سيبويه وأكثر النحويّين واو العطف، إلّا أنّ ألف الاستفهام دخلت عليها؛ لأنّ لها صدر الكلام، وهي «أقوى في الاستفهام من غيرها؛ بدلالة أنّ الواو تدخل على هل، ولا تدخل على الألف»[1].

قال الزجّاج وغيره: تقول: وهل زيدٌ عاقل، ولا يجوز: وأزيدٌ عاقل، وقال بعضهم: يحتمل أن تكون زائدة كزيادة الفاء في قولك: أفالله لنصنعن[2].

والأوّل أصحّ؛ لأنّه لا يُحكم بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة. والعطف على قوله: ﴿خُذُواْ مَا ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا

---

(١) المحصورة مختلف ضبطها، ففي «خ»: وهي أم الاستفهام؛ بدلالة أنّ الواو تدخل على هل؛ لأنّ الألف أقوى منها.
وفي «هـ»: المثبت. ولعلّه أوضح بياناً.
وفي الباقي: «س، حجري»: وهي أم الاستفهام؛ بدلالة أنّ الواو تدخل على هل؛ لأنّ الألف أقوى منها. والجميع متقارب في المعنى كما ترى.

(٢) الكتاب لسيبويه ٣: ١٨٧، معاني القرآن للفرّاء ١: ٩٨، معاني القرآن للزّجّاج ١: ١٨١ و٢٤٠، معاني القرآن للأخفش ١: ٣٢٦، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٥٢، البيان في غريب إعراب القرآن للأنباريّ ١: ١١٣، المدخل لعلم التفسير: ٥٩٦، مشكل إعراب القرآن: ٦٣، التبيان في إعراب القرآن للعُكبريّ ١: ٩٧.
وراجع: المحتسب لابن جنيّ ١: ٩٩، أثر المحتسب في الدراسات النحوية: ٤٤٥ ـ ٤٤٧.

وَعَصَيْنَا﴾[١] ﴿أَوَ كُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ .

وإنّما اتّصل ذكر العهد بما قبله لأحد أمرين :

أحدهما : بقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾[٢] .

والثاني : أنّهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات .

والمراد بالعهد هاهنا الميثاقُ الذي أخذه الله ليؤمنُنَّ بالنبيّ الأُمّيّ ، على قول ابن عباس[٣] .

وقال أبو علي[٤] : المعنيّ به العهودُ التي كانت اليهود أعطوها من أنفسهم في أيّام أنبيائهم ، وفي أيّام نبيّنا محمّد ﷺ ؛ لأنّهم قد كانوا عاهدوه ألّا يُعينوا عليه أحداً ، فنقضوا ذلك ، وأعانوا عليه قريشاً يوم الخندق[٥] .

وقوله : ﴿نَّبَذَهُ﴾ النَّبْذُ والطَّرحُ والإلقاءُ نظائرُ[٦] . قال صاحب العين : والنَّبْذُ : طَرْحُكَ الشيءَ عن يدك أمامك أو خلفك . والمنابذة : انتباذُ الفَرِيقَيْنِ للحَرْب ، تقول : نَبَذْنا إليهم على سَواءٍ ، أي : نابذناهم الحرب[٧] .

والمنبوذون هم الأولاد الذين يُطرحون .

(١ و ٢) سورة البقرة ٢ : ٩٣ .

(٣) انظر : تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٤٢ ، معالم التنزيل ١ : ١٢٦ ، وأغلب مصادر الهامش (٥) الآتي .

(٤) كذا في جميع النسخ ؛ ولكن المصادر الآتية في الهامش اللاحق اتّحدت في كون القائل به هو عطاء .

(٥) تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٤٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٨١ ، تفسير معالم التنزيل ١ : ١٢٦ ، تفسير مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار ١ : ٤٧٦ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٤٠ ، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣ : ١ ـ ٢ .

(٦) البحر المحيط ١ : ٣٢٥ ، حيث صرّح بذلك وأضاف إليه موارد الاستعمال لكلّ مفردة ، وعنه : الدرّ المصون ١ : ٣١٨ ، اللباب في علوم الكتاب ٢ : ٣٢١ .

(٧) العين ٨ : ١٩١ ، و٣ : ١٦٩ .

والنبيذ : معروف ، والفعل نَبذتُ لي ولغيري ، وأنبذتُ خاصّة لنفسي ، والمُنابَذة في البيع منهي عنها ، وهي : كالرمي ؛ كأنّه إذا رمى إليه وجب له .

وسُمّي النبيذ نبيذاً ؛ لأنَّ التمر كان يُلقىٰ في الجرّة وغيرها ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، وأصابَ الأرضَ نَبْذٌ من مطرٍ ، أي : قليلٌ[١] .

قال قتادة : معنى نبذه في الآية : نقضه[٢] .

وقيل : تركه[٣] . وقيل : ألقاه[٤] ، والمعنى متقارب ، وقال أبو الأسود

---

(١) «نَبَذَ» تجدها في العين ٨ : ١٩١ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣٠٦ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ٤٤١ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٨٣ ، المحيط في اللّغة ١٠ : ٨٧ ، الصحاح ٢ : ٥٧١ ، مفردات ألفاظ القرآن مع التعليقات : ٦٩٣ ، لسان العرب ٣ : ٥١١ ، تاج العروس ٥ : ٣٩٩ .

(٢) أشارت لقول قَتادة التفاسير : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٨٤ ت ٩٧٥ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٢٩ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٦٣ ، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١ : ٢٤٢ ، معالم التنزيل ١ : ١٢٦ ، وغيرها .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٤٨ ، غريب القرآن لليزيديّ : ٧٧ ، غريب القرآن لابن قتيبة : ٩٥ ت ١٠٠ ، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ١٤٠ .

(٤) المعاني التي أشار إليها الشيخ المصنّف للنبذ لم نجدها مجتمعة في المصادر ؛ بل ذُكرت متفرّقة ، ففي البعض : النبذ : النقض ، وفي أُخرى : الترك ، وثالثة : الإلقاء ، نعم ، اللّهم تفسير الدرّ المصون ١ : ٣١٨ ت ٦٤٢ ، وتفسير البحر المحيط ١ : ٣٢٤ و٥٩١ ، ففي الأوّل ذكر لها خمسة معانٍ ، وفي الثاني : ذكر لها موارد الاستعمال أيضاً .

وللّغة راجع : العين ٨ : ١٩١ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣٠٦ ، تهذيب اللّغة ١ : ٤٤١ ، المحيط في اللّغة ١٠ : ٨٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٨٣ ، الصحاح ٢ : ٥٧١ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٧٨٨ ، لسان العرب ٣ : ٥١١ ، تاج العروس ٥ : ٣٩٩ ، معجم مقاييس اللّغة ٥ : ٣٨٠ ، مجاز القرآن ١ : ٤٨ و٢٤٩ ، و٢ : ١٠٦ ، غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٩ ت ١٠٠ ، غريب القرآن لليزيديّ : ٧٧ ت ١٠٠ .

وللتفسير : تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٢٩ ، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٣٠٩ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٨٤ ت ٩٧٥ ، تفسير ↵

الدؤليّ[١]:

نَــظَرتَ إلى عُــنْوانِــهِ فَــنَبَذْتَهُ   كَنَبْذِكَ نَعْلاً أخْلَقَتْ مِنْ نَعالِكَا[٢] [٣٧١]

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ الهاء والميم عائدتان على المعاهدين، ولا تصلح على الفريق إذ كانوا كلّهم غير مؤمنين. فأمّا المعاهدون: فمنهم من آمن كعبد الله بن سلّام[٣] وكعب الأحبار[٤] وغيرهما.

بحر العلوم للسمرقنديّ ١: ١٤٠، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٦٣، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٤٢، المحرّر الوجيز ١: ٣٠٤.

(١) أبو الأسود الدؤلي تقدّمت ترجمته في صفحة ٣١ عند الشاهد ٣١٥.

(٢) بيت (٦) من القصيدة ٣٦ في الديوان: ١٠٥ برواية السكّري، وكذا في رواية ابن جنيّ: ق ٢٠ ب ٦: ٢٥٧، وفي الملحق الثالث من ملاحق الديوان ق ١٨: ٤٤٥.
الشاعر يخاطب صديقه الحُصين بن الحرّ العنبريّ والي ميسان معرّضاً بقسمة من الغنائم، ومعاتبه بتهاونه بكتابه وعدم النظر فيه، فكتب إليه المقطوعة هذه من ثمانية أبيات، وقد استشهد به في مجاز القرآن ناسباً الأبيات له ١: ٤٨ ت ٥٦، و٢: ١٠٦.
الشاهد فيه: استعمال: نَبَذَ بمعنى: ألقى وترك.

(٣) عبدالله بن سَلّام بن الحارث، أبو يوسف الإسرائيليّ عُدّ من الصحابة؛ لإسلامه عند قدوم النبيّ ﷺ المدينة المنورة، أشملوه المزخرفة الشهيرة عندهم حيث عُدّ من المبشَّرين بالجنّة!!، قيل: إنّه من ذرّيّة نبيّ الله يوسف، لم يوثّق عندنا؛ لأنّه في عداد المتخلّفين عن أمير المؤمنين عليه السلام، قيل: هو صاحب الدواهي والإسرائيليّات، ذهب ليصحب من كان يتولّاهم عام ٤٣هـ.
تنقيح المقال ٣: ١٨٥ ت ٦٣٨٣، سير أعلام النبلاء ٢: ٤١٣ ت ٨٤، تهذيب التهذيب ٥: ٢١٩ ت ٤٣٨، أعلام القرآن: ٦١١، وجريدة مصادره شاملة.

(٤) بهذا أشهر من اسمه كعب بن ماتع الحميري اليماني، من أحبار اليهود، المندسّين بين المسلمين، فقد سالم ـ ولم يُسلم ـ عَهْدَ عمر بن الخطاب، إليه وإلىٰ صاحبه «وهب» تنتهي أسناد أغلب الجعليات الإسرائيلية من أخبار الأوابد والغرائب والعجائب والجعليّات بل والكفريّات التي ما نشروها بين المسلمين إلّا لغرض

وإنّما دخلت ﴿بَلْ﴾ على قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأمرين:

أحدهما: أنّه لمّا قال: ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ دلّ على أنّه كفَر ذلك الفريق بالنّقض. وحَسُنَ هذا التفصيل؛ لأنّ منهم من ينقض عناداً، ومنهم من ينقض جهلاً.

والوجه الثاني: كفَر فريقٌ منهم بالنّقض، وكفَرَ أكثرُهم بالجَحد للحقّ، وهو: أمرُ النبيّ عليه السلام، وما يلزم من اتّباعه والتصديق به.

وقيل: بل يعني: أنّ الفريق وإنْ كانوا هم المعاندين؛ فالجميع كافرون، كما تقول: زيد كريم بل قومه جميع كرام.

وقوله: ﴿أَوَ كُلَّمَا﴾ نصب على الظرف، والعامل فيه: (نَبَذَ)، ولا يجوز أنْ يعمل فيه (عاهدوا)؛ لأنّه متمّم لـ ﴿ما﴾ إمّا صلة وإمّا صفة.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) آية.

قال السُّدّيُّ وأكثر المفسّرين: المعنيُّ بالرسول: محمّدٌ صلى الله عليه وآله[1].

ومرض من هدم الإسلام وتشويهه، ردّ عليه بل حاربه أمير المؤمنين عليه السلام وأبو ذر الغفاري، عُدّ من المنحرفين عن عليّ عليه السلام ولا غرو، ذهب ملتحقاً بأسلافه إلى جهنم في مدينة حمص عام ٣٤هـ.

سير أعلام النبلاء ٣: ٤٨٩ ت ١١١، تاريخ مدينة دمشق ٥٠: ١٥١ ت ٥٨١٧، الغدير ٨: ٣٥٣، و٧: ٣٧٩.

(١) يظهر ذلك من أغلب المصادر التفسيريّة، ولذا أُرسلت إرسال المسلّمات من قِبَل

وقال بعضهم: يجوز أن يعني به هاهنا الرسالة[1]، كما قال كُثَيِّر:

فَقَدْ كَذِبَ الواشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُم   بِلَيْلىٰ وَلا أرسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[2] [٣٧٢]

وهذا ضعيف؛ لأنّه خلاف الظاهر، قليلُ الاستعمال.

والكتاب: يحتمل أن يراد به التوراة، ويحتمل أنْ يُراد به القرآن.

الأكثرية، أُنظر: تفسير جامع البيان ٢: ٣١١، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٨٤ ت ٩٧٧، تفسير مقاتل بن سليمان ١: ١٢٦، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٢٩، تأويلات أهل السُّنّة ١: ٧٥، تفسير بحر العلوم ١: ١٤٠، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٦٣، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٦٤، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١١٤، معالم التنزيل ١: ١٢٧، وغيرها.

(١) أشار إلى هذا المعنى أبو حيّان في تفسير البحر المحيط ١: ٣٢٤، وقبله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: ٣١٦، وذهب إليه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢: ٨٤، واليزيدي في غريب القرآن: ٢٨١.

وقد ذكرته مصادر اللغة التالية: العين ٧: ٢٤٠، الجمهرة: ٧١٩، تهذيب اللّغة ١٢: ٣٩١، المحيط في اللغة ٨: ٣٠٣، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٤٧٢، المخصّص ٧: ٦٢٦، مفردات ألفاظ القرآن: ٣٥٢، لسان العرب ٢٨١/١١، تاج العروس ١٤: ٢٧٩. وانظر: ما تقدّم في تفسير الآية ٧٨.

(٢) نسبته لكُثَيِّر عَزّة المتقدّم في ٢: ٨٩، هامش: ٤ لا شكّ فيها، والخلاف في بعض الألفاظ التي لا أثر لها على الشاهد.

والبيت من جملة قصيدة غزلية، يُكذّب في هذا المقطع منها ما نقله عنه الواشون المغرضون، وينفي أن يكون تكلّمَ عندهم بشيء ممّا حكوه عنه أو أرسلهم برسالة لمحبوبته.

والشاهد: استعمال رسول وإرادة رسالة، وهو شاهد كلّ مَنْ ذكره.

انظر: الديوان: ١٧٦ ق ٩٨ ب ١٤، مجاز القرآن ٢: ٨٤، معاني القرآن للزجّاج ٤: ٨٥، أمالي القالي ٢: ٦٣ ـ ٦٤، ديوان الأدب ١: ٣٩٥، تهذيب اللغة ١٢: ٣٩١، الصحاح ٤: ١٧٠٩، وغيرها من مصادر اللغة المشار إليها في هامش: ١ المتقدّم آنفاً، تفسير جامع البيان ١٩: ٤١، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٣: ٩٣، وغيرها.

قال السُّدّيُّ: نبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسِحر هاروت وماروت. يعني: أنّهم تركوا ما تدلّ عليه التوراة من صفة النبيّ عليه السلام.

وقال قَتادةُ وجماعةٌ من أهل العلم: إنّ ذلك الفريق كانوا معاندين.

وقال أبو عليّ: لا يجوز على جماعتهم أن يكتموا ما عَلِموا مع كثرة عدوّهم، واختلاف هممهم؛ لأنّه خلاف العادة؛ ولكن يجوز على الجمع الكثير أن يتواطؤوا على الكتمان، ولذلك قال: **﴿فَرِيقٌ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾**[1].

وقوله: **﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾**:

يحتمل أمرين:

أحدهما: مصداق[2] لما معهم؛ لأنّه جاء على الصفة التي تقدّمت بها البشارة.

والثاني: أنّه مصدّق بالتوراة أنّها حقٌّ من عند الله.

والأوّل أحسن؛ لأنّ فيه حجّة عليهم، وعبرة لهم[3].

وقال الحسن: **﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾** من التوراة والإنجيل.

---

(١) مؤلّفات أبي علي الجُبّائيّ لا أثر لها في المكتبة الإسلامية إلّا الاسم، والموجود جمع.

(٢) في النسخ: مصدّق، والمثبت من: «خ» وتساعد عليه المختصرة، ولعلّه الأنسب.

(٣) وافقت تفسير التبيان مصادر ولكنّها أشارت لذلك في الآية ٨٩ والقليل منها هنا، وعلى كلٍّ انظر: معاني القرآن وإعرابه ١: ١٧١، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٢٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٧١ ت ٩٠٢، و١٨٤ ت ٩٧٧، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٧ ـ ١٥٨، تفسير بحر العلوم ١: ١٣٦، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١٠٧ و١١٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٨٩ و٣٠٤، تفسير البحر المحيط ١: ٣٢٥، تفسير معالم التنزيل ١: ١٢٧ و١١٨ ـ ١١٩، تفسير مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار ١: ٤٧٤، التفسير الكبير للفخر ٣: ٢٠١، وغيرها.

وقال غيره : يصدِّق التوراة ؛ لأن الإخبار هاهنا إنّما هو[1] عن اليهود دون النصارى .

وإنّما قال : ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ ولم يقل : منهم ـ إذ تقدّم ذكرهم ـ لأحد أمرين :

أحدهما : أنّه لمّا ارتدّ[2] علماء أهل الكتاب أُعيد ذكرهم ؛ لاختلاف المعنى ، على قول البلخيّ[3] .

والثاني : أنّه للبيان .

وكان يجوز النصب في ﴿مُصَدِّقٌ﴾ ؛ لأنّ كتاباً قد وصف بقوله : ﴿مِّنْ عِنْدِ ٱللَّهِ﴾ على ما قاله الزجّاج[4] .

وقوله : ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه : أنّهم يعلمون ، وكأنّهم لكفرهم وكتمانهم لا يعلمون .

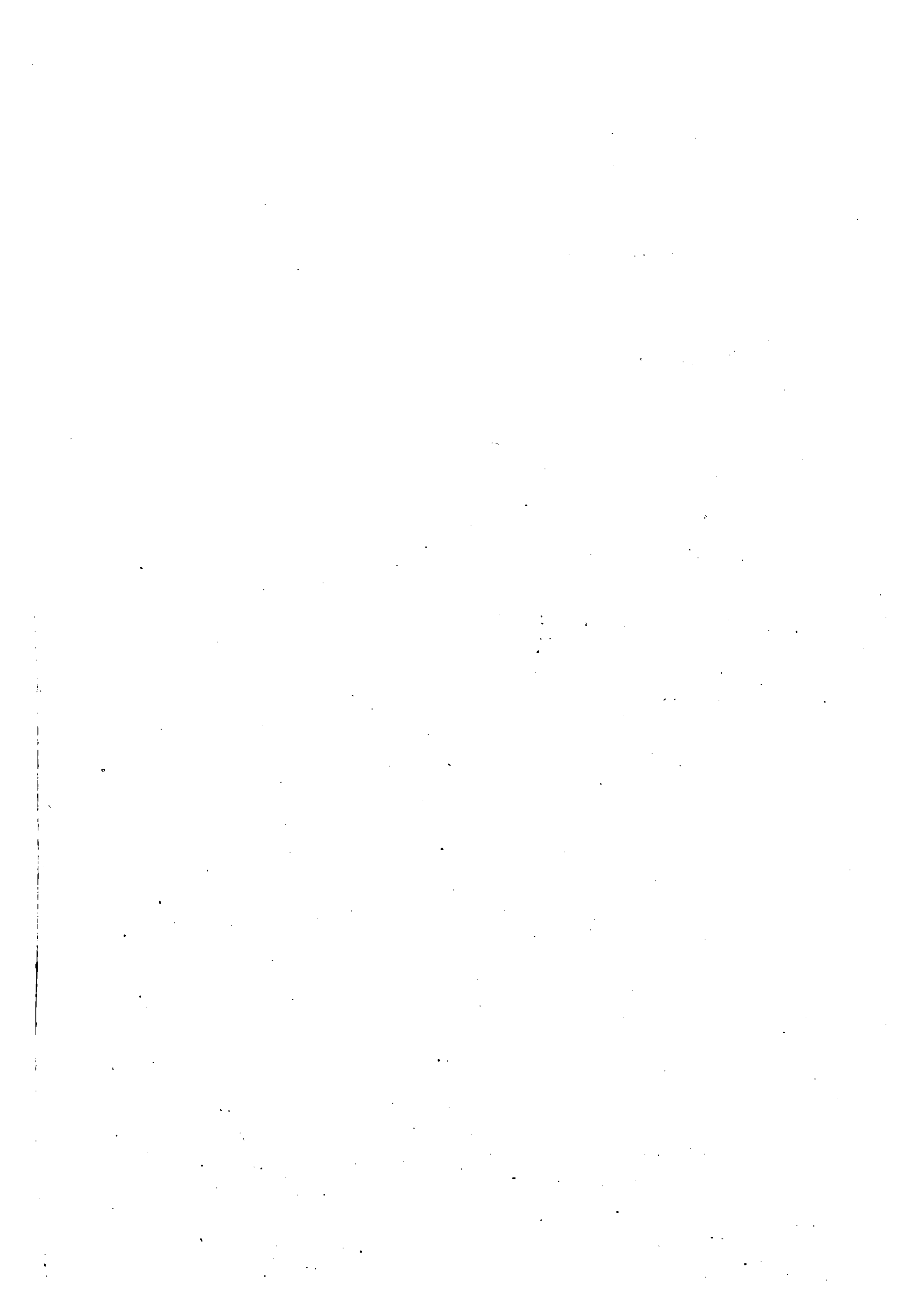
---

(١) «إنّما هو» زيادة من النسخة : «خ» .

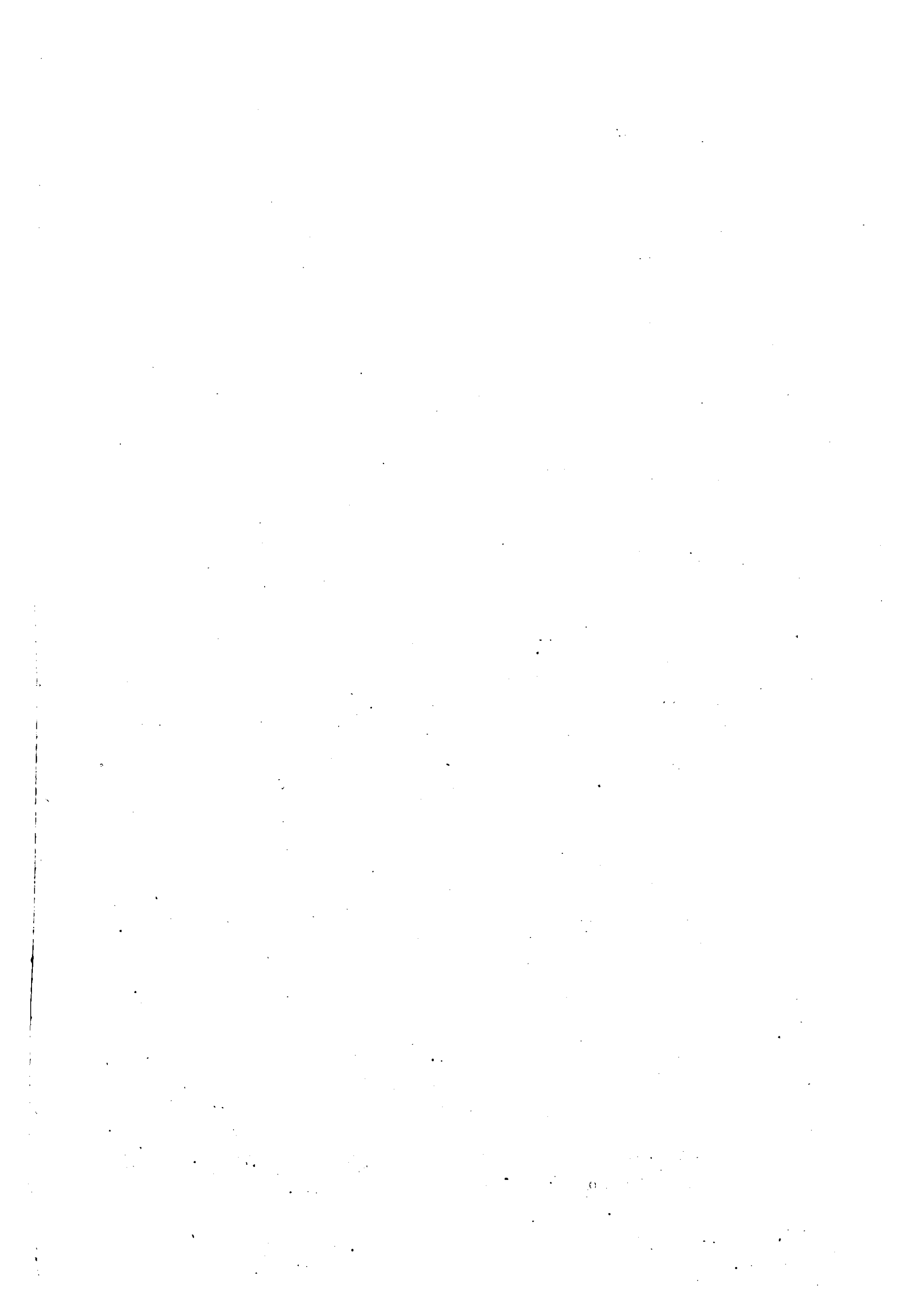
(٢) في النسخة «خ» المثبت ، وفي الباقي «أُريد» .

(٣) انظر هامش «١» في الصفحة السابقة ، وهذا مثله .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٨٢ .



وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾



قوله تعالى:

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٢) آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائيّ وخلف ﴿وَلَٰكِنِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ ﴿وَلَٰكِنِ ٱللَّهُ قَتَلَهُمْ﴾[1] ﴿وَلَٰكِنِ ٱللَّهُ رَمَىٰ﴾[2] بتخفيف النون من ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ وكسرها في الوصل ورفعُ الاسمِ بعدها، الباقون بالتشديد[3].

(١ و ٢) سورة الأنفال ٨: ١٧.

(٣) ذكرها عنهم جمع من مصادر القراءة، انظر: السبعة في القراءات: ١٦٧ ت ٣٧، حجّة القراءات: ١٠٨، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١٦٩ ـ ١٧٠، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٩ ـ ٣٢٠ ت ٢٩، جامع البيان في القراءات السبع ٢: ٥٥، الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٥٦ .وغيرها .

هذا، والملاحظ اختلاف النقل عن الكسائيّ، ففي مصادر القراءة المتقدّمة وغيرها المنسوب إليه اختيار التخفيف، وفي الجنىٰ الداني التفصيل بين ما لو كان قبلها واو فالتشديد مختاره وهكذا الفرّاء وأبو حاتم، وبين ما لم يكن قبلها واو فمختارهم التخفيف.

راجع: الجنى الداني: ٥٨٦ و٦١٥، وتفسير البحر المحيط ١: ٥٢٤، وتفسير الدرّ المصون ١: ٣١٩، واللباب في علوم الكتاب ٢: ٣٢٦ ـ ٣٢٧، والحظ: تفسير

ورَوى قُتيبة ﴿ٱلْمَلِكَيْنِ﴾ بكسر اللّام هاهنا حسب[1].

واختلفوا في المعنيّ بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ على ثلاثة أقوال:

فقال ابن جريج وابن إسحاق: المراد به اليهود الذين كانوا في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقال الجُبّائيّ: المراد به اليهود الذين كانوا في زمن سليمان.

وقال قوم: المراد به الجميع، وهو قول بعض المتأخّرين، وقال: لأنّ متّبعي السحر من اليهود لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى أن بُعث محمّد صلى الله عليه وآله[2].

وروي عن الربيع: أنّ اليهود سألوا محمّداً صلى الله عليه وآله زماناً عن أُمور من التوراة، لا يسألونَه عن شيءٍ من ذلك إلّا أنزل الله عليه ما سألوا عنه

الكشف والبيان ٣: ٤٨٠، ذكره من دون نسبةٍ، معالم التنزيل ١: ١٢٨ ذكر اختيار الكسائيّ التخفيف، تفسير القرآن للسمعاني ١: ١١٥ مشيراً دون نسبةٍ أيضاً، وانظر معاني القرآن للكسائي: ٧٧ جمع الدكتور عيسى، ولاحظ تهذيب اللغة ١٠: ٢٤٨، معاني القرآن للفرّاء ١: ٤٦٤ دون نسبة، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١٦٩ وما بعدها بتفصيل، المبهج ٢: ٧٣، التذكرة لابن غلبون: ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ٢٩.

وراجع: تفسير جامع البيان للطبري ٢: ٣٣٠ ـ ٣٣٩، ذيل آية: ١٠٢، معاني الزجّاج ١: ١٨٣، البيان لابن الأنباري ١: ١١٤.

(١) في بعض النسخ والمطبوعات: «تثنية» عوض قتيبة والفعل قبلها مجهول. أي: ورُوِيَ. وفي النسخة المعتمدة «خ»: قتيبة، والفعل معلوم، وكذا «المختصرة»، وهو الصحيح.

وقراءة الكسر في الملِكين أشارت إليها جملة مصادر منها: التذكرة في القراءات ٢: ٣١٩ ت ٢٩، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٨٣، المحتسب لابن جني ١: ١٠٠، شواذّ القراءات للكرمانيّ: ٧١، وغيرها، وراجع: أمالي المرتضى ١: ٤٢٢.

(٢) أشير إلى ذلك في: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٥٥، أحكام القرآن لابن العربيّ ١: ٢٨، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٣١٨، المحرّر الوجيز ١: ٣٠٥، وغيرها وراجع: هامش ٣ صفحة: ١٩١.

فيخبرهم، فلمّا رأوْا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أُنزل علينا منّا، وإنّهم سألوه عن السحر وخاصَموه، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[١].

ومعنى ﴿تَتْلُواْ﴾ قال ابن عباس: تتّبع؛ لأنّ التالي تابع.

وقال بعضهم: تَدَّعي، وليس بمعروف.

وقال قتادة وعطاء: معناه: تقرأ، من تلوت كتاب الله، أي: قرأته[٢].

وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾[٣] أي: تتبع، وقال حسّان ابن ثابت:

نَبِيٌّ يَرَى مالَا يَرَى ٱلنّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتابَ اللهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ[٤] [٣٧٣]

---

(١) أُشير إلى ذلك في تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٨٦ ت ٩٨٥، جامع البيان للطبريّ ٢: ٣١٥، وراجع: هامش ٣ صفحة: ١٩١.

(٢) تعرّضت لجملة الأقوال مجموعة مصادر، منهما: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٥٥، معاني القرآن وإعرابه ١: ١٨٣، أمالي المرتضى ١: ٤٢٣، الكامل في اللغة والأدب للمبرّد ٢ :٢٠٢، تفسير الوسيط للواحدي ١: ١٨٢، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٠٥، تفسير البحر المحيط ١: ٣٢٦، المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٥٣٦، تفسير زاد المسير ١: ١٢٠، وانظر :المعجم في فقه لغة القرآن ٧ : ٧٢٩ مدخل «تلو».

(٣) سورة يونس ١٠: ٣٠، على أنّ المثبت قراءة شاذّة لحمزة والكسائيّ، وفي المصحف الشريف ﴿تَبْلُواْ﴾. وبقرينة السياق المثبت مرادُ محلِّ الشاهد، انظر: معاني القراءات للأزهريّ: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، إعراب القراءات السبع ١: ٢٦٧، حجّة القراءات: ٣٣١، السبعة في القراءات : ٣٢٥، الحجّة للقرّاء السبعة ٤: ٢٧١.

(٤) بيت من مقطوعة لحسّان بن ثابت وتقدّمت ترجمته في ١: ٢٩٩ هامش ٢، أجاب بها منشداً لا يُرى شخصه ويُسمع صوته يتمثّل بأبيات مطلعها:

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائِهِ رَفيقَينِ حَلّا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ

فأجابه حسّان بن ثابت بمقطوعة منها بيت الشاهد أوّلها:

لَقدْ خاب قَومٌ غاب عنهم نبيُّهُم وقد سُرَّ من يَسري إليهم ويَغْتَدِي

⇐

والذي تتلوه هو السحر على قول ابن إسحاق وغيره من أهل العلم.

وقال بعضهم: الكذب[١].

ومعنى قوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ على عهد سليمان. قال ابن إسحاق وابن جريج: في ملك سليمان حين كان حيّاً، وهو قول المبرّد[٢].

وقال قوم: إنّما قال: ﴿تَتْلُواْ الشياطين عَلَى مُلْكِ﴾؛ لأنّهم كذبوا عليه بعد وفاته[٣]، كما قال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّـهِ ٱلْكَـذِبَ﴾[٤] وقال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥].

هذا وقد شهرت بحادثة أُمّ مَعْبَد، وذُكرت في جملة مصادر منها: الروض الأُنف ٤: ٢٢١ بتفصيل، الطبقات الكبرى لابن سعد ١: ٢٣١، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٣٢ ذكر القصة، السيرة النبوية لابن كثير: ٢٦٠، تاريخ دمشق ١٢: ٣٥٧ـ ٣٦٠ ضمن ترجمة ١٢٥٨، تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ٤: ١٢١، عيون الأثر لابن سيّد الناس ١: ١٨٧ ـ ١٩١، واستشهد به الطبريّ في جامع البيان ٢: ٣٢٠، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات الملحق بتفسير الكشّاف ٤: ٣٧٣.

(١) ممّن ذهب إلى ذلك محمّد بن مسلم بن بحر الاصفهاني على ما نسب إليه الزجّاج في إعراب القرآن (المنسوب) ٢: ٦٩٦، والقاضي في متشابه القرآن ١: ١٠٢، وذهب إليه في تنزيه القرآن: ٢٧، والجصّاص في أحكام القرآن ١: ٥٥ دون نسبةٍ، ونسبه الرازيّ إليه في التفسير الكبير ٣: ٢١٧، وكذا الطبرسيّ في مجمع البيان ١: ٣٤٤، والظاهر انفراده بهذا المعنى؛ إذ لم أجد ـ حسب تتبّعي ـ من ذهب إلى ذلك قبله.

(٢) استعمال «في» بمعنى «على» والعكس، أشار إليه بل ذهب إليه: الفرّاء في معاني القرآن ١: ٦٣، والمبرّد في المقتضب ٢: ٣١٩، وهكذا أشار إليه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١: ١٨٦ ت ٩٨٨، والجصّاص في أحكام القرآن ١: ٥٥، والسمعاني في تفسير القرآن ١ :١١٥.

(٣) انظر الهامش الأسبق.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٧٥.

(٥) سورة الأعراف ٧: ٢٨.

وقال الشاعر:

عَـرَضْتُ نَـصِيحَةً مِـنّي لِـيَحْيى ... فَـقَالَ: غَشَشْـتَنِي، والنُّصحُ مرُّ [٣٧٤]

وَمَا بِي أنْ أكُونَ أَعِيبُ يَحْيى ... وَيَــحْيى طــاهِرُ الأخْــلاقِ بَــرُّ

وَلكِــنْ قَــدْ أتــانِي أنّ يَــحْيى ... يُـقالُ عَـلَيْهِ فـي نَـفْعاءَ شَـرُّ[1]

فإذا صدق قيل: تلا عنه، وإذا كذب قيل: تلا عليه، وإذا أبهم جاز فيه الأمران.

وقوله: ﴿ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ قال قوم: هم شياطين الجنّ؛ لأنّ ذلك هو المستفاد من إطلاق هذه اللفظة. وقال بعضهم: المراد به شياطين الإنس

---

(١) الأبيات للشاعر الأُموي أبي شمال المُخَيّس بن أرطاة الأعرجيّ، أحد الرُّجّاز الشاميّين، كان شديد النزعة الأُموية والعدائية لبني هاشم، عُدّ أوّل من مدح العباسيّين، فأجزلوا له العطاء، مات ح ١٤٥هـ. وقد نسبت له في أغلب المصادر الآتية:

المعنى الإجمالي: الشاعر ينصح رفيقه يحيى من بني حنيفة كان يختلف إلى بقعاء، وقيل: نقعاء ونفعاء، وهي إحدى قرى اليمامة، بعدم الذهاب إليها، فلم يَرْعَوِ ولم يقبل النصح، حتى رصده أعداؤه فجرح، فقال الأعرجيّ الأبيات.

الشاهد فيه: «يقال عليه» حيث استعمل حرف الجر (على) في الشر والكذب والضرر.

راجع: أمالي المرتضى ١: ٣٥٢، ديوان المعاني للعسكريّ ١: ١٢٢، الكامل للمبرّد ١:٤٣، محاضرات الأدباء ١: ٢٦٤، زَهر الأكم ١: ١٤٥، الزُهرة ١: ١٩٧، وفي ربيع الأبرار ٤: ٣١٣ ذكر أوّلها، وفي التنبيهات لعليّ بن حمزة البصري: ١٧٣ مقطع: ١٠٨، ذكر الثالث.

وللاختلاف في: نفعاء بينها ونقعاء وبقعاء انظر معجم البلدان ١: ٤٧٢، مراصد الاطّلاع ١: ٢١١، و٣: ١٣٨، معجم ما استعجم ١: ٢٦٤ و٤: ١٣٢٢، وفاء الوفا ٤: ١٣٢٢.

ولترجمة الشاعر راجع: معجم الشعراء المخضرمين، الأُمويّين، معجم الشعراء الإسلاميّين: ٢٠٥ ت ٧٨٢، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

المتمرّدة في الضلالة[١]، كما قال جرير.

أَيّامَ يَدْعُونَني الشّيْطانَ مِنْ غَزَلِي وَكُنَّ يَهْوَيْنَنِي إذْ كُنْتُ شَيطانا[٢] [٣٧٥]

وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ وإن لم يجر لذلك ذكر يكون هذا تكذيباً له، فمعناه: أنّ اليهود أضافوا إلى سليمان السحر وزعموا أنّ مُلكه كان به، فبرّأه الله ممّا قالوا، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة.

وقال ابن إسحاق: قال بعض أحبار اليهود: ألا تعجبون من محمّد ﷺ يزعم أنّ سليمان كان نبيّاً، والله ما كان إلّا ساحراً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾[٣].

---

(١) خير من فصّل البحث حوله السيّد الطباطبائي في تفسيره الجليل الميزان ٧: ٣٢١، وانظر: دليل الميزان: ٢٠٧ مدخل: الشيطان، وعرّج على الفخر الرازيّ في التفسير الكبير ٣: ٢٠٣ ضمن م٣ والجصّاص في أحكام القرآن ١: ٥٥ ـ ٥٦، والقرطبيّ في الجامع لأحكام القرآن ٢: ٤٣. وللتوسعة أكثر انظر: شرح المصطلحات الفلسفيّة: ١٧٠، شرح المصطلحات الكلاميّة: ٨٠، والفلسفيّة: ٦٤، في الجميع مدخل: «شياطين أو شيطان».

(٢) البيت لجرير ـ وتقدّمت ترجمته في ١: ١٢٩ هامش ١ ـ وهو في ديوانه بشرح محمّد بن حبيب ق ١٥ ب ٥٧: ١٦٠ يهجو بها الأخطل، وتقدّمت ترجمته أيضاً في ٢: ١٥٣ هامش ٢.

المعنى: يتذكّر أيّام شبابه ولهوه وعبثه، وكيف كنّ يدعونه شيطاناً؛ لشدّة ذلك فيه وقوّة تأثيره عليهنّ.

الشاهد: استعمال كلمة شيطان في الآدمي، مريداً نفسه.

(٣) تجد الإشارة لذلك في عدّة مصادر منها: تفسير جامع البيان ٢: ٣٢٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٨٧ ت ٩٨٩ ـ ٩٩٤، أحكام القرآن للجصّاص ١: ٥٥، تفسير بحر العلوم ١: ١٤٢، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٤٤، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١١٤ ـ ١١٥ ت ٩٨٩ ـ ٩٩٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٠٦، البحر المحيط ١: ٣٢٦، النكت والعيون ١: ١٦٤، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٤٣، وغيرها.

وقيل: تقدير الكلام ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ من السحر، فتضيفه إلى سليمان ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾؛ لأنّ السحر لمّا كان كفراً نفى الله تعالىٰ عنه ذلك على المعنى وإنْ كانوا لم يضيفوا إليه كفراً.

والسبب الذي لأجله أضافت اليهود إلى سليمان السحر: أنّ سليمان جمع كتب السحر تحت كرسيّه ـ وقيل: في خزائنه ـ لئلّا يُعمل به، فلمّا مات وظهر عليه قالت الشياطين: بهذا كان يَتمّ ملكُه، وشاع في اليهود وقبلوه؛ لعداوتهم لسليمان.

وقيل: إنّهم وضعوا كتاب السحر بعد سليمان وأضافوه إليه وقالوا: بهذا كان يتمّ له ما كان فيه، فكذّبهم الله تعالى في ذلك، ونفى عنه ذلك[1].

والسِّحر والكهانة والحيلة نظائر، يقال: سَحَرهُ يَسْحَرُهُ سِحْراً،

---

(١) مجملاً، يظهر أنّ أغلب التفاسير اتّكأت في هذا الموضوع على إسرائيليّات كعب الأحبار وابن منبّه وغيرهما، وعليه يمكن القول أنْ لا واقع لأغلب ذلك يعتمد عليه، وعلى أيٍّ تجدها في مصادر مجملة وأخرى مفصّلة منها: أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٥٥، السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٩٢، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٣٢٦، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٨٥ ت ٩٨٢ وما بعدها، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٢٩ وبعدها، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ١٤٠، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٤٣ وبعدها، تفسير النكت والعيون ١ : ١٦٤، تفسير الوسيط ١ : ١٨١، تفسير البحر المحيط ١ :٥٢٤، تفسير زاد المسير ١ : ١٢٢ وما بعدها، تفسير مفاتيح الأسرار للشهرستانيّ ١ :٤٨٢، وانظر لمجموعة المصادر أعلام القرآن للشبستري : ٤٥٦ فإنّه لا يخلو من فائدة، على أنّ خير من أبان الحقائق فيها على طبق المنطق والعقل: تفسير الميزان للسيّد الطباطبائي ١ : ٢٣٢ وما بعدها.

وأسْحَرْنا إسْحاراً، وتَسَحَّرْنا تَسَحُّراً، «واسْتَحَر اسْتِحاراً»[١]، وسَحَّرَه تَسْحِيراً. وقال صاحب العين: السّحر عملٌ يقرّب إلى الشيطان. كلّ ذلك كينونيته السِّحْر.

ومن السِّحْر الأُخْذَةُ: التي تأخذُ العينَ حتى تظنَّ أنَّ الأمرَ كما يُرى، وليس الأمر كما يُرى، والجمعُ الأُخَذُ.

والسِّحْرُ: البيان من اللّفظ، كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: (إنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً)[٢].

والسَّحرُ: فعلُ السِّحْرِ في شيءٍ يلعب به الصبيان إذا مُدّ خرَجَ على لَوْنٍ، وإذا مُدّ من جانبٍ آخر خرج على لَوْنٍ آخر، يسمّى: السَّحارة.

والسَّحْر: الغذو، قال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ ... وَنُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ[٣] [٣٧٦]

---

(١) المحصورة زيادة من النسخة: «خ».

(٢) بمختلف ألفاظه تجده في مصادر عدّة منها: المصنّف لابن أبي شيبة ١٣: ٢٨٢ ت ٢٦٥٣٤، المعجم الكبير ١٠: ٢٠٧ ت ١٠٣٤٥ و١٢: ٢٠٠ ت ١٢٨٨، صحيح البخاريّ ٧: ١٧٩ و٨: ٤٢، سنن البيهقيّ ٥: ٦٨ و١٠: ٢٣٧، سنن الدارميّ ٢: ٢٩٧، مسند أحمد ١: ٢٦٩ و٣١٣ و٣٢٧، سنن أبي داوود ٤: ٣٠٣ ح٥٠١٠ ـ ٥٠١٢، تاريخ دمشق ٣٢: ١٦٩ ت ٣٤٨٣ و٥٥: ٣٩٤ ت ٧٠٠٢، موارد الظمآن ٢: ٨٩٠ ح ٢٠٠٩.

(٣) البيت الأوّل من مقطوعة من ١٣ بيتاً لامرئ القيس ـ وتقدّمت ترجمته في ٢: ٧٩ هامش ٢ ـ، مذكورة في الديوان.

المعنى: يشير الشاعر إلى سرعة سير البشر لأمر غُيِّبَ عنهم وقته، ولـلهوهم وانخداعهم عنه بالطعام والشراب والملذّات حتّىٰ يفجأهم الموت.

المفردات: مُوضِعِينَ: مسرعين لأمرٍ غُيِّبَ عنّا، نُسْحَرُ: نلهى بالغذاء وغيره.

الشاهد فيه: استعماله «نُسْحَرُ» بمعنى نُلَهّىٰ ونُخْدَع ونُعَلّل عن ذكر الموت.

انظر: الديوان: ٩٧ ت ١١ ب ١.

وقال لبيد:

فَــإنْ تَسْأَلِــينا مِــمَّ نَــحْنُ فَــإنَّنا عَصافِيرُ مِنْ هَذا الأنام المُسَحَّرِ[1] [٣٧٧]

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾[2] يعني من المخلوقين. وفي تمييز العربية هو: المخلوقُ الذي يُطعم ويُسقى.

والسّحَرُ آخر الليل «تقول: رأيتُهُ سَحَراً ـ منّونٌ ـ وسَحَرَ ـ بلا تنوين ـ: إذا جعلته مقصوداً إليه، ولقيته بالسَّحَرِ الأعلى، ولقيته بسُحْرَةٍ، ولقيته سُحْرَةً»[3] بالتنوين، قال الطرمّاح[4]:

---

(١) البيت ٣٥ للشاعر لبيد العامري ـ وتقدّمت ترجمته في ١: ٧٩ هامش ١ ـ من قصيدة تبلغ ٣٨ بيتاً، وهي قصيدة حكمية يتعرّض فيها لبيان قوّة الموت وسطوته، وضعف الإنسان تجاهه، ويذكر قومه المتقدّمين وهم سادات العرب.

المعنى: يشير في البيت إلى أنّنا من القوم الذين ذهبوا وماتوا قبلنا، ونحن على الخُطىٰ سائرون، إلّا أنّنا لاهونَ مخدوعونَ بالطعام والشراب والملاذ، غافلون أو متغافلون أو مغفلون عن دنوّه إلينا سريعاً.

انظر: الديوان بشرح الطوسيّ وتحقيق د. إحسان عباس: ٥٦ ب ٣٥ ق٨.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ١٥٣ و١٨٥.

(٣) المحصورة ساقطة من الحروفيات، ثابتة في الأُصول، تساعد عليها من كتب اللغة العين ٣: ١٣٥ والتهذيب ٤: ٢٩٠، «سحر».

(٤) الطِّرِمّاح ـ الطويل المزهوّ بنفسه كِبْراً وفَخْراً ـ قيل: لقب شهر به حتى عفى على اسمه الحكم بن حكيم بن الحكم، وقيل: بل هو اسمه، وعلى أيٍّ هو من طيء ولد ونشأ في الشام انتقل إلى الكوفة والريّ معلماً فيهما، وآثر مجالسة الشراة من الخوارج الأزارقة اعتنق مذهبهم، يعدّ من الهجّائين، تربطه والكميت صداقة حميمة رغم افتراقهما مذهباً ومنشأً.

مات عام ١٢٥هـ ـ وقيل غير ذلك ـ في الكوفة.

لترجمته، انظر: مقدّمة الديوان بقلم د. عزة حسن، معجم الشعراء المخضرمين والأُمويّين: ٢٢١ ومصادرهما وافية.

بَـانَ الخَـلِيطُ بِسُـحْرَةٍ فَـتَبَدَّدُوا　　وَالدَّارُ تُسْعِفُ بِالخَلِيطِ وَتُبْعِدُ[1] [٣٧٨]

وتَسَحَّرْنا: أَكَلْنا سُحُوراً، وأسْحَرْنا كقولك: أَصْبَحْنا. والسَّحْرُ: الرِّئَةُ وما يتعلّق بالحلقوم، ويقال للجبان إذا جَبُنَ: انْتَفَخَ سَحَرُهُ، واسْتَحَرَ الطائر: إذا غرَّد[2] بسحر[3].

وأصل الباب: الخفاء.

والسِّحْرُ قيل: لخفاء سببه يُوهم قلبَ الشيء عن حقيقته، كفعل السَّحَرةِ في وقت موسى لمّا أوهموا أنّ العِصِيَّ والحبالَ صارت حيواناً، فقال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعَىٰ﴾[4][5].

---

(١) مطلع القصيدة ٨، يذكر فيها اجتماع القبائل عند الكلأ والماء في موسمه للرعي، فيتعارفون ويألف بعضهم بعضاً، ثمّ عودهم إلى مضاربهم وأوطانهم مستائين من افتراقهم.

المفردات: الخليط: المخالط، الصديق. السُحْرة: وقت السَحَر أو الطعام أو محلّ الكلأ، تسعف يجمع وتقرّب بين الواردين.

انظر: الديوان بتحقيق د. عزة حسن: ١٠٨ ب ١ ق٨.

(٢) في الحروفيات: غلبه، ولا معنى له، والمثبت من الأُصول.

(٣) لضبط المادة «سحر» اعتمدت المصادر التالية: العين ٣: ١٣٥، جمهرة اللغة: ٥١١، تهذيب اللغة ٤: ٢٩٠، المحيط في اللغة ٢: ٤٧٩، الصحاح ٢: ٦٨٧، المحكم والمحيط الأعظم ٣: ١٨٢، المخصّص ١: ٨٣ و٣٤٠، مفردات ألفاظ القرآن: ٤٠٠، معجم مقاييس اللغة ٣: ١٣٨، مجمل اللغة ٢: ٤٨٧، لسان العرب ٤: ٣٤٨، تاج العروس ٦: ٥٠٠، أساس البلاغة ١: ٤٢٦.

(٤) سورة طه ٢٠: ٦٦.

(٥) التعرّض لبحث السحر وماهيّته وما يحيطه طويل عريض، تعرّض له جمع، فالإشارة والإحالة إليهم للتوسعة خير، انظر: رسائل إخوان الصفا ٤: ٢٨٣ رسالة ١١، بحار الأنوار ٥٩: ٢٦٥ ـ ٣٢٦، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢: ٣٢٩، تفسير الجواهر للطنطاويّ ١: ١٠١ ـ ١٠٧، أحكام القرآن للجصاص ١: ٤٢ ـ ٥٥،

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّهم كفروا بما نسبوه إلى سليمان من السحر.

والثاني: أنّهم كفروا بما استخرجوه من السحر.

والثالث: معناه: ولكنّ الشياطين سحروا، فعبّر عن السحر بالكفر[1].

وقوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: إنّهم ألقوا السحر إليهم فتعلّموه.

«**والثاني**: أنّهم دلّوهم على إخراجه من تحت الكرسيّ فتعلّموه»[2].

وقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قال ابن عباس وقتادة وابن زيد والسُّدّي: إنّ ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي. وقال الربيع في إحدى الروايتين عن ابن عباس: إنّها بمعنى: الجَحد. ورُوي عن القاسم بن محمّد: أنّها تحتمل الأمرين[3].

↵ تفسير النكت والعيون ١: ١٦٦ ـ ١٦٧، التفسير الكبير ٣: ٢٠٦، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٤٣ م٣ وبعدها، روح المعاني ١: ٣٣٩، وانظر: معجم العناوين الكلامية والفلسفية: ٦٠، شرح المصطلحات الفلسفية: ١٥٧ ت ٦٨٤، شرح المصطلحات الكلامية: ١٦٦ ت ٥٨٧، مدخل «السِّحر» في الجميع، ولأحكامه الشرعية انظر: معجم فقه الجواهر ٣: ٣٠٧، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٤: ٢٥٩، ومصادرها.

(١) تجد الأقوال في: تنزيه القرآن: ٢٧، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٤٥، تأويلات أهل السّنّة ١: ٧٥، تفسير النكت والعيون ١: ١٦٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٨٧ ت ٩٩٢ ـ ٩٩٤، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٤٢، وضح البرهان ١: ١١٤، وغيرها.

(٢) المنصّص ساقط من النسخ: «ؤ، س، والحجرية» وفي نسخة «هـ»: إنّه التعليم حقيقة. وأمّا في «خ والمختصرة» فالمثبت، ويدعمه ما في مجمع البيان ١: ٣٤٦.

(٣) معنى ﴿ما﴾ موقوف على المستفاد من ﴿أُنزِلَ﴾، وعلى مَن كان؟ فإن كان على ↵

وموضع ﴿ما﴾ نصبٌ ؛ لعطفها على السحر ، وقيل : إنّها عطف على ﴿ما﴾ في قوله : ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ . وقال بعضهم : موضعها جرّ ، عطفاً على : ﴿مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ «كأنّه قال : على ملك سليمان»[1] وعلى : ﴿مَآ أُنزِلَ﴾[2] .

ومن قرأ بكسر اللام في ﴿ٱلْمَلِكَيْنِ﴾ قال : هما من ملوك بابل وعلوجها . وهو قول أبي الأسود الدؤليّ والربيع والضحّاك ، وبه قرأ الحسن البصريّ ، ورواها عن ابن عباس[3] .

واختلف من قال بهذا ، فقال قوم : كانا مؤمنين ، ولذلك نُهيا عن الكفر .

وقال قوم : إنّهما كانا نبيّين من أنبياء الله[4] .

﴿الملَكَيْنِ﴾ فهي موصول بمعنى الذي ، وإن كان على غيرهما فهي نفي وجَحد ، انظر : تفسير النكت والعيون ١ : ١٦٥ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٤٥ ، معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٨٤ ، أمالي المرتضى ١ : ٤٢١ ـ ٤٢٢ ، البغداديات للفارسي : ٣٥٤ ، البحر المحيط ١ : ٣٢٨ ، التفسير الكبير للرازيّ ٣ : ٢١٧ م١ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٥٠ م ١٥ ، و :٥٢ م ١٧ ، تفسير جامع البيان ٢ : ٣٣٠ـ ٣٤٠ .

(١) المحصور زيادة من النسخة «خ» .

(٢) تجد ذلك في : معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٨٣ ، البيان لابن الأنباريّ ١ : ١١٤ ، التبيان في إعراب القرآن للعكبريّ ١ : ٩٩ ـ ١٠٠ ، إعراب القرآن المنسوب للزجّاج ٢ : ٦٩٤ ٦٩٧ ، وانظر : المسائل المشكلة (البغداديات) للفارسيّ : ٣٥٤ .

(٣) ذُكر ذلك في جملة مصادر ، منها : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٨٩ ت ١٠٠٢ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٦٥ ، أمالي المرتضى ١ : ٤٢٢ ، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٥٦ ، المحرّر الوجيز ١ : ٣٠٧ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ٦٤ ، تأويل مختلف الحديث (ط العلمية) : ١٦٧ ـ ١٧٥ ، المحتسب لابن جني ١ : ١٠٠ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٢٩ ،وغيرها .

(٤) تجد القولين في : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٨٨ ت ١٠٠٠ ، متشابه القرآن ١ : ٩٩ ١٠٣ ، أمالي المرتضى ١ : ٤١٧ ـ ٤٢٥ .

ومن قرأ بالفتح قال قوم منهم : كانا مَلَكَيْن .

وقال آخرون : كانا شيطانين .

وقال قوم : هما جبريل وميكائيل خاصّة[١] .

واختلفوا في بابل فقال قوم : هي بابل العراق ؛ لأنّها تبلبل بها الألسن ، وروي ذلك عن عائشة وابن مسعود .

وقيل : بابُل دماوند ، ذكره السُّدّيُّ .

وقال قَتادة : هي من نصيبين إلى رأس العين[٢] .

وقال الحسن : إنّ الملَكَين ببابِل الكوفة إلى يوم القيامة ، وإنّ من أتاهما سمع كلامهما ولا يراهما[٣] .

وبابل : اسم بلدٍ لا ينصرف[٤] .

---

(١) الأقوال تجدها في : أمالي المرتضى ١ : ٤٢١ ـ ٤٢٢ ، معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٨٤ ، إعراب القرآن المنسوب للزجّاج ٢ : ٦٩٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٨٨ ت ٩٩٩ ـ ١٠٠٢ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٤٤ ، تأويلات أهل السُّنّة ١ : ٧٦ ، وغيرها .

(٢) بابل : متعدّدة ، وبكسر الباء الثانية واحدة لا غير ، وهي بأرض العراق ناحية الكوفة وإلى الحلّة أقرب ، شهرت بالسحر والخمرة والجمال ، ولا زالت آثارها شاهدة لها .

وأمّا التي قرب دماوند بأرض إيران ، فهي بضمّ الباء الثانية .

راجع : معجم ما استعجم ١ : ٢١٨ ، معجم البلدان ١ : ٣٠٩ ، مراصد الاطّلاع ١ : ١٤٥ ، الروض المعطار في خبر الأقطار : ٧٣ .

وانظر : تفسير جامع البيان ٢ : ٣٥٠ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٤٥ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٨٦ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ١١٦ ـ ١١٧ ، تفسير الوسيط ١ : ١٨٤ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٥٣ م ١٨ .

(٣) الآراء تجدها في تفسير الطبري ٢ : ٣٥٠ ، البحر المحيط ١ : ٥٢٨ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٣١ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٦٥ .

(٤) للعجمة أو التأنيث والعلمية ، وقيل : للثلاثة .

وقيل في معنى السحر أربعة أقوال :

أحدها : أنّه خُدَعٌ ومخاريقُ وتَمويهاتٌ لا حقيقة لها ، يُخَيِّلُ إلى المسحور أنّ لها حقيقة .

والثاني : أنّه أخذٌ بالعين على وجه الحيلة .

والثالث : أنّه قلب الحيوانِ من صورة إلى صورة ، وإنشاء الأجسام على وجه الاختراع ، فيمكن الساحر أن يقلب الإنسان حماراً وينشئ أجساماً .

والرابع : أنّه ضرب من خدمة الجنّ ، كالذي يمسك له التجدّل فيصرع .

وأقرب الأقوال الأوّل ؛ لأنّ كلّ شيءٍ خرج عن العادة الجارية فإنّه لايجوز أنْ يتأتّى من الساحر .

ومن جوّز للساحر شيئاً من هذا فقد كفر ؛ لأنّه لا يمكنه مع ذلك العلم بصحّة المعجزات الدالّة على النبوّات ؛ لأنّه أجاز مثله من جهة الحيلة والسحر[1] .

---

(١) إضافةً لما تقدّم من المصادر راجع : للسحر والساحر وأحكامهما ومن الفريقين .

فمن العامّة : التوحيد للماتُريدي : ١٨٩ و٢٠٩ ، مقالات الإسلاميّين : ٤٤٢ ، المغني للقاضي ١٥ : ٢٥٩ ـ ٢٧٨ ، أُصول الدين للبغداديّ : ١٧٤ ـ ١٧٥ ، الإرشاد للجوينيّ : ٢٧٠ ،الغنية في أُصول الدين : ١٥٤ ـ ١٥٥ ، الاقتصاد للغزّاليّ : ١٢٣ ، تبصرة الأدلّة ١ : ٣٤٥ و٤٧٧ و٤٧٨ ، ٥٣٨ ، المباحث المشرقية ٢ : ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، المطالب العالية للرازيّ ٨ :١٣٩ ، النبوّات للرازيّ : ٢٠٠ ـ ٢٠٣ ، إيضاح الفوائد ١ : ٤٠٥ ، شرح المقاصد ٥ : ٧٩ .

ومن الخاصّة : منتهى المطلب ١٥ : ٣٨٣ ، تذكرة الفقهاء ١٢ : ١٤٤م ٦٥٠ ، الألفين الفارق بين الصدق والمين ٢ : ١١٤ ضمن المائة الثامنة في عصمة الإمام ، ☜

وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يتّصل قوله: ﴿فَلا تَكْفُرْ﴾ بأحد ثلاثة أشياء:

أحدها: فلا تكفر بالعمل بالسحر.

والثاني: فلا تكفر بتعلّم السحر. وتكون ممّا امتحن الله عزّ وجلّ به كما امتحن بالنهر في قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾[1].

وثالثها: فلا تكفر بواحد منهما: التعلّم للسحر، والعمل به.

فإن قيل: كيف يجوز أنْ يُعلِّم الملَكانِ السحر؟

قيل: يعلِّمان ما السحر؟ وكيف الاحتيال به؛ ليُجتنب؟ ولئلّا يتموّه على الناس أنّه من جنس المعجزات التي تظهر على يد الأنبياء فيبطل الاستدلال بها.

وقال جماعة من المفسّرين منهم أبو علي وغيره: أنزلهما الله عزّ وجلّ من السماء وجعلهما بهيئة الإنس حتى بيّنا للنّاس بطلان السحر.

وقال الحسن وقَتادة: أخذ عليهما ألّا يعلّماه ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[2].

قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

ﭬ مجمع الفائدة والبرهان ٨: ٧٨، مسالك الافهام ٣: ١٢٨، بحار الأنوار ٦٣: ١ـ ٤٢، الحدائق الناضرة ١٨: ١٧١، مفتاح الكرامة ١٢: ٢٣٦، المكاسب للشيخ الأنصاري ١: ٢٠٨ ٢٢٦، جواهر الكلام ٢٣: ١٣٠ـ ١٥٢.

(١) سورة البقرة ٢: ٢٤٩.

(٢) أُشير إلى ذلك في المصادر التالية: تفسير الصنعانيّ ١: ٢٨٢ـ ٢٨٣ ت ٩٥ـ ٩٨، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٩٢ ت ١٠١١ـ ١٠١٢، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٦٤ـ ١٦٦، وغيرها.

على قول من جعل ﴿ما﴾ جحْداً في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْـمَلَكَيْنِ﴾ يحتمل أنْ يكون ذلك من قول هاروت وماروت وليسا مَلَكَيْنِ، كما يقول الغاوي الخليع: أنا في ضلال فلا تَرِد ما أنا فيه، فيقرّ بالذنب وهو يأتيه، والتقدير على هذا: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ هاروت وماروت.

فمن قرأ ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ ـ بفتح اللّام ـ وهو قراءة الجمهور[1]، اختلفوا فمنهم من قال: إنّ سَحَرة اليهود زعموا أنّ الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكايل إلى سليمان فأكذبهم الله بذلك.

وفي الكلام تقديم وتأخير، فتقديره: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ ﴿بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ وهما رجلان ببابِل غير الملَكَيْن، اسم أحدهما هاروت والآخر ماروت، ويكون هاروت وماروت بياناً عن الناس[2].

---

(١) المصادر التالية بعضها أشار للقراءتين وبعضها لواحدة، انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٦٤، معاني القرآن وإعرابه ١: ١٦٠، المحتسب ١: ١٠٠، أمالي الشريف المرتضى ١: ٤٢٢، التذكرة لابن غلبون: ١٩٣ ت ٣٠، طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ١٩٦ ـ ١٩٧ ت ١٠٢، التبيان في إعراب القرآن ١: ٩٩، إملاء ما منّ به الرحمن: ٥٥، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٩٢، غاية الاختصار ٢: ٤١٤ ت ٦١١، المبهج في القراءات السبع ٢: ٧٤، تفسير البحر المحيط ١: ٣٢٩ ـ ٣٣٠، تفسير النكت والعيون ١: ١٦٥، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣: ٢١٨ م ٢، الجامع لأحكام القرآن ٢: ٥٢ ت ١٧، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٣٠، معالم التنزيل ١: ٣٠، وغيرها كثير.

(٢) إضافةً لبعض المصادر المتقدّمة تجد الإشارة إلى الأقوال في مصادر منها: إعراب القرآن المنسوب للزجّاج ٢: ٦٩٥، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٨٣ ـ ١٨٤، تفسير ﷺ

وقال قوم: إنّ هاروت وماروت ملكان من الملائكة، واختلفوا في سبب هبوطهما على قولين:

فقال قوم: إنّ الله أهبطَهما ليأمرا بالدين وينهيا عن السحر؛ لأنّ السحر كان كثيراً في ذلك الوقت. ثمّ اختلفوا فقال قوم: كانا يُعلّمان الناس كيفية السحر وينهيانهم عن فعله؛ ليكون النهي بعد العلم به؛ لأنّ من لا يعرفُ الشيءَ لا يمكنه اجتنابه.

وقال قوم آخرون: لم يكن للمَلَكَين تعليم السحر ولا إظهاره؛ لما في تعليمه من الإغراء بفعله «وإنّما أُهبطا»[1] لمجرّد النهي إذ كان السحر فاشياً[2].

وقال قوم: كان سبب هبوطهما: أنّ الملائكةَ تعجّبت من معاصي بني آدم مع كثرة نِعَم الله عليهم.

فقال الله لهم: أما لو كنتم مكانَهم لعملتم مثل أعمالهم، فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا، فأمرهم أنْ يختاروا مَلَكَين ليهبطا إلى الأرض، فاختاروا هاروتَ وماروت، فأُهبطا إلى الأرض، ورَكّب فيهما شهوة الطعام والشراب والنكاح، وأحلّ لهما كلَّ شيءٍ بشرط ألّا يشركا بالله ولا يشربا

ﻫ النكت والعيون ١: ١٦٥، أحكام القرآن للجصّاص ١: ٥٦، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٨٨ ت ١٠٠١، وغيرها.

(١) بدل المحصور في النسخ: «هـ، ؤ، س، حجري»: والثالث: هبطا. والمثبت كما في النسخة «خ، والمختصرة».

(٢) الأقوال تجدها في جملة مصادر منها: معاني القرآن للزجّاج ١: ١٨٣ ـ ١٨٤، إعراب القرآن المنسوب للزجّاج ٢: ٦٩٥ ـ ٦٩٦، تأويلات أهل السُنّة ١: ٧٦، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣: ٢٢٠ م ٣.

الخمر ولا يزنيا ولا يقتلا النفس التي حرّم الله ، فعرضت لهما امرأة للحكومة ، فمالا إليها ، فقالت : لا أُجيبُكما حتى تعبدا صنماً وتشربا الخمر ، فشربا الخمر وعبدا الصنم وواقعاها وقتلا سائلاً مرّ بهما خوفاً أن يشهر أمرهما ، في حديثٍ طويلٍ لا فائدة في ذكره .

قال كعب : فوالله ما أمسيا من يومهما الذي هبطا فيه حتى استكملا جميع ما نُهيا عنه ، فتعجّبت الملائكة من ذلك .

ثمّ لم يقدر هاروت وماروت على الصعود إلى السماء ، فكانا يُعلّمان الناس السحر[1] .

ومن قال بعصمة الملائكة لم يُجزْ هذا الوجه[2] .

---

(١) تجد الأقوال هذه بنحو وآخر في مصادر عدّة ، منها : تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١ : ٢٨١ ت ٩٤ ـ ٩٨ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٣١ ، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٣٤١ ـ ٣٤٩ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٨٩ ت ١٠٠٥ ـ ١٠٠٩ ، التفسير الكبير للطبرانيّ ١ : ٢١٨ ، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ١٤٣ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٦٥ ـ ١٦٦ ، تفسير الوسيط للنيسابوريّ ١ : ١٨٣ ، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣ : ٢١٩ م ٣ ، الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٥١ ، وغيرها .

(٢) عصمة الملائكة مورد سجال بين علماء الإسلام ، فالشيعة الإماميّة تابعون وبقول واحد لقادتهم وأئمّتهم الاثني عشر المعصومين ، وهم قائلون بالعصمة بقول واحد ، يوضّحه كلام أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، المذكور فيما جمعه السيّد الشريف الرضيّ في نهج البلاغة ضمن الخطبة الأُولى ، عند قوله عليه السلام : «ثمّ فتق ما بين السموات العلى . . . » ، وكذا إمامهم الرابع سيّد الساجدين الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام فيما جمع له في الصحيفة السجاديّة والموصوفة بـ «زبور آل محمّد» ضمن الدعاء ١٢ من نسخة الصحيفة السجاديّة الجامعة ، وهو دعاؤه في الصلاة على حملة العرش وكلّ ملك مقرّب ، أوّله قوله عليه السلام : «اللّهم وحملة عرشك . . . » وللاطّلاع على آراء علمائهم ، انظر للمثال : مفاتيح الغيب ←

وقال قوم من أهلِ التأويلِ : إنّ ذلك على عهد إدريس[١] .

أمّا قوله : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ .

فالامتحان والفتنةُ والاختبار نظائر ، يقال : فَتَنَهُ فِتْنَةً وافْتَتَنَ افْتِتاناً ، وقال أبو العباس : فُتِنَ الرَّجُلُ وأُفْتِنَ بمعنى اخْتُبِرَ[٢] .

وتقول : فَتَنْتُ الرجُلَ وأَفْتَنْتُهُ . ولغة قريش : فَتَنْتُه ، قال الله تعالى : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾[٣] وقال : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ﴾[٤] ، وقال أعشى هِمْدان :

لَئِنْ فَتَنَتْنِي فَهِيَ بِالأَمْسِ افْتَتَنَتْ   سُعَيداً فَأَمْسى قَد قلا كُلَّ مُسْلِمِ[٥] [٣٧٩]

للشيرازيّ ١ : ٥٧٤ فصل ٥ ، أوائل المقالات (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد) ٤ : ٧١ ت ٤٧ ، مناهج اليقين في أُصول الدين : ٢٧٩ ، تلخيص المحصّل أو نقد المحصّل للخواجة نصير الطوسي : ٣٦٩ ، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانيّ ١ : ١٥٣ ، شرح نهج البلاغة للخوئي ٢ : ٢ ، نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للتستريّ ١ : ٥٣٥ .

وراجع : تعليقة ابن العتايقي علىٰ تفسير القمّي المتوفّىٰ ٧٨٦ هـ والمنشور في فصلية «سفينة» الوزينة ٢٧ س ٧ : ١٥٨ ـ ١٥٩ .

ولآراء العامّة انظر للمثال : أبكار الأفكار ٣ : ١٤٢ ، شرح المقاصد ٥ : ٦٢ ضمن المبحث السابع ، التفسير الكبير للفخر الرازيّ : ٢١٦ ـ ٢١٨ ، الفِصل في الملل والأهواء والنحل ٣ : ٢٥٩ ، شرح نهج البلاغة للمعتزليّ ٦ : ٤٣٢ ـ ٤٣٦ ، شرح العقائد النَسَفِيّة : ٢١٦ ـ ٢١٨ ، وغيرها تظهر من المطاوي .

(١) كالثعلبيّ في تفسيره الكشف والبيان ١ : ٢٤٦ ، والماورديّ في تفسيره النكت والعيون ١ : ١٦٦ ، والبغويّ في تفسيره معالم التنزيل ١ : ١٣٠ ، وغيرهم في غيرها .

(٢) هو ثعلب في مجالس العلماء له ١ : ١٤٦ ، تهذيب اللغة ١٤ : ٢٩٩ .

(٣) سورة طه ٢٠ : ٤٠ .

(٤) سورة ص ٣٨ : ٣٤ .

(٥) الطبعتان المتوفّرتان لدينا للديوان خالية من بيت الشعر ، وترجمة الشاعر تقدّمت في ١ : ١٢١ ، وأضف هنا في مصادر ترجمته : معجم الشعراء المخضرمين والأُمويّين : ٣٨ ومصادره . وقد استشهد به جمع ناسبيه للأعشى ولموضع شاهد

فجاء باللغتين .

وقوله تعالى : ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾[١] أي : اختبرناه . ويقال : فَتَنْتُ الذهبَ في النار إذا اختَبَرتَهُ فيها ؛ لتعلَمَ أخالصٌ هو أم مشوبٌ ، فقيل لكلّ ما أحميتَه في النار : فَتَنْتَهُ ، وتقول : فَتَنْتُ الخبزةَ في النارِ : إذا أنضجتها ، ومثله يقال للّحم . وقوله : ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[٢] أي : الكفر أشدّ من القتل .

والفتن في الدين والحروب . وقولهم : فِتْنَةُ السوطِ أَشَدُّ من فِتْنَةِ السيفِ[٣] ، ومعناه : اختبار السوط أشدّ ؛ لأنّ فيه تعذيباً متطاولاً .

وقوله : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[٤] أي : يشوون من قولك :

الشيخ المصنّف أيضاً ، وهو استعماله الفعل على اللغتين هما : فَتَنَ = فَعَلَ وأَفْتَن = أفْعَلَ .

هذا ، ولعلّ المعنى واضح .

وراجع لمن ذكره واستشهد به ونسبه إلى الأعشى : مجاز القرآن ١ : ١٦٨ ، البصائر والذخائر ٥ : ١١٦ ت ٣٨٣ ، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح ١ : ١٩٩ ، نهاية الإرب في فنون الأدب ٤ : ١٩٤ ، ديوان الأدب للفارابي ٤ : ٢١٤ ، إضافةً لأغلب مصادر لغة «فتن» الآتية : هامش «٢» .

(١) سورة ص ٣٨ : ٢٤ .

(٢) الآية في سورة البقرة ٢ : ١٩١ .

ولضبط المادّة «فتن» والشاهد الشعري روجعت المصادر اللغوية التالية : العين ٨ : ١٢٧ ، جمهرة اللغة : ٤٠٦ و١٢٥٩ ، تهذيب اللغة ١٤ :٢٩٦ ، المحيط في اللغة ٩ : ٤٤٥ ، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٥٠١ ، الصحاح ٦ :٢١٧٥ ، لسان العرب ١٣ : ٣١٧ ، تاج العروس ١٨ : ٤٢٤ ، وراجع : الكتاب لسيبويه ٤ : ٥٥ باب هذا افتراق فَعَلْت وأفْعَلْت في الفعل للمعنى .

(٣) نُسبت الجملة هذه لحذيفة بن اليمان في المبسوط للسرخسيّ ٢٤ : ٤٦ .

(٤) سورة الذاريات : ٥١ : ١٣ .

فتنتُ الخبز .

والمعنى الصحيح أنّهم يعذّبون بكفرهم ، يقال : فَتَنَ الكافرُ وأفتنته العذابَ أي : جزاه بفتنته ، كقولك : كذب وأكذبته ، وكلّ من صبأ فقد فتن .

وقوله : ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾[1] قال الأخفش : معناه الفِتْنَةُ ، فهو مصدر كقولك : رجلٌ ليس له مَعقُولٌ ، وخُذْ مَيْسُورَهُ ودَعْ مَعْسُورَهُ[2] ، وأبى ذلك سيبويه وقال : خُذْ مَيْسُوَرهُ ، أي : ما تَيَسَّرَ لَهُ ، وليس له مرفوع ، أي : ما يرفع[3] .

قال صاحب العين : فَتَنَ فُلانٌ فُتُوناً فهو فَاتِنٌ أي : مُفْتَنْ ، وقوله : و﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ﴾[4] أي : مضلّين ، عن الحسن ومجاهد[5] .

وأصل الباب الاختبار .

ومعناه في الآية : إنّما نَحنُ اختبارٌ وبلوى وامتحانٌ فلا تكفر .

---

(١) سورة القلم ٦٨ : ٦ .

(٢) البحث هذا ـ إقامة المفعول مقام المصدر ، أي : المفتون بدل الفتنة ـ تعرّض له جمع منهم الطبريّ في تفسيره جامع البيان ٢٩ : ١٣ ، وابن فارس في الصاحبي : ٣٩٤ ٣٩٥ ، وفي تفسيره (جمع الأستاذ الدكتور حمودي) ضمن فصلية تراثنا س٣ ع١١ : ٥٠ ، والزركشيّ في البرهان في علوم القرآن ٢ : ٢٨٧ ، وانظر : الأصفهانيّ في مفرداته مع ملاحظات العاملي : ٥٥٨ ، والحلبيّ في عمدة الحفّاظ ٣ : ١٩٧ ـ ٢٠٠ ، المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى للسمرقنديّ : ٢٥٦ ، ولم نجد للأخفش في هذا الباب شيئاً فيما توفّر لدينا من كتبه .

(٣) في الكتاب له ٤ : ٢١٣ ، الكامل للمبّرد ١ : ١٢١ .

(٤) سورة الصافّات ٣٧ : ١٦٢ .

(٥) العين ٨ : ١٢٨ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ٤ : ٣٩٤ ، تفسير النكت والعيون ٥ : ٧٢ ، وانظر : تفسير الحسن البصريّ «جمع/ د شير علي» ٤ : ٣٧٥ ت ١١٣٧ ، المكتفى للدانيّ : ٤٨٠ ، الدرّ المنثور ١٢ : ٤٨٥ .

وقال قَتادة : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي : بلاءٌ[1] .

ويحتمل أن يكون معناه : أنّهما كانا كافرين ، فيكون معنى قولهما : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي : شيءٌ عجيبٌ مُستطرف ، كما يقال للمرأة الحسناء : إنّها فتنةٌ من الفِتَنِ ، ويكون قوله : ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ على هذا الوجه يعني : بما جئناك به ، بل صَدِّقْ بهِ واعملْ عليهِ .

وقوله : ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : أنّ ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلّا ، وتقديره : وما يعلّمان من أحد إلّا أن يقولا : إنّما نحن فتْنةٌ فلا تكفر ، ويكون ذلك زيادةً في الابتلاء من الله في التكليف .

والثاني : أنّه نَفْيٌ لتعليمهما الناسَ السحر ، وتقديره : ولا يُعلّمان أحداً السحرَ فيقولا : إنّما نحن فتنة فلا تكفر ، فعلى هذا يكون تعليمُ السحرِ من الشياطينِ ، والنهيُ عنه من الملَكَين .

وقوله : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ قال قوم : معنى تعلَّم وأَعْلَم واحد[2] ، كما جاء عَلِمْتُ وأَعْلَمْتُ وفَهِمْتُ وأَفْهَمْتُ ، قال كعب بن زهير :

---

(١) تجد رأي قَتادة في : تفسير جامع البيان ٢ : ٣٥٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٩٢ ت ١٠١٢ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٣٣ ، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٥٧ ، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٩ ، وغيرها .

(٢) أشار إلى ذلك وأنّه في الأمر فقط السيّد الشريف في أماليه ١ : ٤١٨ ، والأزهريّ في تهذيب اللغة ٢ : ٤١٧ ونسبه لأبي العباس عن ابن الأعرابي ، الصاحبي : ٣٧٠ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٢٨ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٥٤ ، شرح الرضي على الكافية ٤ : ١٥٠ ، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية ١ : ١٢٠ ، تفسير الكشف والبيان ٤ : ٢٩٩ ، وابن منظور في لسان العرب ١٢ : ٤١٧ (علم) .

تَـعَلَّمْ رَسُـولَ اللهِ أنّكَ مُـدْرِكِي ... وأنَّ وَعِيداً مِنْكَ كالأَخْذِ بـالْيَدِ[1] [٣٨٠]

وقال القُطاميّ[2]:

تَـعَلَّم أَنَّ بَـعْدَ الغَـيِّ رُشْـداً ... وأنَّ لِـهَذِهِ الغُـبْرِ آنْـقِشَاعَا[3] [٣٨١]

---

(١) على الرغم من ذكره مفرداً في الديوان ، ولكنّه في المصادر الآتية وغيرها ضـمن قصيدة طويلة مذكورة ، نعم اختلف في نسبتها بين : كـعب بـن زهـير ـ وتـقدّمت ترجمته فـي ١ : ٤٧ ـ ، وأنس بـن زُنَـيْم الدّيـليّ ـ تـرجـمته فـي مـعجم الشـعراء المخضرمين : ٤٩ ـ وكعب بن مالك الانصاريّ ـ وتقدّمت تـرجـمته فـي ٣ : ٥٨ ـ وسارِيَة بن زنيم ـ ترجمته في معجم الشعراء والمخضرمين : ١٧٧ ـ والحاصل أنّـه من جملة قصيدة قالها الشاعر معتذراً للنبيّ الحليمﷺ عمّا نُسِبَ إليه من هجائه له .

المعنى : واضح .

الشاهد فيه : استعمال «تَعَلَّمْ» بمعنى «اعْلَمْ» من دون فرق بينهما .

راجع : مغازي الواقديّ ٢ : ٧٩٠ ، شـرح نـهج البـلاغة للـمعتزليّ ١٧ : ٢٨٢ ، الإصابة ١ : ٦٩ ت ٢٦٥ ، شرح ديوان كعب بن زهـير (ضـمن أبـيات أُنشـدت له ولم تُنشر سابقاً) : ٢٥٨ ، مغني اللبيب ٢ : ٥٩٤ ت ٨٣٥ ، وطبعة أُخرى ٢ : ٧٧٥ ت ١٠١٥ ، شرح أبيات مغني اللبيب للبغداديّ ٧ : ٢٥٨ ت ٨٣١ ، المغني بحاشية الدسوقيّ ٢ : ١٢٢٥ ، ديوان كعب بن مالك : ٢٩٣ ت ٧٢ مفرد ، تـفسير الجـامع لأحكام القرآن ٢ : ٥٤ ، شرح شواهد مجمع البيان ٢ : ٢٦ ت ٢٩٥ .

(٢) هو : عُمَيْرِ بن شُيَيْمٍ ـ مُصَغَّرَيْنِ ـ وقد تقدّمت ترجمته في ٢ : ٣٥٣، و١ : ٨٢ ت ٢٠.

(٣) البيت من القصيدة ١٣ يمدح الشاعر فيها زفر بن الحارث ؛ لليد التي كانت له عليه في إطلاقه من الأسر وإنقاذه من القتل ، وإكرامه .

المعنى : الشاعر يُسَلِّي أخاه ـ عبد قيس ـ والذي وقع معه في أسر بني أسـد ويحثّه على الصبر والتحمّل ؛ لأنّ الدهر لا يبقى على حالة واحدة ، ولعـلّ الفـرج قريب .

الغُمْر أو الغبر : الأُمور التي تجري على الإنسان كالدواهي والشدائـد المـؤذية .

الرشد : الفَرَجُ والهدي . الغيّ : الأذى والظلم .

والشاهد فيه : استعمال تَعَلَّمْ ، بمعنى اعْلَمْ . وهو كذلك لدى جميع من استشهد به وذكره ، ومنهم : السيّد المرتضىٰ في أماليه ١ : ٤١٨ ، الصاحبي : ٣٧٠ باب أبنية

لله

ومنهم من فَرَّقَ فقال: تعلّم بمنزلة تَسَببْ إلى ما به تعْلَم من النظر في الأدلّة، وليس في اعلم ذلك؛ لأنّه قد ينبّهه على ما يعلَمُه بالتأمّل له، كقوله: اعلم أنّ الفعلَ يدل على الفاعل، وما لم يَسبِقْ المحدِث فهو مُحدَثٌ.

والأوّلُ كقوله: تعلّم النحو والفقه.

فإن قيل: كيف يُفرّق بين المرءِ وزوجه؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه إذا تعلّم السحر كفر، فحرمت عليه امرأته.

والثاني: أنّه يمشي بينهما بالنميمة حتى يفسد بينهما، فيفضي إلى الطلاق والبينونة.

والثالث: قال قَتادة وغيره: يُؤَخِّذُ كلّ واحد منهما عن صاحبه ويُبغِّضَهُ إليه.

وقيل: إنّه كان من شرع سُليمان: إنّ من تعلّم السحر بانت منه زوجتُهُ[1].

وقوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ الضمير قيل: إنّه راجع إلى المَلَكَين. وقيل: بل إلى

الأفعال، خزانة الأدب للبغداديّ ٩: ١٢٩ ش ٧١٠، الدرر اللوامع للشنقيطي ١: ١٢٧ ش ٢٠٠. الديوان ٤٠ ب ٢٨ ق ١٣، شرح الديوان ق ١٣ ب.

(١) ممّن أشار إلى ذلك: مقاتل في تفسيره ١: ١٢٧، والطبريّ في تفسيره ٢: ٣٥٨-٣٦١، وابن أبي حاتم الرازيّ في تفسيره ١: ١٩٣ ت ١٠١٦، والهُوّاريّ في تفسيره ١: ١٣٣، والشريف المرتضى في أماليه ١: ٤٢٤، والسمرقنديّ في تفسيره ١: ١٤٤، والطبرانيّ في تفسيره ١: ٢٢١، والواحديّ في تفسيره ١: ١٨٦، والفخر الرازيّ في تفسيره ٣: ٢٢١، والقرطبيّ في تفسيره ٢: ٥٥، وابن عطية في تفسيره ١: ٣١٠، ولعلّ غيرهم أيضاً.

الكفر والسحر؛ لأنّه تقدّم الدليل عليهما في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ كما جاء ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾[1] أي: يتجنّب الذكرى[2].

ومن قال: الملائكة معصومون، يقول: الكناية ترجع إلى الكفر والسحر لا غير دون الملَكَيْن، فكأنّه قيل: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ مكان ما علّماهم ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه، كقول القائل: ليت لنا من كذا وكذا كذا، أي: بدله، قال الشاعر:

[٣٨٢] جَمَعْتَ مِنَ الخَيْرَاتِ وَطْباً وَعُلْبَةً ... وَصَرّاً لِأَخْلَافِ المُزَمَّمَةِ البُزْلِ
وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الكِرَامِ نَمِيمَةً ... وَسَعْياً على الجَارِ المُجَاوِرِ بالنَّجْلِ[3]

يريد جَمعْتَ مكان خَيْراتِ الدُنيا هذهِ الخيرات الرديئَةَ، والأفعالَ الدنيئةَ.

---

(١) سورة الأعلى ٨٧: ١٠ و ١١.

(٢) تجد الإشارة لهذه الأقوال في: معاني القرآن للفرّاء ١: ٦٤، إعراب القرآن المنسوب للزجّاج ٢: ٥٦٨، تفسير النكت والعيون ١: ١٦٨، التبيان في إعراب القرآن ١: ١٠٠، وغيرها.

(٣) الشاعر يخاطب آخر ذامّاً له بأنّك لم تجمع من نعيم الدنيا وخيراتها وفضائلها إلّا الأخلاق الذميمة، والأفعال الدنيئة، والسعي في أذى الآخرين.

المفردات: الوَطْب: الزّقّ والقِرْبة من الجلد، أو الرجل الغليظ الجافّ الذي لاشيء عنده غير الحقد والحنق على الآخرين. العُلْبَة: قدح يصنع من جلد جنب البعير بطريقة خاصة وهيئة مخصوصة يصحبها الراعي والمسافر معه للشرب. الصَرّ: شدُّ ضَرعِ الناقة الحلوب عند إرسالها للرعي. الأخْلاف: جمع خِلْف، ضَرعُ الناقة. البزل: الناقة التي أكملت الثامنة وطعنت في التاسعة.

رغم التتبّع الكثير لم نصل إلى قائله، وقد استشهد به جمع دون نسبة، منهم: الطبريّ في جامعه ٢: ٣٦٠، والشريف المرتضى في أماليه ١: ٣٦٩، والغزنويّ في باهر البرهان ١ :١١٦ بتحقيق د. بافقي، وفي البعض باختلافٍ لا يضرّ.

وقوله: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ فالمرءُ تأنيثُه المرأة.

قال صاحب العين: المرأة تأنيث امرء، ويقال: مَرَة بلا ألف[1].

والمرأة مصدر الشَّيءِ المرِيء الذي يُستَمْرَأُ، يقال: ما كان مَرِيئاً ولقد مَرُؤَ واسْتَمْرَأْتُهُ، وهو: المَرِيءُ للطعام.

وأصل الباب: المَرِيءُ.

فقولهم: مَرْأة، كقولهم: جاريةٌ، أي: جرت في النور والشباب. فأمّا إمراءُ الطعام فإنّه يجري ويَنفِذُ في مَجارِيه ولا يَقِفُ. وكذلك المَرْأَةُ تجري في السنّ إلى حدٍّ[2].

وقُرئَ في الشواذ ﴿بَيْنَ ٱلْمُرْءِ﴾ بضمّ الميم، وهي لغة هُذَيْل[3].

وقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾.

فالضُّرُّ والألمُ والأذى نظائر، والضَّرُّ: نقيضُ النَّفْع.

يقال: ضَرَّهُ يَضُرُّهُ ضَرّاً، وأَضَرَّ بهِ إِضْراراً، واسْتَضَرَّ اسْتِضْراراً، واضْطَرَّه إليه اضْطِراراً، وضارَّهُ مُضَارَّةً وضِراراً.

قال صاحب العين: الضَّرُّ والضُّرُّ لغتان، فإذا جمعت الضُّرَّ والنَّفعَ فَتَحْتَ الضّادَ.

---

(١) العين ٨: ٢٩٩، مادّة «مرء».

(٢) تجد المادّة «مرأ» في: العين ٨: ٢٩٩، جمهرة اللّغة ٢: ١٠٦٩، تهذيب اللّغة ١٥: ٢٨٦، المحيط في اللّغة ١٠: ٢٨٠، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٢٩٣، مفردات ألفاظ القرآن: ٧٦٦، لسان العرب ١: ١٥٤، تاج العروس ١: ٢٤٧.

(٣) أشارت إلى هذه القراءة رغم أنّها شاذّة جملةٌ من مصادر القراءات الشواذ، راجع: مختصر في شواذ القرآن: ١٦، المحتسب ١: ١٠١، شواذ القراءات: ٧٢، إعراب القراءات الشواذ ١: ١٩٣. وكذا غير واحد من التفاسير نحو تفسير البحر المحيط ١: ٣٣٢، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣١٠ ٣١١، وفي الجميع نسبت لابن أبي إسحاق، وفي لسان العرب ١: ١٥٤ نَسبَ الكسرَ إلى لغة هذيل.

والضَّرَرُ: نُقصانٌ يدخلُ في الشّيءِ، يقال: دخل عليه ضَرَرٌ في مالِهِ.

والضَّرُورَةُ: اسم لمصدر الاضْطِرارِ.

والضَّـرِيرُ: الذاهب البَصَرَ مِنَ النّاس، تقول: رجل ضَرِيرٌ بيِّنُ الضَّرارَة.

والضَّرّاءُ من الضُّرّ، وقومٌ أضِرّاءُ.

والضِّـرارُ مصدرُ ضارّه يُضارُّه مضارّة، وفي الحديث: «لاضَـرَرَ ولا ضِرارَ»[1] وإذا أَضَرَّ به المرضُ قيل: ضَرِيرٌ، وامرأة ضَرِيرَةٌ.

والضَّرِيرُ: اسم للمُضَارَّةِ، واكثر ما يستعمل في الغَيْرَةِ، تقول: ما أَشَدَّ ضَرِيرَهُ عليها، قال الشاعر يصف حمار وَحْشٍ:

حَتَّى إذَا مَالَانَ مِنْ ضَرِيرِهِ[2] [٣٨٣]

---

(١) حديث ثابت صحيح متواتر متّفق عليه لدى جميع الفِرَق الإسلامية، وتناوله جمع من أعلام الطائفة تحقيقاً وتنقيحاً وموارد استعمال، ونسبةً مع باقي الأدلّة، إذ هو يجمع بين البحث الأصولي تارة، والفقهي أُخرىٰ. حيث يقع في كبرى الاستنباط، وأُخرى في مقام عمل الأفراد. وعلى أيّة حالٍ الإحالة خير من الاسترسال؛ لسلطة الهامش راجع:

القواعد والفوائد للشهيد الأوّل ضمن الفائدة ٣١ ق ٢ منها ١: ١٢٣ ـ ١٣٢، قاعدة لا ضرر ولا ضرار لشيخ الشريعة الإصفهاني، قاعدة لا ضرر للشيخ موسىٰ الخوانساري، بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر للسيد الخميني، القواعد الفقهية للسيد البُجْنُوردي ١: ٢٠٩ ـ ٢٤٥ ت ٨، رفع الضرر عن قاعدة لاضرر للشيخ محمد باقر الخالصي؛ نيل الوطر من قاعدة لاضرر للشيخ السبحانيّ؛ قاعدة لاضرر ولا ضرار للسيد السيستانيّ، قاعدة لا ضرر ولا ضرار للسيد الروحاني، المحرّر في شرح قاعدة لاضرر للسيد مرتضىٰ السادة، وغيرها كثير لا سيّما البحوث الضمنية.

(٢) نسبه الفراهيديّ في العين ٧: ٧ لرؤبة بن العجّاج، والباقون دون نسبة، انظر: تهذيب اللّغة ١١: ٤٥٨، المخصّص ٢: ٥٦٨، أساس البلاغة ٢: ٤٧، لسان العرب ٤: ٤٨٥ «ضرر».

والضَّرَّتانِ : امرأتان للرَّجُلِ ، والجَمعُ الضَّرائِر .

والضَّرّتان : الألية من جانبيْ عَظْمِها ، وهما الشَّحمَتان اللتان تَهدَّلان من جانبيها .

وضِرّة الإبْهامِ : لَحمةٌ تَحْتَها .

وضَرَّة الضَّرْع : لَحمةٌ تَحتَها ، والضُّرُّ : الهُزال ، وضَرِيرُ الوادي : جانِباه ، وكلُّ شيءٍ دَنا منكَ حتى يَزْحَمَكَ فقد أضَرَّ بك[١] .

وأصل الباب : الانتقاص .

وقوله : ﴿مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : إلّا بتخلية الله .

والثاني : إلّا بعلم الله[٢] ، من قوله : ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ٱللَّهِ﴾[٣] معناه : اعلموا بلا خلاف ، ويقال : أذنت آذن إذناً ، قال الحُطيئة :

ألا ياهِنْدُ إنْ جَدَّدْتِ وَصْلاً   وإلّا فَأْذَنِينِي بِانْصِرامِ[٤]   [٣٨٤]

---

(١) العين ٧ : ٦ ـ ٨ ، مادّة «ضرر» ، ويُنظر أيضاً : جمهرة اللّغة ١ : ١٢٢ ، تهذيب اللّغة ١١ : ٤٥٦ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ١٤٨ ، مجمل اللّغة ٢ : ٥٦١ ، معجم ألفاظ القرآن : ٥٠٣ ، أساس البلاغة ٢ : ٤٦ ، الصحاح ٢ : ٧١٩ ، بصائر ذوي التمييز ٣ : ٤٨٦ ت ٦ ، لسان العرب ٤ : ٤٨٢ ، تاج العروس ٧ : ١٢٢ .

(٢) ذُكر الوجهان أيضاً في : تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، معاني القرآن للزجّاج ١ :١٨٦ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٥٣ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٣ ، التفسير الكبير للفخر ٣ : ٢٣٩ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٥٥ ، وعزاه للنحّاس ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٣٣ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٧٩ .

(٤) لم يُذكر في الديوان ، والشاعر تقدّم في ٢ : ٢١٣ ، ورغم البحث الكثير لم نجد البيت إلّا في تفسير جامع البيان ٢ : ٣٦١ ، ومجمع البيان ١ : ٣٣٨ عند تفسير الآية ، ولم أقف على من ذكره غيرهما ، وقد اتّفقا على روايته كما أثبتناه ، وبحره الوافر ، ☜

وقال الحارثُ بن حِلِّزَة[1]:

آذَنَــتْنَا بِـبَيْنِها أَسْــمَاءُ[2] .... [٣٨٥]

معناه أعلَمتنا.

والإذن في اللغة على ثلاثة أقسام:

أحدها: بمعنى العلم، وذكرنا شاهده.

والثاني: الإباحة والإطلاق، كقوله: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ﴾[3]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ

إلّا أنّ النسخ «خ، ؤ، هـ، س، الحجرية» روته بشكل آخر يخلّ بالوزن، وهو:

يا هند إن جدّدت وصلاً　　　وإلّا فأذنيني عاجلاً بانصرام

وعلى كِلا الروايتين الشاهد: استعماله «فأذنيني» وإرادة فأعلميني، وانظر: شرح شواهد مجمع البيان ٢: ٢٨ ت ٢٩٦.

(١) الحارث بن حِلِّزَة بن مكروه بن يزيد اليشكريّ الوائليّ، شاعر جاهليّ من أهل بادية العراق، أحد أصحاب المعلّقات، وهو أحد الثلاثة الذين نظموا قصيدة جيدة طويلة، وقد ارتجلها أمام عمرو بن هند وكان شريراً، فأدناه وقرّبه رغم برَصِهِ ـ أي الشاعر ـ وسَلَجِهِ.

انظر: طبقات الشعراء لابن سلام ١: ١٥١، الشعر والشعراء لابن قتيبة ١: ١٩٧ ت ٨، الأغاني ١١: ٤٢، معجم الشعراء الجاهليّين: ٩٢.

(٢) الشطر الأوّل من البيت الأوّل من معلّقته الشهيرة والتي ارتجزها أمام عمرو بن هند، وتربو على الثمانين ونيّف بيتاً، وشطره الثاني:

. . . .　　　رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّواءُ

المعنى: آذَنَتْنَا: أعلَمتْنا، أخبَرَتنا. البين: الفراق والبعد، أسماء: حبيبته.

الشاهد: استعماله: آذنتنا بمعنى: أعلمتنا، وقد أجمعت الشروح التالية على ذلك.

انظر: الديوان (بتحقيق، أميل يعقوب): ١٩، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات للأنباري: ٣٥٦ ت ١، شرح القصائد التسع المشهورات للنحّاس ٢: ٩٣ ت ١، وشرح القصائد العشر: ٣٧٠ ت ١، وشرح القصائد المشهورات للمراديّ ٢: ٥١ ت ١، شرح المعلّقات السبع للزوزني: ١٣١، شرح المعلّقات العشر للشنقيطي: ١٧١ وفيهما ب ١ من المعلّقة ٧.

(٣) سورة النساء ٤: ٢٥.

أَيْمَانُكُمْ﴾[١].

والثالث: بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢].

وقد أجمعت الأمّة على أنّه لم يأمر بالكفر.

ولم يتّجه نفي القسم الثالث[٣].

ولا يجوز أن يكون المراد إلّا بإذنه: إلّا بإرادته ومشيئته؛ لأنّ الإرادة لا تسمّى إذناً، ألا ترى أنّ من أراد الشيء من غيره أن يفعله لا يقال: أذن لهُ فيه. فبطل ما قالوه.

وقد روي عن سفيان: إلّا بقضاء الله[٤].

وقال بعض من لا معرفة له: الأَذَنُ بمعنى: العِلْم بفتح الهمزة والذال، دون الإِذْن بكسر الهمزة وسكون الذال.

وهذا خطأ؛ لأنّ الإذْنَ مصدر يقال فيه: أَذَنٌ وإِذْنٌ مثل حَذَرٌ وحِذْرٌ، وقال تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[٥].

ويجوز أن يكون فيه لغتان مثل: شِبْه وشَبَه، ومِثْل ومَثَل.

---

(١) سورة النور ٢٤: ٥٨.

(٢) سورة البقرة ٢: ٩٧.

(٣) إشارة لمن ذهب إلى النفي مطلقاً، مثل القاضي عبدالجبّار في متشابه القرآن: ١٠٠، وتنزيه القرآن له: ٢٩، وانظر: أمالي الشريف ١: ٣٩ و٤٢٣، أحكام القرآن للجصّاص ١: ٥٨، تأويلات أهل السُنّة ١: ٧٦.

(٤) لم نجده إلّا في تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٩٤ ت ١٠٢٠، وتفسير الكشف والبيان للثعلبيّ دون نسبةٍ ١: ٢٥٠، وتأويلات أهل السُنّة ١: ٧٦ دون نسبةٍ أيضاً، وتفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١١٨.

(٥) سورة النساء ٤: ٧١.

وقال هذا القائل: من شاء الله يمنعه فلم يضرّه السّحر، ومن شاء خلّى بينه وبينه يضرّه[١].

وقوله: ﴿لَا يَنفَعُهُمْ﴾.

فالنَّفْعُ: نَقِيضُ الضُّرِّ، والنَفْعُ والمَنْفَعَةُ واللّذَّةُ نظائر، يقال: نَفَعَ يَنْفَعُ نَفْعاً، فهو نافِع، وانْتَفَعَ فُلانٌ بِكذا وكذا، ورَجُلٌ نَفّاعٌ يَنْفَعُ النّاسَ، وأَصْلُ النَّفعِ ضدّ الضرّ[٢].

وحدّ النفع: هو كلّ فعلٍ يكون الحيوان به مُلتذّاً، إمّا لأنّه لذّةٌ، أو يؤدّي إلى اللّذّة.

والضّرُّ: كلّ معنى يكون به الحيوان أَلِماً، إمّا لأنّه أَلمٌ، أو يؤدّي إلى الألم.

والهاء في قوله: ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ﴾ عائدة على السحر.

والمعنى: ولقد علمت اليهود أنّ من استبدل السحر بدين الله ما له في الآخرة من خلاق، وهو قول ابن زيد وقتادة.

وقال قوم من المفسّرين كأبي علي وغيره: كانوا يعطون عليه الأُجرة،

---

(١) للمزيد عن المادّة «إذن» وملابساتها راجع: العين ٨: ١٩٩، جمهرة اللّغة ٢: ١٢٨٢، تهذيب اللّغة ١٥: ١٦، المحيط في اللّغة ١٠: ١٠٣، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٩٦، الصحاح ٥: ٢٠٦٨، لسان العرب ١٣: ٩، تاج العروس ١٨: ١١، أمالي الشريف ١: ٣٩ و٤٢٣، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٥٣، المثلّث للبطليوسي ١: ٣٢٣ ت ١٢، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٩: ٢٣، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٣٦١، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٣، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٦٦.

(٢) استعِنْ لضبط المادّة «نفع» بالمصادر التالية: العين ٢: ١٥٨، تهذيب اللغة للأزهريّ ٣: ٥، جمهرة اللغة ٢: ٩٣٨، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ١٨٧، المحيط في اللغة ٢: ٦٤، الصحاح ٣: ١٢٩٢.

فذلك اشتراؤهم له .

وٱلخَلاَقُ : النصيب من الخير ، وهو قول مجاهد وسفيان «والسُّدّي .

وقال قَتادة»[1] : ما له من جهة .

وقال الحسن : ما له من دين[2] .

قال أُميّة بن أبي الصلت :

يَدْعُونَ بِالوَيْلِ فِيها لاخَلاقَ لَهُم   إلّا سَرابِيلُ مِنْ قِطْرٍ وَأغْلالُ[3] [٣٨٦]

يعني : لا نصيب لهم في الآخرة من الخيرة .

ومعنى : ﴿شَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ باعوا به أنفسهم ، في قول السُّدّيّ وغيره[4] .

---

(١) المحصورة إضافة من المخطوطة «خ» . وبدلها في غيرها من النُّسَخ : وقال قوم .

(٢) الأقوال تجدها في : تفسير مقاتل ١ : ١٢٧ ، تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١ : ٢٨٣ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٣٣ ، تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٩٥ ت ١٠٢٦ ، التفسير الكبير للطبراني ١ : ٢٢١ ، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٥٨ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٤٤ ، تفسير الكشف والبيان للثعلبي ١ : ٢٥١ ،تفسير النكت والعيون للماوردي ١ : ١٦٨ ـ ١٦٩ ، تفسير الوسيط ١ : ١٨٦ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ١٨٨ .

(٣) الشاعر أُميّة تقدّم في ١ : ٧٠ ، والبيت مفرد ورد في ديوانه بطبعتيه ، فالجبيلي : ٩٨ ت ٩٩ ، وفي الكاتب : ٦٠ .

يصف فيه حال أهل النار ، وما يصيبهم من عذاب وهوان .

الويل : الهلاك ، الخلاق : النصيب ، القطر : النحاس المذاب .

الشاهد : ما أشار إليه الشيخ المصنف ﷺ : استعماله «الخَلاقَ» وإرادة النصيب .

وقد استشهد به جمع منهم في : غريب القرآن لابن عباس = تحقيق : محمّد إبراهيم سليم : ٥٩ ت ٦٠. وفي تحقيق : عبدالرحيم ونصر الله : ٨٩ ت ٥٩ ، تفسير البحر المحيط ١ :٣١٩ ، تفسير الدرّ المنثور ١ : ٥٣٧ ، الإتقان في علوم القرآن ٢ : ٨١ .

(٤) إضافةً لأغلب مصادر الهامش الأسبق ، راجع : تفسير معالم التنزيل للبغوي ١ : ١٣٣ ، وتفسير المحرّر الوجيز لابن عطيّة ١ : ٣١١ .

فإن قيل: كيف قال: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ وقد قال قبله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ﴾؟

قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنّهما فريقان: فريقٌ عَلِموا وعانَدوا، وفريقٌ جَهِلوا[1] وضيّعوا.

والثاني: أنّهم فريق واحد إلّا أنّهم ذُمّوا في أحد الكلامين بنفي العلم؛ لأنّه بمنزلة المنفي، وأخبر عن حالهم في الآخرة، وتقديره: إنّهم علموا قدر السحر ولم يعلموا أنّ هلاكهم بتصديقه واستعماله، أو لم يعلموا كنه ما أعدّ الله من العذاب على ذلك وإن علموه على وجه الجملة.

و[**الثالث**][2]: قال قوم: هو مقدّم ومؤخّر، وتقديره: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ﴾ ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

وقال بعضهم: هما جميعاً خبر عن فريق واحد، وأراد بقوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعملون بما علموه، فعبّر عن المعلوم بالعلم، كما قال كعبُ بن زُهَير المُزَنيُّ يصف ذِئباً وغراباً تبعاه لينالا من طعامه وزاده:

---

(١) في «هـ»: لم يعلموا، وفي باقي النسخ ما عدا «خ»: علموا، وكلٌّ منهما محتمل، وسياق البحث يساعد عليهما.

(٢) ما بين المعقوفين يقتضيه السياق.

إذا حَضَرانِي قُلْتُ لَوْ تَعْلَمانِه　　　أَلَمْ تَعْلما أنّي مِنَ الزّادِ مُرْمِلُ[(١)] [٣٨٧]

فأخبر أنّه قال لهما: لو تَعْلَمانِه، فنفى عنهما العلم، ثمّ استَخْبرَهما فقال: أَلَمْ تَعلما؟ وكذلك الآية.

وقال قوم: إنّ الذين عَلِموا الشياطين، والذين لم يَعْلَموا الناس «دون الشياطين»[(٢)].

«وأنكر ذلك بعضُهم؛ لوقوع الإجماع فيما زعم أنّ المعنيّ بقوله: ﴿عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ﴾ الناسُ، دون الشياطين»[(٣)(٤)].

فإن قيل: ما معنى «﴿لَمَنِ﴾ في قوله»[(٥)]: ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ﴾ وأين جوابها إن كانت شرطاً؟

قلنا: عنه جوابان:

أحدهما: أنّها بمعنى الجزاء.

والآخر: بمعنى الذي في قول الزجّاج، وجوابها مكتفى منه جواب

---

(١) بيت من قصيدته اللّامية ـ وتقدّم الشاعر في ١: ٤٧ ـ مطلعها:

ألا بَكَرَتْ عِرْسِي تَلُومُ وتَعْذِلُ　　　وَغَيْرَ الذي قالت أَعَفُّ وأَجْمَلُ

المعنى والشاهد بعد بيان الشيخ المصنف‌ﷺ واضحان.

والمُرْمِلُ: من نقص، أو نفذ زاده، مأخوذ من الرمل والتراب.

راجع: الديوان: بشرح السُكريّ: ٥١، وبشرح العَسْكَرِيّ: ٥٩.

(٢) المحصورة زيادة من النسخة «ؤ» فقط.

(٣) المحصورة زيادة من النسخة المعتمدة «خ» فقط.

(٤) تعرّض لهذه الوجوه آخرون، راجع: تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٣٦٢ ـ ٣٦٧، تفسير بحر العلوم ١: ١٤٤، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٨٣ ـ ٣٨٤، أمالي الشريف المرتضى ١: ٤٢٤، تفسير باهر البرهان ١: ١١٨ ـ ١١٩، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٥٦، تفسير الكشّاف ١: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣: ٢٢٢، تفسير الدرّ المصون ١: ٣٢٩ ـ ٣٣٠، وغيرها.

(٥) الجملة المحصورة ساقطة من النسخ إلّا «خ».

القسم ، كما قال : ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾[1] ولذلك رفع ، قالوا : ولايجوز الجزم إلّا في ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر :

لَئِنْ كانَ ما حُدِّثْتَهُ اليَوْمَ صَادِقاً أَصُمْ فِي نَهارِ القَيْظِ للشَّمْسِ بَادِيَا[2] [٣٨٨]

والوجه : لأصُومَنْ ، ولا يجوز لأصُومُ إلّا في ضرورة الشعر ، كما قال :

لَئِنْ تَكُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ بيُوتُكُمْ لَيَعْلَمُ رَبِّي أنَّ بَيْتِيَ واسِعُ[3] [٣٨٩]

---

(١) سورة الحشر ٥٩ : ١٢ .

(٢) مع كثرة التتبّع لم نجد من نسبه ، رغم كثرة الاستشهاد به لمورد الشاهد إلّا لإمرأة فصيحة من بني عُقيل .

المعنى : لعلّها تخاطب زوجها منكرة ما سمعه عنها زوجها ، بقولها : إن كان الحديث المنقول إليك صحيحاً فإنّي سأصوم في نهار صيفٍ قائظٍ شديدِ الحرّ بارزةً للشمس .

الشاهد : جزمها «أصمْ» على أنّه جواب مجزوم للشرطية ، رغم تقدّم القسم بدلالة اللام الموطئة له . وهو قليل إلّا في ضرورة الشعر .

راجع : معاني القرآن للفرّاء ٢ : ٦٧ و١٣١ ، شرح الرضيّ على الكافية ٤ : ٤٥٧ ت ٩٢٠ ، ما يجوز للشاعر في الضرورة : ٢٩٤ ت ٤١٢ ، خزانة الأدب للبغداديّ ١١ : ٣٣٦ت ٩٣٤ ، وانظر : ٣٢٧ ت ٩٣٣ ، مغني اللبيب (تحقيق عبدالحميد) ١ : ٢٣٦ ت ٣٨٩ ، المغني بحاشية الدسوقيّ ١ : ٥٣٢ ، شرح شواهد المغني للسيوطيّ ٢ : ٦١٠ ت ٣٧٧ ، شرح أبيات مغني اللبيب للبغداديّ ٤ : ٣٧١ ت ٣٨٧ ، جامع الشواهد لمحمّد باقر الشريف ٢ : ٣٦٥ .

(٣) هو للكميت الأسدي ، أبو أيّوب الأوسط ؛ لتوسّطه زماناً بين جدّه الكميت بن ثعلبة وبين الكميت بن زيد الشيعي ، أبو المستهل ، وهذا أشعر الكُمت الثلاثة ، يُعدّ من الشعراء الإسلاميّين بدوي النزعة ، ويُعدّ من الشعراء المُعرِّقين في الشعر ؛ والمُعرّق من كان أبوه شاعراً ، وأمّه شاعرة ، وأخوه وابنه شاعران أيضاً ، مات عام ٩٦هـ .

لترجمته راجع : معجم الشعراء للجبوري ٤ : ٢٣٨ ، الإصابة ٥ : ٣٢٤ ت ٧٤٩٣ ، ومصادر شعره الاتية معجم الشعراء المخضرمين والأمويّين : ٤٠١ : ولابن زيد : ٤٠٠ .

أمّا البيت فهو من جملة قصيدة يفخر فيها ويعدّد مآثره وقومه ذكرها ابن ميمون

يلي

قالوا: وإن جزمت الأوّل جاز جزم الثاني، كقولك: لئن تَقُمْ لا نَـقُمْ إليك[1].

وقوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ يجوز أن يكون عطفاً على: فيأتون ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾، وقد دلّ أوّل الكلام على يأتون. وقيل: فـ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ... فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ وكلاهما ذكره الكسائي والفرّاء.

وأنكر الزجّاج القول الأخير، لأجل قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ أي: من

↩ في منتهى الطلب برقم ٤٢٤، وهكذا جامع ديوانه د. الضامن في المورد العراقية عدد ٤ س ٤ م ٤٤٤: ١٦٦ ق ٢٧ ب ٣٨: ١٥٧ ـ ١٧٦ وفيهما البيت ٣٨.

المعنى: واضح، إذ الشاعر يفخر بسعة داره كناية عن كرمه وسيادته، داعياً قومه إليه فيما إذا مرّوا بضائقة أو قحط.

الشاهد فيه: اكتفاؤه في جواب القسم باللام؛ لوقوعه للحال.

وقد استُشهد به في: معاني القرآن للفرّاء ١: ٦٦ و٢: ١٣١، وشرح الرضيّ على الكافية ٤: ٣١٢ ت ٧٩٨. وكرّره في ٤٦١ و٤٨٨، والمقاصد الشافية للشاطبيّ ٥: ٥٤١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٤: ٣٦٧ ضمن ش ٣٨٦، وخزانة الأدب للبغداديّ ١٠: ٦٨ ت ٨١٤، وانظر: ديوانه المنشور في فصلية المورد البغدادية ٤/ع ٤: ١٥٧ ق٧ ب٣٨، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ٨: ١٢٤ ق ٤٢٤ ب ٣٨.

(١) خلاف بين مدرستي النحو الكوفية والبصرية في ماهية اللّام الداخلة على «مَنْ» في الآية الكريمة، فالبصريّون ذاهبون إلى أنّها لام الابتداء و«مَنْ» موصولة في محلّ رفعٍ بالابتداء، وما بعدها صلة، ويمثلهم الزجّاج.

وأمّا الكوفيّون فذهبوا إلى أنّها اللّام الموطئة للقسم، و«مَنْ» شرطية، وما بعدها خبر لاسم الشرط، وجوابه محذوف، ويمثلهم الفرّاء.

والخلاف طويل كلٌّ أدلى بدلوه فيه، راجع: معاني القرآن للفرّاء ١: ٦٥ ـ ٦٦ و٢: ١٣١، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٨٦ ـ ١٨٧، إملاء ما منّ به الرحمن ١: ٥٦، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ١١٥، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٣٥، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٣٦٤، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية للقيسيّ ١: ٣٦٦، تفسير البحر المحيط ١: ٣٣٤، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢: ٣٥٣ ـ ٣٥٤، ومنها لغيرها.

الملكين، وأجاز القول الأوّل، واختار قولاً ثالثاً، وهو: يعلّمان فيتعلّمون[١].

والذي أنكره يجوز إذا كان ﴿مِنْهُمَا﴾ راجعاً إلى السحر والكفر.

ولا يجوز أن يكون ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ جواباً لقوله: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ فينصب؛ لأنّ تقديره: لا يكن كفر فَتَعَلُّم، كما تقول: لا تدن من الأسد فَيَأْكُلَكَ، أي: لا يكن دُنُوٌّ فَأَكْلٌ، فهذا نهي عن دُنُوٍّ يقع بعده أكل. وإنّما النهي في الأوّل عن الكفر بتعلّم السحر للعمل به، فليس يصلح الجواب[٢] على هذا المعنى، ولا يجوز أن يكون جواباً للنفي في قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾؛ لأنّ لفظه على النفي ومعناه الإيجاب، كأنّه قيل: يعلّمان إذا قالا: نحن فتنة فلا تكفر.

فإن قيل: ما اللام الأولى في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ وما الثانية في قوله: ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ﴾ ومثله قوله: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ﴾[٣].

---

(١) هناك قولان في ماهية المعطوف عليه في ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ فمن ذاهبٍ إلى أنّه معطوف على فعلٍ مضمر مستفاد من أوّل الكلام تقديره: فيأتون ـ وقيل: فيأبون ـ: فـ ﴿يَتَعَلَّمُونَ﴾. وذهب إليه الزجّاج والفرّاء في أحد قوليه، ومن ذاهب إلى أنّه نسق معطوف على ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فيتعلّمون منهما. ورفضه الزجّاج؛ لمحلّ الجمع في ﴿يُعَلِّمُونَ﴾ وعلى كلٍّ نقاشهم طويل كلٌّ استدلّ على مراده، والهامش حاكم بحدوده، فالإحالة على المصادر لمعرفة التفصيل، واختيار المُراد للمُريد أفضل.

راجع: معاني القرآن للزجّاج ١: ١٨٥ ـ ١٨٧، معاني القرآن للفرّاء ١: ٦٤، معاني القرآن للأخفش ١: ٣٢٧، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٣٥، مشكل إعراب القرآن للقيسيّ ١: ٦٤ ـ ٦٥ ت ١٥٤، البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباريّ ١: ١١٤، وذكر أربعة أوجه لإعراب ﴿يُعَلِّمُونَ﴾، إملاء ما منّ به الرحمن ١: ٥٥، التبيان في إعراب القرآن ١: ١٠٠، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣١٠، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٥٥ ـ ٥٦، تفسير البحر المحيط ١: ٣٣١، وغيرها.

(٢) في نسخة «هـ»: للجواب، ولعلّ لكلٍّ وجهاً.

(٣) متفرّع ممّا تقدّم في صفحة ٢٢٦ هـ ١، فراجع.

قيل: الثانية لام القسم بإجماع، قال الزجّاج: لأنّك إنّما تحلف على فعلك لا على فعل غيرك في قولك: والله لئن جئتني لأُكْرِمَنَّكَ.

فأمّا الأُولى فزعم بعض النحويّين أنّها لمّا دخلت في أوّل الكلام أشبهت القسم، فأُجيبت بجوابه.

قال الزجّاج: هذا خطأ؛ لأنّ جواب القسم لا يشبه القسم، ولكنّ اللّام الأُولى دخلت إعلاماً أنّ الجملة بكمالها معقودة بالقسم؛ لأنّ الجزاء وإنْ كان المقسم عليه فقد صار للشرط فيه حظٌّ، ولذلك دخلت اللام[١].

قال الرّمانيّ: هذا الذي ذكره لا يُبطل شَبَهها بالقسم؛ لأنّها للتوكيد كما أنّه للتوكيد، فكأنّه قال: والله إن أتيتني لأُكْرِمَنَّكَ.

والظاهر في روايات أصحابنا أنّ الساحر يجب قتله[٢]. وفيه خلاف، ذكرناه في الخلاف[٣].

وقال أبو علي: من قال: إنّه يقلب الأجسام ويُنشئها يجبُ قتله إنْ لم

---

(١) معاني القرآن للزجّاج ١٨٧/١.

(٢) تعرّض علماؤنا رضوان الله عليهم لذلك في مصنّفاتهم الفقهيّة، منها: المبسوط للشيخ الطوسي ٧: ٢٦٠، جواهر الكلام ٤١ : ٤٤٢، مستند الشيعة ١٤: ١١١، مسالك الافهام ١٤: ٤٥٤، رياض المسائل ١٦ : ٥٨، مستدلّين لذلك بالروايات المعتبرة.

وراجع: المعجم الفقهي لكتب الشيخ الطوسي ٣: ٢٨٠، معجم فقه الجواهر ٣: ٣٠٧، وغيرهما.

(٣) مسائل الخلاف ٥: ٣٢٧م ١٤ و٣٢٩م ١٥ و٣٣٠م ١٦ و٣٣١م ١٧.

ولرأي العامة راجع: الاستذكار ٢٥: ٢٣٢ ـ ٢٤٤ ت ١٦٢١ ح٣٧٨٨٩ و: ٢٤٤ ت ٣٧٩٥٧، المعيار المعرّب ٩: ١٩٨، المغني لابن قدامة ١٠: ١٠٤ ف٧١٢٥ ـ ١١٥ف ٧١٣٠، روضة الطالبين ٧: ١٩٨، الفقه على المذاهب الأربعة: ٥: ٤٠٣ ـ ٤١٢، الموسوعة الكويتية ٢٤: ٢٥٩ ـ ٢٦٩، ١ ـ ١٨، وغيرها.

يتب ؛ لأنّه مرتدٌّ كافر بالأنبياء ؛ لأنّه لا يجد بين ما ادّعى وبين آياتهم فضلاً ، وأمّا من قال : إنّه يُموّه ويُمخرِق ، فإنّه يؤدّب ولا يُقتل[١] .

فأمّا الروايات التي رويت في أنّ المَلَكَين أخطآ وركبا الفواحش ، فإنّها أخبار آحاد[٢] ، من اعتقد عصمة الملائكة يقطع على كذبها ، ومن لم يقطع على ذلك جوّز أنْ تكون صحيحة ولا يقطع على بطلانها .

والذي نقوله : إنْ كان المَلَكان رسولين فلا يجوز عليهما ذلك ، وإنْ لم يكونا رسولين جاز ذلك وإنْ لم نقطع به ، وقد بيّنّا الكلام عليه فيما مضى[٣] .

فأمّا ما روي من أنّ النبي صلى الله عليه وآله سُحر وكان يرى أنّه فعل ما لم يفعله وأنّه لم يفعل ما فعله ، فأخبار آحاد لا يلتفت إليها[٤] ، وحاشا النبيّ صلى الله عليه وآله من

---

(١) أبو علي هو الجبائي ، وكتبه أثر بعد عين .

(٢) تقدّم بعض منها في صفحة ٢٠٨ مع الإشارة إلى مصادره في الهامش (١ و٢) منها ، علماً أنّ المصادر الذاكرة غالباً عامّيّة ، مثل مسند أحمد ٢ : ٢٩٤ ت ٦١٤٣ ، مستدرك الحاكم ٥ : ٨٣٣ ت ٨٨٣٢ ، سنن البيهقي ١٠ : ٧ ـ ٨ ت ١٩٦٧٧ ، مجمع الزوائد ٥ : ٦٨ ، صحيح ابن حبّان ١٤ : ٦٣ ـ ٦٤ ت ٦١٨٦ ، شُعَب الإيمان ١ : ١٧٩ ت ١٦٢ ، موارد الظمآن ٢ : ٧٦٨ ـ ٨٦٩ ت ١٧١٧ ، الترغيب والترهيب ٣ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ت ٥٣٠ .

وأمّا الشيعيّة فراجع : علل الشرائع : ٢٥ ، الاحتجاج ٢ : ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ، عيون أخبار الرضا ١ : ٢٦٩ ت ١ ، بحار الأنوار ١ : ٢٦٩ ت ١ .

(٣) بُيّن الكلام حولها في صفحة ٢٠٨ هـ ٢ .

(٤) لقد ملأت المجعولات الدالّة على ذلك كتب القوم وصحاحهم وسننهم فضلاً عن كتب تاريخهم ، غافلين أو متغافلين لا بل متعمّدين في نقلها وإثباتها ، للطعن في مقام النبوّة والخاتمية المحفوظة ، ومحاولة تنزيله وتحطيم عظمته وشخصيته صلى الله عليه وآله ؛ كي لا يكون بينه وبين غيره ممن تسنّم سدّة الحكم فرق يذكر . وهذه إحدى دسائس

لم

كلّ صفة نقص ، أو منفّر من قبول قوله ؛ لأنّه حجّة الله على خلقه ، وصفيّه من عباده ، واختاره الله على علم منه ، فكيف يجوز ذلك عليه مع ما جنّبه الله من الفظاظة والغلظة وغير ذلك من الأخلاق الدنيئة والخلق المشينة ؟!

ولا يُجَوِّز مثلَ ذلك على الأنبياء إلّا من لا يعرف مقدارهم ، ولا يعرفهم حقيقة معرفتهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] وقد أكذب الله من قال : (إن يتّبعوا إلّا رجلاً مسحوراً) ، فقال : ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسۡحُوراً﴾[2] فنعوذ بالله من الخذلان ، ونحمده على التوفيق لما يرضاه .

و«لكن» مشدّدة ومخفّفة معناهما واحد ، قال الكسائي : والذي اختارته العرب إذا كانت «وَلكِنَّ» بالواو مشدّدة ، وإذا كانت بلا واو اختاروا

الأمويّين الذين بذلوا في سبيل نشر وإذاعة هذه الترّهات ؛ لصدّ الاعتراض على خلافة من تصدّى لها من الأوّلين ومعاوية وأمثاله ، ومع الأسف ولا ينفع فقد أُدرجت في كتب محقّقيهم ، ولا أعرف لماذا ؟ ولعلّه غفلة ، بل استغفال !!!

والأعجب المؤسف حقّاً اندساس بعضها غفلة في مصنفات الشيعة الذاهبين إلى عدم صحّة ذلك قطعاً وبلا شكّ وريب ؛ لقولهم بالعصمة تبعاً لوُلاة أمرهم الأئمّة المعصومين عليهم السلام .

راجع خير من بيّن حالها : الصحيح من سيرة النبي الأعظم للعاملي ١٦ : ٢١٥ـ ٢٣٠ ، أضواء على الصحيحين : ٢٧٣ ، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ط العلمية) : ١٦٥ .

وأمّا مصادر المثبتين فكثيرة منها : سبل الهدى والرشاد ١٠ : ٥٧ ومصادره ، المصنّف لابن أبي شيبة ١٢ : ٦٢ ت ٢٣٩٨٤ ، مسند أبي يعلى ٨ : ٢٩٠ ت ٤٨٨٢ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ١٩٦ ، صحيح مسلم ٤ : ١٧١٩ ت ٢١٨٩ ، صحيح البخاري ٧ : ٩٤ ت ٢٣٨٢٦ و٢٣٨٢٧ ، ومنها إلى غيرها كثير ، وراجع ما تقدّم في صفحة ٢٠٨ هـ «١ و٢» .

(١) سورة المائدة ٥ : ٦٧ .

(٢) سورة الفرقان ٢٥ : ٨ .

التخفيف ، وكلٌّ صوابٌ[١] ، وقرأ[٢] بغير ما اختاره اتّباعاً للأخبار في القراءة .

قوله تعالى :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٣) آية بلا خلاف .

الضمير في قوله : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾** عائد على الذين يتعلّمون السحر . قال الحسن : تعلّموا أنّ ثواب الله خير لهم من السحر[٣] .

وأمّا جواب **﴿وَلَوْ﴾** فللنحويّين فيه قولان :

فالبصريّون يذهبون إلى أنّ جوابه محذوف ، وتقديره : ولأُثيبوا ، وأوقع **﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾** موقعه ؛ لدلالته عليه[٤] .

وقال بعضهم : التقدير : ولو أنّهم آمنوا واتّقوا لأُثيبوا ، ثمّ قال : و**﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾** أي : لو كانوا يستعملون ما يعلمون ، وليس أنّهم كانوا يجهلون ذلك ، كما يقولُ الإنسانُ لصاحبه وهو يعظه : ما أدعوك إليه خيرٌ لكَ لو كنتَ تعقلُ ، أو تنظر في العواقب والفكر فيها .

وقال الفرّاءُ[٥] : الجواب في **﴿لَمَثُوبَةٌ﴾** ؛ لأنّ **﴿لَوْ﴾** شبهت بلئن من

---

(١) تقدّمت الإشارة لذلك في صفحة ١٩١ هامش ٣ فراجع .

(٢) هكذا في جميع النسخ ، وفي المطبوعات «قرئ . . . اختاروه» ، ولاختلاف النقل عن الكسائي لم يمكن القطع به ، وانظر هامش ٣ صفحة ١٩١ .

(٣) قول الحسن ذكرته أغلب التفاسير ولكن دون نسبة ، اللهمّ إلّا ابن أبي حاتم الرازيّ في تفسير القرآن العظيم ١ : ١٩٦ ت ١٠٣٣ حيث نسبه لجمع منهم : الحسن وقتادة والسُدّيّ ، و . . .

(٤) أشار إلى ذلك في معاني القرآن للأخفش البصري ١ : ٣٢٩ ، وإعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٥٤ ، البحر المحيط ١ : ٣٣٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٥٦ .

(٥) بما أنّه علم الكوفيّين فيمكن أن يكون هذا المقطع رأيهم قبال البصريّين .

حيث كان كلّ واحد منهما جزاءً، فلمّا أشبهتها أُجيبت جوابَها، فالمعنى: لئن آمنوا لمثوبة[1].

فعلى القول الأوّل لا يجوز: لو أتاني زيد لعمرو خير منه. وعلى الثاني يجوز. وإذا قلت: لو أتاني زيد لإكرامي خير له جاز على الوجهين.

واللام التي في ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ لامُ الابتداء؛ لأنّها دخلت على الاسم كما دخلت في: علمتُ لزيدٌ خيرٌ منكَ. ولو جاز ـ هاهنا ـ لام القسم لنصبت الاسم في علمت.

فإن قيل: ما معنى قول الله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وهو خير علموا أو لم يعلموا؟

قيل: معناه: لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذاك، أي: لعلموا أنّ ثواب الله خيرٌ من السحر.

وقال أبو علي: المعنى في ذلك الدلالة على جهلهم والترغيب لهم في أن يعلموا ذلك، وأن يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي يُنال بطاعاته واتّباع مرضاته.

وفيه دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف[2]؛ لأنّهم لو كانوا

---

(١) لم نجده منسوباً إلى الفرّاء، ولعلّه رأي الزجّاج في معاني القرآن ١ : ١٨٧، هذا، وأغلب كتب إعراب القرآن على أنّ ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ ومن دون نسبةٍ إلى أحد، راجع: مشكل إعراب القرآن للقيسيّ ١ : ٦٦ ت ١٥٧، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ١١٦، إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٥٦، تفسير الثعالبي ٣ : ٥٠٩، التبيان لأبي البقاء ١ :١٠١، فتح القدير ١ : ١٢١، الدرّ المصون ١ : ٣٣١، تفسير البيضاوي ١ : ١٢٦، اللباب ٢ : ٣٥٧، الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٢٩٢، التحرير والتنوير ١ : ٦٤٨.

(٢) هم الذاهبون لضرورة المعرفة وأنّ حصولها إمّا بالطبع أو الإلهام، منكرين وجوب
ﷺ

عارفين على ما يقولونه لما قال: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

والمثوبة: الثَّواب في قول قَتادة والسُّدّيّ والربيع[1].

والثَّواب هو: الجزاء على العمل بالإحسان، وهو: منافع مُستَحقَّة يقارنها تعظيم وتبجيل.

والمثُوبَةُ والثَّوابُ والأَجْرُ نظائر. ونقيض المثُوبَةُ العقُوبَةُ.

يقال: ثَابَ يَثُوبُ ثُؤُوْباً، وأثابَهُ إثابَةً وثَواباً ومَثُوبَةً، واسْتَثابَهُ اسْتَثابَةً، وثَوّبَ تَثْوِيباً.

والثَّوابُ في الأصل معناه: ما رجع إليك من شيءٍ، تقول: اعْتَرت

النظر والاكتساب فيها إلى غير ذلك، وعليه ـ حسب رأيهم ـ فهي ليست من أفعال العبد وليس له قبالها سوى الإرادة، ورأس منظّريهم الجاحظ، وعلى الأغلب هم من المعتزلة.

راجع: المِلَل والنحل ١: ٧٥ ت ١، المغني في أبواب التوحيد والعدل ١٢: ٧٨ و٢١٢ ٣٠٦، ب ٢ جنس ٢ من الكلام في النظر، شرح التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض لابن متوّية: ٣٥٠. وللردّ عليه راجع: تمهيد الأُصول في علم الكلام للشيخ الطوسي: ١٩٠ ـ ٢٠٧ خصوصاً: ١٩٧.

ولآرائهم راجع إضافةً لما تقدّم: رسائل الجاحظ ٤: ٤٧ ٦٥، الذخيرة في علم الكلام: ١٦٦ ـ ١٦٩، شرح الأُصول الخمسة ٤٨ ٥٧، تلخيص الأدلّة: ١٨١ ـ ١٨٢، الفِصَل في المِلَل والأهواء والنحل ٥: ١٠٨، رسائل العدل والتوحيد: ٣٢٠، الفائق في أُصول الدين للملاحي: ٣٦٩ ـ ٣٩٢، وغيرها كثير.

(١) كون المثوبة بمعنى الثواب ممّا ذكره أهل التفسير واللغة في مصنّفاتهم، وبعضهم علّل ذلك بأنّه مصدر مشتمل على الماضي وغيره، وفي بعض المصنّفات ذكرت منسوبة للثلاثة المذكورين أعلاه وبعضهم لواحد، راجع للمثال: تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١: ٢٨٣ ت ١٠١، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٩٦ ت ١٠٣٣، تفسير بحر العلوم ١: ١٤٥، تفسير الوسيط ١: ١٨٦، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٨٣، مجاز القرآن ١: ٤٩، معاني القرآن للأخفش ١: ١٨٧، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣١٢، ومصادر اللغة الآتية.

الرجلَ غَشْيَةٌ ثمّ ثابت إليه نَفْسُهُ ، ولذلك صار حقُّ الثوابِ الجزاءَ ؛ لأنّه العائد على صاحبه مكافأة ما فعل .

ومنه التثويب في الأذان وغيره ، وهو : ترجيع الصوت ، ولا يقال ذلك للصوت مرّة واحدة ، ويقال : ثَوّبَ الداعي إذا كرّر دُعاءه إلى الحرب أو غيرها ، ويقال : انهزم القومُ ثمّ ثابوا ، أي : رجعوا .

والثوب : مشتقٌّ من هذا ؛ لأنّه ثابَ لباساً بعد أنْ كان قطناً أو غزلاً .

والثَّيِّبُ : التي قد تزوّجت وثابت بوجه ما كان ، ولا يوصف به الرجل إلّا أن تقول : ولد الثيّبين ، وولد البِكْرين .

والمَثَابَةُ : الموضع الذي يثوب إليه الناس ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾[1] أي : مجتمعاً بعد التفرّق وان لم يكن تفرّقوا من هناك فقد كانوا متفرّقين ثمّ ثابوا إليه ، ويقال : ثاب الحَوْضُ ثؤوباً : إذا امتلأ أو كاد يمتلء .

وأصل الباب : الثُؤوب : الرجوع[2] .

وقرأ قَتادة ﴿لَمَثْوَبَةٌ﴾ بسكون الثاء وفتح الواو ، وهي لغة جاءت على الأصل ، كما قالوا : مَشْوَرَةَ ـ بفتح الواو وسكون الشين ، وضمّ الشين

(١) سورة البقرة ٢ : ١٢٥ .

(٢) من جملة المصادر اللّغويّة التي يستفاد منها ذلك : العين ٨ : ٢٤٦ ، جمهرة اللّغة ١ : ٢٦٢ ، تهذيب اللّغة ١٥ : ١٥١ ، المحيط في اللّغة ١٠ : ١٨٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٢١٧ ، الصحاح ١ : ٩٤ ، معجم مقاييس اللّغة ١ : ٣٩٣ ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ١٧٩ ، هذا ولعلّ خير من جمع متفرّقات مواردها : المعجم في فقه لغة القرآن ٨ : ٦٨٧ . «ثوب» في الجميع .

وسكون الواو[(١)] ـ والفرّاء على خلافه .

والعرب مجمعون على إلقاء الألف من قولهم : هذا خَيْر منك وشرّ منك ، إلّا بعض بني عامر فإنّهم يقولون : ما أُريد خَيراً أَخْيَر من ذا ، وقال بعضهم أيضاً : هذا أشرّ من ذا[(٢)] ، والوجه طرح الألف .

قوله عزّ وجلّ :

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ آية بلا خلاف .

المراعاة : التفقّد للشيء في نفسه أو أحواله .

والمراعاة والمحافظة والمراقبة نظائر ، ونقيض المراعاة : الإغفال .

يقال : «رَعَىٰ رَعْياً ، وأَرْعَىٰ إرْعاءً ، ورَاعَىٰ مُراعاةً ، واسْتَرْعَاهُ اسْتِرْعاءً ، وارْتَعَى ارتعاءً ، والرَّعيُ : مصدر»[(٣)] رَعَى يَرْعى رَعْياً ، والرِعْيُ : ما تأكله الماشية من نبات الأرض ، ورعى الله فلاناً : إذا حفظَهُ ، ورَعَيْتُ له عهده وحقَّه بعده أو في من خلَّف ، وأَرْعَيْتُهُ سَمْعي : إذا أصغيتُ إليه ، وراعَيْتُه بعيني ؛ إذا لاحظتُهُ .

وجمع الراعي : رِعاءٌ ورُعاةٌ ورُعْيانٌ ، والرِعايَة : فعلُ الراعي ، يَرْعاهَا

---

(١) أشارت إلى قراءة قَتادة المصادر التالية ، وأضافت إليها : قراءة أبي السِمال وابن بُريدة كذلك ، أُنظر : المحتسب ١ : ١٠٣ ، مختصر في شواذّ القرآن : ١٦ ، إعراب القراءات الشواذّ ١ : ١٩٤ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٥٣٧ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٣١٢ ، تفسير اللباب ٢ : ٣٥٨ ، وانظر : تفسير الكشّاف ١ : ٣٠٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ : ١٠١ دون نسبةٍ .

(٢) أُشير إلى هذا من دون نسبةٍ في لسان العرب ٤ : ٢٦٤ ، تاج العروس ٦ : ٣٧٧ .

(٣) المحصورة من النسخة «خ» فقط .

رِعَايَةً إذا ساقَها وسرَّحها وأَراحَها فقد رَعَاهَا ، وكلُّ من وَليَ قَوماً فهو راعِيهِمْ ، وهم رَعِيَّتُه .

والمَرْعِيُّ مِنَ الناسِ : المَسُوسُ .

والراعِيُ : السائِس .

ويقال : فلان يرُاعي كذا ، معناه : ينظُر إلى ما يصير إليه أمره ، ورَعَيْتُ النجُومَ : أي رَقَبْتُها .

واسْتَرعَاهُ اللهُ خَلْقَهُ أي : ولّاهُ أَمرَهُمْ ؛ ليرعاهم . والإِرْعاءُ الإبقاء على أخيك .

وتقول : أرْعِني سَمْعَك ، أي : اسمع يا فلان ، وكان المسلمون يقولون : يا رسول الله راعِنا ، أي : استمع منّا ، فحرّفت اليهودُ فقالوا : يا محمّد راعِنا ، وهم يُلْحِدونَ إلى الرعُونَةِ يريدون به النقيصة والوقيعة ، فلمّا عوتبوا قالوا : نقول كما يقول المسلمون ، فنهى اللهُ عن ذلك فقال : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ ٱنْظُرْنَا﴾ .

ورجل تِرْعِيَّةٌ : الذي لم تزل صنعته وصنعة آبائهِ الرِّعاية ، قال الشاعر :

يَسُوسُها تِرعِيَّةٌ جافٍ فُضُلْ   إنْ رَعَتْ صَلّى وإلّا لم يُصَلْ[1] [٣٩٠]

وأصل الباب : الرَّعْيُ : الحفاظ[2] .

---

(١) البيت لم نهتد لقائله ، وفي بعض ألفاظه اختلاف لا يضرّ الشاهد وهو قوله : ترعيَّةٌ ، ولم أجده إلّا في بعض مصادر اللّغة ، مثل العين ٢ : ٢٤١ «رعى» ، ولسان العرب ١١ : ٥٢٦ «فضل» ، أساس البلاغة ١ : ٣٥٠ «رعى» ، تاج العروس ١٥ : ٥٨١ «فضل» .

(٢) مادّة «رعى» ضبطت مع اللّغويّات التالية : العين ٢ : ٢٤٠ ، جمهرة اللغة ٢ : ٧٧٦ ، تهذيب اللّغة ٣ : ١٦٢ ، المحيط في اللّغة ٢ : ١٤٧ ، المحكم والمحيط ←

وأمّا الآية فللمفسّرين فيها ثلاثة أقوال:

قال ابن عباس ومجاهد: ﴿لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا﴾ أي: لا تقولوا: اسمع منّا ونسمع منك.

قال عطاء: ﴿لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا﴾ أي: لا تقولوا خلافاً. وروي ذلك أيضاً عن مجاهد.

وهذا لا وجه له إلّا أن يراد (راعناً) بالتنوين.

وقيل: معناه ارقبنا[1]، قال الأعشى:

يَرْعَى إلى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجَالِ إذَا ... أَبْـدَوْا لَـهُ أَوْ مَـا شَـاءَهُ ابْـتَدَعَا[2] [٣٩١]

الأعظم ٢: ٢٣٨، مجمل اللّغة ١: ٣٨٤، مفردات ألفاظ القرآن: ٣٥٧، الصحاح ٦: ٢٣٥٨، لسان العرب ١٤: ٣٢٥، تاج العروس ١٩: ٤٦٥.

(١) أشير إلى الأقوال في المصنّفات التالية: تفسير الحسن البصري (جمع: كمال) ٢: ٧٦ ت ١٢٢، تفسير سفيان الثوري: ٤٨ ت ١٦١٣، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٦٠، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٩٦ ـ ١٩٧ ت ١٠٣٨ ـ ١٠٤٢، التفسير الكبير للطبراني ١: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، تفسير جامع البيان للطبري ٢: ٣٧٣ ـ ٣٨٥، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٤، مختصر في شواذّ القرآن: ١٦، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١: ١٤٥، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٥١ ـ ٢٥٢، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٨٤، تفسير المشكل من غريب القرآن: ١٠٠ ت ١٠٤ وهُما للقيسي، تفسير النكت والعيون للماورديّ ١: ١٦٩، الوسيط في تفسير الكتاب العزيز ١: ١٨٦ ـ ١٨٧، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١١٩ ـ ١٢٠، وغيرها أيضاً.

(٢) البيت للأعشى الكبير وتقدّمت ترجمته في ١: ٥٦، والبيت ت ٥٧ من ق ١٣ في الديوان، وهي رابعة القصائد التي مدح فيها هوذة بن علي، وقيل: بل هي آخرها.

المعنى: الشاعر يعدّد جميل صفات هوذة ومنها: حسن استماعه وإصغاؤه لآراء الآخرين حينما يستشيرهم، ومن ثمّ يختار منها ما يرى فيه الحزم والصلاح؛ وإلّا رأى ما يشاؤهُ ممّا هو أصوب وأصحّ في نظره.

يعني : يصغي ، وقال الأعشى أيضاً :

فَـضَلِلْتُ أَرْعَـاهَا وَظَـلَّ يَـحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ إذَا الظَّلَامُ دَنـا لَـهَا[1] [٣٩٢]

والسبب الذي لأجله وقع النهي عن هذه الكلمة قيل فيه خمسة أقوال :

أحدها : ما قاله قَتادة وعطية[2] : إنّها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء .

و **[الثاني]**[3] : قـال عـطاء : هـي كـلمة كـانت الأنـصار تـقولها فـي الجاهليّة ، فنهوا عنها في الإسلام .

و **[الثالث]** : قال أبو العالية : إنّ مشركي العرب كانوا إذا حدّث بعضُهم

الشاهد : «يرعى» ، واستعمالها بمعنى الإصغاء .

راجع الديوان (بشرح د . محمّد محمّد حسين) : ٥٩ .

(١) البيت ٦ من القصيدة ٣ في الديوان والتي يمدح فيها قيس بن معدي كرب .
والشاعر ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ٥٦ ـ في الأبيات ٥ ـ ٧ من القصيدة يصف كيف خان مضيّفه وأصاب منه غفلة فخلا بزوجته للذّته ، لهذا وغيرها من اعترافاته عدّه مترجموه من الشعراء المتعهرين الذين لا يبقون على أنفسهم ولا يتستّرون ، وعدّوا منهم جمعاً مع شواهد من أشعارهم دالّة على ذلك .
والشاعر يكنّي في البيت عن زوجة صاحبه بالشاة حتى إذا أصاب منه الغرة ، ووصل إلى مبتغاه .
الشاهد : استعماله «أرعاها» بمعنى أرقبها وأحوطها .
راجع : الديوان (بشرح د . محمّد حسين) : ٧٧ .

(٢) عطية بن سعد بن جنادة ، أبو الحسن العوفيّ الكوفيّ ، روى عن جمع منهم : ابن عباس وابن عمر وزيد بن الأرقم وغيرهم ، وروى عنه ابنه الحسن وعمر والأعمش والحجّاج بن أرطاة وغيرهم ، قال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله . وله أحاديث صالحة ، توفّي سنة ١١١هـ ، وقيل : ١٢٧هـ .
راجع : طبقات ابن سعد ٦ : ٣٠٤ ، طبقات خليفة : ٢٧٢ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٧٩ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٢٥ ت ١٥٩ ومصادرها .

(٣) التسلسل من الثاني وإلى الخامس لم يرد في النسخ : «خ ، ؤ» وفي «هـ» بإضافة ضمير«ها» فيها ، أي : ثانيها وهكذا .

بعضاً يقول أحدهم لصاحبه : أرعنا سمعك ، فنهوا عن ذلك .

و [**الرابع**]: قال السُّدِّيُّ : كان ذلك كلام يهوديٍّ بعينه يقال له : رفاعة ابن زيد[١] ، يريد بذلك الرعونة ، فنُهي المسلمون عن ذلك .

و [**الخامس**]: قال أبو علي : قد بيّن الله عزّ وجلّ أنّها كلمة كانت اليهود تلوي بها ألسنتهم في قولهم : **﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ﴾**[٢] ، وهو قول ابن عباس وقَتادة .

وقيل : **﴿لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا﴾** من المراعاة والمكافأة ، فأُمروا أن يخاطبوا النبيّ صلى الله عليه وآله بالتوقير والتعظيم ، أي لا تقولوا : راعنا سمعك حتى نفهمك وتفهم عنّا[٣] .

وقال أبو جعفر عليه السلام : هذه الكلمة سبّ بالعبرانيّة ، إليه كانوا

---

(١) رفاعة بن زيد بن التابوت من بني قينقاع ، من عظماء اليهود والمعاصرين للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله منذ بدء الدعوة وإلى الهجرة للمدينة ، وكان شديد العداء والعناد له وللمسلمين ، وكان يخذّلهم عن النبي صلى الله عليه وآله ، نزلت فيه عدّة آيات من الذكر الحكيم ، ذهب لينال جزاءه عام ٦هـ .

راجع : تاريخ الطبري ٢ : ٦٠٧ ، البداية والنهاية ٤ : ١٥٨ ، وخير من فصّل حياته أعلام القرآن للشبستري : ٣٧٩ ومصادره .

(٢) سورة النساء ٤ : ٤٦ .

(٣) الأقوال تجدها مجتمعة ومتفرّقة في المصادر التالية وغيرها : تفسير مقاتل ١ : ١٢٨ ، معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٨٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٩٧ ت ١٠٣٨ ـ ١٠٤٢ ، الناسخ والمنسوخ للنحّاس : ٢٦ ، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٥٨ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٣٦ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٦٩ ، المحرّر الوجيز ١ : ٣١٢ .

يذهبون[١]. قال الحسين بن علي المغربي: فبحثتُ عن ذلك فوجدتهم يقولون: «راعَ» بوزن، «قال» على معنى الفساد والبلاء، ويقولون: (نا) بتفخيم النون وإشمامها بمعنى الآن[٢] مجموع اللفظتين فاسد الآن[٣]، فلمّا عوتبوا على ذلك قالوا: إنّا نقول كما يقول المسلمون، فنهي المسلمون عن ذلك.

ولمّا كان معنى ﴿رَاعِنَا﴾ يراد به النظر قال: ﴿قُولُواْ﴾ عوضها: ﴿ٱنظُرْنَا﴾، أي: انظر إلينا، ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ ما يقوله لكم الرسول[٤].

وروي عن الحسن انه كان يقرأ ﴿رَاعِنًا﴾ بالتنوين بمعنى لا تقولوا قولاً راعِنًا، يعني: من الرعونة وهي الحمق والجهل. وهذا شاذٌّ لا يؤخذ به.

وفي قراءة ابن مسعود ﴿رَاعُوْنا﴾ خطاب من جماعة لجماعة بمراعاتهم. وهذا أيضاً شاذٌّ[٥].

---

(١) انفرد الشيخ المصنّف رحمه الله بروايتها عن الإمام الباقر عليه السلام بطريقه عن تفسير المصابيح للمغربي ١: ١٧٤ ـ ١٧٥.

وقد ورد مضمونها ومؤدّاها في مصادر عدّة، تارة منسوةً لابن عباس وأُخرى بلا نسبة غالباً، راجع: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٣٧٥، تفسير غريب القرآن له: ١٢٨ ت ٤٦، معاني القرآن للنحّاس ٢: ١٠٣ عند الآية ٤٦ من سورة النساء، إعراب القرآن له ١: ٢٥٤ و٤٦٠ ـ ٤٦١، معاني القرآن للفرّاء ١: ٦٩ و٢٧٢، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٨٨ و٢: ٥٨، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٤ و٣٨٦، تفسير جامع البيان ٢: ٣٧٣ ـ ٣٨٥، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٦٦ و٣٧٧، تفسير بحر العلوم ١: ١٤٤ و٣٥٨، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٥١، معالم التنزيل ١: ١٠٢، التفسير الكبير للفخر ٣: ٢٢٣ ـ ٢٢٤ و١٠: ١١٨ ـ ١١٩، نهج البيان للشيبانيّ الشيعيّ ١: ١٨٤ ـ ١٨٥، وانظر: معاني القرآن للأخفش ١: ٤٤٨، تفسير مفاتيح الأسرار للشهرستانيّ ١: ٤٩٧ ـ ٥٠٠.

(٢ و٣) ما أثبتناه من «خ» والنسخة المختصرة والمصدر، وفي «ؤ»: لأن.

(٤) المصابيح في تفسير القرآن العظيم للمغربي ١: ١٧٥.

(٥) أشير إلى قراءتي الحسن وابن مسعود، ولعلّ غيرهما من الشواهد، تارة ذكرت

ومعنى ﴿ٱنظُرْنَا﴾ ، يحتمل أمرين :

أحدهما : انتظِرنا نَفْهَمْ ونَتبيَّن ما تعلَّمْنا ، يقال منه : نَظَرْتُ الرجلَ أَنظُرُهُ نَظرةً بمعنى انتظرْتُه وارتَقبْتُهُ ، ومنه قوله : ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ﴾[1] أي : انْتَظِرونا .

والثاني : قال مجاهد : معناه : فقِّهْنا ، بَيِّنْ لنا يا محمّد . وقيل : معناه : (أمْهِلْنا ، وقيل معناه :)[2] أَقْبِل عَلَيْنا[3] .

وقوله : ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : قال الحسن والسُّدّيُّ : إنّ معناه : اسمَعوا ما يأتيكم به الرسول .

منسوبةً ، وأُخرى غير منسوبة ، راجع : مجاز القرآن لأبي عبيد ١ : ٤٩ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ٦٩ ـ ٧٠ ، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١٨٨ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٥٤ ، البيان في إعراب القرآن ١ : ١١٦ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ١٠١ ، المشكل في إعراب القرآن ١ :١٠٨ ، إعراب القراءات الشواذّ ١ : ١٩٥ ، مختصر في شواذّ القرآن : ٩ ، المبهج في القراءات ٢ : ٧٥ ، إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٥٦ ، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٣٨٤ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٣١٢ ـ ٣١٣ ، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٣٨٣ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٣٨ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٦٠م ٣٢ ، تفسير الكشّاف ١ : ٣٠٧ ، تفسير اللباب في علوم الكتاب ١ : ٣٦٠ ، وغيرها .

(١) سورة الحديد ٥٧ : ١٣ .

(٢) الجملة فيما بين القوسين في النسخ مضطربة ، والمثبتة من النسخة «خ» المعتمدة .

(٣) تجد الأمرين في التفاسير التالية ، وفي بعضها منسوب وأخرى غير منسوب : معاني القرآن للفرّاء ١ : ٧٠ ، غريب القرآن لليزيديّ : ٧٨ ، تفسير غريب القرآن : ٦٠ ، تفسيركتاب الله العزيز للهُواريّ ١ : ١٣٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٩٧ت ١٠٤٣ ـ ١٠٤٦ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٦٧ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٥٢ ،تفسير النكت والعيون ١ : ١٧٠ ، تفسير الوسيط ١ : ١٨٧ ، وهكذا : تفسير معالم التنزيل ١ : ١٣٤ ، تفسير المحرر الوجيز ١ : ٣١٣ ، تفسير باهر البرهان ١ : ١٢٠ ، التفسير الكبير للرازيّ ٣ : ٢٢٤ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٦٠ ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١ : ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

والثاني : ما قال أبو علي : معناه : اقبلوا ما يأمركم به الرسول ، من قوله : سمع الله لمن حمده ، وسمع الله دعاك ، [أي] قبله[١] .

وقال علقمة والحسن والضحّاك : كلُّ شيء من القرآن : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فإنّه نزل بالمدينة[٢] .

قوله عزّ اسمه :

﴿مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (١٠٥) آية واحدة بلا خلاف .

معنى ﴿مَا يَوَدُّ﴾ ليس يُحبُّ ، يقال منه : وَدَّهُ يَوَدُّهُ وُدّاً ووَدّاً ووِدّاً ومَوَدَّةً ، والمودّة : المحبّة[٣] .

﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في موضع جرّ بالعطف على ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾

---

(١) تجد الإشارة إلى الأمرين ـ وغالباً دون نسبةٍ ـ في : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٩٨ ت ١٠٤٧ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٦٧ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٣٤ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٧٠ ، تفسير الوسيط ١ : ١٨٧ ، تفسير الدرّ المنثور ١ : ٥٤٢ ، وانظر : التفسير الكبير للرازيّ ٣ : ٢٢٥ ، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢ : ٣٦١ .

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ٤ : ٣٣٢ ت ٣٠٢٠ ، المصنّف لابن أبي شيبة ١٥ : ٥١٤ ت ٣٠٧٦٧ ـ ٣٠٧٧٠ ، العلل الواردة في الأحاديث النبويّة ٥ : ١٦٨ ت ٨٠٠ ، المستدرك على الصحيحين ٣ : ٥٥٦ ت ٤٣٥١ و٤٣٥٢ ، معاني القرآن للنحّاس ٢ : ٢٤٧ .

(٣) للضبط اللغوي روجعت المصادر التالية : العين ٨ : ٩٩ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ٢٣٤ ، المحيط في اللّغة ٩ : ٣٩٦ ، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٣٦٨ ، الصحاح ٢ : ٥٤٩ ، كنز الحفّاظ للتبريزي : ٤٦٦ ، لسان العرب ٣ : ٤٥٣ ، تاج العروس ٥ : ٣٠٤ ، بصائر ذوي التمييز ٥ : ١٨٣ ت ١٤ ، مادّة : «ودد» فيها .

وتقديره: ولا من المشركين.

وقوله: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ﴾ في موضع نصب بقوله: ﴿يَوَدُّ﴾.

وإنّما ذُمّوا على ذلك وإنْ كان ذلك مَيْل الطباع؛ لأنّ في ذلك دلالةً على أنّهم فعلوا كراهية لذلك، وتعرّضوا بذلك لعداوة المؤمنين، فكان الذمّ عليهم لذلك.

ولو رفع ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عطفاً على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كان جائزاً ولكن لم يُقرأ به.

ومثله في احتماله الأمرين قوله: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوا وَلَعِباً مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ﴾[1] بخفض الراء وفتحها، وقُرئ بهما.

و﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ زائدة مؤكّدة، كقولك: ما جاءني من أحد، وموضعها رفعٌ، قال أبو ذؤيب:

جَزَيْتُكِ ضِعْفَ الوُدِّ لما اسْتَبَنْتِهِ   وما إنْ جَزاكِ الضِّعْفَ مِنْ أَحَدٍ قَبْلي[2] [٣٩٣]

---

(١) أُشير إلى القراءة في زبرها المختصّة نحو: حجّة القراءات: ٢٣٠، السبعة في القراءات: ٢٤٥، الحجّة في القراءات السبع: ١٣٢، معاني القرآن للنحّاس ٢: ٣٢٦، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٢: ١٨٦، معاني القرآن للفرّاء ١: ٣١٣، معاني القراءات للأزهريّ: ١٤٣، الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسيّ: ٤١٣، التخليص في القراءات الثمان ٢: ٢١٧، المبهج في القراءات السبع ٢: ٢١٧، مفتاح الأغاني في القراءات والمعاني: ١٥٤ ت ٥٧، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٤٤٦ ت ١٣، هذا وقد نسبت في البعض ولم تنسب في الأخرى. وهذا عدا مصادر التفسير التي تعرّضت لذلك.

(٢) البيت ٢ من القصيدة ٣ في ديوان الهُذليّين للشاعر أبي ذؤيب الهذلي وتقدّمت ترجمته في ١: ٢٦٧، قالها في ردّ ادّعاء محبوبته عدم حبّه لها، وبيان علّة انصرافه ←

وأمّا ﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فلابتداء الغاية، والتي في قوله: ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ فللتنويع، مثل التي في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ﴾[1].

قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ روي عن علي عليه السلام وأبي جعفر الباقر عليه السلام: أنّه أراد النبوّة، وبه قال الحسن وأبو علي والرماني والبلخي وغيرهم من المفسّرين، وقالوا: يختصّ بها من يشاء من عباده.

وروي عن ابن عباس: أنّه أراد دين الإسلام[2]، وهذا بعيد؛ لأنّه

عنها، يوضّح ذلك جليّاً مطلع القصيدة، وهو:

ألا زَعَمَتْ «أَسْماءُ» أَنْ لا أُحِبُّها ... فَقُلْتُ: بَلَى، لَولا يُنازِعُني شُغْلِي

وبالرغم من كثرة الاختلاف في بعض ألفاظ صدره إلّا أنّه لم يؤثّر على مورد الشاهد، وهو زيادة «مِنْ» في قوله: «مِنْ أحدٍ» في الذيل، وأنّه في موضع رفع لدى الشيخ المصنّف وغيره.

راجع: ديوان الهُذليّين ١: ٣٤ ـ ٣٥، وأمالي المرزوقي: ١١٧ و١٢١، ومجاز القرآن ١: ٤٩ ت ٥٨ و٣٣٦ و٢: ٣١ و٢٣٢، والصاحبي: ٢٧٣، وذكره في خزانة الأدب للبغدادي ١١: ٢٤٧، والمحكم والمحيط الأعظم ١: ٤١٤، وبصائر ذوي التمييز ٣: ٤٧٨، ومفردات القرآن الكريم للراغب: ٥٠٨، ولسان العرب ٩: ٢٠٤، وغيرها.

(١) سورة الحجّ ٢٢: ٣٠.

(٢) اختلفت المصادر في الرواية والنسبة:

ففي: تفسير زاد المسير ١: ١٢٧، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٩٩، واللباب في علوم الكتاب ٢: ٣٦٤: أنّها النبوّة، عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي تفسير بحر العلوم ١: ١٤٥ دون نسبة.

وفي معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١٨٩، وتفسير القرآن لابن أبي زمنين ١: ١٦٨، وتفسير الوسيط ١: ١٢٧، والمحرّر الوجيز ١: ٣١٥، وتفسير الكشف والبيان ١: ٢٥٣، وتفسير معالم التنزيل ١: ١٣٥، وتفسير بحر العلوم ١: ١٤٥، وتفسير تنوير المقياس: ١٦، وتفسير مقاتل بن سليمان ١: ١٢٩: أنّه دين

تعالى وصف ذلك بالإنزال، وذلك لا يليق إلّا بالنبوّة.

والاختصاص بالشيء هو: الانفراد به، والإخلاص له مثله.

وضدّ الاختصاص: الاشتراك. ويقال: خَصَّ خُصُوصاً، «واخْتَصَّ اخْتِصَاصاً»[١]، وتَخَصَّصَ تَخَصُّصاً، وخَصَّصَهُ تَخْصِيصاً.

وكلمة خاصّةٌ من ذلك، وكلمة «عامة ووسائط»[٢] من ذلك.

ويقال: خَصَّهُ بالشَّيءِ يَخُصُّه خَصّاً: إذا وَصَلَهُ به، وخُصّان الرجل: مَن يَخْتَصُّه من إخوانِهِ، والخَصائص: الفُرَج، والخَصاصَةُ: الحَاجَة، والخُصُّ: «بيتٌ مِنْ قَصبٍ أو شَجرٍ؛ وإنّما سُمَي خُصّاً؛ لأنّه يُرى ما فيه مِنْ خَصاصِهِ، والخَصاصُ»[٣]: شِبهُ كُوَّةٍ تكون في قُبَّةٍ أو نحوها إذا كان واسعاً قدر الوجه، وقال الراجز:

وَإِنْ خَصَاصُ لَيْلِهِنَّ ٱسْتَدّا

رَكِبْنَ مِنْ ضَلْمائِهِ ما ٱشْتَدّا[٤] [٣٩٤]

الإسلام.

وفي تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١: ١٩٩ ت ١٠٥٠: أنّها النبوّة، ونسبه لمجاهد والربيع بن أنس، وت ١٠٥٠: القرآن والإسلام، ونسبه لمجاهد، وت ١٠٥٢: رحمته الإسلام يختصّ بها مَن يشاء، ونسبه للحسن، وهكذا في تفسير الحسن البصري ٢: ٧٦ ت ١٢٤ (جمع كمال)، تفسير كتاب الله العزيز للهُوَاريّ ١: ١٣٥ ونسبه للحسن، تفسير القرآن للسمعاني ١: ١٢٠ نسبه لابن عباس وأكثر المفسّرين.

(١ ـ ٣) المحصورات ساقطة فيما عدا «ج» من النسخ، والمثبت يساعد عليها أيضاً مصادر اللغة التي يشار إليها لاحقاً.

(٤) الرجز لرؤبة بن العجاج، وتقدّمت ترجمته في ١: ٨٧، وهذا البيت من قصيدة رجزية يمدح بها تميم وسعد ونفسه، ولم يذكر في الديوان كملاً، وإنّما ذكر شطره

شَبَّهَ القمر بالخَصاص[1].

وكلّ خَلَلٍ أو خُروقٍ تكون في السحاب، أو النخل تسمّى الخصاصة، والخَصَاصُ: فُرَج بين الأثافيّ.

وأصل الباب: الانفراد بالشيء، فمنه الخَصَاصُ: الفُرَج؛ لأنّه انفراد كلُّ واحد عن الآخر مِن غير جمع بينهما، ويقال: اخْتَصَصْتُه بالفائدة، واخْتَصَصْتُ بِها أنا، كقولك: أَفْرَدْتُه بها وانْفَرَدْتُ بها.

وتقدير الآية: ما يُحبُّ الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان أن ينزّل الله عليكم شيئاً من الخير الذي عنده، والخيرُ الذي تمنّوه ألّا يُنزِله اللهُ عليهم: ما أوحى إلى نبيّه، وأنزله عليه من القرآن ومن الشرائع بغياً منهم وحسداً.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ خبر منه تعالى أنّ كلَّ خيرٍ ناله عباده في دينهم ودنياهم فإنّه من عنده ابتداء وتفضّلاً منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه.

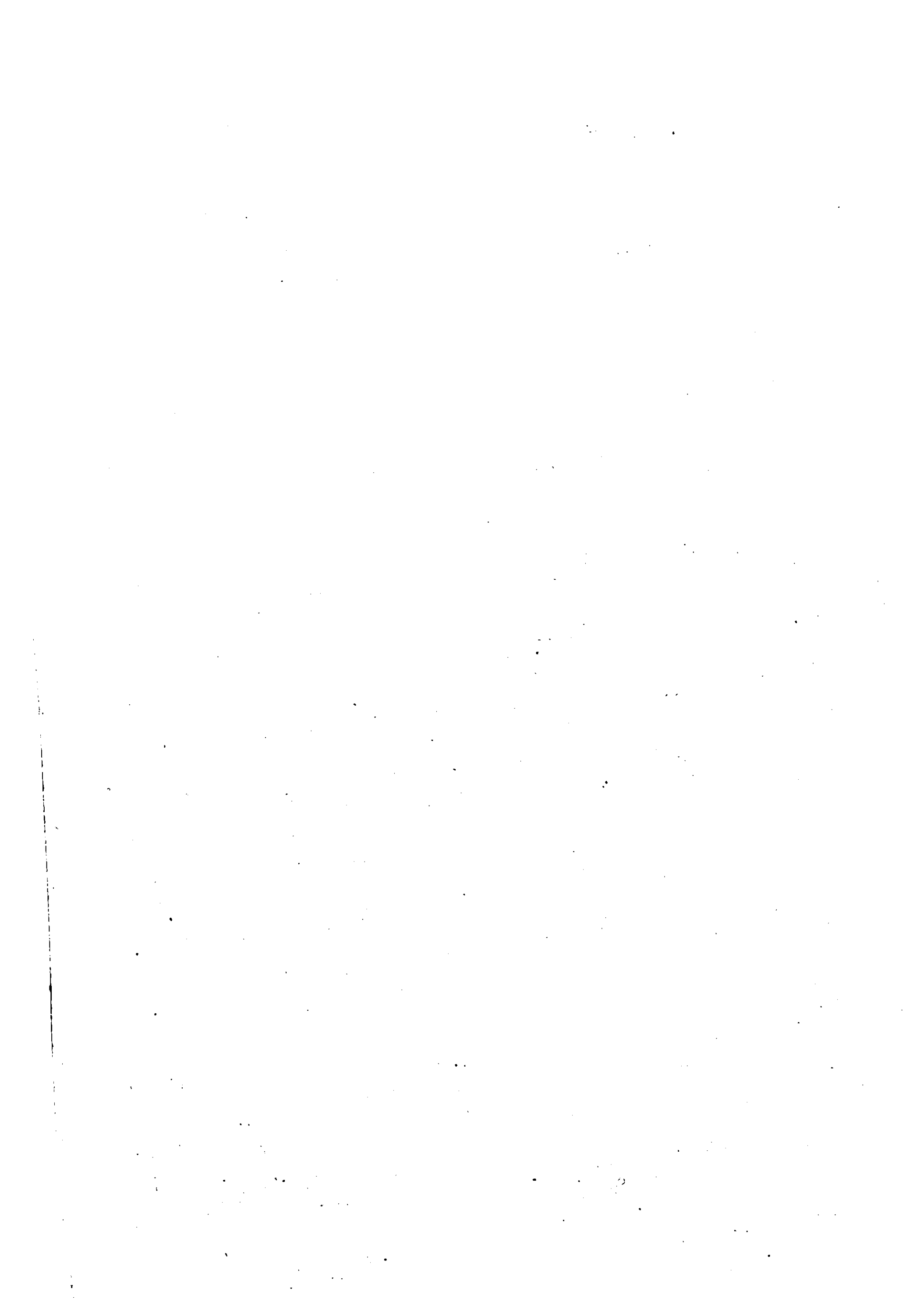
الأوّل ذيلاً لآخر، ولكن جملة من مصادر اللّغة ذكرته تامّاً كما هنا.

المعنى: يشبّه القمر بالخصاص الضيق؛ لاستتاره بالغمام، ورؤيته من بين الخصاص والفُرَج.

راجع: الديوان: ٤٢، قصيدة ١٧ ب ١٥. والعين ٤: ١٣٤، تهذيب اللّغة ٦: ٥٥٢، المخصّص ٢: ٦١٦، المحكم والمحيط الأعظم ٤: ٤٩٨، لسان العرب ٧: ٢٥.

(١) لضبط المادّة اللغويّة: «خصص» روجعت اللّغويّات التالية: فإضافة لما ذكر في الهامش المتقدّم: الجمهرة ١: ١٠٥، المحيط في اللّغة ٤: ١٥٧، الصحاح ٣: ١٠٣، تاج العروس ٩: ٢٦٩، مفردات ألفاظ القرآن: ٢٨٤.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾



قوله تعالى :

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر إلّا الداجونيّ عن هشام : ﴿مَا نُنسِخْ﴾ بضمّ النون وكسر السين ، الباقون بفتحها[1] .

وقرأ ابن كَثِير وأبو عمرو ﴿نَنْسَأها﴾ بفتح النون والسين وإثبات الهمزة الساكنة بعد السين ، الباقون بضمّ النُون وخفض السين بلا همزة[2][3] .

النَّسْخُ والبَدَلُ والخَلْفُ نظائر ، يقال : نَسَخَ يَنْسَخُ نَسْخاً ، وانْتَسَخَ انْتِساخاً ، واسْتَنْسَخَ اسْتِنْساخاً ، وتَناسَخُوا تَناسُخاً ، وناسَخَ مُناسَخَةً .

قال ابن دريد : كلُّ شَيْءٍ خَلَفَ شَيْئاً فقد انْتَسَخَهُ ، ونَسَخَت الشمسُ الظِّلَّ ، وانْتَسَخَ الشَيْبُ الشَبابَ .

وقال صاحب العين : النَسْخُ : أن تُزِيلَ أمراً كان مِنْ قَبل يُعْمَلَ به ثمّ

---

(١) على أنّه مضارع أَنْسَخَ نَنْسَخُ . ومصادرها تأتي لاحقاً .

(٢) «ننسخ» بفتح النون والسين من النَسَأ ، أي : التأخير ، وبالضمّ والكسر بلا همز على أنّه من النسيان والترك .

(٣) لقراءة الكلمتين ـ نَنْسَخْ ، نُنْسِها ـ راجع : السبعة في القراءات : ١٦٨ ت ٣٩ و٤٠ ، الحجّة في القراءات السبع لابن خالويه : ٨٦ ، الحجّة للقرّاء السبعة : ٢ : ١٨٦ ، الغاية في القراءات العشر : ١٨٣ ، حجّة القراءات لابن زرعة : ١٠٩ ، التذكرة في القراءات ٢ : ٣٢٠ ت ٣٢ ، المنتهى : ٢٩٢ ، جامع البيان في القراءات السبع ٢ : ٥٦ ، الكافي في القراءات السبع : ٨١ ت ٣٣ و٣٤ ، المستنير في القراءات : ٢١٥ ، الإقناع في القراءات السبع : ٣٧٥ ، مفتاح الأغاني في القراءات والمعاني : ١٠٥ ـ ١٠٦ ، الموضّح في وجوه القراءات ١ : ٢٩٤ ت ٣٩ ، وغيرها كثير حتى التفاسير ومنها تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٣٩٧ ، بل وكتب إعراب القرآن .

تَنْسَخَهُ بحادثٍ غَيرِه ، كالآية ينزل فيها أمر ثمّ يخفّف الله عن العباد فَيَنْسِخَها بآية أُخرى ، فالآية الأولى مَنْسُوخَةٌ والثانية ناسِخة ، وتَناسُخُ الوَرَثَة : أنْ تموتَ ورثةٌ بعد ورثةٍ ، وأصلُ الميراث قائم لم يقسم ؛ وكذلك تناسخ الأزمنة والقرون بَعْدَ القرون الماضية[1] .

وأصل الباب : الإبدال من الشيءِ غيرَه .

وقال الرّمانيّ : النَسْخُ : الرّفع لشيءٍ قد كان يلزم العملَ به إلى بدل مِنهُ ، وذلك كنسخ الشمس بالظّل ؛ لأنّه يصير بدلاً منها في مكانها[2] .

وهذا ليس بصحيح ؛ لأنّه ينتقض بمن تلزمه الصلاة قائماً فعجز عن القيام ، فإنّه يسقط عنه القيام ؛ لعجزه ، ولا يسمّى العجز ناسخاً ولا القيام

---

(١) تُراجع مادة «نسخ» في : العين ٤ : ٢٠١ ، جمهرة اللّغة ١ : ٦٠٠ ، تهذيب اللّغة ٧ : ١٨١ ، الصحاح ١ : ٤٣٣ ، المحيط في اللّغة ٤ : ٢٦٦ ، المحكم والمحيط الأعظم ٥ : ٨٣ ، لسان العرب ٣ : ٦١ ، تاج العروس ٤ : ٣١٩ .

(٢) على كثرة ما لدينا من مصنّفات في النسخ سواء في التنزيل الكريم أو الحديث المنيف لم نجد من نسب إلى الرمانيّ شيئاً .

نعم ، رأيه مذكور في المصنّفات وحتى اللّغوية فضلاً عن التفسيرية إلّا أنّه دون نسبة.

راجع منها : فتح المنان في نسخ القرآن للعريض ، النسخ وموقف العلماء منه د . ثريا محمود ، نظرية النسخ في الشرائع د . شعبان . الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للبغدادي ، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البازريّ ، التمهيد ٢ : ٢٨١ ـ ٤١٤ ، ناسخ القرآن للأشعريّ القميّ ت ٣٠١هـ ، تفسير الميزان ١ : ٢٤٩ ـ ٢٥٥ ، تفسير البيان : ٢٧٣ ـ ٣٩٢ ، الآيات الناسخة والمنسوخة للسيد المرتضىٰ ، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز للهروي ، كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للنحّاس ، نواسخ القرآن للقرشيّ البغداديّ ، الناسخ والمنسوخ لقتادة السدوسيّ ، الناسخ والمنسوخ للزهريّ ، المصفىٰ بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي . ولخصوص الحديث الشريف الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للهمذاني ، رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار للحصريّ ، الناسخ والمنسوخ من الحديث ، وغيرها كثير . وأمّا اللغويّات فالهامش السابق تكفّل بها .

منسوخاً.

وينتقض بمن يستبيح الشيءَ بحكم العقل عند مَنْ قال بالإباحة، فإذا ورد الشرع يحظره. لا يقال: الشرعُ نَسَخَ حكمَ العقلَ، ولا حُكْمُ العقلِ يوصف بأنّه مَنْسوخٌ.

فإذاً الأولى في ذلك ما ذكرناه في أوّل الكتاب[١]: وهو أنّ حقيقة كلِّ دليل شرعي دلّ على أنّ مثل الحكم الثابت بالنصّ الأوّل غير ثابت فيما بعد على وجهٍ لولاه لكان ثابتاً بالنصّ الأوّل مع تراخيه عنه.

فإذا ثبت ذلك فالنسخُ في الشرع على ثلاثة أقسام: نسخُ الحكمِ دون اللفظ، ونسخ اللفظ دون الحكم، ونسخهما معاً.

فالأوّل: كقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾ إلى قوله: ﴿**ٱلآنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِنكُم مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾[٢]، فكان الفرض الأوّل وجوب ثبات الواحد للعشرة، فنُسخ بثبوت الواحد للاثنين، وغير ذلك من الآي المنسوخ حكمها، وتلاوتها ثابتة، كآية العدّة وآية حبس من يأتي بالفاحشة، وغير ذلك.

والثاني: كآية الرجم[٣]. قيل: إنّها كانت مُنزلة، فرفع لفظها وبقي

---

(١) راجع الجزء الأوّل من التبيان: ٣٥.

(٢) سورة الأنفال ٨: ٦٥ و٦٦.

(٣) إشارة لما تفرّد به وادّعاه عمر بن الخطاب من دعوى وجود آية بلفظ: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة. ولم يجد له مؤيّداً عليها من المسلمين. فادّعي نسخ لفظها وبقاء حكمها، ولعلّه السرّ في النسبة إلى القيل. وقد أُشير إلى ذلك في جملة مصادر، منها: الفصول في الأُصول للجصّاص ٢: ٢٥١، المعتمد في أصول ⇐

حكمها.

والثالث: هو مُجَوَّز وإن لم يُقطع بأنّه كان، وقد رُوي عن أبي بكر أنّه قال: كنّا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر[1].

واختلفوا في كيفيّة النسخ على أربعة أوجه:

قال قوم: يجوز نسخُ الحكم والتلاوة من غير إفراد أحدهما عن الآخر.

وقال آخرون: يجوز نسخ الحكم دون التلاوة.

وقال آخرون: يجوز نسخ القرآن من اللوح المحفوظ، كما يُنسخ الكتابُ من كتاب قبله.

وقالت فرقة رابعة: يجوز نسخ التلاوة وحدها، والحكم وحده، ونسخهما معاً، وهو الصحيح.

وقد دلّلنا على ذلك وأفسدنا سائر الأقسام في العُدّة في أُصول الفقه[2].

ذلك: أنّ سبيل النسخ سبيل سائر ما تُعبِّدَ الله تعالى به وشرّعه على

↩ الفقه للمعتزلي ١ : ٤١٨، شرح اللّمع : ٤٩٥ ت ٥٢٨، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٤ : ١١٣، وغيرها.

وبقاء الحكم باعتبار بقاء عمومية حكم رجم الزاني، لا بحكم المنسوخ المدّعىٰ.

(١) ذكرت ذلك جملة من المصادر، تارة عن أبي بكر، وأُخرى عن عمر، ولا ضير إذ هما واحد في الحجّيّة، راجع: الحجّة للقرّاء السبعة للفارسي ٢ : ١٨٠ و١٨٧، الفصول في الأُصول للجصّاص ٢ : ٢٥٦ و٢٥٩، مسند أبي داوُد الطاليسي : ١٢، صحيح البخاري ٨ : ٢١٠ ب١٠ قطعة من حديث طويل فيه، مسند أحمد ١ : ٤٧ ضمن مسند عمر، وغيرها.

(٢) عُدّة الأُصول ٢ : ٤٨٥ ـ ٥٥٤ ب ٧.

حسب ما يعلم من المصلحة فيه ، فإذا زال الوقت الذي تكون المصلحة مقرونة به زال بزواله ، وذلك مشروط بما في المعلوم من المصلحة به .

وهذا القدر كافٍ في إبطال قول من أبى النسخ جُملةً ، واستيفاؤه في الموضع الذي ذكرناه .

وقد أنكر قوم جواز نسخ القرآن[١] .

وفيما ذكرناه دليل على بطلان قولهم[٢] .

وقد جاءت أخبارٌ متظافرة بأنّه كانت أشياء من القرآن فنُسخت تلاوتها ، فمنها ما رُوي عن أبي موسى[٣] : (أنّهم كانوا يقرأون : لو أنّ لابن آدم واديين من مال لابتغى إليهما ثالثاً ، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلّا الترابُ . ويتوبُ اللهُ على مَنْ تابَ)[٤] ثمّ رُفع .

ورُوي عن قَتادة قال : حدّثنا أنس بن مالك أنّ السبعين من الأنصار

---

(١) قال الجصّاص في أحكام القرآن ١ : ٥٩ ما لفظه : زعم بعض المتأخّرين من غير أهل الفقه : أنّه لا نسخ في شريعة نبيّنا محمّد ﷺ . . . ، وكذا في الفصول في الأُصول له أيضاً ٢ : ٢١٥ ، وغيرهما من المصادر .

(٢) في عُدّة الأُصول ٢ : ٤٨٥ ـ ٥٥٤ ب ٧ . وما تقدّم في ١ : ٣٥ ـ ٤١ .

(٣) عبدالله بن قيس أبو موسى الأشعري اليمانيّ المولود فيها ، أسلم عند قدومه مع وفد الأشعريّين رهطه على النبي الأكرم ﷺ . يُعدّ أحد المناوئين لأهل البيت عليهم السلام ، وأحد من قنت بلعنهم أمير المؤمنين عليه السلام . أُرغم أميرُ المؤمنين على نصبه حكماً في مهزلة التحكيم الشهيرة ، ولم يوثّق لدى الطائفة الحقّة ، مات عام ٤٢هـ .

للتفاصيل راجع : تنقيح المقال ٢ : ٢٠٣ ت ٧٠١٥ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٣٨٠ ت ٨٢ ، ومصادرهما .

(٤) رواية شهيرة في مصادر الرقاق والأخلاق والآداب وغيرها ، راجع للمثال : صحيح مسلم : ٧٢٦ ت ١١٩ ، حلية الأولياء لأبي نُعيم ١ : ٢٥٧ ، دلائل النبوّة للبيهقيّ ٧ : ١٥٦ ، الفصول في الأُصول للجصّاص ٢ : ٢٥٥ ، تفسير القرآن العظيم للرازيّ ١ : ٢٠٠ ت ١٠٥٧ ، وغيرها كثير .

الذين قُتلوا ببئر معونة[١]، قرأنا فيهم كتاباً: (بلِّغوا عنّا قَوْمَنا أنّا لَقِينا ربَّنا فَرَضِيَ عنّا وأَرْضَانَا) ثمّ إنّ ذلك رُفع[٢].

ومنها: الشيخ والشيخة[٣]، وهي مشهورة.

ومنها: ما روي عن أبي بكر أنّه قال: كنّا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر[٤].

ومنها: ما حكي: أنّ سورة الأحزاب كانت تعادل سورة البقرة في الطول.

وغير ذلك من الأخبار المشهورة بين أهل النقل[٥].

والخبر على ضربين:

---

(١) بئر معونة تقع في نجد بين أرض بني عامر وحَرّة بني سُلَيم، حصلت فيها حادثة غدر وخيانة في محرّم عام ٤هـ وهي حادثة بئر معونة والرجيع، ويلفهما كثير من الغموض، لتفاصيلها راجع: دروس في السيرة النبوية ٢: ٣٤٣، وبتفصيل وتوضيح شافي الصحيح من سيرة النبي الأعظم للسيّد العاملي ٨: ٢٤٩ ـ ٣٦١ ومصادرهما فيها الكفاية.

(٢) دون قرآنيته خرط القتاد، ولكنّه شهر في مصادرهم الأصولية فضلاً عن الحديثية، للمثال راجع: مسند أحمد ٣: ٢٥٦، صحيح البخاري ٤: ٢٢، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٢٠١، الفصول في الأصول للجصّاص ٢: ٢٥٦، إضافةً لمصادر بحث النسخ المتقدّمة في: ٢٤٩ وما بعدها.

(٣) هذا صنو ذاك، إلّا أنّ مدّعيه وكما تقدّم ـ في ٢٥١ هامش ٣ ـ هو عمر بن الخطّاب، ولهذه العلّة أضاف البعض إلى أقسام النسخ نسخ التلاوة واللفظ، دون الحكم، قيل به توجيهاً لهذا الادّعاء وحفظاً للكرامة!. راجع للمثال: مسند أحمد ٥: ١٣٢، الموطّأ ٢: ٨٢٤ ت ١٠، الفصول في الأصول للجصّاص ٢: ٢٥٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٠ ت ١٠٥٧، إضافةً لمصادر بحث النسخ المذكورة في هامش صفحة ٢٤٩، وما بعدها.

(٤) إضافةً لمصادر النسخ السابقة في: ٢٤٩، وما بعدها راجع: هامش ٣ صفحة ٢٥١.

(٥) هذا مثل ما تقدّم شهرة في المصادر، راجع للمثال: مسند أحمد ٥: ١٣٢، الفصول في الأُصول للجصّاص ٢: ٢٥٥، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١٨٧، أُصول السرخسيّ ٢: ٦١، إضافةً لمصادر بحث النسخ السابقة في: ٢٤٩ وما بعدها.

أحدهما: يتضمّن معنى الأمر أو النهي، فما هذا حكمه يجوز دخول النسخ فيه.

والآخر: يتضمّن الإخبار عن صفة أمرٍ لا يجوز تغييره في نفسه، أو لا يجوز أنْ يتغيّر مِنْ حُسنٍ إلى قبح، أو قُبح إلى حُسن؛ فإنّ ذلك لا يجوز دخول النسخ فيه، وقد بيّنّا شرح ذلك في العُدّة[1].

والأفعال على ثلاثة أقسام:

أحدها: لا يكون إلّا حسناً.

وثانيها: لايكون إلّا قبيحاً.

وثالثها: يَحتمِلُ الحُسْنَ والقُبَح، بحسب ما يقع عليه من الوجوه.

فالأوّل: كإرادة الأفعال الواجبة أو المندوبة التي لا يجوز تغييرها، كشُكر المنعم، وردّ الوديعة، والإحسان الخالص، وغير ذلك.

والثاني: كإرادة القبيح، وفعل الجهل.

والثالث: كسائر الأفعال التي تقع على وجهٍ فتكون حسنة، وعلى آخر فتصير قبيحة.

فالأوّل والثاني لا يجوز فيه النَسخُ، والثالث يجوز فيه النَسخُ.

ومن قرأ ﴿نَنْسَخْ﴾ ـ بفتح النون ـ فَمِن نَسَخْتُ الكتابَ فأنا ناسخٌ، والكتابُ مَنْسُوخٌ.

ومَن قرأ ـ بضمّ النون وكسر السين ـ فإنّه يحتمل أمرين:

أحدهما: ما قال أبو عُبيدة[2]: ما نُنْسِخْكَ يا محمّد، يُقال: نَسَخْتُ

---

(١) راجع عُدّة الأصول ٢: ٥٠١.

(٢) اختلفت النسخ في ضبط القائل بين: أبي عُبَيْدة، مَعْمِر بن المثنى ت ٢١٠هـ، وتقدّمت ترجمته في ١: ٧٨، وأبي عُبَيْد القاسم بن سَلّام الهَرَوِيّ ت ٢٢٤، ﻫ

الكتابَ، وأَنْسَخْتُهُ غيري.

والآخر: نَسَخْتُهُ: جَعَلْتُهُ ذا نَسْخٍ، كما قال قوم للحجّاج[1] وقد صَلَبَ رجلاً: أَقْبِرنا فُلاناً[2] أي: اجعله ذا قبر، يقال: قَبَرْتُ زيداً: إذا دَفَنْتَهُ، وأَقْبَرَهُ اللهُ: جَعَلَهُ ذا قَبرٍ، كما قال: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾[3][4].

وتقدّمت ترجمته في: ١: ٣١. ولعلّ الأوّل هو الأصحّ اعتماداً على النكت في القرآن للمجاشعي: ١٦١، هذا وقد ذكر القول دون نسبةٍ في مصادر، وللثاني: الغريبين ٦: ١٨٣٠.

(١) الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ولد ونشأ في الطائف وقد اختلف في عام ولادته بين ٣٩ ـ ٤٥ هـ، خير من ترجمه الذهبي في سيره، وبها الكفاية، قال: أهلكه الله في [شهر] رمضان سنة ٩٥هـ كهلاً ـ إذ ولادته عام ٤٠هـ ـ وكان ظلوماً جبّاراً ناصباً خبيثاً سفّاكاً للدماء... وقد سقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير [تاريخ الإسلام]... انتهى، وبها كفى تعريفاً له.

وقد شتمه أبوه في قصة ابن عتر قاص الجند قائلاً له: أما والله إنّ رأيي فيك أنّك لا تموت إلّا جبّاراً شقيّاً.

وفوق كلّ ذلك وصف عمر بن عبدالعزيز الأموي له: لو أتَتْ كلُّ أُمّةٍ بخبيثها وأتينا بالحجّاج لغلبناهم. وهو الذي صنع ما صنع لتثبيت قواعد ملكهم!

راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ٤: ٣٤٣ ت ١١٧، تاريخ الإسلام له حوادث (٨١ـ ١٠٠): ٣١٤ ت ٢٣٣، وقائمة مصادرهم شافية، وله ترجمة في سير أعلام النبلاء ٤: ٥٦٢.

(٢) نسبت القصّة في مجاز القرآن لابن عبيدة ٢: ٢٨٦ لعمر بن هبيرة لمّا قتل صالح ابن عبدالرحمن، وأشارت لمقتله مصادر عدّة إضافةً للترجمة منها: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ١٦١، تفسير الكشف والبيان ٢٨: ٤٣٣، الفائق في غريب الحديث ٣: ١٥٥ «قبر»، وله ترجمة في تاريخ الإسلام للذهبي حوادث (١٠١ـ ١٢٠): ١١٠ ت ٩٧، تاريخ دمشق ٢٣: ٣٤٣ ت، وفي تهذيب اللّغة ٩: ١٣٨ كما في المتن، والمقتول صلاح بن عبدالرحمن.

(٣) سورة عبس ٨٠: ٢١.

(٤) اختلف علماء الأُصول في المراد من النسخ على أقوال، فمنهم من ذهب إلى أنّه

وقوله : ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ فالنَسءُ : التأخير ، ونقيضُه : التَّقْديمُ ، يقال : نَسَأْتُ الإبِلَ عن الحوضِ أَنْسَؤُها نَسْأً : إذا أَخَّرْتَها عَنْهُ ، وانْتَسَأْتُ عن الشَّيءِ : إذا تباعَدْتَ عنه انْتِساءً ، ونَسَأْتُ الإبِلَ في ظِمْئها ، فَأَنا أَنْسَؤُها نَسأً : إذا زِدتَها في ظِمْئها يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك . وظِمْؤُها : مَنْعَها الماءَ .

ونَسَأت الماشيةُ تَنْسَأُ نَسْأً : إذا سَمِنَتْ . وكلّ سَمِينٍ : ناسِئٌ ، وتأويلُه : أنّ جلودَها نَسَأَتْ : أي تأخّرت عن عظامها ، كذا قال الزجّاج[1] .

حقيقة في الإزالة ، وفي النقل مجاز ، وآخرون توسّعوا فذهبوا إلى أنّه حقيقة فيهما ، وبعض إلى الاشتراك .

ثمّ اختلفوا في إمكانه وعدمه . وهكذا في النسخ إلى المثل أو الأثقل أو الأخفّ .

وعموماً اختلفوا في جواز النسخ وصحّته وإمكانه في التنزيل الحكيم فضلاً عن الحديث الشريف حتى وصلت النوبة إلى الأفعال .

والعجب التباسه على بعض بالبداء .

وعلى كلٍّ التوسّع محكوم بالهامشية فالإحالة خير ، فقد أُشبع الكلام حول النسخ وأقسامه وأحكامه في المصادر التالية ، للمثال : البيان في تفسير القرآن للسيّد الخوئي ﷺ : ٢٧٣ ، الإتقان في علوم القرآن ٣ : ٦٦ ، التمهيد في علوم القرآن ٢ : ٢٧٣ ، البرهان في علوم القرآن ٢ : ٢٨ ب ٣٤ ، الذريعة إلى أُصول الشريعة : ٢٩٩ ـ ٣٤٣ ب ٦ ، القوانين المحكمة ٣ : ٢١١ ـ ٢٣٠ ، الفصول في الأُصول للجصّاص ٢ : ١٩٥ ب ٣٤ ، نهاية الوصول إلى علم الأُصول ٢ : ٥٧٩ ـ ٦٢١ و٣ : ٢٣ ـ ١٢٠ ، الاقتصاد فيما يجب على العباد : ٣١١ ـ ٣٤٩ ، عدّة الأُصول ٢ : ٣٨٢ ب ٧ ، التحبير شرح التحرير ٦ : ٢٩٦٩ ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ١٦ : ٤٩ ، نواسخ القرآن لابن الجوزيّ : ٣٣ب ٧ ، وراجع تدوين القرآن : ١٠٨ ، مقدّمة الناسخ والمنسوخ في القرآن للبغدادي بقلم د . العليلي : ٢٧ ، إعلام الخلف بمن قال بتحريف القرآن من أعلام السلف ٢ : ١٦٣ ، النسخ والبداء في الكتاب والسُّنّة تقريرات بحوث الشيخ السبحانيّ ، والناسخ والمنسوخ عند أهل البيت للبصريّ ، وغيرها كثير ، وراجع ما تقدّم في صفحة : ٢٥٠ هامش ٢ .

(١) مع كثرة التتبّع لم نعثر على قوله منسوباً فيما لدينا من المصادر ، وراجع : تهذيب اللّغة ١٣ : ٨٣ ، الهمز لأبي زيد : ٤٥ .

وقال غيره: إنّما قِيلَ ذلك؛ لأنّها تأخّرت في المرعى حتى سَمِنَتْ.

ونُسِئَتِ المرأةُ تُنْسَأُ نَسْأً: إذا تأخّر حَيْضُها عَنْ وَقْتِهِ ورُجِيَ حَمْلُها.

ويقال: أنْسَأْتُ فُلاناً البيعَ، ونَسَأَ اللهُ في أجلِ فلانٍ، وأَنْسَأَ اللهُ أَجَلَهُ: أي: أَخَّرَ أَجَلَهُ. والنَّسِيء: تأَخُّر الشيء، ودَفْعه عن وَقْتِهِ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[1] وهو ما كانت العرب تُؤَخِّرُ من الشهر الحرام في الجاهليّة.

ونَسَأْتُ اللَّبَنَ أَنْسُؤُهُ نَسْأً: إذا أَخَذتَ حَلِيباً وصَبَبْتَ عليهِ الماءَ، واسم ذلك: النَّسِيءُ، والنَّسِيءُ يا هذا سُمّيَ بذلك؛ لأنّه إذا خالَطَهُ الماءُ أَخّرَ بعضَ أجزاءِ اللّبَنَ عن بعضٍ، قال الشاعر:

سَقَوْنِي النَّسْء ثُمَّ تَكَنّفُوني عُداةُ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ[2] **[٣٩٥]**

ويقال للعصا: المِنْسَأَةُ؛ لأنّها يُنْسَأُ[3] بِها، أي: يُؤَخَّرُ ما يُساقُ عن

---

(١) سورة التوبة ٩: ٣٧.

(٢) للشاعر الجاهلي عروة بن الورد العبسيّ، في ديوانه بشرح ابن السّكّيت: ٣٩ ق١٥ ب ١١، وترجمته في: معجم الشعراء الجاهليّين: ٢٢٢ ومصادره.

يعرّض الشاعرُ بعشيرة زوجته التي أصابها من بني كنانة، واسمها سُلمى، وأنّهم احتالوا عليه في مفاداتها بأنْ سقوه النَّسْء ـ الخمر ـ ثمّ أشهدوا عليه بالمفاداة، ممّا سبّب مفارقَتهُ سُلمى كرهاً وحيلة منهم.

المفردات: تكنّفوني: أحاطوا بي ليغلبوني على أمري. النسْء: الخمر، وكلُّ ما أنسأ العقل، وكان سبباً للنسيان.

(٣) لضبط لغة (نسأ) اعتمدت المصادر اللّغوية التالية: العين ٧: ٣٠٥، جمهرة اللّغة ٢: ١٠٨٦، تهذيب اللّغة ١٣: ٨٢، المحيط في اللّغة ٨: ٣٨٦، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٥٤٩، مجمل اللّغة ٢: ٨٦٦، صحاح اللّغة ١: ٤٣٣، لسان العرب ١: ١٦٦، تاج العروس ١: ٢٦٠.

مكانِه ، أو يَدفَعُ بها الإنسانُ عن نَفْسِهِ الأذى .

ونَسَأتُ ناقَتي : إذا دفعتها في السَّيْرِ .

وأصل الباب التأخير .

وقال الحسن في قوله : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ : إنّ نبيّكم ﷺ أُقرِئَ قرآناً ثمّ نسيه فلم يكن شيئاً ، ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم تقرأونه[1] .

وقال ابن عباس ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ أي : ما نبدّل من آية[2] .

ومن قرأ ﴿نَنْسَأها﴾ بالهمزة ، قال معناه : نُؤَخِّرها ، منْ قولِكَ : نَسَأْتُ هذا الأمرَ أَنْسَؤُهُ نَسْئاً نِساءً : إذا أَخَّرْتَهُ ، وبِعْتُهُ بِنَسَأ ، أي : بتأخير ، وهو قول عطاء وابن أبي نَجِيح ومجاهد وعطية وعبيد بن عمير[3][4] .

---

(١) تفسير الحسن البصريّ (جمع كمال) ١ : ٧٧ ت ١٢٥ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٥٥ ، تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٣٩١ ، الدر المنثور ١ : ٥٤٦ ، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز : ٦ ت ٤ وانتبه كيف يمسّون مقام النبيّ الخاتم ﷺ بنسبة النسيان إليه !! ، ونسيان ماذا ؟ !!! .

(٢) راجع : صحيفة علي بن أبي طلحة : ٨٥ : ٢٧ ، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٣٨٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢٠١ ت ١٠٦٥ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٤٧ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٧٠ ، تفسير الدرّ المنثور ١ : ٥٤٤ ، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز لأبي عبيد : ٦ ، الأسماء والصفات للبيهقيّ : ٣٥٨.

(٣) أبو عاصم ، عُبَيْد بن عُمَيْر بن قَتادة الجُـذْعيّ اللّيثي المكيّ ، ولد في حياة الرسول ﷺ ، ويعدّ من التابعين ، وأوّل من قصّ ، له حديث كثير ، فقد حدّث عن : علي عليه السلام وأبيه وأبي ذر وابن عباس وطائفة ، وعنه عبدالله بن عمير وعطاء وأبو الزبير وغيرهم ، عدّ من القرّاء ، مات عام ٧٤هـ .

راجع : تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠) : ٤٨ ت ٢١٣ ، غاية النهاية ١ : ٤٩٦ ت ٢٠٦٤ .

(٤) تجد آراءهم في المصادر : تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٣٩٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢٠١ ت ١٠٦٣ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٤٦ ، تفسير النكت والعيون ١ :١٧١ ، تفسير الدرّ المنثور ١ : ٥٤٤ ـ ٥٤٥ ، الناسخ

لله

وعلى هذا يحتَمِلُ نُؤَخِّرُها أمرين:

أحدهما: نؤَخِّرُها فلا نُنزِلُها، ونُنزِلُ بدلاً منها ما يقوم مقامَها في المصلحة، أو ما يكونُ أصلح للعباد منها.

وهذا ضعيف؛ لأنّه لا فائدة في تأخير ما لا يعرفه العبادُ ولاعلموه ولاسمعوه.

والثاني: نُؤَخِّرُها إلى وقتٍ ثانٍ، فنأتي بدلاً منها في الوقت المقدّم بما يقوم مقامَها.

فأمّا من حمل ذلك على معنى يرجع إلى النسخ فليس يحسن؛ لأنّه يصير تقديرها: ما نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أَوْ نَنْسَخها، وهذا لا يجوز.

ومعنى قوله: ﴿**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَا**﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: ﴿**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ**﴾ لكم في التسهيل والتيسير، كالأمر بالقتال الذي سهل على المسلمين بدلالة قوله: ﴿**ٱلْـَٔانَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ**﴾[١]، أو مِثْلَها، كالعبادة بالتوجّه إلى الكعبة بعدما كان إلى بيت المقْدِس[٢].

↵ والمنسوخ في القرآن العزيز لأبي عبيد: ٨ ـ ١٠ ت ٦ ـ ٩، والحظ تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٥٦.

(١) سورة الأنفال ٨: ٦٦.

(٢) المصادر مختلفة في ضبط ونقل رأي ابن عباس هذا، فمنها المطابق: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٥٩، ومنها منسوباً: صحيفة علي بن أبي طلحة: ٨٥ ت ٢٩، تفسير القرآن العزيز لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠١ ت ١٠٦٧ عن عليّ بن عبّاس، تفسير الدرّ المنثور ١: ٥٤٤، ومنها نحوه دون نسبةٍ: تفسير بحر العلوم ١: ١٤٦، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٥٦، تفسير البسيط ٣: ٢٣٣، تفسير الوسيط ١: ١٩٠ وهما للواحديّ.

والوجه الثاني : بخير منها في الوقت الثاني ، أي : هي لكم في الوقت الثاني خيرٌ لكم في الوقت الأوّل[١] في باب المصلحة ، أو مثلها في ذلك ، وهو قول الحسن[٢] .

وهذا الوجه أقوى ، وتقديره : كأنّ الآية[٣] في الوقت الثاني في الدعاء إلى الطاعة والزجر عن المعصية مثل الآية الأولى في وقتها ، فيكون اللّطف بالثانية كاللّطف بالأولى إلّا أنّه في الوقت الثاني يستقيم بها دون الأوّل[٤] .

وقال أبو عبيدة : معنى ﴿نُنسِهَا﴾ أي : نمضيها فلا ننسخها ، قال طَرَفَة :

أَمُـونٌ كأَلْـواحِ الإِرانِ نَسَأْتُـها ... على لاحِبٍ كأَنَّهُ ظَهرُ بُرْجُدِ[٥] [٣٩٦]

(١) المقطع من كلام الحسن مضطرب ، ضبط مع نسخة «خ» .

(٢) مصادره مشتركة مع هامش ٢ في الصفحة السابقة وبنفس النحو .

(٣) في النسخ «هـ ، ؤ ، حجرية» والحروفيات زيادةُ : الأولى ، ولا وجه لها ، والمثبت من النسخ : «خ ، س ، مختصرة» .

(٤) يستقيم . . . الأوّل ، هكذا في النسخ المعتمدة : «خ ، ؤ ، هـ ، س ، مختصرة» وأمّا الحروفيات والحجرية بدلها : يسهل . . . الأولى .

(٥) الشاعر طرفة بن العيد تقدّمت ترجمته في ١ : ١٢٦ ، والشاهد هو البيت ١٢ من معلّقته الشهيرة ، يصف فيه وما قبله راحلته .

معنى المفردات : الأمون : الناقة النشيطة المُوثّقَةُ الخلق التي يؤمن عثارها في السفر ، الإران : صندوق من خشب صقيل ، يحملون به الموتى ، نسأتها ـ وقيل : نصأتها ـ : ضربتها بالمنسأة : العصا ، اللاحب : الطريق الواضح المعبد من كثرة السير عليه ، البُرْجد : نوع كساء مخطّط .

المعنى : إنّي لوثوقي بهذه الناقة ، وخلقها ، وشدّة وقوّة مفاصلها ، وأماني من عثارها في السفر دفعتها للسير على طريق واضح معلّم من كثرة السير عليه .

راجع : الديوان بشرح الأعلم : ١٢ : ت ١٢ ، شرح القصائد المشهورات لابن النحّاس ١ : ٦٠ ت ١٢ ، شرح الأشعار الستّة الجاهليّة ٢ ق ٣ : ١٩ ت ١٢ ، جمهرة

يعني أمضيتها[١].

ومن قرأ ﴿نُنسِهَا﴾ بضمّ النون وكسر السين يحتمل أمرين:

أحدهما: أنْ يكون مأخوذاً من النسيان، إلّا أنّه لا يجوز أنْ يكون نسيان ذلك من النبيﷺ؛ لأنّه لا يجوز ذلك عليه من حيث يُنفّر عنه، ويجوز نسيان ذلك على الأُمّة، بأنْ يُؤْمروا بترك قراءتها فينسونها على طول الأيّام، ويجوز أنْ يُنسيهم الله تعالى ذلك وإنْ كانوا جمعاً كثيراً، ويكون ذلك «معجزاً للنبيّ عليه السلام خارقاً للعادات.

وثانيهما: أن يكون ذلك بمعنى، الترك»[٢]، من قوله: ﴿نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٣].

والأوّل: عن قَتادة.

والثاني: عن ابن عباس وقال: ومعناه نتركها لا نبدلها[٤].

ﭬ أشعار العرب ١: ٤٢٤ ت ١٢، شرح المعلّقات السبع: ٤١، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٥٠ ت ٦٠ وغيرها.

(١) مجاز القرآن ١: ٤٩.

(٢) معجزاً للنبي... بمعنى الترك، هكذا الجملة في النسخة «خ» مؤيّدة بالمختصرة، وأمّا في النسخ: «ؤ، هـ، س، حجرية» والحروفيات فمضطربة، أي بدون الزيادة: معجزاً للنبي... بمعنى الترك.

(٣) سورة التوبة ٩: ٦٧.

(٤) أشير إلى ذلك في جملة مصادر منها: صحيفة علي بن أبي طلحة: ٨٥، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٣٩٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠١ ت ١٠٦٥، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٦٨، تفسير النكت والعيون ١: ١٧١، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١: ١٤٦، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٥٥، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٥، تفسير باهر البرهان للغزنويّ ١: ١٢٣، تفسير القرآن العظيم للسمعانيّ ١: ١٢٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٦٨، في بعضها منسوب، وفي الآخَر دون نسبةٍ.

وقال الزجّاج: «ننسها بمعنى نتركها» خطأ، إنّما يُقال: نسيت بمعنى تركت، ولا يقال: أُنسيت بمعنى: تَركْت، وإنّما معنى ﴿نُنسِهَا﴾: نتركُها، أي: نأمركم بتركها[1].

قال الرّماني: إنّما فسَّر المفسّرون على ما يؤول إليه المعنى؛ لأنّه إذا أمر بتركها فقد تركها[2].

فإن قيل: إذا كان نسخُ الآية رفعَها وتركَها ألّا تنزل، فما معنى ذلك؟ ولِمَ جمع بينهما؟

قيل: ليس معنى تركها: ألّا تنزل، وقد غلط الزجّاج في توهّمه ذلك، وإنّما معناه: إقرارها فلا ترفع، كما قال ابن عباس: نتركها فلا نبدلها[3]، وإنّما قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تنبيهاً على أنّه يقدر على آيات وسُورٍ مثلَ القُرآنِ يَنسخُ بها أمره لنا فيه بما أمرنا، فيقوم في النفع مقام المنسوخ أو أكثر.

وقال بعضهم: معنى ﴿أَوْ﴾ في الآية الواو[4] كأنّه قال: ما نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ وَنَنْسَاها نَأتِ بِخَيْرٍ مِنْها، فعلى هذا زالت الشبهة.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١: ١٩٠ فإنّه يخطئ المحصورة، وعنه المحرّر الوجيز ١: ٣٢٢.

(٢) تقدّم مراراً أنّ مصنّفاته التفسيرية أثر بعد عين، نعم جُمع له تفسير، من مصادره كتابنا التبيان، ومجمع البيان، وغيرهما، وعلى كلٍّ راجع: الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١٩٨، التفسير البسيط ٣: ٢٣٤، المحرّر الوجيز ١: ٣٢٢.

(٣) تقدّم تخريجه في ٢٦٢ هـ ٤.

(٤) كون «أو» بمعنى «الواو» جاء في: الصاحبي لابن فارس: ١٧١، الأُزهة في علم الحروف للهروي: ١١١ ـ ١٢٢، ولكن في خصوص المورد لم أعثر على من ذهب إلى ذلك. وانظر: العين ٨: ٤٣٨، تهذيب اللغة ١٥: ٦٥٧ «أو».

فإن قيل : أيُّ تعلّقٍ بين هذه الآية وبين التي قبلها؟

قلنا : لمّا قال في الآية الأُولى : ﴿مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾[1] دلّ في هذه الآية على أنّه جلّ وعزّ لا يُخليهم من إنزال خير إليهم ، خلاف ما يودّه أعداؤهم لهم .

فإن قيل : هل يجوز نسخ القرآن بالسُّنّة أم لا ؟

قلنا : فيه خلاف بين العلماء ، ذكرناه في أُصول الفقه[2]، وبين أصحابنا أيضاً فيه خلاف ، إلّا أنّ الذي يقوى في نفسي جواز ذلك . وقد ذكرنا أدلّة الفريقين والشُّبه فيها في أُصول الفقه ، لا يحتمل ذكرها هذا المكان[3].

وإنّما أجزنا ذلك ؛ لأنّ تلاوةَ القرآن والعملَ بما فيه تابعٌ للمصلحة ،

---

(١) سورة البقرة ٢ : ١٠٥ .

(٢) تعرّض لذلك في عُدّة الأُصول ٢ : ٥٤٣ .

(٣) مصنّفات متقدّمي الطائفة غالباً لا أثر لها إلّا في الفهارس ؛ نظراً لما أصاب خصوص الطائفة الشيعية ، وتراثها الفكريّ العلميّ الحضاريّ تبعاً لولائها لأهل البيت عليهم السلام ، من نكبات مهولة . وأمّا ما سلم فالنزر اليسير ، وعلى كلٍّ ، فعلى ما ذهب إليه الشيخ المفيد : أنّ السُّنّة القطعية فضلاً عن الظنيّة لا يمكن نسخ القرآن بها ، وعلى ذلك جماعة من أصحاب الحديث .

أمّا السيّد الشريف المرتضى : فقد جوّز ذلك بالقطعية منها ، وكذا الشيخ المصنّف ، قدّس الله أسرارهم جميعاً .

راجع : أوائل المقالات : ١٢٣ ت ١٣٣ ، مختصر كتاب أُصول الفقه : ٤٣ ، الذريعة إلىٰ أُصول الشريعة للسيّد المرتضى ١ :٤٦٠ ، عُدّة الأُصول ٢ : ٥٥١ ، معارج الأُصول : ٢٤٧م ١٠ ، غاية الوصول ٢ : ٣٢١ ، تهذيب الأُصول للشيخ الطوسي : ١٩٢ ، مبادي الوصول : ١٨٤ ، زبدة الأُصول : ١٥٦ ، الفصول الغروية : ٢٣٧ س ١٥ ، القوانين المحكمة ٣ : ٢٢٣ ، وغيرها .

ولايمتنع أنْ تتغيّر المصلحة تارةً في التلاوة فتُنسخ، وتارةً في الحكم فيُنسخ، وتارةً فيهما فيُنسخان.

وكذلك لا يمتنع أنْ تكون المصلحةُ في أنْ تنسخ تارة بقرآن وتارة بالسُّنّة بالمقطوع بها، فذلك موقوف على الأدلّة.

وقوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ لا يدلّ على أنّ السُّنّة خير من القرآن؛ لأنّ المراد بذلك نأت بخير منها في باب المصلحة، على أنّ قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ «مجملٌ، فمن أين يدلُّ أنّ ذلك الخير يكون ناسخاً»[1]، فلا متعلّق في الآية يمنع من ذلك.

والأولى جوازه، غير أنّ هذا وإنْ كان جائزاً فعندنا أنّه لم يقع؛ لأنّه لا شيء من ظواهر القرآن يمكن أنْ يُدّعى أنّه منسوخٌ بالسُّنّة إجماعاً، ولا بدليل يوجب العلم.

وأعيان المسائل فيها خلاف نذكر ما عندنا فيه إذا مررنا بتأويل ذلك.

وأمّا ما روي عن سعيد بن المسيب من أنّه كان يقرأ: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ بالتاء المعجمة من فوق وفتحها وفتح السين[2] فشاذٌّ لا نلتفت إليه؛ لأنّا قد

---

(١) في النسخة «خ» عوض المحصورة: «لم يقل: إنّ ذلك الخير يكون ناسخاً، بل أخبر أن ينسخ، فدلّ ذلك على حصول النسخ، ثمّ إنّه كان بخير منها فمن أين ذلك الخير يكون ناسخاً فلا متعلّق». والمثبت من النسخة: «هـ». ولعلّ المؤدّى واحد.

(٢) اختلفت المصادر في ضبط قراءة سعيد بن المسيّب كثيراً، والتعرّض له لعلّه تطويل، فالإحالة خير، راجع: شواذّ القراءات: ٧٢، مختصر شواذّ القرآن: ١٦، المحتسب لابن جني ١: ١٠٣، الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسيّ ١: ٢٥٩، المصاحف لابن أبي داوُد: ١٠٧، سنن النسائيّ ٦: ٢٨٩ ت ١٠٩٩٦، المستدرك للحاكم ٢: ٦٢١ ت ٣٠٠٦، تحفة الأشراف ٣: ٣٠٩ ت ٣٩١٢، قوت

بيّنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز عليه أنْ ينسى شيئاً من وحي الله .

وكذلك ما روي عن أبي رجاء العطارديّ[1] «نُنَسِّها» بضم النون الأولى ، وفتح الأُخرى وتشديد السين وكسرها شاذّة[2][3] .

وفي الآية دليل على أنّ القرآن غير الله ، وأنّ الله هو المحدث له والقادر عليه ؛ لأنّ ما كان بعضه خيراً من بعض أو شرّاً من بعض فهو غير الله لا محالة .

وفيها دليل على أنّ الله قادرٌ عليه ، وما كان داخلاً تحت القدرة فهو

↩ القلوب ١ : ٢٨٧ ، تهذيب الكمال ٢٣ : ٣٧٥ ت ٧٤٩٧ ، سنن سعيد بن منصور ٢ : ٥٩٧ ت ٢٠٨ ، الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد : ١٢ ت ١٥ ، فتح الباري ٨ : ١٦٧ ، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٣٩٠ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٧١ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٥٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ :٢٠٠ ت ١٠٥٩ ، المحرّر الوجيز ١ : ٣١٩ ، تفسير الدرّ المصون ١ : ٣٣٦ ، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢ : ٣٦٩ ، الدرّ المنثور ١ : ٥٤٣ ـ ٥٤٤ ، وغيرها .

(١) عِمْران بن مِلْحَان ـ ويقال : بن تَمِيمْ ـ التَمِيميّ البَصْرِيّ ، من المُخَضْرَمينَ ، وُلد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة ، عُدّ من الطبقة الثانية ، أسلم بعد الفتح ، ولم يرَ النبيّ صلى الله عليه وآله ، حدّث عن علي عليه السلام وابن عباس وغيرهما ، أخذ القراءة عن الأشعريّ ، وعرضها على ابن عباس . وقرأ عليه أبو الأشهب العطارديّ ، حدّث عنه : أيّوب ، وابن عون ، وسعيد بن أبي غروبة وغيرهم . مات سنة ١٠٥هـ .

راجع : طبقات القرّاء للذهبيّ ١ : ٣٥ ت ١٨ ، طبقات القرّاء لابن الجزريّ ١ : ٦٠٤ ت ٢٤٦٩ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٥٣ ت ٩٣ .

(٢) أُشير إلى قراءته في المصادر المتقدّمة للهامش (٢) في ص ٢٦٥ ، فراجع .

(٣) عموماً أُشير إلى قراءات ومعنى ﴿نُنسِهَا﴾ في : معاني القرآن للأخفش ١ : ٣٢٩ ت ١٠٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١٨٩ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٥٥ ، الحجّة في القراءات السبع : ٨٦ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٨٦ ، التذكرة في القراءات ٢ : ٣٢٠ ت ٣٢ ،حجّة القراءات لأبي زرعة : ١٠٩ ، مفتاح الأغاني في القراءات والمعاني : ١٠٥ ت ١٠٦ ، الموضَح في وجوه القراءات ١ : ٢٩٥ ت ٤٠ ، وأُضف ما ذُكر ذيل ما تقدّم في الهوامش ، وكذا أغلب التفاسير .

فعلٌ ، والفعلُ لا يكون إلّا مُحدثاً ، ولأنّه لو كان قديماً لما صحّ وجود النسخ فيه ؛ لأنّه إذا كان الجميع حاصلاً فيما لم يزل ، فليس بعضه بأنْ يكونَ ناسخاً والآخر منسوخاً بأولى من العكس[1] .

---

(١) من أهمّ المسائل الكلاميّة ـ وكلّها مهمّة ـ التي أُثيرت وطال حولها النقاش هي صفات الباري تعالى ، ومنها : المتكلّم ، وعن هذه تفرّعت مسألة خلق القرآن ، أي : أنّه قديم أو مُحدث ، وكان للنصارى دور كبير فيها ، خصوصاً المحيطين بل المتنفّذين بالبيت الأمويّ في الشام أبّان حكومتهم ، من أمثال يوحنّا الدمشقيّ مُشكِّك المسلمين بدينهم بما يطرحه من أمثال هذه الأُمور ، قيل : بل أصابع لَبيد ابن أعصم أظهر ، ومنه سرت لطالوت وابن سمعان والجُعد بن درهم ، إلى أن تلاقفها جَهْمُ بن صفوان منظر ومؤسّس الجهمية ، وعلى أيٍّ منهم فشت بين المسلمين ، فانقسموا إزاءها قسمين كفّر بعضهم بعضاً علناً .

فذهب المعتزلة إلى تبنّي القول بالحدوث وأنّه مخلوق ، ودافعوا عنه بما أُوتوا من حول وقوّة ، حتى وصلت النوبة إلى المأمون فراقته الفكرة فتبنّاها ، بل وحمل عليها الآخرين بالقوّة ، ومن ثمّ أُريقت الدماء ؛ لوصولها إلى الغوغاء ، وابتلي بها فقهاء مدرسة الخلفاء ، ولشدّتها سُمّيت بالمحنة .

وذهب الأشاعرة إلى القول بالقدم مدافعين عنه ، ومنظّرين له ، وتحمّلوا ما تحمّلوا في سبيله دفاعاً عن عقيدتهم ، والبحث طويل فالإحالة خير .

راجع : فنون الأفنان : ٢٣ ، الإبانة عن أُصول الديانة للأشعريّ : ١٢٨ ، تمهيد الأوائل للباقلانيّ الأشعريّ : ٢٦٨ ـ ٢٨٤ ، شرح الأُصول الخمسة للقاضي المعتزليّ : ٥٢٧ ، الفائق في أُصول الدين للملاحي : ١٧٩ ، نهاية الإرب ٢٢ : ٢٣٣ ، المنتظم ١١ : ١٥ ـ ٢٤ .

وأمّا رأي الطائفة الشيعية فتجده في المصادر التالية : التوحيد للشيخ الصدوق : ٢٢٣ ب ٣٠ ، الخلاف للشيخ الطوسي ٦ : ١١٩ م ١٢ ، تلخيص الخلاف ٣ : ٣٢٠م ١٢ ، نظريات علم الكلام عند المفيد : ١٣٧ ، شوارق الإلهام ٥ : ٣١٧ ـ ٣٢١ ، الملخّص في أُصول الدين للسيّد المرتضى : ٤٤٢ ، جامع الأفكار وناقد الأنظار ٢ : ٤٣٩ ، وبتفصيل : زبدة البيان لعلاء المالكي : ٢٢٤ ـ ٢٣٧ ، الإلهيّات للشيخ جعفر السبحاني ١ : ١٨٥ ـ ٢١٨ ، دانشنامه جهان إسلام [دائرة معارف العالم الإسلامي] ﷺ

فإن قيل: لِمَ قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ أوَ ما كان النبيُّ ﷺ عالماً بأنّ الله على كلّ شيء قدير؟

قلنا عنه جوابان:

أحدهما: أنّ معنى قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ أما علمت.

والثاني: أنّه خرج ذلك مخرج التقرير، كما قال: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾.

وفيه جواب ثالث: أنّه خطاب للنبيّ ﷺ والمراد به أُمّته؛ بدلالة قوله بعد ذلك: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾ آية.

﴿الولي﴾ في الآية هو القيّم بالأمر، من: وَلِّيْتُهُ الشَّيْءَ، ومنه: وَلِيُّ عهدِ المسلمين.

ومعنى قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سوى الله، قال أُميّة بن أبي الصلت:

يا نَفْسُ مالَكِ دُونَ اللهِ مِنْ واقِ　　وَما عَلىٰ حَدَثانِ الدَّهْرِ مِنْ باقِ[1] [٣٩٧]

---

١٦ : ٢٤ ـ ٣٥، مدخل «خلق القرآن»، دايرة المعارف تشيع [دائرة معارف التشيع] ٧ : ٢٣٠ ـ ٢٣٣ «مدخل : خلق القرآن»، وغيرها كثير، ولعلّ بعض المصادر المتقدّمة ذاكرة له.

(١) بيت لأُميّة بن أبي الصلت وتقدّمت ترجمته في ١ : ٧١، ولم أعثر له على بقيّة يطمئنّ لنسبتها، ولعلّه مفرد.

وفي قوله : ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : التحذير من سخط الله وعقابه ؛ إذ لا أحد يمنع منه .

والثاني : التسكين لنفوسهم أنّ الله ناصرهم دون غيره ، إذ لا يُعتدّ بنصر أحد مع نصره .

والثالث : التفريق بين حالهم وحال عبّاد الأوثان مدحاً وذمّاً لأولئك . وبهذا قال أبو علي الجُبّائي .

وإنّما قال للنبيّ ﷺ : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وإنْ كان النبيّ ﷺ عالماً بأنّ له الملك كُلّه ؛ لأمرين :

أحدهما : التقرير والتنبيه الذي يؤول إلى معنى الإيجاب ، قال جَرير :

[٨٠] أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايَا وَأَنْدى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

وأنكر الطبريّ أنْ يدخل حرف الاستفهام على حرفِ الجَحْد بمعنى الإثبات[1] .

والبيت الذي أنشدناه يُفسد ما قاله ، وأيضاً قوله : ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ

↵ المعنى العامّ : واضح لا يحتاج لبيان .
حَدَثان الدَهْر : مصائبه ونوائبه ، وما يُبتلى به الإنسان من حوادث .
الشاهد : استعمال «دُونَ» بمعنى : سوىٰ ، كما في الآية .
راجع : الديوان : ٩١ ت ٨٣ ، أميّة بن أبي الصلت حياته وشعره : ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٤٠٨ ، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢ : ٣٨٥ ت ٧٢٩ ، الصناعتين :٤٩٢ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٦٩ .

(١) راجع تفسير جامع البيان ٢ : ٤٠٤ .

عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[١] وقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[٢] وغير ذلك يفسد ما قاله.

والوجه الثاني: أنّه خطاب للنبيّ ﷺ، والمراد به أُمّته، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ﴾[٣]، وقال جميل بن معمر:

أَلا إنّ جِيرانِي الْعَشِيَّةَ رائحٌ ... دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ مِنْ هَوَى وَمَنادِحُ[٤] [٣٩٨]

---

(١) سورة القيامة ٧٥: ٤٠.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٣٦.

(٣) سورة الطلاق ٦٥: ١.

(٤) البيت اختلف في نسبته بين جميل بن مَعْمِر، وتقدّمت ترجمته في ٢: ٢٥٦، كما هو لدى الطبريّ في تفسيره جامع البيان ٢: ٤٠٦، ولعلّه أقدم من نسبه إليه، ولا يمكن المساعدة عليه، وبين الشاعر الجاهليّ حيان بن جُلْبة ـ جَبْلَة ـ المحاربيّ، ولم أعثر له على ترجمة شافية، وهو الصحيح الذي تساعد عليه المصادر الآتية، فإنّ أقدم من ذكره أبو زيد الأنصاري وبعده ابن بري، وذكرا له بيتاً ثانياً هو:

فَسَارُوا بِغيْثٍ فِيهِ أَغْيَ فَغُرَّبٌ ... فَذُو بَقَرٍ فَشَابَةٌ فَالذَّرَائِحُ

وباقي المصادر الآتية دون نسبة.

هذا، ويظهر أنّ الأغلب استشهد به لمورد الشاهد لدى الشيخ المصنّف ﵀، وهو: إفراد قوله: رائح، ولم يقل: رائحون تبعاً لجيراني؛ وذلك إمّا: لأنّ «رائح» اسم جنس كحابل وحامل وباقر وسامر، أو أنّه خرّج الجيران مخرج الواحد من الجمع؛ لعدم بناء جمعه على مفرده.

المَنادِح: الصحاري والمَفاوزُ البعيدة الواسعة.

راجع: النوادر في اللّغة: ٤٤٤، شرح شواهد الإيضاح: ٥٧٠ ت ٢٨٢، معجم ما استعجم ١: ١٧٣، لسان العرب ١٤: ٣٨، تاج العروس ١٩: ١٦٢ مادّة «اغى» فيهما، وكما تقدّم ذكروا له ثانياً، ونسبوه لحيّان بن جبلة المشار إليه.

أمّا في: معاني القرآن للفرّاء ١: ١٣٠، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات: ٢٦٧، التكملة للفارسي: ٤٦٥ ت ٢٠٥، المحتسب لابن جنيّ ٢: ١٥٤، الدرر اللوامع على همع الهوامع ٢: ٥٤٨ ت ١٧٧٦، فقد استشهدوا به لمواردهم، والأغلب لمورد الشاهد لدى الشيخ المصنّف ولكن دون نسبة.

وإنّما يحسن ذلك ؛ لأنّ غرضه الخبر عن واحد ، فلذلك قال : (رائح) ، وقال أيضاً .

خَلِيلَيَّ فِيما عِشْتُما هَلْ رَأَيْتُما قَتِيلاً بَكى مِنْ حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلي[1] [٣٩٩]

يريد قاتلته ، فكنّى بالمذكّر عن المؤنّث ، قال الكُمَيْتُ :

إلى السِراجِ المُنيرِ أَحْمَدَ لَا يَعْدِلُني رَغْبَةٌ وَلارَهَبُ [٤٠٠]

عَنْهُ إلى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّ ـاسُ إليَّ العُيُونَ وَآرْتَقَبُوا

وَقِيلَ أَفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَنَّفَنِي القائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا

إلَيْكَ يا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ الـ أرْضُ وإنْ عابَ قَوْلِي العَيَبُ

لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسانُ وَلَوْ أُكْثِرَ فِيكَ الضَّجَّاجُ وَاللَّجَبُ

أَنْتَ المُصَفَّى المَحْضُ المُهَذَّبُ في النِّـ ـسْبَةِ إِنْ نَصَّ قَوْمُكَ النَّسَبُ[2]

---

(١) لجميل بن معمر الشهير بجميل بثينة ـ وتقدّمت ترجمته في ٢ : ٢٥٦ ـ من لامية يذكر فيها شدّة تعلّقه وشغفه ببثينة ، وهي في ديوانه : ٩٩ بيت ١٤ منها .

المعنى : واضح بيّن .

والشاهد : ما أشار إليه الشيخ المصنّف من تكنّيه بالمذكّر «قاتِلِهِ» عن المؤنّث محبوبته «بثينة» .

(٢) الأبيات للشاعر الموالي الشهير أبي المستهل الكُمَيْتِ بن زيد الأسديّ ، وتقدّمت ترجمته في ج١ ، ص ٣٢٦ ، وهي من أبيات هاشميته الثالثة من ٣٢ ـ ٣٧ ، يمدح فيها عليّاً وآل عليّ عليه السلام مورّياً عن ذكرهم بمدح جدّهم صلى الله عليه وآله خوفاً من الطغاة بني أُميّة ، وهم المرادون باللائمين والعائبين ؛ لأنّ مسلماً لا يسوؤه مدح النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ، اللّهمّ إلّا أن يكون منافقاً كافراً مثلهم ،وقد تعرّض لها وذكرها جمع ، ولكن خير من أبان الحال والشاهد فيها السيّد الشريف المرتضى في أماليه حيث يقول :

قالوا: إنّما خَرَّج كلامه على وجه الخطاب للنبيّ ﷺ وأراد به أهلَ بيته، بدلالة قوله:

[٩٦] . . . . ولو أُكْثِرَ فيكَ الضَجَّاجُ وَاللَّجَبُ

لأنّه لا أحد يوصف من المسلمين بتعنيف مادح النبي ﷺ، ولا بإكثار الضَجَّاج واللَّجَب في إطناب القول فيه.

وإنّما قال: ﴿لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ﴾ ولم يقل: مِلك؛ لأنّه أراد مُلْكَ السّلْطانِ والمَمْلَكَةِ دون المِلْك، يقال من ذلك: مَلَكَ فُلانٌ[1] هذا الشيء يَمْلِكُهُ مِلْكاً ومَلَكاً ومَلْكاً[2].

والنصير فعيل من قولك: نَصَرْتُكَ أَنْصُرُكَ، فأنا ناصِرُكَ ونَصِيرُكَ، وهو: المؤيِّد والمقوِّي.

↩ فظاهر الخطاب للنبيّ ﷺ، والمقصود به أهلُ بيته عليهم السلام؛ لأنّ أحداً من المسلمين لايمتنع من تفضيله ﷺ والإطناب في وصف فضائله ومناقبه، ولا يعنِّف في ذلك أحدٌ، وإنّما أراد الكميت: وإنْ أُكْثِرَ في أهل بيته وذويه عليهم السلام الضجاجُ واللّجبُ والتقريعُ والتعنيفُ، فوجَّه القولَ إليه والمراد غيره، ولذلك وجه صحيح وهو أنّ المراد بموالاتهم والانحياز إليهم والانقطاع إلى حبّهم؛ لما كان رسول الله ﷺ هو المقصود بذلك أجمع جاز أن يُخرج الكميتُ الكلامَ هذا المخرج، ويضعه هذا الموضع. أمالي المرتضى ٢ : ٨٠.

وراجع: تأويل مشكل القرآن: ٢٧١، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢ : ٧٩٧ ب ٧٤، الموشح: ٢٣٤، عيار الشعر: ٩٨، والحيوان ٥ : ١٦٩، والبيان والتبين ٢ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠، وراجع: الديوان ٤ : ١٩٩، شرح هاشميات الكميت: ١١٠ ـ ١١١ ضمن الهاشمية الثالثة، الأبيات ٣٢ ـ ٣٧ فيهما.

(١) في النسخ: «ؤ، هـ، حجري» هنا زيادة «على» حُذفت بمساعدة النسختين: «ش، المختصرة»، ولعلّ لها وجهاً.

(٢) تقدّم بحثها مفصّلاً في ١ : ١٠١ ـ ١٠٦.

قوله تعالى :

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ﴿١٠٨﴾ آية بلا خلاف .

اختلف المفسّرون في سبب نزول هذه الآية ، فرُوي عن ابن عباس أنّه قال : قال رافع بن حُرَيْملة[1] ووهب بن زيد[2] لرسول الله ﷺ : ائتنا بكتاب تُنْزِلُه علينا من السماء نقرؤه ، وفجّر لنا أنهاراً نـتَّبعك ونُـصدِّقك ، فأنزل الله في ذلك من قولهما : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[3] .

---

(١) رافع بن حُرَيْمَلة من أحبار ورؤساء يهود بني قَيْنُقاع المعاصرين للنبيّ ﷺ ، يُعدّ من أشدّ المنافقين على الإسلام ، وعند موته قال رسول الله ﷺ : (مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين) شملته عدّة آيات من الذكر الحكيم ؛ لطلبه من الرسول الأكرم ﷺ أن يكلّمه الباري جلّ وعلا ونزول كتاب عليه من السماء وغير ذلك .

ترجمته في : المغازي ٣ : ١٠٥٩ ، المحبّر : ٤٧٠ ، البداية والنهاية ٣ : ٢٣٦ و٢٤٠ ، السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، الروض الأنف ٤ : ٣٠٦ و٣٢٢ ، وأجمعها : أعلام القرآن للشبستري : ٣٧٩ .

(٢) وهب بن زيد صنو الأوّل من شرار بني قُرَيْظة .

راجع : البداية والنهاية ٣ : ٢٣٧ ، الروض الأُنف ٤ : ٣٠٧ و٣٤٨ ، السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٦٢ و١٩٧ .

(٣) ذكرت ذلك جملة من المصادر منها : أسباب نزول القرآن للواحديّ : ١٤٠ ـ ١٤١ ، أسباب النزول للسيوطيّ : ٢٧ ت ٤١ ، نهاية الإرب ٦١ : ٣٧٥ ، السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٩٧ ، التفسير الكبير للطبرانيّ ١ : ٢٢٦ ، تفسير الهداية الى بلوغ النهاية ١ : ٣٩٥ دون نسبةٍ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢٠٢ ت ١٠٧٤ ، التفسير الوسيط ١ : ١٩٠ ـ ١٩١ دون نسبةٍ ، التفسير البسيط ٣ : ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، وهما للواحدي ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ : ٣٨١ ، تفسير

ط

وقال الحسن: عنى بذلك المشركين من العرب لمّا سألوه فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰئِكَةِ قَبِيلاً﴾[١]، وقالوا: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾[٢][٣].

وقال السُّدّيُّ: سألت العرب محمّداً ﷺ أنْ يأتيَهم بالله فيروه جهرة[٤].

وقال مجاهد: سألت قريش محمّداً أنْ يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: (نعم هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل)، فأبوا ورجعوا[٥].

وقال أبو علي: روي أنّ رسول الله ﷺ سأله قوم أن يجعل لهم ذاتَ

المحرّر الوجيز ١: ٣٢٥، تفسير معالم التنزيل ١: ١٣٧ دون نسبة، الدرّ المنثور ١: ٥٥٤، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٠٩.

(١) سورة الإسراء ١٧: ٩٢.

(٢) سورة الفرقان ٢٥: ٢١.

(٣) أسباب نزول القرآن للواحديّ: ١٤١، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٦، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٠٩، تفسير الوسيط ١: ١٩١، تفسير البسيط ٣: ٢٣٩، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٢٥، تفسير معالم التنزيل ١: ١٣٧، وغيرها.

(٤) أسباب نزول القرآن للواحديّ: ١٤١، أسباب النزول للسيوطيّ: ٢٧ ـ ٤٣، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٠٩ـ ٤١٠، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٦، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٣ ت ١٠٧٧، تفسير معالم التنزيل ١: ١٣٧.

(٥) تجد ذلك في جملة من المصادر بزيادة ونسبة لابن عباس خصوصاً الحديثية منها، راجع: أسباب نزول القرآن للواحديّ: ١٤٠، أسباب النزول للسيوطيّ: ٢٧ ت ٤٢، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤١٠، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٣ ت ١٠٧٥، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٥٧، تفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١: ٣٩٥، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٧٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٣٨١، الدرّ المنثور ١: ٥٥٦.

أمّا كتب الحديث فكثيرة منها: مسند أحمد ١: ٤٢٦ ت ٢٣٢٩، المعجم الكبير للطبرانيّ ٢١: ١٥٢ ت ١٢٧٣٦، سنن النسائيّ ٦: ٣٨٠ت ١٢٩٠، السنن الكبرى للبيهقيّ ٩: ١٥ ت ١٧٧٣٢، البحر الزخّار ١١: ٢٥٢ ت ٥٠٣٦، المستدرك للحاكم ٣: ١١٠ ت ٣٤٣١، وغيرها.

أنواطٍ كما كان للمشركين ذات أنواط ، وهي : شجرة كانوا يعبدونها ويعلّقون عليها التمر وغيره من المأكولات ، كما سألوا موسى ﴿ٱجْعَلْ لَنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[1][2].

ومعنى ﴿أم﴾ في قوله : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ التوبيخ ، وإن كان لفظها لفظ الاستفهام ، كقوله تعالى :﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾[3].

و«أم» على ضربين : متّصلة ومنفصلة ، فالمتّصلة عديلة الألف ، وهي مفرّقة لما جَمَعَتْهُ «أيّ» ، كما أنّ «أو» مفرّقة لمّا جمعته «أحد» ، تقول : اضرب أيّهم شئت أزيداً أم عمراً أم بكراً .

والمنفصلة ـ غير العادلة لألف الاستفهام قبلها ـ لا تكون إلّا بعد كلام ؛ لأنّها بمعنى بل والألف ، كقول العرب : إنّها لإبلٌ أم شاءٌ ؟ كأنّه قال : بل أشاءٌ هي؟ ، ومنه قوله :﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ﴾[4] كأنّه قال : بل أيقولون افتراه؟ ، وكذلك ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ كأنّه قيل : بل أتريدون؟ ، وقال الأخطل .

---

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٣٨ .

(٢) ذكرت ذلك جملة من المصادر الحديثيّة المتقدّمة ، منها : مسند الطيالسيّ : ١٩١ ت ١٣٤٦ ، المصنّف لعبد الرزّاق ١١ : ٣٦٩ ت ٢٠٧٦٣ ، المسند للحُمَيْديّ ٢ : ٣٧٥ ت ٨٤٨ ، مسند أحمد ٦ : ٢٨٥ ت ٢١٣٩٠ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٢١ : ١٥٢ ت ٣٨٥٣٠ ، سنن الترمذيّ ٤ : ٤٧٥ ت ٢١٨٠ ، السنّة لابن أبي عاصم : ٣٧ ت ٧٦ ، مسند أبي يَعْلى الموصليّ ٣ : ٣٠ ت ١٤٤١ ، المعجم الكبير للطبرانيّ ٣ : ٢٧٥ ت ٣٢٩٠ ـ ٣٢٩٤ ، ولعلّ غيرها أيضاً نقل ذلك .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٨ .

(٤) سورة السجدة ٣٢ : ١ ـ ٣ .

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ ٱلظَّلَامِ مِن ٱلرَّبَابِ خَيَالَا[1] [٤٠١]

وقال الفرّاء: إنْ شئت قُلت: قبله استفهام فتردّه عليه، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2][3].

وقال الرمانيّ في هذا: بعد أن تكون على المعادلة، ولا بدّ أن يُقدّر له: أم تعلمون خلاف ذلك فتسألون رسولكم كما سُئل موسى مِنْ قَبْلُ، والمعنى: عيّبهم[4] بأنّهم يتخيّرون الآيات ويسألون المحالات كما سأل

---

(١) البيت لشاعر البلاط الأُمويّ الأخطل النصرانيّ وتقدّم في ٢: ١٥٣، مطلع قصيدة طويلة في الديوان: ٤١ هجا بها جريراً ومفتخراً على بني قيس.

المعنى: من المؤَكّدِ أنّ عينيك خدعتك في تخيّلك رؤية الرباب ـ زوجه ـ في ظلام الليل وغَلَسِهِ، فأنت في دعواك حالمٌ متخيّل.

واسط: عدّة أماكن، والمراد واسط الجزيرة، بطرف الشام، لا التي بين الكوفة والبصرة؛ لأنّ هذه الحجاج مصرّها والشاعر متقدّم عليه.

الرباب: زوجة أو محبوبة الأخطل.

الغَلَسْ: ظُلمة آخر الليل، قرب مطلع الفجر.

الشاهد: ما أفاده الشيخ‏ من استعمال «أم» في الرجوع عمّا ذكره أوّلاً، وهكذا هو لدى أغلب من استشهد به ممّا سيذكر لاحقاً في هامش ٧ صفحة: ٢٧٧.

هذا، وقد استشهد به جمع منهم: سيبويه في الكتاب ٣: ١٧٤، المبرّد في المقتضب ٣: ٢٩٥، ابن فارس في الصاحبيّ: ١٦٧، والهرويّ في كتاب الأزهية في علم الحروف: ١٢٩، وغيرهم ممّن ذُكر في هامش ٧ صفحة ٢٧٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٠٦.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١: ٧١، عنه جامع البيان للطبريّ ٢: ٤١٢، المبرّد في المقتضب ٣: ٢٩٥، ابن فارس في الصاحبيّ: ١٦٦، وابن الشجري في أماليه ٣: ١٠٦ م ٦٧، والشنتمري في النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢: ٧٩٨، ومصادر الهامش ٧ صفحة ٢٧٧.

(٤) «عيبهم» صُحّفت في النسخ والحروفيّات إلىٰ «عنهم»، والمثبت من النسخة المعتمدة «خ».

موسى (قومه)[١]، فقالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَـهُمْ ءَالِـهَةٌ﴾[٢] وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[٣] وهذا الوجه اختاره البلخيّ والمغربيّ[٤].

وحُكي عن بعضهم أنّ ذلك عطفٌ على قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[٥].

وقيل أيضاً: لمّا قيل لهم: قولوا: ﴿ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا﴾[٦] كان تقدير الكلام: فهل تفعلون هذا أم تريدون أنْ تسألوا رسولكم؟[٧].

وقوله: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ معناه: قصد الطريق، على قول الحسن[٨].

و(سواء) ـ بالمدّ ـ تكون على ثلاثة أوجُه: بمعنى: قصد وعدل، وبمعنى: وسط، كقوله: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٩] وقوله:

---

(١) ما بين القوسين زيادة من النسخة «خ»، يقتضي المعنىٰ إثباتها.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٣٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ٥٥.

(٤) مؤلّفات البلخيّ مفقودة، وللمغربيّ راجع: المصابيح في تفسير القرآن العظيم ١: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٥) سورة البقرة ٢: ٨٥.

(٦) سورة البقرة ٢: ١٠٤.

(٧) تطرّقت لبحث «أم» وبتفصيل جملة مصادر، منها: الكتاب لسيبويه ٣: ٢١٤، المقتضب ٣: ٢٩٣، الأُزهية: ١٢٤، معاني الحروف: ٧٠، الجنىٰ الداني: ٢٠٤، أمالي ابن الشجريّ ٣: ١٠٦م ٦٧، النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢: ٧٩٨، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٩٢، الصحابي لابن فارس: ١٦٦، وكذلك ضمن غير واحد من مصادر الشاهد: ٤٠١.

(٨) علىٰ الرغم من كثرة المصادر الناقلة لمعنىٰ «سواء» لم نجد من نسب شيئاً منها للحسن، لا أقلّ في هذه الآية، وانظر مصادر الهامش ٣ في الصفحة الآتية.

(٩) سورة الدخان ٤٤: ٤٧.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[1] أي : وَسَطِها ، قال حسّان :

يـا وَيْـحَ أَنْـصارَ النَّبِيِّ وَنَسْـلِهِ   بَعْدَ ٱلمُغيَّبِ في سَواءِ ٱلْمُلْحَدِ[2]   [٤٠٢]

وتكون بمعنى : غير ، كقولك للرجل : أَتَيْتُ سِواكَ ، أي : غَيرَكَ[3] .

---

(١) سورة الصافات ٣٧ : ٥٥ .

(٢) البيت ١٤ من داليته برقم ١٣١ في الديوان ١ : ١٦٩ ، يرثي حسّانُ الشاعرُ بها النبيّ صلى الله عليه وآله ، ويُبيّن حالَه والمسلمين من بعده صلى الله عليه وآله .

المعنى : ويح : كلمة تفجّعٍ وترحّمٍ لمن تنزل به مصيبة . المغيَّب : المدفون ، إشارة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله .

الشاعر يتفجّع على آل النبيّ والأنصار على ما سيجري عليهم بعد المُغَيَّبِ في لحده ، وكأنّه يقرأ الحوادث مقدّماً ، ومع ذلك يا لسوء عاقبته ومنقلبه ، حيث ابتلي بما توقّعه ، وهذا مصداق خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله له : (لا زلت مؤيّداً بروح القدس ما ذَبَبْتَ عنّا أهل البيت) نعم ، لازلت فإنّه زلّ شططاً بعيداً ، راجع : الغدير ٣ : ٢٧٥ .

والعجب أنّ الأيدي المؤتمنة على التراث عبثت في الديوان ، كما عاثت في غيره فساداً ، فمثلاً هنا بإبدالهم كلمة نسله ـ كما جاء في رواية الشيخ المصنّف ـ إلى : رهطه ، كما في الرواية الأُخرى ، وكم فرق بين الموردين ، وكم له من مثيل .

وقد حذفت أيضاً ممّا لا يروق لها قصائده في مدح أمير المؤمنين علي عليه السلام .

هذا ويدعم رواية الشيخ المصنّف روايةُ أبي عبيدة معمر بن المثنى ت ٢١٠هـ ، في مجاز القرآن ١ : ٥٠ ت ٦١ ، والطبري ت ٣١٠هـ في تفسيره جامع البيان ٢ : ٤١٦ .

(٣) ذُكرت لـ «سواء» المعاني التي ذكرها الشيخُ المصنّفُ في جملة مصادر ، منها : مجاز القرآن ١ : ٥٠ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ٧٣ ، تأويل مشكل القرآن : ٥٢١ ، غريب القرآن لليزيديّ : ٧٩ت ١٠٨ ، تفسير الهداية الى بلوغ النهاية ١ : ٣٩٧ ، المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى للحداديّ : ٥٩٤ ، الكامل للمبرّد ٤ : ١٠ ، إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٥٧ .

وهكذا كتب اللّغة ، منها : العين ٧ : ٣٢٥ ، تهذيب اللّغة ١٣ : ١٢٣ ، جمهرة اللّغة ١ : ٢٣٧ ، و٢ : ٨٦٤ ، المحيط في اللّغة ٨ : ٤١٣ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٦٣٨ ، الصحاح ٦ : ٢٣٨٤ ، مجمل اللّغة ٢ : ٤٧٧ ، لسان العرب ١٤ : ٤٠٨ ، تاج العروس ١٩ : ٥٤٦ .

ومعنى ﴿ضَلَّ﴾ ها هنا الذهاب عن الاستقامة، قال الأخطلُ:

كُنْتَ آلقَذَى في مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ   قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلَالَا[1] [٤٠٣]

أي: ذهبت يميناً وشمالاً.

والسَّبِيلُ والطَّرِيقُ وَالمَذْهَبُ نظائر.

ويقال: أَسْبَلَ إِسْبَالاً، وسَبَّلَهُ تَسْبِيلاً، والسَّبيلُ: يُذَكَّر ويُؤَنَّثْ، والجمع: السُّبُلُ.

والسَّابِلَةُ: المُختَلِفَةُ في الطُّرُقاتِ في حَوائِجِهِمْ، والجَمْعُ السَّوابِلُ.

وسَبِيلٌ سَابِلٌ[2] كقوله: شِعْر شَاعِر.

ﭥ أضف التفاسير في مورد الآية، ومنها: تفسير الحسن البصري «سواء» (جمع) د. محمّد عبد الرحيم أو المعتمدة (جمع) د. كمال، وفي عدّة موارد في ٤: ٢٣٩ و٢٦٤، و٥: ١٨، وغيرها، تفسير بحر العلوم ١: ١٤٨، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٥٧، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ٢٢٦، التفسير الوسيط ١: ١٩١، التفسير البسيط ٣: ٢٤٠، وغيرها، إلّا أنّي لم أجد من نسب للحسن شيئاً ولا أقلّ في هذا المورد.

(١) من قصيدة للأخطل النصراني الأموي المذاق ـ وتقدّمت ترجمته في ٢: ٥٣ ـ في ديوان شعره: ٥٠ ب ٤٠ ق ٨ يهجو بها جريراً، وتقدّمت ترجمته في ١: ٢٩.

المعنى كنتَ: جواب «إذاً» في البيت السابق، القذى: ما يجتمع فوق الماء الجاري من حقير الأشياء من تبن وورق شجر وأعواد، الأكدر: البحر المتلاطم الكثير الماء، مزبد: الهائج الذي يقذف بالزبد من هيجانه وسرعته، الأتيّ: السيل الآتي من بعيد، وقذف الأتيّ: صفة القذى الذي يرمي به السيل.

الشاهد فيه: «فضَلَّ» تحيّر لا يدري أين يتّجه.

راجع: إضافةً للديوان: ٥٠ ب٤٠ ق٨: التذكرة الحمدونيّة ٥: ١٠٥ ت ٢٦٩، منتهى الطلب من أشعار العرب ٦: ١٥١ ق ٣١١ ب ٣٩.

(٢) هكذا في النسخ، وفي بعض مصادر اللغة الآتية في صفحة ٢٨٠، هامش ٢: سبل سابل كقولهم: شعر شاعر، ويبدو أنّ النسخ أصحّ؛ لأنّه من باب وصف اسم المفعول بالفاعل لا على الوزن، وراجع: المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٥١١.

والسَّبْلَةُ : ما على الشَّفَةِ العُلْيا من الشَّعْر ، يَجْمَعُ الشَّارِبَيْنِ وما بَيْنَهُما .

والسَّبَلُ : المَطَرُ المُسْبِل ، والسُّبُوْلَةُ : هي سُنْبُلَةُ الذُّرَةِ والأُرُزِ ونحوه إذا مالت ، ويقال : أسبل الزرع : إذا سَنْبَلَ .

ويقال : أَسْبَلْتُ السَّتْرَ إِسْبالاً : إذا أرْخَيْتَهُ ، وأسبل الرجلُ إزارَه : إذا أرخاهُ من الخُيلاءِ ، قال الشاعر :

.... وَاَسْبِلِ اَلْيَوْمَ مِنْ بُرْدَيْكَ إِسْبَالاً[1] [٤٠٤]

وأصل الباب : الإسبال ، وهو : الحدر[2] .

---

(١) عجز البيت ١٦ من اللّامية ١٧ للشاعر أُمَيَّة بن أبي الصلت ، وتقدّمت ترجمته في ١ : ٧١ ، وقيل : لأبيه عبدالله أبي الصلت ، يمدحُ فيها سيفَ بن ذي يزن ؛ لانتصاره على الحبش . وقد رزق صدره اختلافاً كثيراً حتى كأنّه غيره ، ولا يهمّ ، وصدره حسب الديوان :

وآطْلِ بِالمِسْكِ إذْ شالت نعامتهم ....

الإسبال : إرخاء أو إسدال الثوب والإزار واللّباس إلى الأرض من الخيلاء والتبختر والإعجاب .

الشاهد : ما ذكره الشيخ المصنّف﵀ .

راجع : الديوان : ١٧٧ـ ١٧٨ ، أُميّة بن أبي الصلت حياته وشعره : ٣٥٠ ، وغيرهما من المصادر الكثيرة جدّاً خصوصاً كتب التاريخ المتعرّضة للقدماء الأوائل ، مثل : تاريخ الطبري ٢ : ١٤٨ ، تاريخ دمشق ٣ : ٤٤٦ ، البِدْءُ والتأريخ ٣ : ١٩٤ ، البداية والنهاية ٢ : ١٩٦ ، أخبار مكة للأزرقيّ ١ : ١٥٠ ، سُبُل الهدى والرشاد ١ : ١٢٦ .

إضافةً لكتب الأدب : طبقات فحول الشعراء ١ : ٢٦١ ت ٣٥٩ ب ٦ ، الشعر والشعراء ٣٠٢ ، أمالي ابن الشجري ١ : ٢٦٠ م ٢٦ ، وغيرها كثير .

(٢) لضبط المادّة «سبل» استعن باللغويات التالية : العين ٧ : ٢٦٣ ، تهذيب اللّغة ١٢ : ↲

والسؤال هو: الطلب ممّن يَعلم معنى الطلب أمراً من الأمور.

ووجه اتّصال هذه الآية بما قبلها والتعلّق بينهما: أنّه لمّا دلّ الله بما تقدّم من الآيات علىٰ تدبير الله لهم فيما يأتي به من الآيات وما ينسخه، فكأنّه قيل: أم لا ترضون بذلك فتتخيّروا الآيات وتسألوا المحالات ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾؛ لأنّ الله تعالى إنّما يأتي بالآيات على ما يَعلمُ فيها من المصلحة، فإذا أتى بآيةٍ تقوم بها الحجّة فليس لأحدٍ الاعتراض عليها ولا اقتراح غيرها؛ لأنّه تعنّتٌ، إذ قد صحّ البرهان بها.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِالْإِيمَـٰنِ﴾ معناه: من يستبدل الكفر يعني الجحود بالله وبآياته بالتصديق بالله وبآياته والإقرار به.

وقال بعضهم: عبّر بالكفر هاهنا عن الشدّة وبالإيمان عن الرخاء[1].

وهذا غير معروف في اللّغة ولا العرف إلّا أنْ يراد بذلك الثواب والعقاب الذان يُستحقّان عليهما، فيكون له وجه في التأويل.

↩ ٤٣٦، جمهرة اللّغة ١: ٣٤٠، المحيط في اللّغة ٨: ٣٣٠، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٥٠٦، الصحاح ٥: ١٧٢٣، لسان العرب ١١: ٣١٩، تاج العروس ١٤: ٣٢٥، وغيرها.

(١) ذكرته بعض التفاسير ونسبته لأبي العالية: رُفَيع بن مِهْران الرّياحي ـ وتقدّمت ترجمته في ٢: ١٤٦ ـ حاكمة عليه بالضعف، وكذا الشيخ المصنّف؛ إذ لا أثر له في مصادر اللّغة حسب تتبّعي. راجع: تفسير جامع البيان ٢: ٤١٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٢٦، تفسير البحر المحيط ١: ٥٥٦ حاكمة عليه بالضعف. وانظر ممّن ذكره جارحاً: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٤ ت ١٠٧٨، وفي ت ١٠٧٩ نسبه للربيع بن أنس، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٩٦، الدرّ المنثور ١: ٥٥٦.

قوله تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَاعْفُوا وَٱصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٠٩) آية واحدة.

المَعْنِيُّ بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ﴾ عند الحسن: النّصارى واليهود.

وقال الزهريُّ وقَتادةُ: كعب بن الأشرف.

وعن ابن عباس: حُيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب[1][2].

و«حَسَدًا» نُصِبَ على أحد أمرين:

أحدهما: على الجملة التي قبله بدلاً من الفعل، كأنّه قال: حَسَدُوكُمْ حَسَداً؛ لأنّ الجملة دالّة عليه، كما تقول: تتمنّى لك الشرّ حسداً، كأنّه قال:

---

(١) أبو ياسر بن أخطب، من بني النضير أحد كبار أحبار يهود الذين نصبوا العداوة للإسلام ونبيّه الأكرمﷺ، وكان ممّن يسأل النبيّﷺ تعنّتاً، نزلت فيه عدّة آيات.

راجع السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٦٠ وصفحات غيرها، البداية والنهاية ٣: ٢٣٦، أعلام القرآن للشبستري: ٥٩ وهو أجمعها.

(٢) تعرّضت لهذه الآراء المصادرُ التالية: تفسير عبد الرزّاق الصنعانيّ ١: ٢٨٦ ت ١٠٧، المعجم الكبير للطبرانيّ ١٩: ٧٦ ت ١٥٤، تفسير بحر العلوم ١: ١٤٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ت١٠٨١ ـ ١٠٨٣، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٥٧، السنن الكبرى للبيهقيّ ٩: ٣٠٨ ت ١٨٦٢٨، دلائل النبوّة له أيضاً ٣: ١٩٦ ـ ١٩٧، أسباب النزول للواحديّ: ١٤١ ت ٤٣ بتفصيل، وأمّا في تفسيره البسيط ٣: ٢٤٠، وتفسير الوسيط ١: ١٩ فلم يذكر الأسماء، العجاب في بيان الأسباب ١: ٣٥٤ ت ٤٢ وفيه تفصيل.

نَحْسِدُكَ حَسَداً .

والآخر : أنْ يكون مفعولاً له ، كأنّه قال : يردّونكم لأجل الحسد ، كما تقول : جئته خوفاً منه ، يقال : حَسَدْتُ أحْسُدُ حَسَداً[1] .

وحَسَدْتُكَ على الشَّيءِ وحَسَدْتُكَ الشَّيْءَ بمعنى واحد ، قال الشاعر :

فَقُلْتُ : إلى الطَّعامِ فَقَالَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ : نَحْسُدُ الإنسَ الطَّعامَا[2] [٤٠٥]

---

(١) باختصار : ﴿حسداً﴾ نصبه إمّا : على أنّه مفعول له ، وإمّا على البدلية (المصدرية) دلّ عليها الفعل قبلها ، أي : حسدوكم حسداً . ويمكن أن يكون العاملُ ﴿ودّ﴾ أو ﴿يردّونكم﴾ .

لزيادة المعرفة راجع : التبيان في إعراب القرآن ١ : ١٠٤ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ١١٨ ، إملاء ما مَنّ به الرحمن ١ : ٥٧ ، تفسير البسيط للواحديّ ٢ : ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٥٥٨ ، المكتفىٰ في الوقف والابتداء : ١٧٠ ـ ١٧١ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ٧٣ ، القطع والائتناف للنّحّاس : ٧٩ .

(٢) اختلف في نسبته بين عدّة شعراء ، منهم : شمر بن الحارث الضبيّ ، وسهم بن الحارث ، ولم أعثر لهما على ترجمة ، وتأبّط شرّاً ، وترجمته في معجم الشعراء الجاهليّين : ٦٤ ، واسمه ثابت بن جابر ، ولُقّب بـ «تأبّط شرّاً» في قصّة لزمته ، والبيت في ديوانه : ٢٥٧ ، وآخرين .

المعنىٰ : يوضّحهُ البيت قبله :

أَتَوْا نارِي فَقُلْتُ مَنُون أنتُمْ فقالوا الجِنُّ قلتِ عِمُوا ظَلاما

فالشاعر أوقد ناراً لطعامه ، فطرقته الجنّ فدعاهم إلىٰ الأكل فلم يجيبوه ، وزعموا أنّهم يحسدون الإنس على أكلهم الطعام .

الشاهد : لدى الشيخ المصنّف وأغلب من ذكره : استعمال «حَسَدَ» متعدّياً بنفسه .

راجع خير من جمع مصادره لعلّ بما لا مزيد عليه : الصحاح للجوهري طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق د . يعقوب ، ود . طريفي ٢ : ٤٤ «حسد» ، كذلك المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته ١١ : ٨٦٩ .

وراجع أيضاً : المقتضب ٢ : ٣٠٧ ، الكتاب لسيبويه ٢ : ٤١١ ، المقرّب ١ :
⇐

ورجل حاسِدٌ وحَسُودٌ وحَسَّادٌ.

والحَسَدُ هو: الأسف بالخير على من له خير، وأشدّ الحسد التعرّض للاغتمام بكون الخير لأحد، وقد يكون الحاسد متمنّياً لزوال نعمةٍ من المحسود وإنْ لم يكن يطمع في تحوّل تلك النعمة إليه[1][2].

والصَّفْحُ هو: التجاوُزُ عن الذَّنْبِ.

والصَّفْحُ والعَفْوُ والتجاوُزُ بمعنى.

يقال: صَفَحَ يَصْفَحُ صَفْحاً، وتَصَافَحُوا تَصافُحَاً، وصَافَحَهُ مُصْافَحَةً وتَصَفَّحَ تَصَفُّحاً.

الصَّفَحَةُ: ما كان من ظاهر الشيء، يقال لظاهر جلدة الإنسان:

↩ ٣٠٠، الخصائص ١: ١٢٨، رصف المباني: ٤٣٧، أمالي ابن الحاجب ١: ٤٦٢، شرح أبيات سيبويه ٢: ١٨٣، شرح المفصّل ٤: ١٦، المقاصد النحوية ٤: ٤٩٨، خزانة الأدب للبغداديّ ٦: ١٦٧ ـ ١٧٠، وبعض مصادر اللغة التي يشار إليها في نهاية الهامش (٢) الآتي.

(١) الكلامُ حوله ـ الحسد ـ ماهيةً، وأسباباً، وطرق علاجه، وما ورد فيه من أحاديث عن أهل بيت العصمة والطهارة، وكذا بحثه اللغوي طويلٌ عريضٌ، محكوم عليه بحكم الهامشية، وهو يستدعي الإحالة إلى المصادر، فلمريد التفصيل مراجعة ما يلي: إحياء العلوم ٣: ١٨٦، المحجّة البيضاء في إحياء الإحياء ٥: ٣٢٥، جامع السعادات ٢: ١٩٨، بحار الأنوار ٧٣: ٢٣٧، مرآة العقول ١٠: ١٥٧، رياض السالكين ٢: ٣٣٧ ضمن شرح الدعاء ٨ من أدعية الصحيفة السجادية بتفصيل، نهج البلاغة، الحكمة: ٢١٨ و٢٢٥ و٢٥٦، شروح النهج لها، الكافي ٢: ٢٣١ باب الحسد، شرح المازندراني على الكافي ٩: ٢٩٩، موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية ١: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) وأمّا لغةً مادّة «حسد» ومتفرّعاتها فتجدها في: العين ٣: ١٣٠، تهذيب اللّغة ٤: ٢٨٠، جمهرة اللّغة ١: ٥٠٢، المحكم والمحيط الأعظم ٣: ١٧٦ الصحاح ٢: ٤٦٥ والطبعة العلمية ٢: ٤٤، لسان العرب ٣: ١٤٨، تاج العروس ٤: ٤١٩، وهذه الأربعة الأخيرة استشهدت ببيت الشاهد.

صفحته ، وكذا هو من كلّ شيء ، ومن هذا : صافَحْتُهُ ، أي : لَقِيتُ صَفْحَةَ كَفِّهِ صَفْحَةَ كَفِّي ، وفي الحديث : «التسبيحُ للرجال ، والتَّصْفيح للنِّسَاءِ»[1] أي : التصفيق ؛ فإنّما هو لأنّها تضرب بصَفْحَةِ كَفٍّ على صَفْحَةِ أُخرى ، وأنشد الأَصْمَعِيّ :

كَأَنَّ مُصَفِّحَاتٍ في ذُراهُ وَأَنْواحاً بأيديها المآلي[2] [٤٠٦]

المآلي : جمع مِئْلاة ، وهي خِرْقَةٌ تَمْسِكُها النائحَةُ تُقَلِّصُ بِها دَمْعَتَها ،

---

(١) راجع : الخلاف للشيخ الطوسي ٦ : ٢١٤ م ٦ ، تذكرة الفقهاء ٣ : ٢٨١ م ٣٢٠ ، منتهى المطلب ٥ : ٢٨٠ ، مسند أحمد ٢ : ٢٦١ ، سنن الدارمي ١ : ٣١٧ ، صحيح البخاري ٢ : ٦٠ ، صحيح مسلم ٢ : ٥٥١ ت ١٠٣٤ ، سنن ابن ماجة ١ : ٣٢٩ ت ١٠٣٤ ـ ١٠٣٥ ، سنن أبي داوُد ١ : ٢١٣ ت ٩٣٩ ، وغيرها تظهر من المطاوي .

(٢) بيت من لاميّة للشاعر الأصمعيّ ، وتقدّمت ترجمته في ٢ : ٧٧ ـ وهي طويلة متعدّدة الأغراض ، في بيت الشاهد يعاتب قومه وعشيرته ويلومهم على تأمير رجل سيّء الخُلق وخضوعهم له ، وهو خلاف المعهود من شيمهم وأخلاقهم وعرفهم .

المعنى : المصفِّحَات : على رواية الكسر بمعنى التصفيق ، وعلى رواية الفتح فتشبيه لمعان البرق وضوئه بالسيوف العريضة المجرّدة ، وقيل : الإبل التي أُبعدت عن صغارها فهي تصوّت بصوت يشبه صوت الرعد حناناً عليهم . ذراه : أعلى نقطة من الشيء . الأنواح : النساء النادبات والنائحات ينحن في العزاء وغيره . بأيديها : وفي روايةٍ «عليهنّ» بمعنىٰ «معهنّ» . المآلي : واحدتها مئلاة ، قيل : هي خرقة تمسكها النائحة وتحرّكها يميناً وشمالاً ، أو تنشف بها دمعها وعرقها ، وقيل غير ذلك .

الشاهد فيه : استعماله «مصفِّحات» بكسر الفاء بمعنى مصفِّقات .

راجع : الديوان بتحقيق د . إحسان عباس : ٩٠ ب ٤٧ ، أدب الكاتب لابن قتيبة : ٤١١ ، الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ٣ : ٣٧٩ ت ٣٢٩ .

واستشهدت به جملة من مصادر اللغة على مرادها ، منها : العين ٣ : ١٢٢ ، جمهرة اللّغة ١ : ٥٤١ ، تهذيب اللّغة ٤ : ٢٥٧ ، الصحاح ١ : ٣٨٣ ، المخصّص ٣ : ٣٧ و ٦ : ٥٠٢ ، لسان العرب ٢ : ٥١٤ .

والصِفاحُ من السيوف العراض ، واحدها صَفْحة وصُفْحَة ، وقال :

ضَرَبْنَاهُم حَتَى إذا آرْفَضَّ جَمْعُهُمْ عَلَوْنَاهُمْ بِالمُرْهِفَاتِ آلصَفَائِح[1] [٤٠٧]

وصَفَحْتُ عَنْهُ قيل فيه قولان :

أحدهما : إنّي لم أُؤاخِذْهُ بِذَنْبِهِ ، وأَبْدَيْتُ له منّي صَفْحَةً جَمِيلَةً .

و[**الثاني**] : قيل : بل لم يَرَ مِنّي ما يُقَبِّضُ صَفْحَته .

وتقول : صَفَحْتُ الوَرَقَةَ ، أي : تَجاوَزْتُها إلىٰ غيرها ، ومنه تصفّحتُ الكتاب[2] ، وقد يَتَصَفَّحُ الكِتَابَ مَنْ لا يُحسِنُ أنْ يَقْرأ ، وسُمِّيَ الصَفْحُ مِنَ المُصْحَفِ وَغَيْرِهِ مِنَ الدَفَاتِرِ مِنَ الصَفْحَةِ ، ومنه : ﴿فَاصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[3] وقوله : ﴿ فَاعْفُوا وَٱصْفَحُوا﴾[4] قال الحارث بن هشام[5] :

---

(١) رغم التتبّع المتواصل في فهارس الشعر ومجاميعه لم نجده ولا من استشهد به . ومع ذلك يحسن شرح غريبه : ارْفَضّ : تَفرّق جَمْعُهُمْ . العين ٤ : ٤٥ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٨٩ ، تهذيب اللّغة ٦ : ٢٧٩ «رفض» . المرهفات : الحديد المرقّق والسيف الرقيق الشفرين الماضي الحدّ . العين ٧ : ٢٩ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٤٩ ، تهذيب اللّغة ١٢ : ١٥ «رهف» . الصفائح : السيوف المصحفّة : العراض . العين ٣ : ١٢٢ ، جمهرة اللّغة ١ : ٥٤١ ، تهذيب اللّغة ٤ : ٢٥٥ «صفح» .

(٢) وردت هنا زيادة في المطبوعات ، تَسَرَبَتْ إليها من بعض النسخ ، نصّها : « وقد تصفّح الكتاب» ، وهي تكرار أو سبق عين للجملة التالية .

(٣) سورة الحجر ١٥ : ٨٥ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٠٩ .

(٥) أبو عبد الرحمن ، الحارث بن هِشام المَخْزومي ، أخو أبي جهل ، شاعر أدرك الجاهلية والإسلام ، شهد بدراً مع المشركين فانهزم ، واعتذر عن هزيمته بأبيات ، أسلم يوم فتح مكة ، عُدّ من المؤلّفة قلوبهم ، ومات بالشام في طاعون عمواس عام ١٨هـ .

ترجمته في : المحبّر لابن حبيب : ٤٧٣ وغيرها . جمهرة أنساب العرب : ١٤٥ ، المعارف : ٢٨١ ، الإصابة ١ : ٢٩٣ ت ١٥٠٤ ، الاستيعاب ١ : ٣٠١ ت ٤٤٠ .

فَصَفَحْتُ عَنْهُمْ وٱلأَحِبَّةُ فِيهِمُ طَمَعَاً لَهُمْ بِعِقابِ يَوْمٍ سَرْمَدِ[1] [٤٠٨]

أي : لم أُحاربهم ؛ لأقبض صِفاحَهم ، أو أُريهم ذلك في نفسي .

ويقال : نظر إليهم صفحاً ، أي : بقدر ما أبدىٰ صفحته لم يجاوز .

والصِّفاحُ[2][3] : موضعٌ سُمّي بذلك ؛ لأنّه صخور مستوية تبدو صفائحها .

وأصل الباب ؛ صَفْحَةُ الشَّيْءِ ، وهي : ظَاهِرُهُ .

---

(١) من مقطوعة أنشدها بعد أنْ عيّره حسّان بن ثابت؛ لفراره يوم بدر ، فأجابه بمقطوعته هذه معتذراً عن ذلك ، ومبيّناً سبب الفرار ، وأنّه لم يكن عن جبن أو خوف ، وإنّما هو يعدّ العدّة ليوم كريهة آخر ليعاقبهم فيه ويثأر لأخيه ورهطه ممّن قُتِلوا يوم بدر أو أُسروا فيه ، وهو المراد من الأحبّة ، فكان ذلك حسب تصوّره في غزوة أُحد ، وقد عدّ من جميل الأعذار .

هذا ، وانفراد الشيخ المصنّف بهذه الرواية لصدر البيت واضح ؛ إذ لم أجد في المصادر ـ بالرغم من التتبّع الكثير ـ ما يساعد عليها ، بالرغم من الاختلاف فيما بينها بين : فَصَدَفْتُ ، فَصَدَدْتُ ، فَفَرَرْتُ ، فَصَرَفْتُ ، ومعها لا يبقى مجال للشاهد والاستشهاد ، وأمّا العجز فكذلك له روايات عدّة لا تهمّنا .

راجع : الوافي بالوفيات ١١ : ٢٥٠ ت ٣٦٦ ، تاريخ مدينة دمشق ١١ : ٤٩١ ت ١١٦٦ ، المعارف لابن قتيبة : ٢٨١ ، ديوان حسّان بن ثابت ٢ : ٢٤ تعليقات ق٣ ، الاشتقاق : ١٤٨ ، العقد الفريد ١ : ١٤٠ ، وشروح حماسة أبي تمام ، منها : للمرزوقيّ ١ : ١٩٠ ت ٣٧ب ٣ وللأعلم ١ : ١٨١ ت ٤٨ ب ٤، وللتبريزيّ ١ : ٩٨ ، وذات الحواشي للراونديّ ١ : ٢١٦ ت ٣٩ ، أضف مصادر ترجمته ومصادر الوافي بالوفيات ، ومعجم الشعراء المخضرمين والأُمويّين لعزيزة بابتيّ : ٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) موضع بين حُنَيْنٌ وأنصاب الحرم ، يسرة الداخل الى مكة المكرمة من مُشاش .

وأخرى : صَفح : هي في نواحي الجزيرة الخضراء في الأندلس .

راجع معجم البلدان ٣ : ٤١٢ ، مراصد الاطّلاع ٢ : ٨٤٤ .

(٣) الصِّفاح : ضُبطت مع المصادر التالية : العين ٣ : ١٢٢ ، جمهرة اللّغة ١ : ٥٤١ ، تهذيب اللّغة ٤ : ٢٥٥ ، المحيط في اللّغة ٢ : ٤٦٤ ، المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ١٦١ ، الصحاح ١ : ٣٨٢ ، لسان العرب ٢ : ٥١٢ ، تاج العروس ٤ : ١٢١ .

وقوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ قال الزجّاج: متعلّق بـ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ لا بقوله: ﴿حَسَدًا﴾؛ لأنّ حَسَدَ الإنسان لا يكون من غير نفسه[١].

وقد يجوز أن يتّصل بقوله: ﴿حسداً﴾ على التوكيد، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[٢].

ويحتمل وجهاً آخر: وهو أنّ اليهود كانوا يضيفون الكفر والمعاصي إلى الله تعالى، فقال الله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ تكذيباً لهم أنّها من عند الله.

وقوله: ﴿ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ قال قَتادة: من بعد ما تبيّن لهم أنّ محمّداً رسولُ الله ﷺ والإسلامَ دينُ الله.

وهو قول الربيع والسُّدّيّ وابن زيد، وروي عن ابن عباس مثله[٣].

وقال ابن عباس: إنّ قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٤].

وقال قَتادة: نُسخت بقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية[٥]، وبه قال الربيع والسُّدّيُّ[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٩٣ . وفيه : «من عند نفسه» ، بدل «من غير نفسه» ، اللّهمّ إلّا أن تكون عند وغير بمعنى .

(٢) سورة الأنعام ٦ : ٣٨ .

(٣) تفسير ابن عباس (تنوير المقباس) : ١٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢٠٥ ت ١٠٨٧ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٧٣ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٤٩ ، وأشار إليه الواحديّ في تفاسيره : البسيط ٣ : ٢٤٢ ، والوسيط ١ : ١٩١ ، والوجيز ١ : ١٢٥ ، وفي أغلبها من دون نسبة .

(٤) سورة التوبة ٩ : ٥ .

(٥) سورة التوبة ٩ : ٢٩ .

(٦) صحيفة علي بن أبي طلحة : ٨٦ ت ٣٠ ، وصرّح بنسخها جمع دون نسبةٍ لابن ☜

ورُوي عن أبي جعفر محمّد بن علي عليهما السلام أنّه قال: «لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال، ولا أُذن له فيه حتى نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُـلِمُوا﴾ وقلّده سيفاً»[1].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ قال أبو عليّ: ﴿بِأَمْرِهِ﴾ لكم

↩ عباس، منهم: البغداديّ في الناسخ والمنسوخ: ٧٦، وابن البازيّ في ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه: ٢٤، والخزرجيّ في نَفَسِ الصباح ١: ١٩٦، والبيهقيّ في سننه ٩: ١١، ودلائل النبوّة ٢: ٥٨٢، وابن كثير في تفسيره ١: ٣٨٣ ذيل الآية، الدرّ المنثور ١: ٥٥٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٦ ت ١٠٨٩، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٢٤، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٣٩٨، أحكام القرآن للجصّاص ١: ٦٠، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٧١.

هذا، وقد ناقش في نَسخها ابن الجوزي ذاهباً إلى أنّه كان لغاية معيّنة، فما بعدها مخالف لما قبلها قطعاً، وليس هو من باب النسخ في شيء، ونسبه الى جماعة من الفقهاء والمفسّرين. راجع نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٤٦. ولعلّ ما جاء في الحاوي الكبير للماورديّ ١٤: ١٠٧ في كتاب السِيَر باب أصل الجهاد، يستفاد منه ذلك.

(١) كذا في النسخ المعتمدة: «خ، ؤ، هـ، س، حجرية»، وأيضاً: في المختصرة ولكن بلا: «عليه السلام».

ومع التتبّع لم نجد لها أثراً قبل زمن الشيخ المصنّف رحمه الله، اللّهمّ إلّا في كتاب المصابيح في تفسير القرآن العظيم للمغربيّ (ت ٤١٨ هـ) ١: ١٧٩، وقد جاء فيه:
... قال أبو جعفر: لم يقاتل النبيّ صلى الله عليه وآله حتى نزل جبرئيل... إلىٰ آخره.

نعم، رواها الطبرسيّ (ت ٥٤٨) في مجمع البيان ١: ٣٦٨ بلفظ: ورُوي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: لم... إلىٰ آخره، وكذا جاءت في التفسير الكبير ٣: ٢٤٥ للفخر الرازيّ (ت ٦٠٦):.. وعن الباقر رضي الله عنه: أنّه لم... إلىٰ آخره، وكذلك عند أبي حيان الاندلسيّ (ت ٧٥١) في البحر المحيط ١: ٥٥٩ بلفظ: وعن الباقر: أنّه لم يؤمر.... إلىٰ آخره. ومثله في روض الجنان في تفسير القرآن لأبي الفتوح الرازيّ المتوفّىٰ ق ٦هـ ٢: ١٠٩، وفي تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقيّ (ت ٨٨٠) ٢: ٣٩٣ بلفظ: وروي أنّه لم يؤمر... إلىٰ آخره. ولعلّ تفسير مجمع البيان للطبرسيّ هو مصدر الفخر الرازيّ بذلك، وعليه سار الباقون.

بعقابهم، أو يعاقبهم هو على ذلك، ثمّ أتاه يأمره فقال: ﴿قَـٰتِلُوا ٱلَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[١].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:

قال أبو علي: إنّه قدير على عقابهم؛ إذ هو ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقال الزجّاج: قدير على أنْ يدعو إلى دينه بما أحبّ ممّا هو الأليق بالحكمة[٢]. أي: فيأمر بالصفح تارة والعقاب أُخرى على حسب المصلحة.

والثالث: أنّه لمّا أمر بالإمهال والتأخير في قوله: ﴿فَاعْفُوا وَٱصْفَحُوا﴾ كأنّ فيه تعلّق النفس بالعافية في ذلك، فقال: أمهلوهم فإنّهم لا يُعجزون الله ولا يفوتونه، إذ هو ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وإنّما أمرهم بالصفح والعفو وإنْ كانوا مُضطهدين مَقهورين مَقموعين؛ من حيث إنّ كثيراً من المسلمين كانوا عزيزين في عشائرهم وأقوامهم يقدرون على الانتصاف والانتقام من الكفّار، فأمرهم الله تعالى بأنْ يعفوا وإن قدروا حتى يأتي اللهُ بأمره.

وقوله تعالىٰ:

﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٠) آية واحدة بلا خلاف.

إنْ قيل: ما المقتضي لذكر الصلاة والزكاة هاهنا؟

---

(١) سورة التوبة ٩: ٢٩. ورأي أبي علي الجُبّائيّ مصادره مفقودة.

(٢) معاني القرآن للزجّاج ١: ١٩٣.

قلنا: إنّه تعالى لمّا أخبرهم بشدّة عداوة اليهود لهم وأمرهم بالصفح عنهم قال: ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فإنّ في ذلك معونةً على الصبر مع ما تَحُوزون بهما من الثواب والأجر، كما قال في موضع آخر: ﴿وَٱسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[١].

وقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا﴾ معنى ﴿ما﴾ الجزاء، وجوابه ﴿تَجِدُوهُ﴾، ومثله ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[٢]، والخير المذكور في الآية هو العمل الصالح الذي يرضاه الله.

ومعنى ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: تجدوا ثوابه، وكذا قال الربيع[٣] كما قال ابن لَجْا[٤]:

وَسَبَّحَتِ ٱلمَدِينَةُ لا تَلُمْها[٥] .... [٤٠٩]

---

(١) سورة البقرة ٢: ٤٥.

(٢) سورة فاطر ٣٥: ٢، وراجع: التبيان في إعراب القرآن: ١٠٥، تفسير البحر المحيط ١: ٥٦٠.

(٣) لقول الربيع راجع: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٧ ت ١٠٩٢، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٢٦، وفي تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٧، وتفسير الكشف والبيان ١: ٢٥٨ دون نسبةٍ، وفي تفسير الدرّ المنثور ١: ٥٥٩، نسبه لأبي العالية.

(٤) عُمَر بن لَجاء ـ لحاء ـ بن جَرير التَيْمِيّ، من عبد مناة، شاعر راجز فصيح من العصر الأموي، عُدّ من الطبقة الرابعة، أحد من وقعت بينه وبين جَرير معارضات ومفاخرات طويلة ومهاجات وصلت حدّ الفحش، مات في الأهواز عام ١٠٥ هـ.
راجع: طبقات فحول الشعراء: الفهرس ٢: ٨٦٨، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢: ٦٨٠ ت ١١٩٤، معجم الشعراء المخضرمين والأمويّين: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٥) هذا صدر البيت، وعجزه:

.... رَأَتْ قَمَراً بِسُوقِهِمُ نَهَارَا

أي: سبّح أهل المدينة.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ معناه: أنّه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، يجازيكم على الإحسان بما تستحقّونه من الثواب، وعلى الإساءة بما تستحقّونه من العقاب، فاعملوا عمل من يدري أنّه يجازيه من لا يخفى عليه شيء من عمله، ففي ذلك دلالة على الوعد والوعيد، والأمر والزجر وإن كان خبراً عن غير ذلك في اللّفظ.

قوله تعالى:

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (١١١) آية بلا خلاف.

قوله: «هوداً» يريد يهوداً، فحذف الياء الزائدة ووحّد كان؛ لأنّ لفظة ﴿مَنْ﴾ قد تكون للواحد وتكون للجماعة، والعرب تقول: من كان صاحباك؟[1].

ولا يجوز الوقوف على قوله: ﴿وقالوا﴾ بل يجب صلته بقوله: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية.

فإن قيل: كيف جمع بين اليهود والنصارى في الحكاية مع افتراق مقالتهما في المعنى؟ وكيف يحكي عنهما ما ليس بقولٍ لهما؟

ﻫ وعلى كثرة الفحص لم نجده إلّا لدى الطبريّ في تفسيره جامع البيان ١: ٢٨٧، وكرّره في ٢: ٤٢٦.

والشاهد فيه: ما أشار إليه الشيخ المصنّف﷿ من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

(١) أُشير إلى ذلك في تهذيب اللغة ٦: ٣٨٧، معاني القرآن للفرّاء ١: ٧٣، تاج العروس ٥: ٣٣٩، وراجع ما تقدّم في ٢: ٣٨٤ ذيل تفسير الآية ٦٢.

قلنا : فَعَل ذلك للإيجاز والاختصار ، وتقديره : قالت اليهود : لن يدخل الجنّةَ إلّا من كان يهوديّاً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنّةَ إلّا من كان نصرانيّاً ، فأدرج الخبر عنهما للإيجاز من غير إخلالٍ ، إذ شهرة حالهما تغني عن البيان .

ومثله في الإدراج والجمع من غير تفصيلٍ قوله : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا﴾[1] وإنّما كانت الصورة : قيل : اهبط ، لإبليس ، ثمّ قيل : اهبطا ، لآدم وحوّاء ، فحكاه على المعنى .

وتقدير الكلام : وقال بعضُ أهل الكتاب لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً .

وقال بعضهم : لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصارى ، والبعض الثاني غير الأوّل ، إلّا أنّه لمّا كان اللّفظُ واحداً جُمع مع الأوّل .

كما قال حسّان بن ثابت :

أَمَــنْ يَــهْجُو رَسُــولَ اللهِ مِــنْكُمْ ... وَيَــمْدَحُهُ وَيَــنْصُرُهُ سَــوَاءُ[2] [٤١٠]

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٣٦ .

(٢) بيت من قصيدة ردّ بها حسّان ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ٢٩٩ ـ على أبي سفيان هجاءَه قبل الفتح بل وقبل استسلامه ، وكأنّ الشاعر يعرّض بنفسه في المصرع الثاني .

الشاهد : حذف الموصول من المصرع الثاني ؛ لدلالة الأوّل عليه واكتفاءً به ؛ لأنّه جمع الكلام الثاني مع الأوّل لوحدة اللّفظ ، فأصبح إخباراً عن جملة واحدة ظاهراً مفترقة حَقِيقَةً ، على أنّ في صحّة هذا مورد خلاف لدى علماء العربية .

راجع للبحث هذا : المقتضب للمبرّد ٢ : ١٣٧ ، معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٩٤ ، خزانة الأدب للبغدادي ٩ : ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

ولبيت الشاهد وقصيدته راجع : الديوان ١ : ١٧ ق ١ب ٢٦ ، شرح ديوان حسّان ↵

تقديره: ومن يمدحه وينصره، غير أنّه لمّا كان اللّفظ واحداً جُمع مع الأوّل فصار كأنّه إخبار عن جملة واحدة، وإنّما حقيقته: عن بعضين متفرّقين.

ومثله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[1] يعني آدم، ثمّ قال: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: من النّفس بمعنى الجنس، فهو في اللّفظ على مخرج الراجع إلىٰ النّفس الأُولى، وفي تحقيق المعنى لغيرها، وهذا قول أكثر المفسّرين: السُّدّيُّ وغيره[2].

وفي معنى (هود) ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه جمع هائد، وهود: كحائلٍ وحُول، وعائذٍ وعُوذ، وعائطٍ وعُوط، وهو جمعٌ، المذكّر والمؤنّث على لفظ الواحد. والهائد: التائبُ الراجع إلى الحقّ.

والوجه الثاني: أن يكون مصدراً يصلح للواحد والجمع، كما يقال: رجلٌ فِطْرٌ، وقومٌ فِطْرٌ، ونِسْوةٌ فِطْرٌ، ورجلٌ صَوْمٌ، وقومٌ صَوْمٌ.

والثالث: أنْ يكون معناه إلّا من كان يهوديّاً إلّا أنّ الياء الزائدة

للبرقوقي: ٥٧ ـ ٦٦ ب ٢٧ للاختلاف في عدد أبياتها، شرح أبيات المغني للبغداديّ ٧: ٣٠٥ ت ٨٥٤، التفسير البسيط ٣: ٢٤٤، السيرة النبويّة ٤: ٦٦، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٣٥٣ مستشهداً به لمورد آخر، عيون الأثر ٢: ١٨١ ـ ١٨٢، وغيرها.

(١) سورة الأعراف ٧: ١٨٩.

(٢) لمزيد المعرفة انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٢: ٢٩٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٧ ت ١٠٩٤، تفسير بحر العلوم ١: ١٥٠، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٧٠، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٣٠، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٤: ٢ ـ ٣، تفسير البحر المحيط ١: ٥٦١.

حذفت، ورجع إلىٰ معنى الأصل من اليهودية[1].

ومعنى ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال: المؤرّج: أباطيلهم بلغة قريش.

وقال قَتادة: أماني يتمنّونها على الله كاذبة، وبه قال الربيع[2].

وقيل أيضاً: معناه: تلك أقاويلهم وتلاوتهم، كما قال: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[3] أي تلاوة.

ومعنى ﴿هَاتُوا﴾ أحضِروا، وهو وإن كان على لفظ الأمر المراد به الإنكار والتعيير، وتقديره: إن أتيتم ببرهان صحّت مقالتكم، ولن تأتوا به؛ لأنّ كلّ مذهب باطل فلا برهان عليه.

والبرهانُ والحجّةُ والدلالةُ والبيانُ بمعنى واحد، وهو: ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله إلىٰ ذلك[4].

---

(١) تقدّم الكلام حول كلمة «هود» في الجزء ٢: ٣٧٥ ضمن الآية ٦٢، ونزيد هنا بعض المصادر، راجع أيضاً تفسير جامع البيان ٢: ٤٢٨ ـ ٤٢٩، التفسير البسيط ٣: ٢٤٤، تفسير درج الدرر للجرجانيّ ١: ٢٧٠ ـ ٢٧١، معاني القرآن للفرّاء ١: ٧٣، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١٩٤، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٥٦، معاني القرآن للأخفش ١: ٣٣١، لسان العرب ٣: ٤٣٩، تاج العروس ٥: ٣٣٩، «هود» فيهما، المصابيح في تفسير القرآن العظيم ١: ١٤٢ و١٨٠، إملاء ما مَنّ به الرحمن ١: ٥٨.

(٢) بالنصّ والنسبة لم نجده، ولكن قريب منه جدّاً ومن دون نسبةٍ وفي البعض ضمن آية أُخرى للمناسبة، راجع: تفسير عبد الرزّاق الصنعانيّ ١: ٢٧٧، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٢٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٧، تفسير بحر العلوم ١: ١٥٠، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٥٩، تفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١: ٣٢٠، تفسير النكت والعيون ١: ١٥٠، التفسير البسيط للواحديّ ٣: ٢٤٥، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١٢٧، وراجع الدرّ المنثور ١: ٥٥٩ و٤٣٢.

(٣) سورة البقرة ٢: ٧٨.

(٤) ذكرت كتب اللغة: أنّ البرهان بيان الحجّة وإيضاحها، ومنها يستفاد الباقي، راجع: العين ٤: ٤٩، تهذيب اللغة ٦: ٢٩٤، المحيط في اللغة ٣: ٤٨٣،

وفرّق الرماني بين الدلالة والبرهان بأن قال : الدلالة قد تُنبئُ عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر ، وقد تُنبئُ عن معنى يشهد بمعنى آخر ، والبرهان ليس كذلك ؛ لأنّه بيان عن معنى ينبئ عن معنى آخر .

وهذا الذي ذكره لا يسلم له ؛ لأنّه محض الدعوى .

وقد[1] قال الحسن ومجاهد والربيع والسّدّيّ : ﴿هَـاتُوا بُـرْهَـٰنَكُم﴾ أي : حجّتكم[2] .

وفي الآية دلالة على فساد التقليد ؛ لأنّه لو جاز التقليد لما ألزم القومَ أنْ يأتوا فيما قالوه ببرهان .

وقد يجوز في العربيّة : أمانيهم ـ بالتخفيف ـ على ما ذكره الزّجّاج[3] ، والتثقيل أجود .

ﭿ المحكم والمحيط الأعظم ٤ : ٣١٣ .

وراجع الوجوه والنظائر لهارون : ٣٥٤ ، الأشباه والنظائر لمقاتل : ٣١٤ ت ١٦٧ ، الوجوه والنظائر ١ : ١٦٣ ، عمدة الحفّاظ ١ : ١٨٥ ، بصائر ذوي التمييز ٢ : ٢٤٢ ت ٢٦ ، ولعلّ أوسعها المعجم في فقه لغة القرآن ٥ : ٤٣٣ ـ ٤٥٢ ، مادّة «برر ـ برة» .

(١) في النسخ والمطبوعات : «وبه» ، والمثبت من النسخة «خ» ، ولا يخفى أنّه ممّا يغيّر المعنى ، فعلى الأوّل : ـ به ـ مؤيّد للرمانيّ خصوصاً مع اعتبار (هاتوا) مستأنفة ، وعلى الثاني : ـ وقد ـ مؤيّد للشيخ مع اتّصال (هاتوا) وهو الصحيح .

(٢) راجع تفسيرها بالحجّة دون ترديد في جملة مصادر منها : تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٣٧ حيث رواها عن الحسن ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢٠٧ ت ١٠٩٦ ورواها عن أبي العالية ، وقتادة ، والربيع ، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ١٥٠ دون نسبة ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٥٩ ، وتفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ١٢٧ .

(٣) معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٩٤ .

قوله عزّ اسمه :

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢) آية بلا خلاف .

فإن قيل : أليس (بلى) إنّما تكون في جواب الاستفهام ، مثلُ قوله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[١] فكيف دخلت هاهنا ؟

قلنا : إنّما جاز ذلك لأنّه يصلح أنْ يكون تقديره : أما يدخل الجنّة أحدٌ ؟ فقيل : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ ؛ لأنّ ما تقدّم يقتضي هذا السؤال .

ويصلح أنْ يكون جواباً للجحد على التكذيب ، كقولك : ما قام زيد ، فيقول : بلى قد قام ، ويكون التقدير هاهنا : ليس الأمر كما قال الزاعمون : ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ ولكن ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فهو الذي يدخلها وينعم فيها ، أو بلى من أخلص نفسه لطاعة الله .

ومعنى ﴿أسلم﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : أسلم إلىٰ كذا ، بمعنى : صرفه إليه ، كقولك : أسلمت الثوب إليه .

والثاني : أسلم له ، بمعنى : أخلص له من قولك : قد سلم الشيء لفلان ، إذا خلص له ، ومنه قوله : ﴿ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾[٢] أي :

---

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٧٢ .

(٢) سورة الزمر ٣٩ : ٢٩ .

خالصاً[١]، وقال زيد بن عمرو بن نفيل[٢]:

وأَسْلَمْتُ نفسي[٣] لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَـهُ ٱلمُـزْنُ تَـحْمِلُ عَـذْباً زُلَالَا[٤] [٤١١]

---

(١) تجد الإشارة إلى هذا المعنى في غير واحد من المصادر، منها: تفسير الكشف والبيان ٨: ٢٣٣، التفسير البسيط للواحديّ ١٩: ٣٠١، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٥: ٢٥٣، تفسير فتح القدير ٤: ٤٦٢، تفسير بحر العلوم ٣: ١٤٩، تفسير الوسيط ٣: ٥٨٠، تفسير المحرّر الوجيز ١٤: ٨١، تأويلات أهل السُّنّة ٤: ٣٠٧، تفسير الكشّاف ٣: ٣٩٧، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٢٦: ٢٧٧ م ٢.

ومن مصادر القراءات أيضاً جملة منها: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢: ١٨٩، الحجّة للقرّاء السبعة ٦: ٩٤، حجّة القراءات: ٦٢٢، السبعة في القراءات: ٥٦٢، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٤: ٣٥٣.

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزّى، أبو سعيد، ابن عمّ عمر بن الخطّاب، رغب عن عبادة الأصنام طالباً للدين الحنيف، عُدّ ممّن بقي على الحنيفية الإبراهيمية منتظراً الاسلام، فقد عاش في الفترة، نقلت عنه أُمور كثيرة دالّة على ذلك، منها: مقاطع شعره ومنه الشاهد، مخالفته بشدّة لوأد البنات حتى عُدّ نصير المرأة، مجاهرته بمخالفته لعبادة الأوثان، حاربته قريش على ذلك حتى أخرجته من مكة لاجئاً لغار ثور ويدخل مكة سرّاً، له شعر حكمي مذكور منثور في الطيّات، قيل: قُتل قبل الهجرة بـ ١٧ عاماً، رثاه رفيقه ورقة بن نوفل قائلاً:

رَشُدْتَ وَأَنْعَمْتَ ٱبْنَ عَمْرٍو وإنّما تَجنَّبْتَ تَنوراً مِنَ النّارِ حَامِيا

له ترجمة في المعارف: ٥٩، السيرة النبويّة ١: ٢٤٤ ـ ٢٤٧، الأغاني ٣: ١٢٣ معجم الشعراء الجاهليّين: ١٥٩ ـ ١٦٠، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٩٣ ـ ٥١٦ ت ٢٣٤٨، كمال الدين وتمام النعمة: ١٩٩.

(٣) كذا، راجع الهامش الآتي.

(٤) من أبياته الحكمية ضمن مقطوعة مختلفٌ عدّها في المصادر بين الثلاث إلى الخمس، فيها موردان للاستشهاد، هذا والآخر:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْراً ثِقَالا

وقد اختلف في ضبط بيت الشاهد بما يخرجه عن الاستشهاد بإبدال «وجهي» بـ: «نفسي» ولا يتمّ الشاهد فيه إلّا على رواية المصادر حيث يتمّان معاً. هذا، والأبيات تجدها فيما يلي من مصادر، والأغلب مشتركة مع مصادر الترجمة المتقدّمة، ﷲ

وإنّما جاز ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ على معنى أسلم نفسه لله على مجرى كلام العرب في استعمال وجه الشيء وهم يريدون نفس الشيء، إلّا أنّهم ذكروه باللفظ الأشرف الأنبه ودلّوا عليه به[1]، كما قال عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2] أي: إلّا هو، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[3] وقال الأعشىٰ:

أُوَوِّلُ الحُكْمَ عَلَىٰ وَجْهِهِ   لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوىٰ الجَائِرِ[4]   [٤١٢]

أضف إليها تأويل مشكل القرآن ٤٨٠، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٥٩، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٤ : ٤، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ٢٠٥، تفسير الدرّ المصون ٢ : ٧٣، تفسير وضح البيان ١ : ١٦٢، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٤٣٢.

(١) جاء في المصادر اللّغوية ما ملخّصه: ... الواو والجيم والهاء أصل واحد، ولمّا كان الوجه أوّل ما يستقبلك وأشرف ما في ظاهر البدن، استعمل في مستقبل كلّ شيء وفي أشرفه ومبدئه، فقيل: وجه كذا، ووجه النهار، وربّما عبّر عن الذات بالوجه....

راجع: العين ٤ : ٦٦، جمهرة اللغة ١ : ٤٩٨، تهذيب اللغة ٦ : ٣٥١ ـ ٤١١، المحيط في اللّغة ٤ : ٢٣، الصحاح ٦ : ٢٠٥٤، معجم مقاييس اللّغة ٦ : ٨٨، المجمل في اللّغة ٣ : ٩١٧، المحكم والمحيط الأعظم ٤ : ٣٩٦، لسان العرب ١٣ : ٥٥٥، عمدة الحفّاظ ٤ : ٢٨٦، بصائر ذوي التمييز : ١٦٦ ت ٩، تاج العروس ١٩ : ١١٠، «وجه».

(٢) سورة القصص ٢٨ : ٨٨.

(٣) سورة الرحمن ٥٥ : ٢٦ و٢٧.

(٤) من قصيدة نظمها الأعشىٰ ميمون بن قيس ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ٥٦ ـ عندما حُكِّمَ أيّام الجاهليّة في المنافرة بين علقمة بن عُلاثة الذي أسلم وعُدّ صحابيّاً، والمشرك عامر بن الطفيل، هاجياً الأوّل ومادحاً الثاني، ومادحاً نفسه وحكمه، مُدّعياً في بيت الشاهد أنّه يَردُّ الحكمَ والحقَّ لأهله وأصحابه؛ إذ أنّه يصدره عن معرفة وعلم وحكمة دون هوى وجور وظلم، لذا يعترف المحكوم لذي الحقّ ويرجع الحقّ لأهله ونصابه.

المعنى: أَوَّلَ الحكمَ على وجهه: ردّه إلى أهله وذي الحقّ، الجائر: الظالمُ

يعني على ما هو به من صحّته وصوابه ، وقال ذو الرمّة :

فَطَاوَعْتُ هَمِّي وَآنْجَلىٰ وَجْهُ بازِلٍ مِنَ آلأمْرِ لَمْ يَتْرُكْ خِلاجاً بُزُولُها[1] [٤١٣]

يريدُ انجلى البازل من الأمر .

وقال ابن عباس : أسلم وجهَهُ للهِ : أخلص عملَه لله .

وقال الربيع : أخلص لله .

وقال الحسن : يعني بوجهه وِجْهَتَهُ في الدين . وقيل : معناه : اسْتَسْلَمَ لأمر الله[2] .

المنحرفُ عن صواب الحقّ إلىٰ الباطل والجور .

الشاهد : استعمال «الوجه» بمعنى الحكم الصحيح والصواب والحقّ ، وهو ما أشار إليه المصنّفﷺ ، وكذا مَن استشهد به .

راجع : ديوان الأعشى الكبير : ١٨٩ ق ١٨ ب ٣٢ ، وما تقدّم في ٢ : ٢٣ ، وللمنافرة هذه وغيرها من الشهيرات راجع بلوغ الإرب ١ : ٢٨٧ ـ ٣٠٨ .

(١) من قصيدة لذي الرّمة ـ وتقدّم في ١ : ٦٧ ـ يمدح فيها عبد ـ عبيد ـ الله بن معمر التيميّ المذكور بعد بيت الشاهد .

المعنى : يبدو أنّ الشاعر مرّ بمحنة ومشكلة ضاقت عليه الموارد لحلّها ، فحدّثته نفسه قصد ممدوحه التيمي وعرض مشكله عليه علّه يجد حلّها ، فطاوعها ، وكان الأمر كما توقّع بحلّ المشكل وظهور جهة الحقيقة فيها .

طاوعتُ : امتثلتُ ، همّي : مشكلي ، انجلى : انكشف بانَ وظهر ، وجهه : حقيقة الأمر والمشكل ، البازل : الظهور والانتساق والطلوع ، أو الأمر المستحكم استعارة من ظهور ناب البعير ، خلاجاً : الشكّ والوهم .

الشاهد : استعمال «الوجه» في قوله : وجه بازل : في الظهور وتبيين الحقيقة ، ووجه الحقّ . راجع الديوان بشرح الباهليّ ١ : ٤٢٠ ـ ٤٣٣ ب ٥٥ ق ٢٨ . وهكذا هو لدىٰ كلّ من استشهد به ، ومنهم الطبري في جامع البيان ٢ : ٤٣٣ .

(٢) أشار الى ذلك جملة من المفسّرين ، وبعضهم يظهر منهم قبوله ، وآخرون نسبوه ، منهم : الهُوّاريّ في تفسير كتاب الله العزيز ١ : ١٣٧ ، الطبريّ في جامع البيان ٢ : ٤٣٢ ، ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز ١ : ١٧٠ : ابن أبي حاتم الرازيّ في

ومِنَ الوَجْهِ يقال: تَوَجَّهَ تَوَجُّهاً، وواجَهَ مُواجَهَةً، وتَواجَهُوا تَوَاجُهَاً. والجِهَةُ: النَّحوُ، تقول: كذا على جِهَةِ كذا، والوِجْهَةُ: القِبْلَةُ و شِبهُها في كُلِّ وِجْهَةٍ، أي: كلُّ وَجْهٍ ٱسْتَقْبَلْتَهُ وأخَذْتَ فِيهِ، وتقول: تَوَجَّهوا إليك ووَجَّهوا إليك، كلٌّ يُقال غير أنّ قولك: توجّهوا إليك على معنىٰ وَلّو إليك وُجُوهَهُم. والتَوَجُّه: الفِعْلُ اللّازم، والوُجاهُ والتُّجاه لغتان: وهو ما اسْتَقْبَلَ شَيءٌ شَيْئاً، تقول: دارُ فلانٍ تُجاهُ دارِ فُلان، والمُواجَهَةُ: اسْتَقْبَالُكَ الرّجلَ بكلام أو وَجْهٍ.

وأصل الباب: الوَجْهُ: مُسْتَقَبَلُ كُلِّ شَيءٍ.

وَوَجْهُ الإنسانِ مُحَيّاهُ، ونَقِيضُ الوَجْهُ: القَفاءُ، ويقال: وَجْهُ الكَلامِ تشبيهاً بِوَجْهِ الإنْسانِ؛ لأنّه أَوَّلُ ما يَبْدُو منه ويُعرفُ بهِ.

وقد يقال في الجواب: هذا وَجْهٌ، وذلك خُلْفٌ، تَشْبيهاً أيضاً من جهة الحُسنِ؛ لأَنَّ الغالبَ في الوَجْهِ أَنَّهُ أَحْسَنُ، ويقال: هذا وَجْهُ الرأي: أي: الذي يَبدُو منه ويُعرف بِه، والوَجْهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ: أَوَّلُ ما يبدو فَيَظْهَرُ بِظُهُورِهِ ما بَعْدَهُ[1].

وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في موضع نصب؛ لأنّه في موضع الحال، «كأنّه قيل: محسناً، والواو واو الحال»[2].

وإنّما قال: ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ على التوحيد، ثمّ قال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

↵ تفسير القرآن العظيم ١: ٢٠٨ ت ١٠٩٩ ـ ١١٠٠، السلميّ الأزديّ في تفسيره حقائق التفسير ١: ٦٣، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٥٩، الواحديّ في تفسيره: البسيط ٣: ٢٤٧، القيسيّ في تفسيره: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١: ٤٠٣، والشيبانيّ في تفسيره: نهج البيان عن كشف معاني القرآن ١: ١٩٦، وابن عطيّة في تفسيره: المحرّر الوجيز ١: ٣٣١، البحر المحيط ١: ٥٦٣، وغيرها من التفاسير.

(١) لضبط المادّة اللغويّة، ومعرفة سبب الاستعمال راجع صفحة ٢٩٩، هامش (١).

(٢) المحصورة أُضيفت من النسخة «خ».

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على الجمع ؛ لأنّ ﴿مَنْ﴾ لفظُها لفظ الواحد ومعناها الجمع ، فمرّةً تُحمل على اللفظ وأُخرى على المعنى[1] ، كما قال : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾[2] وفي موضع آخر : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُون إِلَيْكَ﴾[3] وقال الفرزدق :

[٨٧] تَـعَالَ فَـإنْ عَاهَدتَنِي لا تَـخُونَني ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَـصْطَحِبانِ[4]

فثنّى واللفظ واحد ؛ لأجل المعنى .

فإن قيل : إذا كان قد ذكر ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فَلِمَ قال : ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ؟

قيل عن ذلك جوابان :

أحدهما : الدلالة على أنّهم على يقين ، لا على رجاء يُخاف معه ألّا يكون الموعود به .

والثاني : الفرق بين حالهم وبين حال أهل العقاب الذين يخافون ويحزنون .

---

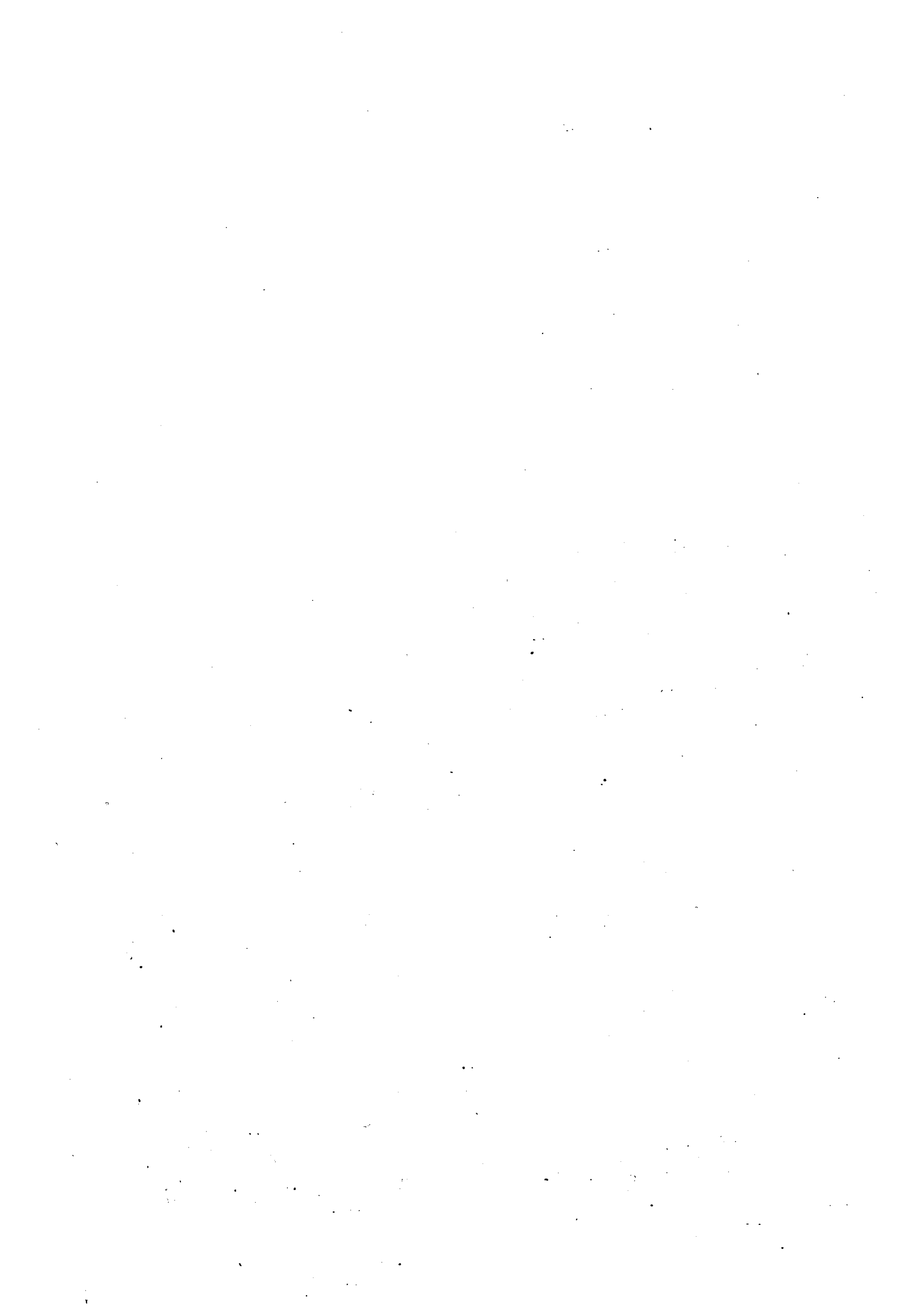
(١) أُشير إلى ذلك في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٥١ ، وكتب اللّغة : تهذيب اللّغة ١٥ : ٤٧٢ ، الصحاح ٦ : ٢٢٠٧ ، لسان العرب ١٣ : ٤١٩ ، تاج العروس ١٨ : ٥٥١ ، شمس العلوم ٩ : ٦١٧٣ ، وغيرها ، وراجع ما تقدّم في ٢ : ٣٨٦ .

(٢) سورة الأنعام ٦ : ٢٥ ، سورة محمّد ﷺ ٤٧ : ١٦ ، فـ ﴿من﴾ هنا محمولة على اللفظ والإفراد دون المعنى .

(٣) سورة يونس ١٠ : ٤٢ ، وهنا محمولة على المعنى دون اللفظ .

(٤) تقدّمت ترجمة الفرزدق في ١ : ٩٧ ، وفي ضبط صدره اختلاف أُشير إليه فيما تقدّم ، فراجع الجزء ٢ : ٣٨٦ ضمن الآية ٦٢ ، وقبلها في ١ : ٢١٤ ، وقد أُشير فيهما إلىٰ بحث «مَنْ» ومصادره ، وأضف لمصادر الشعر : الحماسة البصرية ٢ : ٢٤٩ ت ٣١ ، طبقات فحول الشعراء ٢ : ٣٦٦ ت ٤٩٣ .

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ
وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ
فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ
قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾



قوله تعالى :

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١١٣) آية بلا خلاف .

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية ، فقال ابن عبّاس : إنّه لمّا قدِم أهلُ نَجْرانَ مِن النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ ، فقال رافع بن حُرَيْمَلَة[1] : ما أَنْتم على شيءٍ ، وكفَر بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهلِ نجرانَ من النصارى : ما أنتم على شيءٍ وجحد بنبوّة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله في ذلك الآية إلى قوله : ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[2] .

وقال الربيع : هؤلاءِ أهل الكتاب الذين كانوا على عهد

---

(١) تقدّمت ترجمته في صفحة ٢٧٣ .

(٢) اتفّق المفسّرون ولعلّ مؤرّخي السيرة أيضاً أنّها نزلت في النزاع الذي حدث عند رسول الله ﷺ بين نصارى نجران وأحبار يهود بزعامة رافع بن حُرَيْملة ، وكَفَر كلٌّ منهما بدين وكتاب ونبيّ الآخر ، للمثال راجع : تفسير جامع البيان ٢ : ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢٠٨ ت ١١٠٣ ، المصابيح في تفسير القرآن العظيم ١ : ١٨٠ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٦٠ ، التفسير البسيط ٣ : ٢٤٨ ، تفسير الوسيط ١ : ١٩٣ ، أسباب نزول القرآن للواحديّ : ١٤٢ ، العجاب في بيان الأسباب ١ : ٣٥٧ ت ٤٤ ، أسباب النزول للسيوطيّ : ٢٨ ت ٤٥ ، وراجع : التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام : ٥٤٤ ت ٣٢٥ ، السيرة النبويّة لابن هشام ٢ : ١٩٧ ، الروض الأنف ٤ : ٣٤٩ ، وغيرها .

رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

ومعنى الآية أحد شيئين.

أحدهما: حلّ الشبهة: بأنّه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الإنكار لما لم يؤت على إنكاره ببرهان، فلا ينبغي أن تدخل الشبهةُ بإنكار أهل الكتابِ لملّة أهل الأسلام؛ إذ كلٌّ فريق من أهل الكتاب قد أنكر ما عليه الآخر، ثمّ بيّن أنّ سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب في الإنكار لدين الإسلام من مشركي العرب وغيرهم «ممّن لا كتاب له، فهم في»[٢] جَحْدِهم لذلك سواء؛ إذ لا حجّة معهم يلزم بها تصديقهم، لا من جهة سمعٍ ولا عقلٍ.

والوجه الآخر: الذمّ لمن أنكر ذلك من أهل الكتاب على جهة العناد، إذ قد ساوى المعانِدُ منهم للحقِّ الجاهلَ به في الدفع له، فلم ينفعه علمه، بل حصل على مَضَرَّةِ الجهل كما حصل عليه مَنْ لاعلم له به.

فإن قيل: إذا كانت اليهود إنّما قالت: ليست النصارى على شيء في تديّنها بالنصرانيّة، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء في تديّنها بالتوراة، فكيف قال: ﴿**كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**﴾؟ وأهلُ الحقّ أيضاً يقولون مثل قولهم؟

قيل: إنّ المعنىٰ ﴿**كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ الكتاب، أي: فقد ساووا في ذلك من لا كتاب له، فكما لا حجّة في جَحْدِ هؤلاء

---

(١) تجده في أغلب ما تقدّم بإضافة: تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٧٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٩ ت ١١٠٥.

(٢) بدل المحصورة في النسخ والمطبوعات: «ممّن الكتاب له فيهم» وهي مضطربة كما ترى، وضبطت من المعتمدة «خ» والمختصرة.

كذلك لا حُجّة في جَحْدهم، ولم يساووا أهلَ الحقِّ فيه؛ لأنّهم قالوه عن علمٍ.

والمعنيُّ بقوله: ﴿**كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**﴾ في قول السُدّيّ: هم العربُ الذين قالوا: ليس محمّد ﷺ على شيءٍ.

وقال الربيع: قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم، ووجه هذا القول أي: فقد ساووكم يا معشر اليهود في الإنكار وهم لا يعلمون.

وقال عطاء: هؤلاء ﴿**الذين لا يعلمون**﴾ أُمم كانت قبل اليهود والنصارى، وقبل التوراة والإنجيل[1].

و﴿**القيامة**﴾ مصدرٌ، إلّا أنّه صار كالعلم على وقتٍ بعينه، وهو: الوقت الذي يبعث الله عزّوجلّ فيه الخلقَ فيقومون من قبورهم إلى محشرهم.

تقول: قَامَ يَقُومُ قِيَاماً وَقِيَامَةً، مثل: عَادَ يَعُودُ عِيَاداً وعِيادَةً، وصَانَهُ صيانَةً، وعَادَهُ عِيادَةً.

وقوله: ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ يحتمل أمرين[2]:

---

(١) أقوال الثلاثة ـ السُدِّيّ، الرّبيع، عطاء ـ تجدها في: تفسير جامع البيان ٢: ٤٣٨ و ٤٣٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٠٩ ت ١١٠٧ و١١٠٨، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٦٠، تفسير الوسيط ١: ١٩٣، تفسير معالم التنزيل ١: ١٤١، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٣٣، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٤: ٩، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٧٦، الدرّ المنثور ١: ٥٦١، وفي تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية للقيسيّ ١: ٤٠٤ دون نسبةٍ.

(٢) كذا في النسخ والمطبوعات، والمذكور ثلاثة أقوال.

أحدها : قال الحسن : حُكْمُهُ فيهم أنْ يُكذِّبَهم جميعاً ويُدخلهم النارَ.

و**[الثاني]** : قال أبو علي[١] : حُكْمُهُ الإنصافُ من الظالم المُكَذِّبُ بغير حُجّة ولا برهان للمظلوم المكذَّب.

و**[الثالث]** : قال الزجّاج : حُكْمه أن يُريهم من يدخل الجنّةَ عَياناً ، ومن يدخل النارَ عَياناً ، وهذا هو حكم الفصل في الآخرة ، فأمّا حكم العقل في الدنيا فبالحجّة التي دلّ اللهُ بها على الحقّ من الباطل في الديانة[٢].

قوله تعالى :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ (١١٤) آية واحدة.

اختلف المفسّرون في المعنيّ بهذه الآية ، فقال ابن عباس ومجاهد ـ واختاره الفرّاء ـ : إنّهم الروم ؛ لأنّهم كانوا غزوا بيت المقدس وسعوا في

---

(١) يظهر أنّ مصادر الجُبائي أثر بعد عين ، ولكن رأيه مبثوث في التفاسير بدون نسبةٍ ، منها تفسير الفخر الرازي ٤ : ٩ ، اللباب في علوم الكتاب ٢ : ٤٠٥ ، غرائب القرآن ١ : ٣٦٩ نهاية الصفحة ، وغيرها عند تفسير الآية الكريمة.

(٢) الإشارة إلى الأمرين ، والأغلب دون نسبةٍ ، وفي البعض بنحو الاختيار في المصادر التالية : تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٣٧ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٧١ ، معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج ١ : ١٩٥ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٥٠ ، تفاسير الواحديّ : البسيط ٣ : ٢٥٠ ، والوسيط ١ : ١٩٣ ، والوجيز ١ : ١٢٦ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ١٢٨ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٣٣٣ ، زاد المسير ١ : ١٣٣ ، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٤ : ٩ ، وغيرها.

خرابه حتى كانت أيّام عمر، فأظهر الله عليهم المسلمين، وصاروا لا يدخلونه إلّا خائفين.

وقال الحسن وقَتادة والسُدّيُّ: هو بخت نصر[1] خرّب بيت المقدس. قال قَتادة: وأعانه عليه النصارىٰ[2].

وقال قوم: عنىٰ به سائر المشركين؛ لأنّهم يريدون صدّ المسلمين عن المساجد، ويخبّونه.

وقال ابن زيد والبلخيّ والجُبّائيّ والرُمّانيّ: المراد به مشركو العرب «من قريش؛ لأنّهم صدّوا النبيّ ﷺ عن المسجد الحرام، وهو المروي عن

---

(١) الملك البابليّ الشهير، خير من ترجم له موضّحاً أصله ودينه ومدّة حكمه وما قام به من أعمال وظلم و.... أعلام القرآن: ٩٦٧ ومصادره.

(٢) تبدو هنا مشكلة تاريخية خلاصتها: كيف أعان النصارى بخت نصر على تخريب بيت المقدس وبينهما ما يقرب خمسة قرون؟!

والجواب: أنّ المراد بـ«النصارىٰ» هنا: كلّ من انتسب إلى مدينة الناصرة - نَصَرى ونَصْرَى، ونَصُوريّة ونصْران... - وهي قرية بالشام على ثلاثة عشر ميلاً من طبرية.

انظر: ما تقدّم في ٢: ٣٧٧ - ٣٧٩.

وليس المراد الانتساب إلىٰ دين النصرانيّة، وهذا هو منشأ الخلط الذي وقع فيه عدد من المفسّرين والمحقّقين، بتخطئتهم من قال بإعانة النصارى بَختَ نصّر على تخريب بيت المقدس.

وإضافةً إلى ما أُشير إليه أعلاه راجع: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٦١، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٣: ١٠، أسباب النزول: ١٤٢ هامش ٥، تفسير اللباب في علم الكتاب ٢: ٤٠٧، تفسير عبد الرزّاق ١: ٢٨٦ ت ١٠٩ وهامشه، تفسير آلاء الرحمٰن للبلاغي ١: ٢٣٢، تفسير الدرّ المنثور ١: ٥٦٢ - ٥٦٣. صبح الأعشى ٤: ١٥٠، معجم البلدان ٥: ٢٩١، مراصد الاطّلاع ٣: ١٣٤٨، «ناصرة» فيها.

أبي عبدالله عليه السلام»[(١)(٢)].

وضعّف هذا الوجهَ الطبريُّ من بين المفسّرين، بأن قال: إنّ مشركي قريش لم يسعوا قطّ في تخريب المسجد الحرام[(٣)].

وهذا ليس بشيء؛ لأنّ عمارةَ المساجد بالصلاة فيها، وخرابها بالمنعِ من الصلاة فيها، وقد روي أنّهم هدموا مساجدَ كان أصحاب النبيّ يصلُّون فيها بمكة لمّا هاجر النبيُّ وأصحابُه.

وقال: وهو أيضاً لا يتعلّق بما قبله من ذمّ أهل الكتاب كما يتعلّق إذا عنى به النصارى وبيت المقدس[(٤)]، فيصير الكلام منقطعاً.

فيقال له: قد جرى ذكر لغير أهل الكتاب من المشركين في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا أقرب من اليهود والنصارى، ولأنّ ذلك كلّه ذمّ ـ فمرّة يُوجّه إلى اليهود ومرّة إلى النصارى ومرّة إلى عُبّاد الأوثان وغيرهم من أهل الشرك.

فإن قيل: كيف قال: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالجمع وهو أراد المسجد

---

(١) الجملة المحصورة أُثبتت من المعتمدة «خ»، ويساعد على الإثبات بعض المصادر المتقدّمة.

(٢) إضافةً لأغلب ما تقدّم من مصادر في الهامش الأوّل، راجع: تفسير مقاتل بن سليمان ١: ١٣٢، تفسير القرآن العظيم ١: ٢١٠ ـ ٢١١ ت ١١١٠ ـ ١١١٧، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٦١، أسباب النزول للواحدي: ١٤٢، تفسير معالم التنزيل للبغوي ١: ١٤١ ـ ١٤٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٧٧، تفسير نهج البيان عن كشف معاني القرآن ١: ١٩٨، سعد السعود: ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

ولرواية الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام راجع المصابيح في تفسير القرآن للمغربي ١: ١٨١، وغيره.

(٣و٤) تفسير جامع البيان ٢: ٤٤٥.

الحرام ، أو بيت المقدس ؟

قيل عنه جوابان :

أحدهما : أنّ كلّ موضع منه مسجد ، كما يقال لكلّ موضعٍ من المجلس العظيم : مجلس ، فيكون اسماً يصلح أنْ يقع على جملته ، وعلى كلّ موضعٍ سجود منه .

والثاني : قال الجُبّائيّ : لأنّه يدخل فيه المساجد التي بناها المسلمون للصلاة بالمدينة .

وقوله : ﴿مِمَّن مَّنَعَ﴾ فالمَنْعُ والصَّدُّ والحَيْلُولَةُ نظائر ، وضدُّ المَنع : الإطلاق ، يقال : مَنَعَ مَنْعاً ، وامْتَنَعَ امْتِنَاعاً ، وتَمَنَّعَ تَمَنُّعَاً ، وتَمانَع ، ومانَعهُ مُمانَعَةً .

قال صاحب العين : المَنْعُ : أن تَحُولَ بين الرجُل وبَيْنَ الشيءِ يُريدَه ، وتقول : مَنَعْتُهُ فامْتَنَعَ ، ورجلٌ مَنِيعٌ : لا يُخْلَصُ إليه ، وهو في عزٍّ ومَنَعَةٍ [ومَنْعَةٍ][1] ـ يخفّف ويثقّل ـ وامْرَأَةٌ مَنِيعَةٌ متمنّعةٌ لا تُوَاتِي على فاحِشَةٍ ، وقد مَنُعَتْ مَنَاعَةً ، وكذلك الحِصْنُ وغَيْرُه ، تقول : مَنُعَ مَنَاعاً : إذا لم يُرَمْ ، ومَناع أي : امنَعْ . قال الشاعر :

مَناعِها مِنْ إبلٍ مَناعِها[2]
أَلَا تَرَى المَوْتَ لَدَى أَرْبَاعِهَا[3]

[٤١٤]

(١) إضافة توضيحيّة من العين ، واللسان ٨ : ٣٤٤ «منع» ؛ لمعرفة أنّ الثقيل بالحركة لا بالشدّة .

(٢) العين ٢ : ١٦٣ «منع» .

(٣) رجز ينسبه البغدادي في خزانته ٥ : ١٦٠ إلىٰ طفيل بن يزيد الحارثي في قصّة ←

و﴿مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ قد بيّنّا أنّ مِنْهُم من أراد المسجد الأقصى ، ومنهم من أراد المسجد الحرام ، ومنهم من قال : أراد جميع المساجد .

وروي عن زيد بن علي[1] عن أبيه عن آبائهعليهم السلام : أنّه أراد جميع الأرض ؛ لقولهعليه السلام : (جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً)[2] .

ذكرها له .

الأرباع : قيل : جمع الربع ، وهو : ولد الناقة المولود في الربيع ، وقيل : المنزل والدار والوطن .

الشاهد فيه : قوله : «مناعِها» وزان فعال اسم فعل مشتقٌّ من الثلاثي المتصرّف «مَنَعَ» وبني على الكسرِ . ذكرته جملة من المصادر لمحلّ الشاهد منها : الكتاب لسيبويه ١ : ٢٤٢ ، المقتضب للمبرّد ٣ : ٣٧٠ ، أمالي ابن الشجري ٢ : ٣٥٣ ، الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٢ : ٥٣٧ ت ٣٥٨ ، شرح المفصّل لابن يعيش ٤ : ٥١ ، خزانة الأدب للبغدادي ٥ : ١٦٠ ش ٣٦١ .

(١) زيد الشهيد ابن الإمام السجّاد علي ابن الإمام سيّد الشهداء الحسين ابن الإمام علي ابن أبي طالبعليهم السلام ، وكفى به مجداً محتداً تليداً ومفخرة .

نشأ في المدينة المنوّرة حاضرة العلم ومركز إشعاعه الأوّل حيث آباؤه وأعمامه والصحابة والتابعين المؤمنين الأوفياء . أخذ العلم على أبيه الإمام السجّاد وأخيه الإمام باقر العلمعليهما السلام حتى فاق أقرانه ، وصفه الإمام الصادقعليه السلام بقوله : لَـلْعالِم الصدوق . والإمام الرضاعليه السلام : إنّه كان من علماء آل محمّد . وبهما كفى عن غيرهما في ردّ جميع الشبهات حوله . له مؤلّفات تدلّ علىٰ فضله تبلغ ١٣ كتاباً .

لبّى نداء ربّه الغفور مجاوراً أجداده في حادثة هي الأفجع ـ وكلّ حوادثهم مفجعة مؤلمة ـ بعد حادثة كربلاء على يد شرار خلقه ملوك بني اُميّة ، وبأمر طاغية وقته هشام ابن الحكم ، توسّط الصنيعة الخبيث اللئيم الزنيم يوسف بن عمر الثقفي عام ١٢١هـ .

راجع : خير من فصّل وجمع شذرات حياته : مقدّمة تفسيره غريب القرآن بطبعتيه : القميّة بقلم السيد الجلالي ، واللبنانية بقلم السيد حسن السيّد محمّد تقي الحكيم ، زيد بن علي للشيخ محمد رضا الجعفري ضمن ندوات مركز الأبحاث العقائدية ٣ /١٤٧ ـ ١٨٠ ت ٣٥ .

(٢) مع التتبّع للمصادر تعذّر علينا الوصول إلىٰ مصدر الشيخ المصنّفقدس سره بلفظ المتن

وقوله: ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ فالسَّعْيُ والعَدْوُ والرَّكْضُ نظائر، وضِدّ السَّعْي: الوقف، تقول: سَعَى سَعْياً، واسْتَسْعَى اسْتِسْعاءً، وتَساعَوا تَساعِياً.

قال صاحب العين: السَّعْيُ: عَدْوٌ دونَ الشَّدِيدِ. وكلُّ عملٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فهو السَّعْيُ، يقال: فُلانٌ يَسْعَى عَلَى عِيَالِهِ أي: يَكْسِبُ لهم، يقولون: السَّعْيُ الكَسْبُ والعَمَلُ، قال الشاعر:

[٢٠٣] سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنا سَبَداً فَكَيْفَ لَوْ قد سَعَى عَمْروٌ عِقَالَيْنِ[1]

وسنده، ولعلّ الشيخ ﷺ انفرد بها هنا عن طرقه ومصادره المفقودة، ومن المعلوم أنّ جواز السجود على الأرض والتيمّم بها حكم متّفق عليه لدى أهل القبلة، فضلاً عن الشيعة والسُّنّة؛ إذ تدلّ عليه روايات كثيرة لديهم وإن اختلفت سنداً أو لفظاً ولكنّها تصبّ في مراد واحد.

فمن المصادر الشيعية الكثيرة للمثال راجع: المحاسن (ك: مصابيح الظُّلَمْ): ٢٨٧ ب ٦٤ ت ٤٣١، الكافي ٢: ١٤ / ١٢ك ٥، من لا يحضره الفقيه ١: ١٥٥ ت ١، الخصال: ٢٩٢ت ٥٦، الأمالي للصدوق: ٢٨٥ ت ٣١٥، سعد السعود: ٢٥٥ ـ ٢٥٦ عن فقه القرآن للراوندي ١: ٩٨.

ومن العامّة: صحيح مسلم ١: ٣٧٠ ت ٥٢١ ـ ٥٢٢، سنن الترمذي ٢: ١٣١ ت ٣١٧، مسند أحمد ٥: ١٤٥ و١٤٨ و١٦١ ـ ١٦٢ و٢٨٣، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٣٤ ـ ٤٣٥، سنن الدارمي ١: ٣٢٣ ت ٢٥٥، سنن أبي داوُد ١: ١٣٢ ت ٤٨٩.

ومن المصادر المتأخّرة لسهولة الحصول والوصول راجع: السجود على الأرض للأحمدي، الأرض والتربة الحسينية لكاشف الغطاء المنشور في فصلية تراثنا العدد ٧٢ س ١٨: ٢٩٧، السجود على الأرض على ضوء الكتاب والسُّنّة للشيخ السبحاني، السجود على التربة الحسينية للسيّد الخرسان.

(١) تقدّم الشاهد في ٢: ١٧٦ ت ٢٠٣، ونسب هناك لعمرو بن العداء الكلبيّ، وهكذا مادّة «عقل» وما يحيطها، آخر الآية ٤٤.

عِقال : صَدَقَةُ عامٍ .

والسِّعايةُ : أنْ تَسْعَى بِصَاحِبِكَ إلى والٍ أو مَنْ فَوقَه .

والسِّعاية : ما يُستَسْعَى فيه العَبْدُ مِنْ ثَمَنِ رَقَبَتِهِ إذا أُعْتِقَ بَعْضُه ، وهو : أنْ يُكَلَّفَ مِنَ العَمل ما يُؤدّي عَنْ نَفْسِهِ ما بقي .

ويقال : سَعَى للسُّلْطَانِ : إذا وَلِيَ لَهُمُ الصَّدَقَةَ .

وسَاعَىٰ الرَّجُلُ الأَمَةَ : إذا فَجَرَ بِها ، وَلا تَكُونُ المُسَاعَاةُ إلّا في الإماءِ .

وأصل الباب : السَعيُ : العَدْوُ[1] .

وقوله : ﴿فِى خَرَابِهَآ﴾ فالخَرْبُ وَالهَدْمُ والنَقْضُ نظائر ، ونقيض الخَرابُ العِمارَة .

ويقال : خَرِبَ خَراباً ، وأخْرَبَهُ إخْراباً ، وتَخَرَّبَ تَخَرُّباً ، وخَرَّبَهُ تَخْرِيباً .

والخربُ : الذَّكَرُ من الحُبارَى ، والجمع الخِرْبانُ ، قال الشاعر :

مـا رأيـنا خَـرْباً يـنـ ـفِر عَنْهُ البَيْضُ صَقْرُ [٤١٥]

لا يكـونُ المُـهْرُ جَحْشاً لا يَكُونُ الجَحْشُ مُهْرُ[2]

---

(١) لمعرفة ضبط المادّة واشتقاقاتها ومعانيها ، راجع : العين ٢ : ٢٠٢ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٨٤٤ ، ١٠٧٢ ، معجم مقاييس اللّغة ٣ : ٧٤ ، لسان العرب ١٤ : ٣٨٤ ، تاج العروس ١٩ : ٥٢٤ «سعى» .

(٢) اختلف في روايته كثيراً بما لا يخلّ بالشاهد ، على أنّه مجهول القائل لم يُنسب لأحدٍ .

والخُرْبَةُ : سَعَةُ خَرْقِ الأُذُن ، قال ذو الرُّمة :

كأنّـــه حَـــبَشِيٌّ يَــبْتَغِي أَثَــراً أَوْ مِنْ مَعاشِرَ في آذانِها الخُرَبُ[1] [٤١٦]

والخُرْبَةُ : عُرْوَة المزَادَة ، وكذلك : كلُّ بَيْتٍ مُسْتَدِيرٍ .

والخارِبُ : اللّص . وما رأينا من فلان خربة أي : فساداً في دينه أو شيئاً ، والخارب مِنْ شَدائِدِ الدَّهْر .

قال الشاعر :

إنّ بـــها أَكْـتَلَ أَوْ رِزَامَـا خُــوَيْرِبانِ يَـنْقُفَانِ الهَـامَا[2] [٤١٧]

المعنى : الخَرْب : ذكر الحُبارىٰ ، وقيل : الحبارى ذكراً أو أنثى . نقَر : كسر البيض ليخرج وكأنّه الصقر عندما يفعل ذلك ، ولكن لا يمكن أن يكون ذلك؛ إذ الشيء لا يخرج عن أصله .

الشاهد : ما أشار إليه الشيخ المصنّف من أنّ معنى الخَرْب : الذكر من الحُبارى .

راجع : معجم الأدباء ١٣ : ١٧٨ ، مجالس العلماء للزجّاجي : ١٩٥ ت ١٢٠ ، حياة الحيوان ١ : ٤١٢ ، الأشباه والنظائر ٦ : ٢١٣ ت ٦٤٦ .

(١) البيت ١٠٧ للشاعر ذي الرُّمة من ملحمته التي تبلغ ١٢٦ بيتاً ، وتقدّمت ترجمته في ١ : ٦٧ .

وفي هذا المقطع منها يصف النّعام حين طأطأ رأسه للرعي ، فكأنّه حبشي سواده يطلبُ أثراً في الأرض ، أو هو من السّند الذين في آذانهم الخُرَب ، أي : ثقب . أثراً : أمراً فقده يبحث عنه ، الخُرَب : جمع خُرْبَة : الثُقبة في الأذن ، معاشر : جماعات السند .

الشاهد : استعماله الخُرَب بمعنى : الثقبة في الأذن ، وهو ما أشار إليه الشيخ رحمه الله .

راجع الديوان ١ : ٨٣ ب ١٠٧ من ملحمته التي مطلعها :

ما بال عَيْنَيكَ مِنْها المَاءُ يَنسكِبُ كَأَنّــه مِــنْ كُـلَىٰ مَـفْرِيَة سَـرَبُ

وجمهرة أشعار العرب للقريشيّ ٢ : ٩٦٣ ب ١٠٧ ، المعاني الكبير ١ : ٣٢٩ .

(٢) لم يُنسب لأحدٍ بالرغم من كثرة الاستشهاد به ، وقد اختلف فيه كثيراً .

المعنى : أكتل : اسم لُصٍّ ، الرزام : الشديد الصعب المراس ، وقيل فيهما غير

«الأكتل: شدّة العيش»(١)، والرزام: الهزال. والخَرُوبةُ: شَجَرَةُ اليَنْبُوت، والخِرَابَةُ: سَرِقَةُ الإبِلِ، قال الأصمعي: لا يكادون يسمّون الخَارِب إلّا سَارِقَ الإبِلِ.

وأصل الباب: الخَرابُ: ضدُّ العُمْران(٢).

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ رُفِعَ؛ لأنّه خبر الابتداء، وتقديره: أيُّ أحدٍ أظلمُ.

وقوله: ﴿أَن يُذْكَرَ﴾ يَحتمل وجوهاً من النّصب.

ذلك.

خُوَيْرِبان: مثنّى خُوَيْرِبُ: مصغّر خَارِبٌ: سارق الإبل، ينقفان: يكسران الرأس من شدّتهما.

الشاعر يحذّر مخاطبيه عن وجود لُصّين في الطريق شديدين يعتديان على المسافرين بكسر رؤوسهم.

الشاهد: استعمال الخويربان بمعنى السارق الشديد القوي.

راجع: شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٢: ٣٧ ش ٩٠ بإحاطة تامّة، الكتاب لسيبويه ٢: ١٤٩، شرح شواهد سيبويه للنحّاس: ١٦٧ ت ٤١٨، النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم ١: ٥٢٠: المقتضب للمبرّد ٤: ٣١٥ وفيه كامل الأبيات، والكامل له ٣: ٤٣، أمالي ابن الشجري ٣: ٧٦ م ٧٥، شرح شواهد المغني ١: ١٩٩ ش ٨٨، الأزهية: ١١٦، وغيرها من كتب اللّغة.

(١) المحصورة أُضيفت من «خ»، ويساعد عليها ما في تهذيب اللّغة ٧: ٣٦١، العين ٥: ٣٣٧، المخصّص ٥: ٦٨٥، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٧٦٨، تاج العروس ١٥: ٦٤٧.

(٢) لضبط المادّة راجع: العين ٤: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، جمهرة اللّغة ١: ٢٨٨، تهذيب اللّغة ٧: ٣٥٩، معجم مقاييس اللّغة ٢: ١٧٤، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ١٧٥، المخصّص ١: ١٦٧ و٣: ١٣ و٤: ٢١١ و٤٩٧ و٧: ١٨، لسان العرب ١: ٣٤٧، تاج العروس ١: ٤٥٣ «خرب».

قال الأخفش: يجوز أن يكون على حذف (مِنْ)، وتقديره: مِنْ أنْ يذكر، ويجوز أنْ يكون على البدل من ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[1].

وقال الزجّاج: يجوز على معنى كراهية أن يذكر[2].

وعلى الوجوه كلّها العامل فيه ﴿مَّنَعَ﴾.

ومعنى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ فيه خلاف، قال قتادة: هم اليوم كذلك لا يوجد نصرانيّ في بيت المقدس إلّا نُهك ضرباً، وأُبْلِغ إليه في العقوبة، وبه قال السُدّيّ[3].

وقال ابن زيد: نادى رسول الله ﷺ: «أن لا يَحجَّ بعدَ العامِ مشركٌ،

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١: ٣٣٢، وعنه التفسير الكبير للرازيّ ٤: ١١ م ٤.

(٢) قوله مبنيٌّ على مبناه في حذف المضاف بما يدلّ عليه، ويستفاد من معاني القرآن للزجّاج ٢: ١٣٦ و٣: ٣٩٠، وقد أشار لهذا ولسابقه في كلٍّ من: إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٥٧، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٧٦ م ١، الدرّ المصون ١: ٣٤٨، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢: ٤٠٦، البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباريّ ١: ١١٨ ـ ١١٩، التبيان في إعراب القرآن ١: ١٠٧، إملاء ما منّ به الرحمن ١: ٥٩، وهُما لأبي البقاء العُكْبَري، وفي الجميع دون نسبة إلى الزجّاج.

(٣) ذُكرت الأقوال في جملة تفاسير، وفي البعض دون نسبةٍ، راجع: تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١: ٢٨٦ ت ١٠٩، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٨، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٤٦ ـ ٤٤٧، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢١١ ت ١١١٦، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٦١، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية للقيسيّ ١: ٤٠٦، تفسير المحرّر الوجيز لابن عطية الأندلسيّ ١: ٣٣٤، تفسير الكشّاف للزمخشريّ ١: ٣١٣، التفسير الكبير للرازيّ ٤: ١٢ م ١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٣٩٠.

ولا يطوف بالبيت عريان»[١][٢].

وقال الجُبّائيّ: بيّن الله أنّه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول المساجد، فإنْ دخل منهم داخلٌ إلىٰ بعض المساجد كان علىٰ المسلمين إخراجه منه، إلّا أنْ يدخل إلىٰ بعض الحُكّام بخصومة

---

(١) علل الشرائع ١: ١٩٠ ح ٢، المناقب للكوفيّ ٢: ٢٥ ت ٥١٣، وسائل الشيعة ١٣: ٤٠٠ ت ١٨٠٦٢، بحار الأنوار ٣٥: ٢٨٥ ح ٢، مسند أحمد ١: ٣، سنن الدارمي ١: ٣٣٣، وانتبه لما في صحيح البخاري ١: ١٠٣ من تحريف للحقائق، وكذا في سنن النسائيّ ٢: ٤٠٧ ت ٣٩٤٩، وهكذا صحيح مسلم ٢: ٥٠٠ ت ١٣٤٧، وفيها بأسانيد مختلفة عن غير ابن زيد، وعنه في تفسير جامع البيان ٢: ٤٤٧.

(٢) فيه إشارة مجملة لحوادث إبلاغ سورة براءة، حينما أمر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أبا بكر إبلاغها، وبعد أن سار بها متّجهاً إلىٰ مكّة المكرمة، وقيل: عندما وصل ذا الحليفة، نزل الوحي علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله بأن يرسل بها أمير المؤمنين عليه السلام لتبليغها معلّلاً ذلك بأنّه «لا يبلّغ إلّا أنت أو رجل منك» فأرسل النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام خلف أبي بكر وأمره بأخذها منه، وتولّيه الابلاغ، فلمّا وصل عليه السلام إليه وأخذها منه ارتبك أبو بكر خوف نزول شيء في شأنه، فعاد إلىٰ المدينة وسأل النبيّ صلى الله عليه وآله هل نزل فيّ شيء؟ فأجابه صلى الله عليه وآله بالعدم.

والقصّة طويلة، تصرّف وحرّف فيها المتزلّفون، ومن أعماهم الحبّ ونكّس قلوبهم؛ دفاعاً عن أبي بكر بمحاولات يائسة هزيلة لا تثبت عند الحجّة والحجاج، وذلك بادّعاء أنّ العزل والاقصاء كان طبقاً للقواعد العربية لا بأمر السماء، ولعلّ أوّلهم الناصبيُّ المروانيُّ الجاحظ في العثمانية، ثمّ صفق له طرباً من أتىٰ بعده، والعجب تزويرهم الحقائق، ولا عجب من ذلك؛ لأنّه ديدنهم حفاظاً علىٰ ماء الوجه ولغيره من العناوين الهزيلة المجعولة.

ولعلّ خير ما وضّح وأبان ذلك بما هو الحقّ الحقيق والصواب:

كشف الغطاء ١: ٩٢، الدرر الموسوية في شرح العقائد الجعفرية ٤٠٣، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ص ٣٠: ٢٣٣، تفسير الميزان ٩: ١٦٣، دلائل الصدق ٥: ٣٠٢، قاموس الرجال ١٠: ٥٢٢، وفيه عن هشام بن الحكم قوله: عجبت من مخالفينا عمدوا إلى من ولّاه الله من سمائه فعزلوه وإلى من عزله من سمائه فولّوه!! والحرّ يفهم المعنى المراد.

بينه وبين غيره ، أو إلىٰ بعض القُضاة ، فيكون في دخوله خائفاً من الإخراج علىٰ وجه الطرد بعد انفصال خصومته ، ولا يقعد مُطمئنّاً كما يقعد المسلم[١].

وهذا الذي يليق بمذهبنا ، ويمكن الاستدلال به علىٰ أنّ الكفّار لا يجوز أن يُمكّنوا من دخول المساجد علىٰ كلّ حال.

فأمّا المسجد الحرام خاصّة فإنّ المشركين يُمنعون من دخوله ولا يُتركون ليدخلوه لحكومة ولا غيرها ؛ لأنّ الله تعالىٰ قد أمر بمنعهم من دخوله بقوله : **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾**[٢] يعني المسجد الحرام[٣].

وقال الزجّاج : أعلمَ اللهُ أنّ أمر المسلمين يظهر علىٰ جميع من

---

(١) مصنَّفات الجُبائي لا زالت أثراً بعد عين ، وما طبع منها جمعٌ ، خصوصاً التفسير معتمداً علىٰ التبيان ومجمع البيان والتفسير الكبير للفخر.

(٢) سورة التوبة ٩ : ١٧.

(٣) إجماع الفرقة المحقّة علىٰ ذلك ، تصل إليه من خلال مراجعة المصادر التالية ، وهي من أُمّهات كتب فقه الطائفة ، ومنها إلىٰ غيرها ، وفي البعض تعرّض لمن وافقنا من المذاهب الأخرىٰ ، راجع : كتاب الخلاف للشيخ الطوسي ١ : ٥١٨م ٢٦٠ ، تذكرة الفقهاء ٢ : ٤٣٢ م ٩٩ ، منتهىٰ المطلب ١٥ : ٩٨ ، تحرير الأحكام ٢ : ٢١٤ ت ٢٨٨٦ ، ذكرىٰ الشيعة ٣ : ١٣٢ ت ١٣ ، مسالك الافهام ٣ : ٨٠ ، شرائع الإسلام ١ : ٣٣٢ ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام طبعة النجف ٢١ : ٢٨٦ وطبعة قم ٢٢ : ٤٩٦ ، الحدائق الناضرة ٧ : ٢٧٩ عند الخامس من المحرّمات ، وغيرها كثير.

وأمّا عند العامّة فهي كذلك كثيرة ، للمثال منها : نهاية المطلب في دراية المذهب ١٨ : ٦٣ ، الأُم للشافعي ٤ : ٧٨ ، أحكام القرآن للشافعي : ٨٤ ، الحاوي الكبير ١٤ : ٣٣٥ ، أحكام القرآن للجصّاص ٣ : ٨٧ ـ ٨٩ ، أحكام القرآن لابن العربي ٢ : ٩١٣ ـ ٩١٤ ، المحلّى ٤ : ٢٤٣ ، المجموع ١٩ : ٤٣٣ و٤٣٦ ، أحكام أهل الذمّة ١ : ١٧٥ ـ ١٩١ ، حلية العلماء ٧ : ٧١٣ ، وغيرها كثير حتى التفاسير عند الآية الكريمة.

خالفهم، حتّىٰ لا يمكن دخول مخالف إلىٰ مساجدهم إلّا خائفاً، وهو كقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1][2] كأنّه قيل: أُولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين؛ لإعزاز الله الدين وإظهاره المسلمين.

قوله تعالىٰ:

﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آية[3].

قال قَتادة: معناه: أنّهم يُعْطون ﴿ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾[4].

وقال السُّدّيّ: خزيهم في الدنيا أنّهم إذا قام المهديُّ وفُتحت قسطنطينية قتلهم، فذلك خزيهم[5].

«وقال الزجّاج: الخزيُّ»[6] في الدنيا: أنْ يُقَتَّلوا إنْ كانوا حرباً، ويؤدّون الجزية إنْ كانوا ذمّة[7].

---

(١) سورة التوبة ٩: ٣٣، سورة الصفّ ٦١: ٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١: ١٩٦.

(٣) كذا قوله: آية، وهو كما ترى؛ حيث إنّ هذا المقطع من تتمّة الآية ١١٤.

(٤) سورة التوبة ٩: ٢٩.

(٥) أُشير إلىٰ الآراء في جملة مصادر، منها: تفسير الصنعانيّ ١: ٢٨٦ ت ١٠٩، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٣٨، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٤٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢١١ ت ١١١٨، ١١١٩، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٦١، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١: ٤٠٧، تفسير النكت والعيون ١: ١٧٤ ـ ١٧٥، التفسير البسيط ٣: ٣٥٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٣٤، الجامع لأحكام القرآن ١: ١٩٦ ـ ١٩٧، وغيرها، وفي الأغلب دون نسبةٍ.

(٦) الجملة المحصورة أثبتناها من النسخة «خ» فقط، ويساعد عليها الهامش الآتي.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١٩٦.

وقال الجُبّائي: الخزي[١] هو لهؤلاء الكفّار الذين أُمرنا بمنعهم من دخول المساجد علىٰ سبيل ما يدخلها المؤمنون[٢].

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال الفرّاء: يقول فيما وعد الله المسلمين من فتح الروم وإن لم يكن بعد[٣] والناس علىٰ خلافه في أنّ معنىٰ الآخرة يوم القيامة، كأنّه قيل: لهم في الآخرة عذاب جهنّم.

قوله تعالىٰ:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٥) آية بلا خلاف.

المَشْرِقُ والشَرْقُ: اسمان لمَطلِع الشَمْسِ.

والمَغْرِبُ والغَربُ: اسمان لغَربها، يقال: شَرَّقَ شُرُقاً، وأشْرَقَ إشْراقاً، وتَشَرَّقَ تَشْرِيقاً.

والمَشْرِقانِ والمَغْرِبانِ: مَشْرِقا الشِتاءِ والصَيْفِ ومَغْرباهُما.

والمَشارِق: مَطالِعُ الشَّمسِ في كلّ يوم حتّىٰ تعود إلىٰ المَشْرِقِ الأوّلِ في الحَوْلِ، وشَرَقَت الشَمْسُ: إذا طَلَعَتْ، وأَشْرَقَتْ: إذا أَضاءَتْ، وتقول: لا أفعلُ ذلك ما ذَرَّ شارِقٌ، أي: ما طَلَعَ قَرْنُ الشَّمْس.

وشَرِقَ يَشْرَقُ شَرَقاً: إذا اغْتَصَّ، وقال عديّ بن زيد:

---

(١) اختلفت النسخ هنا، فالمختصرة أثبتت المثبت المناسب للسياق، و«خ» زادت: «قوله». وهي مُشَوَّشَةٌ لا مورد لها، والباقي «هـ، ؤ، س، حجرية» من دون الزيادة.

(٢) تقدّم مراراً أن تفسيره فعلاً أثر بعد عينٍ.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١: ٧٤.

لَــوْ بِــغَيْرِ المــاءِ حَــلْقِي شَــرِقٌ كُنْتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعْتصارِي[1] [٤١٨]

والمَشْرَقَةُ حَيثُ يَقْعُدُ المُشَرِّقُ في وَجْهِ الشمْس، قال الشاعر:

تُـحِبِّيْنَ ٱلطَـلَاقَ وَأَنْتِ عِـنْدِي بِـعَيْشٍ مِـثْلِ مَشْـرُقَةِ الشِتـاءِ[2] [٤١٩]

وشَرِقَ الثَوْبُ بالْصِّبْغِ: إذا احْمَرَّ واشتَدَّتْ حُمْرَتُه. وَلَطَمَهُ فَشَرِقَ الدَّمُ في عَيْنِهِ: إذا احْمَرَّتْ، وتقول: اشْرَوْرَقَتْ عَيْنُه واغْرَوْرَقَتْ.

وناقةٌ شَرْقاء: إذا شُقَّتْ أُذُنُها بِنِصْفَيْنِ طُولاً وَكَذلِكَ الشاة.

وأَيّام التَّشْرِيقِ: أَيّامُ مَشْرِقِ اللَّحْم في الظلّ.

وقال صاحب العين: كانوا يُشَرِّقُونَ اللَّحْمَ تِلْكَ الأيّام في الشَّمْسِ، وقـوله: ﴿فَأَخَـذَتْهُمُ ٱلصَّـيْحَةُ مُشْـرِقِينَ﴾[3] أي: حـيثُ طَـلَعَتْ عَـلَيْهِمُ

---

(١) البيت ٥ من القصيدة ١٧ في ديوان عدي ـ وتقدّم الشاعر في ١: ١٢١ ـ مخاطباً النعمان بن المنذر، ومذكّراً إيّاه طول حبسه، والقصيدة مشهورة فيها موارد للاستشهاد.

المعنىٰ: شَرَقَ: محرّكةً من باب تَعَبَ، الغصّ بالماء أو الطعام، فلا يتمكّن من ابتلاعه. الاعتصار: الالتجاء والملاذ، وهو: أن يُشرق الشخص بالطعام فيلتجئ إلىٰ الماءِ فيشربه قليلاً قليلاً؛ ليذهب ما به من غصٍّ أو شَرَقٍ.

يقول الشاعر: إذا غصصت بطعام أُزيله بالماء، أمّا إذا غصصت بالماء فبِمَ أُزيله؟!.

وعُدّ هذا البيت من الأمثال، وأوّل من أرسله عدي، ومنه أخذ الباقي، راجع: جمهرة الأمثال ٢: ٢٠٣ ت ١٥٣٨، معجم الأمثال ٣: ١٠١ ت ٣٢٩٠.

راجع: الديوان ٩٣ ق ١٧ ب ٥، وممّن استشهد به وذكره منسوباً: الكتاب ٣: ١٤٠ ت ٦٨٨، الشعر والشعراء ٢: ٢٢٨ ت ٣٧٥، الأغاني ٢: ١١٤ وترجمته فيه مطوّلة، معجم الشعراء للمرزباني: ٨٠ ـ ٨٢، شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ: ٣٢٣ت ١٠٧، الجنىٰ الداني في حروف المعاني: ٢٨٠، معاهد التنصيص ١: ٣١٩.

(٢) استشهد به غير واحد من اللّغويّين، ورغم التتبّع لم أجد من نسبه إلى قائل معيّن، هذا، وقد اختلف فيه ولعلّ كثيراً، راجع: جمهرة اللغة ٢: ٧٣١، المخصّص ٤: ٢٧٨، لسان العرب ١٠: ١٧٤، تاج العروس ١٣: ٢٣٨، وغيرها، والجميع في مادّة «شرق».

(٣) سورة الحجر ١٥: ٧٣.

الشَّمْس .

والشَرْقُ : طائِرٌ من الطّيور الصّوائد مثل الصَّقرِ والشاهِينِ(١) .

وقال الشاعر :

قَدْ اَغْتَدى والصُّبْحُ ذُو بَنِيق [٤٢٠]

بِمُلْحِمِ أَكْلَبَ سَوْذَنِيقِ

أَجْدَلَ أَوْ شَرْقِ مِنَ الشرُوقِ(٢)

وكلُّ شَيءٍ طَلَعَ مِنَ الشَّمْسِ يُقال : شَرَّقَ يُشَرِّقُ . وفي الحديث :

---

(١) العين ٥ : ٣٨ و٣٩ ، (شرق) ، وفيه بدل «مثل» : «بين» .

(٢) رجز استشهد به غير واحد من اللغويّين ، بعض منهم بشطره الثالث ونسبه لرؤبة مثل الخليل في العين ٥ : ٣٩ ، ولعلّ منه أخذ الباقون ذلك ؛ إذ الديوان خالٍ منه .

وبعض بشطره الأوّل من دون نسبةٍ مثل الأزهريّ في تهذيب اللغة ٩ : ٢٠٠ ، وابن سيده في محكمه ٦ : ٤٥٤ ، وبأشطره الثلاث في ٦ : ١٦٦ ولكن من دون نسبةٍ أيضاً ، وكذلك ابن منظور في لسان العرب ١٠ : ١٧٩ ، والزبيديّ في تاج العروس ١٣ : ٢٣٧ .

المعنىٰ : البنيقة : فارسي معرّب ، وهي كلّ رقعةٍ في الثوب نحو اللِّبِنَةِ وشبهها . ملحِم : آكلة اللحم أو هو سمين ، الشوذنيق : كسابقه فارسي معرّب ، فيه عدّة روايات بالسين والشين وزيادة بعض الحروف ونقص بعضها ، الأجدل : من صفات الصَّقْر أو هو . فهذه كلّها المراد منها الشَرَق .

راجع مصادر اللغة للموادّ المذكورة .

فلمادّة «بنق» راجع : العين ٥ : ١٨٠ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣٧٤ ، تهذيب اللّغة ٩ : ٢٠٠ ، وغيرها .

ومادّة «جدل» تجدها في أغلب اللغويّات ، منها : العين ٦ : ٧٩ ، جمهرة اللّغة ١ : ٤٤٨ ، تهذيب اللّغة ١٠ : ٦٤٩ ، المحيط في اللّغة ٥ : ٤٢ ، وغيرها .

وأمّا مادّة «شرق» فتأتي في هامش ٢ من صفحة ٣٢٤ ، فراجعها .

ومادّة «لحم» راجعها في : العين ٣ : ٢٤٥ ، جمهرة اللّغة ١ : ٥٦٧ ، تهذيب اللّغة ٥ : ١٠٣ ، المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ٣٧٢ ، وغيرها .

الشاهد : استشهد به كلّ من ذكره لما استشهد به الشيخ المصنّف ﷺ .

(لا تَشْرِيْقَ ولا جمعة إلّا في مِصْرٍ ومَسْجِدٍ جامِعٍ)[1]، أي: لا صلاة عيد؛ لأنّها وَقْتُ طُلوع الشَّمْس.

وأصل الباب: الطُّلُوع[2].

والمَغْرِبُ والمَغِيبُ نظائر، تقول: غَرُبَ يَغْرُبُ غُروباً، وأغْرَبَ إغراباً، واغْتَرَبَ اغْتِراباً، وتَغَرَّبَ تَغَرُّباً، واسْتَغْرَبَ اسْتغْراباً، وغَرَّبَ تَغْرِيباً.

وسُمِّي الغُرابُ غُراباً؛ لِبُعْدِهِ ونُفُورِهِ وأنّه أَشَدُّ الطُيورِ خَوفاً.

وأصل الغَرَب: الحدُّ والتَباعُدُ، حتّىٰ بَلَغَ النِهاية.

ومن هذا مَغْرِبُ الشمسِ، والرجُلُ الغَريبُ المُتباعِدُ.

وشَطَتْ غُربةُ النَوىٰ، أي: بَعُدَ المُتَنائِي وهو: أبْعَدُ البُعْدِ.

وغَرْبُ السَيْفِ والسَهْمِ: حَدُّهُ، سُمِّي بذلك؛ لأَنّه يَمْضِي فَلا يَرِد، فَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الإبْعاد. ويُقالُ لِمَوْضِعِ الرِداءِ: غارب.

وقولهم للدابّة: مُغْرَب: إذا ابْيَضَّتْ حَدَقَتُهُ وأهْدابُهُ، شبِيهٌ بابْيِضاضِ الشَّمسِ عِنْدَ الغُروبِ.

وقوْلُكَ للرَّجُلِ: أَغْرِبْ، معناه: أَبْعِد.

---

(١) اختلفت المصادر في نسبة الحديث، فبعض ذكرته دون نسبةٍ، وبعض نسبته لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلىٰ كلٍّ انظر: المصنّف لابن أبي شيبة ٤ : ٤٧ ت ٥١٠٦، المصنّف للصنعاني ٣ : ١٦٧ ت ٥٦٢٥، معرفة السنن والآثار ٤ : ٣٢٢ ت ٦٣٣٠، نصب الراية ٢ : ١٩٥ ومنها لغيرها. وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٩ : ١٢٠، دعائم الإسلام ١ : ١٨، قاموس الرجال ١١ : ٢٩٧، بحار الأنوار ٨٩ : ٢٥٥ و٢٥٧.

(٢) لضبط المادّة «شرق» روجعت المصادر التالية: العين ٥ : ٣٨، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٣٠، تهذيب اللّغة ٨ : ٣١٦، المحيط في اللّغة ٥ : ٢٣٤، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ١٦٢، لسان العرب ١٠ : ١٧٣، تاج العروس ٣١ : ٢٣٧.

وثَوْبٌ غرْبِي : إذا لَمْ تَسْتَحْكِمْ حُمْرَتُهُ ، مَأْخُوذٌ مِنَ الدابّةِ الغَرِب .

وتقول : أَصابَهُ حَجَرٌ غَرِّب ، إذا أَتاه مِنْ حَيْثُ لا يَدْري ، وأتاه حَجَرٌ غَرِّبٌ : إذا رَمىٰ غَيرهُ فأصابَه .

ويقال : اقْطَعْ غَرَبَ لِسانِ فُلانٍ عَنّي ، أي : اقطع حِدّةَ لِسانِه .

وناقةٌ ذاتُ غَرِبٍ أي : حِدّةِ الغَرِب ، والغَرْبُ : الدَمْعُ الحارّ الفاسِد ، وقال الكميت :

أبىٰ غَرْبُ عَيْنَيْك إلّا انْهمالا[1] [٤٢١]

وجمعه : غُرُوبٌ .

والغَرْبُ : دَلْو ضَخِمٌ يُتَّخَذُ منْ جلدٍ تام ، والغَرَب : ما قَطَرَ مِنَ الماءِ مِنَ الدّلاءِ مِنَ الحَوضِ وَالبِئْرِ ، ويقال : أَغْرَبَ الحوضُ : إذا سال من جوانبه وفاض .

والغَرَبُ : جنس من الشجر خارج عن حدّ ما يجمل بحمل أو طيب ريح أو صلابة ، وغاية مغربة أي : بعيدة ، والغَرَبُ : الفضّة ، وقيل : إنّه جام من فضّة ، وقيل : إنّه الذهب ، قال الشاعر :

.... كـــــما دَعْدَعَ ساقي ٱلأَعاجِمُ الغَـرَبا[2] [٤٢٢]

---

(١) مع كثرة التتبّع لم أجده إلّا في تهذيب اللّغة ٨ : ١١٣ مستشهداً به في مادّة «غرب» راوياً له عن أبي عبيدة عن الفرّاء ، ولم ينسب للكميت ـ الذي تقدّمت ترجمته في ١ : ٣٢٦ ـ ولم نجده فيما لدينا من مصادر .

ومجمل معنىٰ الشطر : أنّ في مآقي عيني الشخص ورماً يسيل معه دمعه ولا ينقطع .

(٢) عجز بيت للبيد العامري ، وتقدّمت ترجمته في ١ : ٧٩ ، وصدره :

فَدَعْدَعا سُرّة الرَّكاء كـما ....

والغارِبُ : أَعَلىٰ المَوْج ، والغارِب : ما بين يَدَي السَنام .

وعَنْقاءُ مُغْرِب : موضوع علىٰ طائر لا يُعرف حدّه ، والغِرْبِيبُ : الأَسْوَدُ الشَّدِيدُ السّواد .

وأصل الباب : الغَرْب : الحدّ[1] .

واللّام في قوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ﴾ لامُ المُلْك[2] ، وأصلُها لامُ الإضافة ، وهي علىٰ ثمانية أوجُه : الملك ، والفعل ، والعلّة ، والولادة ، والاختصاص ، والاستغاثة ، ولامُ كي ، وهي : لامُ الغرض ، ولام العاقبة .

فلام الملك كقولك : له مال .

والفعل : له كلام ، والعلّة : هو أسود لما فيه السواد . ولام الولادة[3] : له

المعنىٰ : دَعْدَعَ : ملأ السقاء ، وجاء في لسان العرب ٨ : ٦٨ : دعدع السيلُ الوادي : ملأه ، قال لبيد يصف ، وذكر البيت .

الغَرَبا : الجام أو الإناء يكون من ذهب أو فضّة أو خشب .

الرَّكاء : وادٍ معروف ، وحركة الراء دائرة بين الفتح والكسر مؤثّرة على المعنىٰ .

راجع : معجم البلدان ٣ : ٦٢ ، مراصد الاطّلاع ٢ : ٦٦٨ .

سرة الرَّكاء : سرة الطريق : متنه ومعظمه ، وقيل : واد في ديار بني عقيل .

راجع : ديوان لبيد : ٢٣ ب ٢٢ ق ٢ ، وفي شرح الطوسي : ٣٢ ب ٢٢ ق ٤ .

هذا وقد استشهد به غير واحد منهم : ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة ٤ : ٤٢٠ ، والأزهريّ في تهذيب اللّغة ٨ : ١١٨ ، معجم ما استعجم ٢ : ٦٨٨ .

(١) لضبط مادّة «غرب» روجعت المصادر التالية : العين ٤ : ٤٠٩ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣٢١ ، تهذيب اللّغة ٨ : ١١٢ ، المحيط في اللّغة ٥ : ٧١ ، اصلاح المنطق : ١٧٣ ، صحاح اللّغة ١ : ١٩٣ ، لسان العرب ١ : ٦٤٣ ، تاج العروس ٢ : ٢٧٤ ، الاشتقاق : ٢٧ .

(٢) هي اللّام التي تفيد الملكيّة الحقيقية للشخص ، وخير أمثلتها الآية الكريمة .

(٣) هي اللام التي يصحّ أن تحلّ «كي» محلّها ، وتسمّىٰ : لام التعليل .

أبٌ ، له ولدٌ ، له أخٌ . والاختِصاص : لَهُ عِلْمٌ ، وله إرادةٌ. والاستغاثة : يا لَبَكْرٍ. ولامُ كَي : ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[1] . ولام العاقبة : ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[2] .

فهذه وجوه لام الإضافة[3] .

وإنّما قيل : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ بالتوحيد وله جميع المشارق والمغارب لأحد أمرين :

أحدهما : أنَّه أخرج ذلك مخرج الجنس ، فدلّ علىٰ الجمع كما قيل : أهلكَ الناسَ الدينارُ والدرهمُ .

والآخر : أنّه علىٰ الحَذْفِ ، كأنّه قيل : المشرقُ الذي تَشْرِقُ منهُ الشَّمْسُ كُلَّ يَوْم ، والمَغْرِبُ ٱلذي تَغْرِبُ فِيهِ كُلَّ يَومٍ .

وإنَّما خَصَّ اللهُ تعالىٰ ذكر ذلك هاهنا لأحد أُمور :

أحدها : قال ابن عباس واختاره الجُبّائي : إنّه رَدٌّ علىٰ اليهود لمّا أنكروا تحويل القبلة إلىٰ الكعبة ، وقال : ليس هو في جهة دون جهة كما تقول المشبّهة[4] .

---

(١) سورة الأنعام ٦ : ١١٣ .

(٢) سورة القصص ٢٨ : ٨ .

(٣) لأنواع اللام ومعانيها واستعمالاتها راجع : معاني الحروف للرّمانيّ : ٥١ ، كتاب اللامات للزجّاجي ، مغني اللبيب ، تحقيق محمّد محي الدين ١ : ٢٠٧ ، الجني الداني : ٩٥ ، مجمع البحرين ٣ : ١٦١١ ، مفردات الراغب (مع ملاحظات العاملي) : ٦٦٣ ، رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي : ٢٩٣ ، محيط المحيط : ٨٠٤ ، المعجم المفصّل في الإعراب : ٣٦٤ ـ ٣٧٠ ، ومنها لغيرها كثير .

(٤) تقدّم في الجزء ١ صفحة ١١ شيء عنها مختصراً مع مجموعة من المذاهب

الثاني : قال ابن زيد وقَتادة : كان للمسلمين التوجّه بوجوههم في الصلاة حيث شاؤوا ، ثمّ نُسخ ذلك بقوله : ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**﴾[1] وإنّما كان النبيّ ﷺ أوّلاً اختارَ التوجّه إلىٰ بيت المقدّس ، وقد كان له أن يتوجّه إلىٰ حيث شاء[2] .

وقال آخرون : كان ابن عمر يُصلّي حيث توجّهت به راحلته في السفر تطوّعاً . وذكر أنّ رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك ويتأوّل عليه الآية[3] .

↲ والفِرَق الأُخرىٰ ، وهنا توضيح أكثر فنقول :

المُشَبِّهَةُ : أصحاب معتقد خليط من مذاهب وآراء شتّىٰ ، تكلّموا في آيات من الذكر الحكيم بما يستفاد ظاهرها الجسميّة ، مثل : الطول والعرض ، وأثبتوا له جَلّ وعلا جوارح و . . . جواز لمسه ومصافحته ، ونزوله وصعوده و . . . وهم متأثّرون حتماً بالإسرائيليّات من الأخبار والأخذ بظواهر الآيات والروايات .

هذا ، ومن العجب بل أعجبه الخلط المتعمّد تارة من مؤلّفي الفِرَق ويتبعهم المحقّقون إلّا ما ندر ، وأُخرىٰ ما يتعمّده المحقّقون مندفعين بدوافع الحبّ والبغض علىٰ الرغم من الدرجة العلمية التي يحملونها ، ولعلّها دالّة علىٰ الجهل ؛ إذ أين الشيعة الإمامية الاثنا عشرية الجعفرية من هذه الخزعبلات التي تنسب إليهم ، وهم أنصع من ضياء الشمس أوّل شروقها ، وهنا أُشير لمصدرين يوضّحان ذلك وعليهما القياس : الخطبة الأُولىٰ من نهج البلاغة : ٣٩ جمع السيد الشريف الرضي ، وقد شرحها جمع من فطاحل الفريقين ، الكافي ١ : ٥٧ كتاب التوحيد وقد شرحه غير واحد من فطاحلنا . وبهما أكتفي ؛ لأنّ سيف الهامش مسلّط علىٰ رقبة القلم .

وأمّا المصادر عن المشبّهة فإضافةً لما تقدّم : معجم الفِرَق الإسلامية : ٢٢٥ ، قاموس المذاهب والأديان : ١٩٠ ، الموسوعة الميسّرة ٢ : ١٠٢١ ، الفِرَق الإسلامية من خلال الكشف والبيان : ١٤١ ، منتبهاً لما قلناه من الخلط والخبط فيها .

(١) مقطع متكرّر في سورة البقرة ٢ : ١٤٤ و١٥٠ .

(٢) اختلفت النسخ في ضبط هذه الجملة ، ففي : «خ» المثبت ، وفي هـ : التوجّه ، وفي «و» : التوجّه حيث شاء .

(٣) الأم ١ : ١١٨ ، مختصر المزني : ١٣ ، المجموع ٣ : ٢٣٢ ، مسند الشافعي : ٧٤ ت ↲

وقيل : نزلت في قوم صلّوا في ظلمة وقد خفيت عليهم جهة القبلة ، فلمّا أصبحوا إذا هم صلّوا إلىٰ غير القبلة ، فأنزل الله هذه الآية . وهذا قول عبدالله بن عامر عن أبيه[1] ، والنخعي[2][3] .

---

٨٣ ، مسند أحمد ٢ : ١٧٥ ت ٥٣١٢ ، سنن النسائي ١ : ٢٤٤ ب ٢٣ آخره ، عوالي اللآلي ١ : ١٣٠ ت ٦ ، فقه القرآن للراوندي ١ : ٢٥١ ومصادره .

(١) عبدالله بن عامر بن ربيعة الصحابي ، وتقدّم سميّه المقرئ في ١ : ١٩٦ هـ ٤ ، وهذا من صغار الصحابة حيث ولد في عهده وكان حين وفاته ﷺ ابن خمس أو ستّ ، عُدّ فيمن رآي النبيّ ﷺ المدنيّ ، حليف بني عديّ روىٰ عن جمع وعنه آخرون ، مات سنة بضع وثمانين .

راجع : تاريخ الإسلام للذهبي ٦ : ١١٤ ت ٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٥٢١ ت ١٢٨ تهذيب الكمال ١٥ : ١٤٠ ، الطبقات الكبرىٰ ٥ : ٩ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٢٣٧ ت ٤٦٦ ، وغيرها كثير .

(٢) أبو عمران ، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النَّخَعيّ اليمانيّ الكوفيّ ، من صلحاء التابعين وفقهائهم ، صادق الرواية ، حافظاً للحديث ، مقرئ روىٰ عن الأسود ابن يزيد ومسروق ، وعلقمة وعبيدة السلماني ، وغيرهم كثير ، وعنه الحكم بن عتبة وعمرو بن مرة وحمّاد بن أبي سليمان وغيرهم ، عُدّ من كبار علماء العامّة ، وبعضهم عدّه من الخاصّة ، طلبه الحجّاج لعنه الله فاختفىٰ منه ومات مختفياً منه سنة ٩٦ هـ .

راجع : طبقات ابن سعد ٢٧٠/٦ ، طبقات خليفة : ٢٦٥ ت ١١٤٠ ، المعارف : ٤٦٣ ، طبقات الفقهاء للشيرازي : ٨٣ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٥٢٠ ت ٢١٣ ، تنقيح المقال ٥ : ١٢٠ ت ٢٤٠ ، موسوعة طبقات الفقهاء ١ : ٢٧٦ ت ٨٦ ، ومنها لغيرها كثير .

(٣) الآراء تجدها في : سنن ابن ماجة ١ : ٣٢٣ ت ١٠١١ ، سنن الترمذي ٢ : ١٧١ ب ١٣٩ ، المستدرك للحاكم ١ : ٤٥٦ ب ٢٩٥ ت ٧٦٩ و ٧٧٠ ، سنن البيهقي ٢ : ١٤٠ـ ١٨ ت ٢٢٣٠ ـ ٢٢٣٣ و ٢٢٤١ ـ ٢٢٤٣ ، المصنّف للحافظ عبدالرزّاق ٢ : ٣٤٥ ت ٣٦٣٣ ـ ٣٦٣٦ ، المصنّف لابن أبي شيبة : ١٣٩ ب ٦٥١ ، المعجم الأوسط ٣ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ت ٢٩٤٥ ، المحرّر الوجيز ١ : ٣٣٦ ، النكت والعيون ١ : ١٧٥ ـ

والأوّل أقوىٰ الوجوه.

وقوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ المراد بالوجه فيه اختلاف؛ قال الحسن ومجاهد: المراد به فثمّ جهة القبلة، وهي الكعبة؛ لأنّه يمكن التوجّه إليها من كلّ مكان، قال ابن بيض[1]:

أَيّ الوُجُوهِ ٱنتَجَعَتْ قُلْتُ لها ... لأَيِّ وَجْهٍ إلّا إلىٰ الحَكَمِ [٤٢٣]

مَتَىٰ يَقُلْ صاحِباً يُرادِفُهُ ... هذا ابن بَيْض بِالبابِ يَبْتَسِمِ[2]

وقيل: معناه: فَثَمَّ وجه الله فادعوه كيف توجّهتم.

وقال قوم واختاره الرمّانيّ والجبّائيّ: فَثَمَّ رِضْوانُ الله، كما يُقال: هذا

↵ ١٧٧، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٦٢ ـ ٢٦٣، تأويلات أهل السُّنّة ١: ٨٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١: ٢١٢ ت ١١٢١ ـ ١١٢٤، تفسير بحر العلوم ١: ١٥١ ـ ١٥٢، تفسير جامع البيان ٢: ٤٥٤٠ وغيرها كثير بعضها تعرّض لجميع الآراء وبعض لقسم منها.

(١) حمزة بن بيض، أبو يزيد الحنفيّ الوائليّ، شاعر مُجيد مُقدم، حاضر الذهن والدعابة خفيف الروح، مرهوب الجانب لاذع القول خليعه، اكتسب من الشعر كثيراً؛ لارتباطه بالحكّام والأمراء، مات عام ١١٦ هـ، ولا ديوان له مجموع.

للتوسعة في ترجمته راجع: الأغاني ١٦: ٢٠٢ ـ ٢٢٥، معجم الأدباء ١٠: ٢٨٠ ت ٣٦، تاريخ مدينة دمشق ١٥: ١٩٢، فوات الوفيات ١: ٣٩٥ ت ١٤٣، معجم الشعراء المخضرمين والأمويّين: ١١٥.

(٢) توسّع الشاعر في استعمال الوجه، ثمّ حصره بجهة واحدة وهي إلىٰ الحكم بن أبي العاص، أو ابن مروان، ولأنّه لا يفيه حقّه ـ كرماً وحفاوةً ـ فهو غير مستعدٌ للتوجّه إليه.

هذا ويظهرُ في رواية الشعر اختلافٌ بين المصادر لا يضرّ.

وبما أنّه لا ديوان للشاعر لذا تجد البيت في: الأغاني ١٦: ٢١٤، مجالس العلماء: ١٥٣، الأمالي للسيد الشريف المرتضىٰ ١: ٥٩١، تاريخ مدينة دمشق ١٥: ١٩٦، معجم الأُدباء ١٠: ٢٨٧، عيار الشعر: ٩٠، وغيرها كثير.

وَجْهُ العَمَلِ وهـذا وَجْـهُ الصَّـواب، فكأنّـه قـال: الوَجْـهُ الذي يُـؤَدّي إلىٰ رضوان الله(١).

وتقدير الآية واتّصالها بما قبلها، كأنّه قال: لا يمنعكم تَخْرِيبُ مَـنْ خَرَّبَ المساجد أن تذكروه حَيثُ كُنتم من أيٍّ وَجهٍ، فله المَشْرِقُ والمَغْرِبُ والجِهاتُ كلُّها.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قال قوم: معناه غنيٌّ، فكأنّـه قـيل: واسع المقدور.

وقال الزجّاج: يـدلّ عـلىٰ التـوسعة للـناس فـيما رُخِّـصَ لهـم فـي الشريعة، فكأنّه قيل: واسع الرحمة فكذلك رخّص في الشريعة(٢).

ومعنىٰ القول الأوّل أنّه غنيٌّ عن طاعتكم، وإنّما يريدها لمنفعتكم.

وقال الجُبّائي: معناه واسع الرحمة.

والسَّعةُ والفَسْحَةُ والمُبَاعَدَةُ نظائر، وضِدُّ السَّعةِ: الضيقُ، يقال: وَسِع يَسَعُ سَعَةً، وأَوْسَعَ إِيْسَاعاً، وتَوَسَّع تَوَسُّعاً، واتَّسَعَ إتّساعاً، ووَسَّعَ تَوسِعَةً، والوُسْعُ: جِدَةُ الرَّجُلِ وقُدرةُ ذاتِ يَدِهِ، فرحمة الله وسعت كلّ شيء. وإنّه لَيَسَعُني ما وَسَعَكَ، وتقول: وَسَّعْتُ الوِعـاءَ فـاتَّسَعَ فـعل لازم، وكـذلك اسْتَوْسَعَ، وَوَسُعَ الفَرَسُ سَعَةً ووَساعَةً، فهو وَساعٌ، وأَوْسَعَ الرَّجُلُ: إذا كانَ

---

(١) خير من تعرّض لبحث الوجه السيد الشريف في أماليه ١: ٥٩٠ ـ ٥٩٣، بحار الأنوار ٨٤: ٢٨ ب ١٠ القبلة وأحكامها، ومن كتب اللغة المخصّص ١: ١٧٠ حيث جمع ما في المصادر من معاني، معجم المصطحات الكلاميّة ٢: ٣٩٤، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ٢: ١٤٣٠.

(٢) معاني القرآن للزجّاج ١: ١٩٨.

ذا سَعَةٍ في المالِ، فهو مُوْسِعٌ ومُوْسَعٌ عليه. وتقول: سَيْرٌ وسِيعٌ ووَساعٌ، وفي القرآن ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] أي: طاقتها.

وأصل الباب: السَّعَةُ، نقيض الضيق[2].

ومعنىٰ ﴿عَلِيمٌ﴾: أنّه عالم بوجوه الحكمة، فبادروا إلىٰ ما أمركم به من الطاعة.

وقيل: واسع الرحمة عليم أين يضعها علىٰ وجوه الحكمة.

ومعنىٰ (ثَمَّ): هناك، تقول لِما قَرُبَ منَ المكانِ: (هنا)، وما تَراخىٰ: (ثَمّ) و(هُناكَ)[3].

وإنّما بُني لأنّ فيه معنىٰ الإشارة إلىٰ المكان؛ لإبهامها، وبُنيَ علىٰ الحركة؛ لالتقاء الساكنين، وفُتح؛ لخفّة الفتحة في المضاعف.

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٨٦.

(٢) لضبط الموادّ «سعىٰ، فسح، بعد» روجعت المصادر التالية:

فللأُولىٰ: «سعىٰ» العين ٢ : ٢٠٢، جمهرة اللّغة ٢ : ٨٤٤، المحيط في اللّغة ٢ : ١١٤، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٢٢١، لسان العرب ١٤ : ٣٨٤، تاج العروس ١٩ : ٥٢٤.

وللثانية «فسح»: العين ٣ : ١٤٨، جمهرة اللّغة ١ : ٥٣٢، تهذيب اللّغة ٤ : ٣٢٧، المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ٢٠٥، المحيط في اللّغة ٢ : ٤٩٢، الصحاح في اللّغة ١ : ٣٩١، لسان العرب ٢ : ٥٤٣.

وللثالثة «بعد»: العين ٢ : ٥٢، جمهرة اللّغة ١ : ٢٩٨، تهذيب اللّغة ٢ : ٢٤٢، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٠، لسان العرب ٣ : ٨٩، تاج العروس ٤ : ٣٥٧.

(٣) لضبط كلمة «ثمّ» راجع: العين ٨ : ٢١٨، جمهرة اللّغة ١ : ٨٤، المحيط في اللّغة ١٠ : ١٣٣، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ١٣٣، الصحاح في اللّغة ٥ : ١٨٨٢.

ولكلمة «هناك» راجع: تهذيب اللّغة ٥ : ٣٧٣، المحيط في اللّغة ٤ : ٦٧، الصحاح في اللّغة ٦ : ٢٥٣٦.

وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾: جزم بـ﴿فَأَيْنَمَا﴾، والجواب ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، و﴿ثَمَّ﴾ موضعه النصب لكنّه بني على الفتح[١].

وقوله: ﴿أَيْنَمَا﴾ تكتب موصولة في أربعة مواضع ليس في القرآن غيرها هذه واحدة وفي النحل ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾[٢] وفي الأحزاب ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾[٣] وفي الشعراء ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾[٤] ومن الناس من يجعل معها التي في النساء ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾[٥] وكلُّها على القياس إلّا التي في الشعراء، فإنّ قياسها أنْ تكتب مفصولة؛ لأنّ (ما) اسم موصول بما بعده بمعنى الذي[٦].

قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (١١٦) آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده: ﴿قَالُوا﴾ بلا واو[٧].

---

(١) راجع معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٩٧.

(٢) سورة النحل ١٦ : ٧٦.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٦١.

(٤) سورة الشعراء ٢٦ : ٩٢.

(٥) سورة النساء ٤ : ٧٨.

(٦) لعلّ خير من جمع موارد استعمالها وكيفيّتها ـ أين، أينما، أين ما ـ المعجم في فقه لغة القرآن ٤ : ٣٨١ ـ ٣٨٨.

(٧) تعرّضت لذكرها أغلب كتب القراءات، منها: السبعة في القراءات: ١٦٩ ت ٤١، حجّة القراءات لابن زرعة: ١١٠، معاني القراءات للأزهري: ٦٠، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٢٠٢، وغيرها من مصادر القراءة.

والمعنيُّ بهذه الآية: النصارىٰ.

وقال قوم: النصارىٰ ومشركو العرب معاً، من حيث قالوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[1] هذا قول الزجّاج[2].

وفي هذه الآية دلالة علىٰ أنّه لا يجوز اتّخاذ الولد علىٰ وجهٍ من الوجوه؛ لأنّه إذا كان جميع ما في السماوات والأرض مُلكاً له فالمسيح عبدٌ مربوبٌ، وكذلك الملائكة المقرّبون صلوات الله عليهم أجمعين، و[3] لأنّ الولد لا يكون إلّا من جنس الوالد، ولا يكون المفعول[4] من جنس الفاعل، وكلّ جسمٍ فعلٌ لله، فلا مثل له ولا نظير علىٰ وجهٍ من الوجوه، تعالىٰ الله عن صفات المخلوقين[5].

---

(١) سورة التوبة ٩: ٣٠.

(٢) اختلف في عود ضمير ﴿وَقَالُوا۟﴾ علىٰ أنحاء: ١ ـ يعود علىٰ النصارىٰ، وهو اختيار الشيخ وآخرون. ٢ ـ عائد علىٰ النصارىٰ ومشركي العرب؛ إذ النصارىٰ قالوا: ﴿المسيح ابن الله﴾، ومشركو العرب قالوا: الملائكة بنات الله. ٣ ـ عائد علىٰ اليهود حيث قالوا: ﴿عُزير بن الله﴾. ٤ ـ عائد علىٰ مشركي العرب إذ قالوا: الملائكة بنات الله. والكلّ محتمل؛ لاتّحاد السبب، والثاني اختيار الزجّاج في معانيه ١: ١٩٨.

(٣) حرف الواو زيادة من النسخة «خ» تخلو منها الباقي.

(٤) في النسخ هنا زيادة «إلّا» ولا يمكن المساعدة عليها، بدلالة المعنىٰ والنسخة «خ»؛ إذ وجودها مقلق للمعنىٰ وقد يصل لحدّ التشبيه جلّ تعالىٰ عنه.

(٥) بحث كلامي حول الوحدانيّة الإلهيّة، وردّ ما يدّعيه النصارىٰ واليهود والمشركون من أنّ له تعالىٰ ولداً أو بنتاً أو أنّ الملائكة بناته، تعالىٰ عن ذلك، وقد بحث ذلك في المصادر التالية: نهج البلاغة جمعُ السيّد الرضيّ: ٢٧٣ خ١٨٦، منهاج البراعة ١١: ٨٦، نهج الصباغة ١: ٣١٢، إرشاد المؤمنين ٢: ٤٣٢، الملخّص للسيّد الشريف المرتضى ١: ٢٩١، مجمع الشتات ٣: ١٨، الردّ على النصارى لآل عيثان، الإلٰهيّات للشيخ السبحاني: ٤٥ ق٢، العقائد الإسلاميّة ١: ١٧٢، الرسائل ←

وقوله : ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ الأصل في القنوت : الدوام ، وينقسم أربعة أقسام : الطاعة ، كقوله : ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ أي : مطيعون ، والقنوت : الصلاة ، كقوله : ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1] ، والقنوت : طول القيام . وروىٰ جابرُ بنُ عبدالله قال : سُئل النبيّ صلى الله عليه وآله : أيّ الصلاة أفضل ؟ فقال : (طول القنوت) ، (معناه : القيام)[2][3] .

ويكون القنوت : السكوت ، كما قال زيد بن أرقم[4] : كنّا نتكلّم في

الكلاميّة ضمن موسوعة العلّامة البلاغي ٦ : ١٨٥ ، الميزان في تفسير القرآن ١ : ٢٦١ ، هداية الأُمّة للخراساني ٥٦٨ ـ ٥٦٩ ، الرحلة المدرسيّة : ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، ميزان الحكمة ١ : ١٩٠٣ ، مختصر تفسير الأمثل ١ : ١٠١ ، العقائد الإسلاميّة لمحمّد جواد مالك : ١٤٠ ، جامع البيان ٢ : ٤٦١ ، التفسير الكبير للطبراني ١ : ٢٣٣ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ١٣٠ ، معالم التنزيل ١ : ١٢٤ ، تفسير الكشّاف ١ : ٣٠٧ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٣٣٨ ، وبتفصيلٍ في شرح المقاصد ٥ : ٧١ ، الفائق في أُصول الدين : ١١٠ ـ ١١١ و٥١٣ ـ ٥١٥ ، وغيرها من الموارد ، اليواقيت والجواهر ٢ : ٣٩٢ م٣٩ ، تمهيد الأوائل : ١١٣ ، وغيرها كثير .

(١) سورة آل عمران ٣ : ٤٣ .

(٢) المحصورة زيادة من النسخة «خ» تخلو منها البواقي ، مؤيّدة بتهذيب اللّغة للأزهري ٩ : ٥٩ ، ولعلّ غيره أيضاً .

(٣) مصادره متّحدة مع هامش ٢ في الصفحة التالية .

(٤) زيد بن أرقم بن قيس الخزرجيّ الأنصاريّ ، فاضح المنافقين ، له صحبة روىٰ عن النبيّ صلى الله عليه وآله و غزا معه صلى الله عليه وآله سبع عشرة غزوة بعد أُحد ، وسكن الكوفة ، وصحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتّىٰ عُدّ من خواصّه ، واشترك في صفّين . روىٰ عنه جمع منهم : ابن عبّاس ، أنس بن مالك ، السبيعيّ ، وغيرهم ، لبّىٰ نداء ربّه الكريم عام ٦٨ هـ ، وقيل غيرها .

لترجمته راجع : تنقيح المقال ٢٩ : ١٠٣ ت ٨٧٢٢ ومصادره ، تاريخ مدينة دمشق ١٩ : ٢٥٦ ت ٢٣٥٨ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ١٦٥ ت ٢٧ ففيها ومصادرها الكفاية .

الصلاة حتّىٰ نزلت ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[١] فأمسكنا عن الكلام[٢][٣].

وقيل في (قانتون) هاهنا ثلاثة أقوال:

[الأوّل][٤] قال مجاهد: معناه: مطيعون، وطاعة الكافر في سجود ظلّه.

وقال ابن عبّاس: مطيعون[٥].

الثاني: قال السُّدّي: كلٌّ له مطيعون يوم القيامة.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٣٨.

(٢) رويت في غير واحد من مصادر الحديث، بل حتّىٰ بعض اللّغويّات استندت لها، راجع: أحكام القرآن للشافعيّ ١: ٨٩، أحكام القرآن للجصّاص ١: ٤٤٥، معاني القرآن للنحّاس ١: ٢٤٠ ت ١٦٢ و: ٣٩٨ ت ٥٥، صحيح مسلم ١: ٣٨٣ ت ٥٣٩ و٥٢٠ ت ١٦٤، تفسير التستريّ: ٤١، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ٢: ٤٤٩ ت ٢٣٧٧، نزهة القلوب: ١٧، غريب الحديث للسجستانيّ: ٢٨٧، الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ١٦٣ ـ ١٦٤، غريب الحديث لابن سلّام ٣: ١٣٤، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤: ٩٧ ـ ٩٨، مجمع البحرين ٣: ١٥١٥ «قنت» فيها، سنن ابن ماجة ١: ٤٥٦ ت ١٤٢١، المبسوط للسرخسي ١: ١٥٨، سنن الترمذي ٢: ٢٢٩ ت ٣٨٧، مسند ابن الجعد: ٣٥٥ ت ٢٤٥٩.

(٣) لضبط المادّة «قنت» راجع المصادر التالية: العين ٥: ١٢٩، تهذيب اللّغة ٩: ٥٩، جمهرة اللّغة ١: ٤٠٨، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٣٣٨، الصحاح ١: ٣٦١، لسان العرب ٢: ٧٣، تاج العروس ٣: ١٠٩، وغيرها كثير.

(٤) أُضيفت منّا للتنظيم، والسياق دالٌّ عليها.

(٥) تجد الآراء في: تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢١٣ ت ١١٢٨ ـ ١١٣٠، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٦٤، التفسير البسيط للواحديّ ٣: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، تفسير معالم التنزيل ١: ١٤٤، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٤: ٢٧، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ٢٣٣، غريب الحديث لأبي عبيد ١: ٤٣٨، تأويل مشكل القرآن: ٤٥ ت ٦، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٩٨، تفسير مجاهد «جمع»: ٢١٢، صحيفة علي ابن أبي طلحة: ١١٥.

وقال الربيع : كلٌّ قائم له يوم القيامة[١] .

الثالث : قال الحسن : كلٌّ قائم له بالشهادة أنّه عبدٌ[٢] .

وقالت فرقة رابعة ـ وهو الأقوىٰ ـ : كلٌّ دائم علىٰ حالة واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة والدلالة علىٰ الربوبيّة[٣] .

وزعم الفرّاء : أنّها خاصّة لأهل الطاعة ، بدلالة أنّا نجد كثيراً من الخلق غير طائعين[٤] .

وعلىٰ ما اخترناه لا يحتاج إلىٰ التخصيص .

وأمّا القنوت في اللّغة[٥] فقد يكون بمعنىٰ : الطاعة ، تقول : قَنَتَ يَقْنُتُ قُنُوتاً فهو قانِتٌ : إذا أطاع .

وقال صاحب العين : القنوت في الصلاة دعاءٌ بعد القراءةِ في آخر الوتر ، يدعو قائماً ، ومنه قوله : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا

---

(١) ذُكرت آراؤهما ـ السُّدّيّ والربيعُ ـ في تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢٤١ ت ١١٣٣ ، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٤٦٢ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٧٨ ، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٤ : ٢٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ : ١٦٥ ، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢ : ٤٢٠ .

(٢) تجد رأيه في : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٧٣ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٤٠ ، تفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١ : ٤١٣ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٨٦ .

(٣) ذهب إلىٰ ذلك غير واحد من المفسّرين ، وهو اختيار الشيخ أيضاً ، وراجع : تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٤٦٣ ، تفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١ : ٤١٣ ، معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٩٨ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٨٦ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٧٤ ، وتفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١ : ٤١٣ ، وراجع : تفسير جامع البيان ٢ : ٤٦٤ بدون نسبةٍ ، وفيه ردّ عليه .

(٥) تقدّمت مصادر اللّغة المعتمدة في صفحة ٣٣٦ هامش ٥ ، ونزيد هنا : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ٢٦١ ، مجمل اللّغة ٣ : ٧٣٤ ، معجم مقاييس اللّغة ٥ : ٣١ .

وَقَآئِمًا﴾[١] والقنوت والدعاء: قيام في هذا الموضع[٢].

وقيل في قوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[٣] أي خاشعين.

وقال ابن دريد: القنوت: الطاعة[٤].

وقال أبو عبيدة: القانتات: الطائعات[٥].

والقنوت في الصلاة: طول القيام علىٰ ما قاله المفسّرون في قوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[٦].

وأصل الباب: المُداومة علىٰ الشيء.

قوله تعالىٰ:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (١١٧) آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر ﴿فَيَكُونَ﴾ نصباً، الباقون بالرفع[٧].

---

(١) سورة الزمر ٣٩: ٩.

(٢) العين ٥: ١٢٩ (قنت).

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٣٨.

(٤) جمهرة اللغة ١: ٤٠٨.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢: ٢٦١.

(٦) راجع هامش ٥ المتقدّم صفحة ٢٣٦. ونزيد هنا: الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ١٦٣، وغير واحدٍ من التفاسير منها: البسيط للواحديّ ٣: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، أحكام القرآن للشافعيّ ١: ٥٧٩، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ ٣: ٢١٤، وغيرها.

(٧) جاء ذلك في أغلب كتب القراءات، وأنّ هذا رأيه في الموارد الستّة الواردة في المصحف الشريف: هذه، وفي آل عمران ٣: ٤٧، والنحل ١٦: ٤٠، ومريم ١٩: ٣٥، ويس ٣٦: ٨٢، وغافر ٤٠: ٦٨.

بَدِيعٌ بمعنىٰ : مُبْدِعٌ ، مثل أَلِيْمٌ مُؤْلِمٌ ، وسَمِيعٌ بمعنىٰ مُسْمِعٌ ، وبينهما فرق ؛ لأنّ في بَديع مُبالَغَةً لَيْسَ في مُبْدِع ، ويَسْتَحِقُّ الوصف في غير حال الفعل علىٰ الحقيقة ، بمعنٰ أَنَّ مِنْ شَأنِه الإنشاء ؛ لأنّه قادِرٌ عَلَيْهِ ، ففيه مَعْنىٰ مُبْدع .

وقال السُّدّيُّ : تقول : ابتدعها فَخَلَقَها ولَمْ يَخْلُقْ قَبْلَها شَيْئاً تَتَمَثَّلُ بِهِ[١] .

والابْتِداعُ والاخْتِراعُ والإنْشاءُ نظائر ، وضِدُّ الابْتِداع : الاحْتِذاءُ علىٰ مِثالٍ ، يقال : أبْدَعَ إِبْداعاً ، وابْتَدَعَ ابْتِداعاً ، وَبَدَّعَ تبْدِيعاً .

وقال ابن دُرَيْد : بَدَعْتُ الشَّيءَ إذا أنْشَأْتَه ، والله ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي : مُنْشِؤُهُما ، وبَدَعْتُ الرِكيّ : إذا اسْتَنْبَطْتَها ، وَرَكِيٌّ بَدِيْعٌ أي : جديدة الحفر[٢] ، ولَستُ بِبَدَعٍ في كذا ، أي : لستُ بأوّلِ مَنْ أَصابَهُ هـذا ، ومِنْهُ قوله : ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٣] ، وكلُّ من أحْدَث شَيْئاً فَقَد ابتدعه ، والاسم البِدْعَةُ ، وأُبْدِعَ بالرَّجُلِ إذا كَلَّتْ راحِلَتُهُ وانْقُطِعَ به[٤] .

ﮩ راجع : الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٢٠٣ ، الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٦ ، المفتاح في اختلاف القَرَأَة : ١١٩ ، الموضح في وجوه القراءات السبع ١ : ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ت ٤٢ ، التيسير في القراءات السبع : ٧٦ ، وغيرها كثير .

(١) تقدّم كراراً أنّ تفسير السُّدّي لا زال في الخبايا لا يُعرف عنه شيء إلّا ما نعرفه من المصادر ، وقد أُعيد بناؤه أخيراً . وعلىٰ أيٍّ راجع : تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ، تفسير الدرّ المنثور ١ : ٥٧٣ .

(٢) في النسخ : «جديد الحفر» وفي المصدر حديثة الحفر ، ولعلّه الأنسب ؛ لأنّ الرَّكِيَّة مؤنّث ، وهي البئر ، ومعه المناسب للتأنيث المثبت .

(٣) سورة الأحقاف ٤٦ : ٩ .

(٤) جمهرة اللّغة ١ : ٢٩٨ «بَدَعَ» .

وقوله: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1] أي: ما كُنْتُ بأوّل مُرْسَلٍ.

والبِدْعَةُ[2]: ما ابْتُدِعَ مِنَ الدِّين وغَيْرِه، وجَمْعُها بِدَعٌ[3]، وفي الحديث: «كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»[4] وتقول: جئت بأمر بديع، أي: مُبْتَدَعٍ عَجِيبٍ، وأُبْدِعَتِ الإبِلُ: إذا تُرِكَتْ في الطَّرِيق من الهزَلِ.

وأصل الباب: الإنْشاءُ.

وقوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: إذا خَلَقَ أمراً، كما قال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى

---

(١) سورة الأحقاف ٤٦: ٩.

(٢) بحث كلامي فقهي طويل عريض لا يسمح سيف الهامش التعرّض له وبكافّة أبعاده، ولكن للمعرفة نحيل القارئ العزيز لجملة من المصادر المتعرّضة له وبتفصيلٍ، راجع: البدعة مفهومها حدّها وآثارها وموردها للشيخ جعفر السبحانيّ، البدعة: دراسة موضوعية لمفهوم البدعة على ضوء منهج أهل البيت للمرحوم الدكتور جعفر الباقريّ ت ١٤٣٤هـ، البدعة مفهومها وحدودها للمرحوم محمّد هادي الأسديّ ت ١٤٣٧هـ، صلاة التراويح سُنّة مشروعة أو بدعة محدثة للطبسيّ، الموسوعة الفقهيّة الميسّرة ٦: ٣١٢ ـ ٣٣١ بتفصيلٍ، موسوعة الفقه الإسلامي ٢٠: ٩٩ ـ ١٣٦، دائرة معارف العالم الإسلامي ٢: ٥٠٨ ـ ٥١٢، معجم المصطلحات الكلاميّة ١: ١٧١، النصّ والاجتهاد للسيّد شرف الدين ت ١٣٧٧ هـ، فقد ذكر له‌ﷺ عدّة موارد ابتداءً من ت ١٨: ١٦٢، وإلى ت ٣١: ٢٢٤ وكذا ما بعدها فراجع، الموسوعة الكويتية ٨: ٢١ ـ ٤١، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون ١: ٣١٣ ـ ٣١٤.

(٣) مادّة «بدع» روجعت المصادر اللغويّة التالية لضبطها: العين ٢: ٥٤، جمهرة اللّغة ١: ٢٩٨، تهذيب اللّغة ٢: ٢٤، معجم مقاييس اللّغة ١: ٢٠٩، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٣٣، المحيط في اللّغة ١: ٤٢٩، الصحاح في اللّغة ٣: ١١٨، المخصّص ٤: ٥٤٥ و٧: ٥٣١.

(٤) الحديث ذُكر ضمن المصادر التي ذُكرت للبدعة، ومع ذلك راجع: الكافي ١: ٥٦ـ ٥٧ أحاديث الباب، وخصوصاً ٨ و١٢، صحيح مسلم ٢: ٥٩٢ ت ٨٦٧، مسند أحمد ٥: ١٠٩ ت ١٦٦٩٤، سنن ابن ماجة ١: ١٧ ت ٤٥، وغيرها كثير.

يَوْمَيْنِ﴾[1] أي : خلقهنّ ، وهو اختيار البلخيّ والرمانيّ والجبّائيّ .

والثاني : حَتَمَ بأنْ يفعل أمراً وحكم . وقيل : أَحْكَمَ أمراً كما قال أبو ذُؤَيْب :

وَعَلَيْهِما مَسْرودَتان قَضاهُما ... داودُ أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ[2] [٤٢٤]

قضاهما : أحكمهما .

والقَضَاءُ والحُكْمُ نظائر ، يقال : قَضَىٰ يَقْضِي قَضَاءً ، واقْتَضَىٰ اقْتِضَاءً ، وتَقَاضَيا تَقَاضِياً ، وانْقَضَىٰ انْقِضَاءً .

قال صاحب العين : قَضَىٰ يَقْضِي قَضَاءً وقَضِيَّةً ، يعني : حكم ، وتقول : قَضَىٰ إليْه عَهْداً ، معناه : أَوْصَىٰ إليه ، ومنه قوله : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[3] ، و﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾[4] أي : أتىٰ عَلَيْهِ .

والانْقِضاءُ : فناء الشيء وذهابه ، وكذلك التَقَضِّي[5] .

---

(١) سورة فصّلت ٤١ : ١٢ .

(٢) لأبي ذُؤَيْب الهُذَلي ـ وتقدّمت ترجمته في ٢ : ١٢٦ ـ وهو من قصيدة يؤبن بها أولاده ـ قيل : الخمسة أو السبعة ـ المتوفين في طاعون الشام . وفيها جملة من خير أبيات حكميّة قالتها العرب .

المعنىٰ : المسرودتان : الدرعان المنظومتان ، السرد : الخرز في الأديم ، الصنع : الحاذق بالعمل ، السوابغ : جمع سابغة الواسعة .

الشاهد : استعماله قضاها بمعنىٰ : أحكمها .

راجع : ديوان الهـذليّين ١ : ١٩ ق ١ ب ٦٤ ، المفضّليات : ٤١٩ ق ١٢٦ ب ٦١ ، مجاز القرآن ١ : ٥٢ ، تأويل مشكل القرآن : ٤٤١ ، المعاني الكبير ٢ : ١٠٣٩ ب البيض والدروع آخره : ١٠٢٩ ، جمهرة أشعار العرب ٢ : ٦٨٣ ق ١٢٩ ب ٦٤ ، سرّ صناعة الإعراب ٢ : ٧٦ ، وأغلب مصادر اللغة الآتية في هامش ٤ اللّاحق .

(٣) سورة الإسراء ١٧ : ٤ .

(٤) سورة الزمر ٣٩ : ٤٢ .

(٥) لضبط المادّة «قضىٰ» وبيت الشاهد أعلاه ـ ت ٤٢٤ ـ روجعت المصادر التالية :

وأصل الباب: القضاء.

والفصل والقضاء ينصرف على وجوه: منها: الأمر كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1] أي: أَمَرَ.

ومنه: الخَلْق كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ﴾[2] أي: خلقهنّ.

ومنه: الإِخْبار والإِعْلام كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾[3] أي: أخبرناهم.

ومنه: الفَصْل، قَضَىٰ القاضي بين الخَصْمين أي: فَصَلَ الأمر بينهما[4].

ومعنىٰ قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: أنّه بمنزلة المِثْل، ومعناه: أنّ مَنْزِلَةَ الفِعْلِ له في السهولة وانتفاء التعذّر كمنزلة ما يقال له: كن فيكون، كما يقال: قال فلان برأسه كذا وقال بيده: إذا حرّك رأسه وأومأ بيده، ولم يقل شيئاً في الحقيقة، وقال أبو النجم:

تهذيب اللّغة ٩: ٢١١، معجم مقاييس اللّغة ٥: ٩٩، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٤٨٢، المخصّص ٦: ٤٨، الصحاح ٦: ٢٤٦٣ ومن المحقّقة ٦: ٤٧١. وانظر: العين ٥: ١٨٥، المحيط في اللّغة ٥: ٤٦٢.

(١) سورة الإسراء ١٧: ٢٣.

(٢) سورة فصّلت ٤١: ١٢.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٤.

(٤) مع كثرة التتبّع لم نجد من نسب الأقوال والمعاني لأحدٍ، لكن تعرّض لها غير واحدٍ، بعضهم اختصاراً وبعضهم تفصيلاً، راجع: روضة الواعظين للفتّال ١: ٩٢ ضمن ب الكلام في خلق الأفعال، وابن حجر في فتح الباري ٨: ٣١٣، والمجلسيّ في بحار الأنوار ٥: ١٢٧ حاكياً عن شرح تجريد العلّامة: ٣١٥، والتجريد، ٢٠٠.

والمفصّلين منهم: الدامغانيّ في الوجوه والنظائر: ٦٣٨، وهارون بن موسىٰ القارئ في الوجوه والنظائر: ٣٢٦، ومقاتل البلخيّ في الأشباه والنظائر: ٢٩٤.

قد قَالَتِ الأنْسَاعُ لِلْبَطْنِ ٱلْحَقِ [٤٢٥]

قِدْماً فَآضَتْ كالفَنِيْقِ ٱلْمُحَنَقِ[1]

وقال عمرو بن حُمَمَة الدَوْسِيّ[2]:

فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ [٤٢٦]

إذا رَامَ تَـطْيَاراً يُقَـالُ لَـهُ: قَعْ[3]

---

(١) البيت لأبي النجم الفضل بن قدامة العجليّ، وتقدّمت ترجمته في ١ : ١٠٣.

المعنىٰ: الأنساع جمع نِسع: وهو السير الذي تشدّ به الرحال وغيرها علىٰ ظهر النوق والجمال. الفَنَيْقُ: المنعّم من كلّ شيء، يقال: جارية فنيق، أي: جارية منعّمة مكرمة لا تؤذىٰ ولا تمتهن، وقيل: هو مختصّ بالإبل والنوق، أو خصوص الفحل الذي لا يؤذى ولا يُركب. المُحَنَق: الضامر اللازق البطن بالصُلب، وقيل: المُغيّظ من الحنق والغيظ، ولا يناسب الشاهد.

الشاهد: تصوير الشاعر أنّ الأنساع تأمر وتتكلّم، في حين أنّها لا لسان لها، وإنّما هو حكاية حال، وأنّه علىٰ سبيل التمثيل لا غير.

راجع: إضافةً للديوان «جمع الجُبيليّ»: ١٦٥ بيت ١٨ و١٩ من قصيدته الرجزيّة: ٦٨، وقد استشهد به غير واحدٍ من المفسّرين إضافةً للتبيان ومجمع البيان ١ : ٣٨٥، منهم: الطبريّ في تفسير جامع البيان ٢ : ٤٦٩، والزمخشريّ في الكشّاف ١ : ٣١٥ و٢ : ٥٣٠، وأبو حيّان في تفسير البحر المحيط ١ : ٥٨٤، و٥ : ٢١٩.

وكذلك غير واحد من اللغويّين، منهم: الأزهريّ في تهذيب اللّغة ٤ : ٦٧، وابن سيده في المخصّص ٣ : ٣٧٢، والزمخشريّ في أساس البلاغة ١ : ٩٧، و٢ : ٩١ ضمن مادّتي «حنق وقول»، وغيرهم في غيرها.

(٢) عمرو بن حُمَمَة بن رافع بن الحارث الأزديُّ الدَّوْسِيُّ، أحد حُكّام العرب في الجاهليّة وشعرائهم، وأحد المعمّرين، إذ أجمع من ترجمه علىٰ أنّه عاش (٣٩٠) سنة، وهو ذو الحلم الذي يُضرب به المثل، قيل: إنّه وفد علىٰ النبيّ الأكرم.

راجع: الإصابة ٢ : ٥٣٣ ت ٥٨١٤، معجم الشعراء الجاهليّين: ٢٤٣ وغيرهما.

(٣) الشاعر يتبرّم من طول عمره، واصفاً حالته بأنّه أصبح مشوّشاً لا قرار له وبمجرّد أن يسمع صوتاً يفرق فزعاً، إذ قد أفناه الهرم، وحناه حتّىٰ أنّه يُدخل رأسه بين ركبتيه عند السير.

ﷲ

وقال آخر:

[٣٦٢] امْـتَلأَ ٱلْـحَوْضُ وَقَـالَ: قَـطْنِي مَـهْلاً رُوَيْـداً قَـدْ مَـلأْتَ بَـطْنِي[١]

وقال آخر:

فَقَالَتْ لَه العَيْنَانِ: سَمْعاً وَطَاعَةً وَحَــدَّرَتَا كَـالْدُّرِ لَـمّا يُـثَقَّب[٢] [٤٢٧]

وقال العجاج يصف ثوراً:

[٤٢٨]
وَفِيهِ كَالأَعْراضِ لِلْعُكُورِ
فَكَرَّ ثُمَّ قَالَ فِي ٱلتَفْكِيرِ:
إنّ الحَياةَ اليَوْمَ فِي الكُرُورِ[٣]

الشاهد فيه: يقال له: قع، فإنّه لا قول حقيقي هنا، وإنّما هي محاولة تصوير طيران ووقوع.

هذا، وقد اختلف في نسبته بين عمرو بن حُمَمَة، وعامر بن الظرب.

علماً أنْ ليس للشاعر ديوان، مجموع، لكنّه استشهد به في غير واحدٍ من التفاسير، منها: تفسير جامع البيان ٢: ٤٦٩، تفسير النكت والعيون ١: ١٧٩ ت ٢٣٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٩١، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢: ٤٣ ت ٧٦٤.

ومن كتب الأدب: أسرار البلاغة للجرجانيّ: ١٨٩، مجمع الأمثال للميدانيّ ١: ٦٢ ـ ٦٥ ت ١٤٦، أنوار الربيع ٣٠٠ ـ ٣٠١ وأغلب من ترجمه ذكره.

(١) تقدّم الشاهد برقم ٣٦٣ صفحة ١٥٠ حتّىٰ أنّ مورد الشاهد هناك قريب من هنا، ونضيف هنا بعض المصادر الأخرىٰ، مثل: المقاصد النحوية ١: ٣٦١، معجم مقاييس اللّغة ٥: ١٤، تهذيب اللّغة ٨: ٢٦٤، العين ٥: ١٤، تاج العروس ١٠: ٣٨٤، متشابه القرآن: ١٠٨.

(٢) مع كثرة التتبّع لم نجد من نسبه علىٰ الرغم من كثرة الاستشهاد به من غير واحد، مثل الباقلانيّ في الانتصار ٢: ٧٨٨، ابن جنيّ في الخصائص ١: ٢٣، وابن يعيش في الإنصاف ١: ١٣٠ ت ٨١، والقاضي عبدالجبّار في متشابه القرآن: ١٠٨، وابن الشجريّ في أماليه ٢: ٥١، وابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٥٦٢، وغيرهم في غيرها.

(٣) وهذا خامس الشواهد علىٰ الرأي الأوّل، وهو نسبة ما لا يصدر إلّا عن العاقل لغير

والوجه الآخر : أنّه علامة جعلها الله للملائكة إذا سمعوها علموا أنّه أحدث أمراً .

وكلاهما حسن ، والأوّل أحسن وأشبه بكلام العرب وعادة الفصحاء ، ونظيره قوله : ﴿**فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[1] .

وهو الذي اختاره البَلخِيّ والجُبّائيّ[2] والرمّانيّ وأكثر المفسّرين .

وقد قيل في ذلك أقوال فاسدة لا يجوز المعوّل عليها :

منها : أنّ الأمر خاصّ في الموجودين الذين قيل لهم : ﴿**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾[3] ومن جرىٰ مجراهم ؛ لأنّه لا يؤمر المعدوم عندهم .

ومنها : أنّه أمر للمعدوم من حيث هو لله معلوم ، فصحّ أن يؤمر فيكون .

ومنها : أنّ الآية خاصّة في الموجدات من إماتة الأحياء وإحياء الموتىٰ وما جرىٰ مجرىٰ ذلك من الأمور .

العاقل .

المعنىٰ : العَكْرُ : العطف ، يقال : عَكَرَ عَلَىٰ الشيء يَعْكُر عُكُوراً : إذا عطف ورجع ، الكرور : التكرار والرجوع علىٰ الشيء بعد تجاوزه .

راجع : ديوان العجاج ١ : ٣٦٥ ق الرجزية ١٩ ش ١٣٠ ـ ١٣١ ، وقد اختلفت في ترتيبها بما لا يضرّ الشاهد .

وراجع : الحجّة لأبي علي ١ : ٣٣١ و٣٤٢ و٢ : ٢٠٤ .

ملاحظة : أجمع من وجدته تعرّض لذلك ابن الشجريّ في أماليه ٢ : ٤٧ ـ ٥١ ، مجلس ٣٨ .

(١) سورة فصّلت ٤١ : ١١ .

(٢) «والجُبّائيّ» أُضيف من النسخة المعتمدة «خ» فقط .

(٣) تقدّم الكلام حولها في ٢ : ٣٩٩ ضمن الآية ٦٥ من سورة البقرة .

وإنّما قلنا بفساد هذه الأقوال ؛ لأنّه لا يحسن أنْ يؤمر إلّا من كان عاقلاً مميّزاً يقدر علىٰ ما أُمر به ويتمكّن من فعله ، وجميع ما ذكروه بخلافه ؛ لأنّ المعدوم ليس بحيّ ولا عاقل فلا يصحّ أمره ، ومن كان موجوداً لا يجوز أن يؤمر أن يكون قردة ؛ لأنّ المعاني التي تكون كذلك ليس في مقدوره ، وكذلك القول في الإماتة والإحياء .

وتأويل قوله : ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ قد بيّنّاه فيما مضىٰ[1] .

وقال بعضهم : إنّه أمر للموجود في حال كونه ، لا قبله ولا بعده ، وإنّه مثل قوله : ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[2] وإنّ دُعاءَ اللهِ إيّاهم لا يتقدّم خروج القوم من قبورهم ، ولا يتأخّر عنه[3] .

وهذا فاسد ؛ لأنّ من شرط حسن الأمر أن يتقدّم المأمور به ، وكذلك القول في الدعاء ، فلا يَسْلَم ما قالوه .

وتأويل ما استشهدوا به علىٰ ما بيّنّاه في الآية سواء في أنّه إخبار عن تسهيل الفعل وسرعة وقوعه وإرادته ، لا أن يكون هناك دعاء علىٰ الحقيقة .

ثمّ يلزم علىٰ جميع ما ذكروه أن تكون الأشياء مطيعة لله تعالىٰ ؛ لأنّ الطاعة هي متابعة الأمر من الأشياء التي قال لها : ﴿كُونِى﴾[4] بأن فعلت نفسها ، ويلزم أن يكون لها عقل وتمييز ، وكلّ ذلك فاسد .

فأمّا من استدلّ بهذه الآية ونظائرها علىٰ أنّ كلام الله قديم من حيث

---

(١) تقدّم في ٢ : ٣٩٩ ، فراجع .
(٢) سورة الروم ٣٠ : ٢٥ .
(٣) يظهر أنّ هذا اختيار الطبريّ في تفسيره ٢ : ٤٦٩ ـ ٤٧٠ .
(٤) سورة الأنبياء ٢١ : ٦٩ .

إنّه لو كان محدثاً لاقتضىٰ أن لا يحصل إلّا بـ ﴿كُن﴾[1]، والكلام في (كن) كالكلام فيه إلىٰ أن ينتهي إلىٰ (كن) قديمة، وهو كلام الله القديم، فقد أبطل؛ لأنّا بيّنّا معنىٰ الآية[2] فلا يصحّ ما قالوه، علىٰ أنّ الآية تقتضي حدوث كلامه من حيث أخبر أنّ المكوّنات تكون عقيب (كن) لأنّ الفاء توجب التعقيب، فإذا كانت الأشياء محدثة فيما يتقدّمها بوقتٍ واحد لا يكون إلّا محدثاً، فبطل ما قالوه.

وأيضاً فإنّه قال: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ ومعناه: خلق، فبيّن أنّه يخلق الأمر، وقوله: ﴿كُن﴾ أمر يوجب أن يكون محدثاً[3].

---

(١) متكرّرة في عدّة موارد، منها: سورة البقرة ٢: ١١٧، سورة آل عمران ٣: ٤٧ و٥٩، سورة الأنعام ٦: ٧٣، سورة النحل ١٦: ٤٠، وغيرها.

(٢) راجع: صفحة ٣٤٢.

(٣) بحث قدم كلام الباري تعالىٰ أو حدوثه ينسحب إلىٰ أنّه مخلوق أم قديم. وهو بحث طويل عريض منشعب؛ إذ لكلّ اتّجاه عقديّ رأي ودليل. نعم، يظهر اتّفاقهم أنّه من الصفات الثبوتيّة مستندين غالباً علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، نعم اختلفوا في الكيفية هل هي بالألفاظ والجمل أو بالدلالات والخلقة، ثمّ يقسّمون الكلام إلىٰ تكويني وتشريعي، والكلام يجرّ الكلام إلىٰ أن تصل النوبة إلىٰ قضية خلق القرآن أو قدمه، وهو ما يسمّىٰ بحوادث أعوام ٢١٨ وما بعدها، حيث جرىٰ فيها ما جرىٰ علىٰ المحدّثين والعلماء ممّن امتنع من مسايرة المأمون فيما اختاره، فبعض أجاب وساير، وبعض امتنع وتحمّل المشاقّ والسجن والسياط، وعلىٰ كلٍّ فإنّ الكلام طويل عريض، فالإحالة علىٰ المصادر الجامعة أولىٰ رعايةً لحقّ الهامش وسيفه المسلّط.

راجع: معجم العناوين الكلامية: ١١٥ ـ ١١٧، مدخل «كلام»، شرح المصطلحات الكلامية: ٢٩١ ت ١٠٠٨، ونضيف عليهما هنا: نهج البلاغة بتحقيق السيد الميلاني: ٣٢٣ ح ١٨٦، وشروحه مثل: نهج الصباغة ١: ٣١٩، منهاج البراعة ١١: ٥٤ ـ ١٣٦ ت ١٨٥، إرشاد المؤمنين ٢: ٤١٧ ـ ٤٤٣، وغيرها، ←

ودلّت الآية علىٰ نفي الولد عن الله من وجهين :

أحدهما : أنّ الذي ابتدع السماوات والأرض من غير مثالٍ هو الذي ابتدع المسيح من غير والدٍ .

والآخر : أنّ من هذه صفته لا يجوز عليه اتّخاذ الولد ، كما لا يجوز عليه صفات النقص ، تعالىٰ عن ذلك . وإذا حملنا الآية علىٰ وجه المثال فوجود الخلق هو كقوله : ﴿كُن﴾ إلّا أنّه خُرّج[1] علىٰ تقدير فعلين ، كما يقال : إذا تكلّم فلان بشيء فإنّما كلامه مباح ، وإذا أمر بشيء فإنّما هو حتم ، وكما قال : تاب فاهتدىٰ فتوبته هي اهتداؤه ، فلا يتعذّر أن يقال : كن قبله أو معه .

ومتىٰ حملنا ذلك علىٰ أنّه علامة للملائكة فإنّه يحتمل أن يكون معه ، ويحتمل أن يكون قبله ، كما تقول : إذا قدم زيد قدم عمرو ، فإنّه يحتمل أن يكون (قدومهما معاً أو أن يكون قدوم زيد أوّلاً .

والأصل في ﴿وَإِذَا﴾ أن يكون)[2] وقتاً للأمرين معاً إلّا أنه أشبه الشرط ، كقولك : إن جئتني أعطيتك ، ولذلك دخلت الفاء في الجواب كما تجيء في الشرط ، كقوله : ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾[3]

↩ وأيضاً الملخّص في أُصول الدين للسيد الشريف المرتضىٰ : ٤٢٨ ، غاية المرام في علم الكلام : ١٠٤ ـ ١٠٥ ، أبكار الأفكار للآمديّ ١ : ٢٦٥ ، الفائق في أُصول الدين للملاحيّ : ١٨٨ .

ولحوادث المحنة راجع : سير أعلام النبلاء ١١ : ٢٣٩ ، سُلّم الوصول إلىٰ طبقات الفحول ١ : ٢١٠ ت ٥٦٧ ، تاريخ مدينة السلام ١٥ : ٤٤٤ ت ٧٢٤٩ بتفصيل ، وهكذا كُلُّ من ترجم لأحمد بن حنبل فقد تعرّض لذلك ، أضف مصادر التاريخ ضمن حوادث عام ٢١٨ هـ .

(١) في نسختي «ؤ ، هـ» أخرج ، والمثبت من «خ» ، ولعلّ لكلٍّ وجهاً .

(٢) المحصورة أُثبتت من النسخة «خ» فقط .

(٣) سورة يوسف ١٢ : ٧٧ .

وكذلك تحتمل الآية الأمرين.

ورفع قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون عطفاً علىٰ يقول.

والآخر: علىٰ الاستئناف، أي: فهو يكون.

ونصبه علىٰ جواب الأمر فلا يجوز؛ لأنّه إنّما يجب الجواب بوجود الشرط، فما كان علىٰ فعلين في الحقيقة كقولك: ائتني فأكرمك، فالإتيان غير الإكرام، فأمّا ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فالكون الحاصل هو الكون المأمور به، ومثله: إنّما أقول له: ائتني فيأتيني.

وقال أبو علي الفارسي: يجوز ذلك علىٰ وجه، وهو علىٰ أنّ لفظه لمّا كان لفظ الأمر نُصبَ كما نُصبَ في جواب الأمر [وإن][1] كان الأمر بخلافه كما قال أبو الحسن في نحو قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2] [ونحو ذلك من][3] الآي علىٰ أنّه أُجري مجرىٰ جواب الأمر وإن لم يكن جواباً له في الحقيقة، وقد يكون اللفظ علىٰ شيء والمعنىٰ علىٰ غيره نحو قولهم: ما أنت وزيد، والمعنى: لِمَ تؤذيه، وليس ذلك في اللفظ، ومثله ﴿فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ ليس ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ جواباً لقوله: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ ولكن معناه: يعلّمون فيتعلّمون، أو يعلّمان فيتعلّمون منهما، غير أنّ قوله: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ نهي علىٰ الحقيقة. وليس قوله: ﴿كُن﴾ أمراً علىٰ الحقيقة، فمن هاهنا ضُعّفت هذه القراءة[4].

---

(١) بدل ما بين المعقوفين في النُّسَخ كلّها: «فإن». والمثبت كما في المصدر.

(٢) سورة إبراهيم ١٤ : ٣١.

(٣) بدل ما بين المعقوفين في النُّسَخ كلّها: «ويجوز ذلك في». وذلك تصحيف. والمثبت كما في المصدر.

(٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

قوله تعالىٰ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١١٨) آية بلا خلاف.

المعنيّ بهذه الآية في قول مجاهد: النصارىٰ.

وفي قول ابن عباس: اليهود.

وفي قول الحسن وقَتادة: مشركو العرب[1].

وكلّ ذلك يُحتمل، غير أنّه لمشركي العرب أليق؛ لأنّه يشاكل ما طلبوا حين قالوا: **﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾** إلىٰ قوله: **﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾**[2] يقوّي ذلك أيضاً قوله: **﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** الكتاب، فبيّن أنّهم ليسوا أهل كتاب.

ومن اختار أنّ المراد بها النصارىٰ قال: لأنّه قال قبلها: **﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾**[3].

وهذا لا دلالة فيه؛ ولأنّه لا يمتنع أن يذكر قوماً ويخبر عنهم ثمّ

---

(١) لاتّحاد مصادر الأقوال الثلاثة نجمعها معاً، فأكثر المفسّرين ذكروا ذلك ونسبوه لهم، راجع: تفسير مجاهد: ٢١٢، تفسير ابن عباس: ١٧، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٧٣ ـ ٤٧٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٥١ ت ١١٤٢، تفسير البسيط للواحديّ ٣: ٢٧٣، تفسر الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٦٥، تفسير النكت والعيون للماورديّ ١: ١٨٠، تفسير الهداية لمكي ١: ٤١٦، وغيرها كثير ممّا يضيق الهامش بها.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٩٠ ـ ٩٣.

(٣) سورة البقرة ٢: ١١٦.

يستأنف قوماً آخرين فيخبر عنهم، علىٰ أنّ مشركي العرب قد أضافوا إلىٰ الله البنات فدخلوا في جملة من قال: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾.

ومعنىٰ قوله: ﴿لَوْلَا﴾ هلّا، كما قال الأشهب بن رُمَيْلة[1]:

[٣٢٩] تَعُدّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ ... بَنِي ضَوْطَرىٰ لَوْلا الكَمِيَّ المُقَنَّعا

أي هلّا تعقرون الكَمِيَّ المقنَّعا.

وإنّما قال: ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ وقد جاءتهم الآيات؛ لأنّهم طلبوا آية كما أنّ آية الرسل توافق دعوتهم، ويكلّمهم الله كما كلّمهم الله.

والمعنيّ بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ اليهود علىٰ قول مجاهد.

---

(١) تقدّم البيت في صفحة ٦٢ برقم ٣٢٩، ولكن بدون نسبة، ولنفس الشاهد هنا فراجع، ونضيف هنا أنّ السهو لعلّه حاصل ممّن تقدّم الشيخ المؤلّف، مثل أبي عبيدة مَعْمر بن المثنىٰ التيميّ ت ٢١٠ في مجاز القرآن ١ : ٥٢ ت ٦٣، وعنه أخذ من أتىٰ بعده كابن الشجريّ في أماليه ٢ : ٥٠٩ حيث نسبه للأشهب، وقبله في ٢ : ٨٤ من كتابه دون نسبةٍ، وهكذا جرىٰ الاشتباه.

وعلىٰ أيٍّ، فالأَشْهَبُ بن رُمَيْلَة التميمي من الشعراء المُخَضرَمين المُجيدِين، أسلم واشترك في معركة صفّين، ثمّ سكن البصرة إلىٰ آخر حياته، تهاجا مع الفرزدق حتّىٰ ضعف عنه، نُسب إلىٰ أمّه رُمَيْلَة هو وإخوته الأربعة، وكانوا من الأشدّاء.

راجع: معجم الشعراء المخضرمين والأمويّين: ٣٠ ـ ٣١، الأغاني ٩ : ٢٦٩ ـ ٢٧٢، أمالي ابن الشجريّ فقد نسبه في ٢ : ٥٠٩ م ٦٦، وأمّا في ٢ : ٤٤ م ٤٠ وكذا في ١ : ٤٢٦ م ٣٥ لم ينسبه فيهما.

وقد استشهد كلّ من استشهد به لمورد الشاهد لدىٰ الشيخ المصنّف، وهو أنّ لولا بمعنىٰ هلّا.

المعنىٰ: تعدّون: تعتقدون. العقر: ضرب قوائم الحيوان بالسيف. النيب: جمع ناب، وهو الناقة المسنّة، المجد: العزّ والشرف، الضَوْطَرىٰ: الرجل اللئيم الضخم، الكمّي: الشجاع المستتر بالسلاح: الدرع والبيضة.

وعلىٰ قول قَتادة والسُّدِّيّ والربيع : اليهود والنصارىٰ[١] .

والضمير في قوله : ﴿تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني كناية عن قلوب اليهود والنصارىٰ علىٰ قول مجاهد ، وعلىٰ قول الربيع وقتادة : عن العرب واليهود والنصارىٰ وغيرهم .

فقوله : ﴿تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني في الكفر بالاعتراض علىٰ أنبياء الله بالجهل ؛ لأنّ اليهود قالت لموسىٰ : ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[٢] .

وقالت النصارىٰ للمسيح : ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[٣] .

وقالت العرب لمحمّد ﷺ : حوّل لنا الصفا ذهباً ، وغير ذلك ، وكذلك قال تعالىٰ : ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾[٤][٥] .

وما روي عن ابن أبي إسحاق[٦] أنّه قرأ ﴿تَشَّـٰبَهَتْ﴾ ـ بتشديد الشين ـ خطأ ؛ لأنّ ذلك إنّما يجوز في المضارع بمعنىٰ تتشابه ، فتدغم إحدىٰ

---

(١) راجع هامش ١ صفحة : ٣٥٠ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٥٣ .

(٣) سورة المائدة : ٥ : ١١٤ .

(٤) سورة الذاريات ٥١ : ٥٣ .

(٥) طلبهم ذلك أمر مشهور ، راجع : مسند أحمد ١ : ٤٠١ ت ٢١٦٧ ، المستدرك علىٰ الصحيحين ١ : ٢٢٥ ت ١٨١ ، و٣ : ٤٠ ت ٣٢٧٨ ، سنن البيهقيّ ٩ : ١٥ ت ١٧٧٣٢ ، سنن النسائيّ ٦ : ٣٨٠ ت ١١٢٩ ، منتخب مسند عبد بن حميد : ٢٣٢ ت ٧٠٠ ، المعجم الكبير ١٢ : ١٥٢ ت ١٢٧٣٦ ، عمدة القاري ١٨ : ١٥٩ ، فتح الباري ٨ : ١٨٩ ، وغيرها كثير .

(٦) هكذا في الأصول «خ ، ؤ ، هـ» أمّا الحجرية والحروفيات فقد سقط منها «أبي» وتقدّمت ترجمته في ٢ : ١٢٦ ، هامش ٤ .

ونزيد هنا : أنّه ابن أبي إسحاق زيد البصري ، له ترجمة في : تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ١٠١ ـ ١٢٠) ٧ : ٣٩٧ ت ٤٥١ ، تهذيب التهذيب ٥ : ١٢٩ ت ٢٥٢ ، طبقات النحويّين للزبيدي : ٣١ ت ٨ .

التاءين في الشين، هكذا قال الفرّاء[1] وغيره من أهل العلم[2].

وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ معناه: أيقن بها قوم من حيث دلّتهم على الحقّ، فالواجب على كلّ هؤلاء أن يستدلّوا بها؛ ليصلوا إلى اليقين كما وصل غيرهم إليه بها.

واليَقِينُ والعِلْمُ والمَعْرِفَةُ نظائر في اللّغة، ونقيضه: الشَّكُّ والجَهْلُ، تقول: أَيْقَنَ إِيْقَاناً، وتَيَقَّنَ تَيَقُّناً، واسْتَيْقَنَ اسْتِيقَاناً.

وقال صاحبُ العَيْنِ: «اليَقَنُ: اليقين»[3]، قال الشاعر:

[٤٢٩] وَمَـــا بِـــالَّذِي أَبْـصَرَتْهُ العُـيُو ... نُ مِنْ قَطْعِ يَأْسٍ وَلَا مِنْ يَقَنْ[4]

واليقين: عِلْمٌ يَثْلِجُ بِـهِ الصَـدْرُ، ولذا يـقولون: وَجَـدَ بَـرْدَ اليَـقِينِ، ولا يقولون: وَجَدَ بَرْدَ العِلْمِ.

فإن قيل: لِمَ لم يُؤتوا الآيات التي طلبوها لتكون الحجّة عليهم آكد؟

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٧٥.

(٢) مثل الزجّاج في معاني القرآن ١ : ١٥٥، والأخفش في معاني القرآن ١ : ٢٨٠، والأندلسي في تفسير البحر المحيط ١ : ٤٠، وغيرهم في غيرها.

(٣) اختلفت النسخ في ضبط هذه الجملة، ففي «هـ»: تيقّن النفس. وفي «ؤ»: اليقين: النفس. وكذا الحجرية والنجفية، أمّا القمّيّة فهي نحو المثبت الذي تشهد له النسخة المعتمدة «خ» مؤيّدةً بالعين ٥ : ٢٢٠، وجمهرة اللّغة ٢ : ٩٨٠، ومصادر اللّغة الأخرى.

(٤) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، وتقدّمت ترجمته في ٢ : ٢٣.

والشاهد فيه: استعماله: «يَقَنْ» وإرادة اليقين منه.

راجع: الديوان: ٧٣ قصيدة ٢ ب ٦٢، وقد استشهد به غير واحد من اللّغويّين، منهم: الأزهريّ في تهذيب اللّغة ٩ : ٣٢٥، والزمخشريّ في أساس البلاغة ٢ : ٥٦٣، وابن منظور في لسان العرب ١٣ : ٤٥٧ ـ ٤٥٨، والزبيديّ في تاج العروس ١٨ : ٥٩٦، ولعلّ غيرهم أيضاً.

قلنا : إظهار الآيات يُعتبر فيه المصالح ، وليس بموقوف علىٰ اقتراح العباد ، ولو علم الله أنّ ما اقترحوه من الآيات فيه مصلحة لأظهرها ، فلمّا لم يُظهرها علمنا أنّه لم يكن فيها مصلحة لنا أصلاً .

قوله تعالىٰ :

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَـنْ أَصْـحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (١١٩) آية بلا خلاف .

قرأ نافع ﴿وَلَا تَسْـَٔلْ﴾ بفتح التاء وجزم اللّام علىٰ النهي ، وروي ذلك عن أبي جعفر [الإمام] محمّد بن علي الباقر عليه السلام وابن عباس ، ذكر ذلك الفرّاء والبلخيّ .

الباقون علىٰ لفظ الخبر علىٰ ما لم يُسمّ فاعله[1] .

معنىٰ قوله : ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله ، فقيل له : إنّما أنت ﴿بَشِيرًا وَنَـذِيرًا﴾[2] ولست ﴿تُسْـَٔـلُ عَـنْ أَصْـحَـٰبِ

---

(١) تعرّضت لتلك أغلب كتب القراءات وحتّىٰ التفاسير ، منها للمثال راجع : معاني القرآن للفرّاء ١ : ٧٥ ، السبعة في القراءات : ١٦٩ ت ٤٣ ، الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٦٢ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٢٠٩ ـ ٢٢٠ بتفصيل ، حجّة القراءات : ١١١ ، تقريب النشر : ٩٤ ، النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٢١ ، الغاية في القراءات العشر : ١٨٤ ، المبهج في القراءات السبع ٢ : ٧٩ ، التذكرة في القراءات : ١٩٤ ت ٣٥ ، جامع البيان للداني ٢ : ٥٨ ومصادرها فيها الكفاية .

ومن التفاسير ، للمثال راجع : تفسير الطبري ٢ : ٤٨٢ ، تفسير القرطبي ٢ : ٣٤٤ ط محقّقة ، تفسير البحر المحيط ١ : ٥٨٩ ، تفسير الثعالبيّ ١ : ٣٠١ ، وغيرها .

والمؤيّدة لكونها عن الإمام الباقر عليه السلام كلٌّ من : معاني القرآن للفرّاء ١ : ٧٥ ، كنز الدقائق ١ : ٣٢٦ ، تفسير الصافي ١ : ١٦٨ ، نفحات الرحمن ١ : ٣١٩ .

(٢) اقتباس من سابق ألفاظ الآية الكريمة ، وانظر سورة هود ١١ : ١٢ .

﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ ، ومثله قوله : ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[١] وقوله : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾[٢] وقوله : ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾[٣] .

وموضع ﴿تُسْـَٔلُ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون استئنافاً ولا موضع له .

والآخر : أن يكون حالاً فيكون موضعه نصباً ، ذكر ذلك الزجّاج ؛ لأنّه قال : ﴿أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ غير مسؤول عن أصحاب الجحيم[٤] . ومن فتح التاء على الخبر تقديره غير سائل .

وأنكر قوم الحال واعتلّوا بأنّ في قراءة أُبي : ﴿وَمَا تُسْـَٔلُ﴾ وفي قراءة عبدالله : ﴿وَلَن تُسْـَٔلَ﴾[٥] . وهذا غير صحيح ؛ لأنّه ليس قياس (لا) قياس (لن) و(ما) ؛ لأنّه يجوز : أرسلناك لا سائلاً ، ولا يجوز : ما سائلاً ، ولذلك احتمل مع (لا) الحال ، ولم يحتمل مع (ما) و(لن) ؛ لأنّ لـ (لا) تصرّفاً ليس لها ، فيجوز أن يعمل ما قبلها في ما بعدها ، ولا يجوز ذلك فيهما ، تقول : جئت بلا خبر ، ولا يجوز بما خبر .

والجَحِيمُ : النّارُ بعينها إذا شبّت وَقودُها ، قال أُميّة بن أبي الصلت :

إذا شَبَّتْ جَهَنَّمُ ثُمّ زادَتْ ... وَأَعْرَضَ عَنْ قَوَابِسِها الجَحِيمُ[٦] [٤٣٠]

---

(١) سورة فاطر ٣٥ : ٨ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٧٢ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٥٤ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١ : ٢٠٠ ، وذكرها الفرّاء في معاني القرآن ١ : ٧٥ ، والأخفش في معاني القرآن ١ : ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٥) كأنّه ناظر إلى الطبريّ في جامع البيان ٢ : ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

(٦) تقدّمت ترجمة أُميّة بن أبي الصلت في ١ : ٧١ ضمن ت ١٧ .

فصار كالعلم علىٰ جهنّم .

وقال صاحب العين : الجَحِيمُ : النار الشديدة التأجّج والالتهاب كما أجّجوا نار إبراهيم عليه السلام ، وهي تَجْحَمُ جُحُوماً : يعني تَوَقُّدت جَمْرَتُها .

وجاحِمُ الحَرْب : شِدَّةُ القتال في معركتها ، وقال سعد بن مالك بن ضبيعة :

[١٦٥] وَالحَـرْبُ لا يَـبْقَىٰ لِـجا ... حِـمِها التَّـخَيُّلُ والمِـراحُ

إلّا الفَـتىٰ الصَّبّارُ فـي النَّ ... جَداتِ وَالفَرَسُ الوَقاحُ[1]

والجُحْمَةُ : العين بلغة حمير ، قال الشاعر :

أيـا جَـحْمتا بَكّـي عـلىٰ أُمِّ واهبِ ... أكِيلَةِ قُـلَّوبٍ بـإحدىٰ المَـذانِبِ[2] [٤٣١]

وجحمتا الأسد عيناه ، وتـقول : جَـحَمَت النّـارُ تـجحم جـحماً : إذا اضْطَرَمَت ، وجَمْرٌ جَاحِم : إذا اشتدّ اشْتِعالُهُ ، ومنْهُ اشتقاق الجَحِيم .

وأصلُ الباب : الالتهاب .

ومنه الأجـحم : الشـديد حـمرة العين ، شبّه بـالنّار فـي حـمرتها ،

ﷺ وهذا البيت معناه واضح ، هو من مقطوعة يذكر فيها الجنّة والنار ، وهو البيت ١٣١ من المقطوعة ، البدء والتاريخ ١٤ : ٢٠٢ ، وغيره .

(١) تقدّم في ٢ : ٦٣ ت ١٦٥ مع ترجمة الشاعر ، فراجع .

(٢) علىٰ الرغم من شهرته في المصادر لم ينسب بأكثر من رجلٍ من حِمْيَرَ يرثي امرأةً . وقد اختلف فيه كثيراً ، واستشهد به اللّغويّون الذين سوف نذكرهم وغيرهم ، وقد ذكر ابن منظور أنّ معناه يتّضح بما قبله وبعده ، وأمّا الذي قبله فهو :

أُتيحَ لها القِلَّوْبُ مِنْ أَرْضِ قَرْقَرىٰ ... وَقَدْ يَجْلِبُ الشَّرَّ البَـعِيدَ الجَـوالِبُ

فَيَا جَحْمَتِي بَكّـيَ عـلىٰ أُمِّ واهب ... أكِـيلَةِ قِـلَّوبٍ بـإحدىٰ المـذانِبِ

فَلَمْ يُبْقِ مِنْها غَيْرَ شَـطْرِ عِـجانِها ... وَشُـنْتَرَةٍ مِـنْها وإحْـدىٰ الذَّوائِبِ

أعتقد أنّ المعنىٰ مع مجموع واضح ، ومع ذلك القُـلَّوب : الذئب ، وهـذا مـن أسمائه ، الجُحْمَةُ : العين ، أم واهب : المرأة القتيلة المأكولة .

والحربُ تُشَبَّهُ بالتهابِ النّار[١].

وفي الآية دلالة علىٰ أنّه لا يؤآخذ أحد بذنب غيره قريباً كان منه أو بعيداً، كما بيّن الله أنّه لا يُطالب أحد بذلك غيره[٢] وإن كان قد فرض علىٰ النبيّ ﷺ أنْ يدعو إلىٰ الحقّ ويزجر عن الباطل، وليس عليه أن يقبل المدعو.

ومن قرأ بلفظ النهي قال الزجّاج: يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون أمَره بترك المسألة.

والآخر: ما قاله الأخفش: أن يكون المعنىٰ علىٰ تفخيم ما أَعَدَّ لهم من العقاب، كما يقال: لا تَسأل عن فلان؛ أي: قد صار إلىٰ أمر عظيم.

وقال قوم: لو كان علىٰ النهي لقال: فلا، بالفاء؛ لأنّه يصير بمنزلة الجواب، كأنّه يدلّ علىٰ «لا»: إنّا أرسلناكَ بالحقِّ فَلا تُسأل[٣].

ولا يحتاج في الرفع إلىٰ الفاء، وإذا كان علىٰ الرفع فظاهر الكلام الأوّل يقتضيه اقتضاء الأحوال أو اقتضاء البيان الذي يجري مجرىٰ الحِجاج

---

(١) لضبط المادّة «جحم» وبيت الشعر روجعت المصادر التالية: العين ٣: ٨٧ ـ ٨٨، تهذيب اللّغة ٤: ١٦٩، جمهرة اللّغة ١: ٤٤١، المحيط في اللّغة ٢: ٤١٧، المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٩٦، الصحاح المحقّقة ١: ٣٠٨، والأُخرى ٥: ١٨٨٣، معجم مقاييس اللّغة ٥: ١٧ ـ ١٨، و١: ٤٢٩، مجمل اللّغة ١: ٤٠٨، لسان العرب ١٢: ٨٤ ـ ٨٥ «جحم» و١: ٦٨٥ «قلب» و٤: ٤٣٠ «شنير» وغيرها.

(٢) في القرآن الكريم بحدود ١٠٠ مورداً أُشير فيها لذلك، وقد جمعها الأُستاذ الفاضل محمّد فارس بركات في كتابه: الجامع لمواضيع القرآن الكريم: ٣٩٥ ـ ٣٩٨ ت ١٤، فراجع.

(٣) معاني القرآن للزجّاج ١: ٢٠٠، معاني القرآن للأخفش ١: ٣٣٤، معاني القرآن للنحّاس ١: ٢٥٨، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ١: ٢٦٢، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٤، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٨٣، التفسير البسيط ٣: ٢٨٠، تفسير البحر المحيط ١: ٥٨٨ ـ ٥٨٩، تفسير زاد المسير ١: ١٣٧.

علىٰ من اعترض ، فإنّ فعل الداعي إلىٰ الإيمان لا يحلّ موقعه إلّا بأن يقبل المدعو إليه .

فأمّا اتّصاله بما تقدّم علىٰ الجزم فإنّما هو علىٰ معنىٰ التغليظ لشأن أهل الجحيم ؛ ليزجر بذلك عن ترك اتّباعه صلى الله عليه وآله والتصديق بما أتىٰ به من البشارة .

قال أبو عليّ الفارسيّ : إنّما تلزم الفاء إذا كان الكلام الأوّل علّة فيما بعد «فلا» ، كقولك : أعطيتك فرساً فلا تسأل شيئاً آخر ، والآية بخلاف ذلك[1] .

وفي الناس من قال : القراءة بالجزم مردودة ؛ لأنّه لم يتوجّه له اتّصال الكلام ، ولاكيف جاء بالواو دون الفاء[2] .

وقد بيّنّا الاتّصال[3] ، فأمّا المجيء بالواو فلأنّه لم يُرد الدلالة علىٰ معنىٰ الجواب ، ولكن عطف جملة علىٰ جملة تتعلّق بها وتقتضي علىٰ ما انطوىٰ عليه معناها .

ومعنىٰ الحقّ في قوله : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ﴾ : الإسلام ، بشيراً من اتّبعك عليه بالثواب ، نذيراً من خالفك فيه بالعقاب .

وقيل : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ﴾ يعني علىٰ الحقّ ، كما قال : ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾[4] كأنّه قال : علىٰ أنّهما حقٌّ لا باطل .

---

(١) الظاهر أنّه نقل بالمعنىٰ من الحجّة للقرّاء السبعة للفارسيّ ٢ : ٢١٧ .

(٢) تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

(٣) آنفاً عند قوله : فأمّا اتّصاله بما تقدّم على الجزم. . .

(٤) سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٤ .

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا
لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾



قوله تعالىٰ:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَـٰئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٢٠﴾ آية بلا خلاف.

قيل في معنىٰ هذه الآية قولان:

أحدهما: أنّ النبيّ ﷺ كان مجتهداً[1] في طلب ما يُرضيهم لِيُقْبِلوا إلىٰ الإسلام ويَتركوا القتال، فقيل له: دَعْ ما يُرضيهم إلىٰ ما أمر الله به من مجاهدتهم.

والآخر: قال الزجّاج: كانوا يَسألونه عليه السلام الهُدنة والمُسالمة ويُرُونهُ أنّه إن أمهلهم أسلموا، فأعلمه الله أنّهم لن يرضوا عنه حتّىٰ يتّبع ملّتهم[2].

وهذه الآية تدلّ أنّه لا يصحّ إرضاء اليهود ولا النصارىٰ علىٰ حال؛ لأنّه تعالىٰ علّقه بأنّ اليهود لا يرضون عنه حتّىٰ يكون ﷺ يهودياً، ولا النصارىٰ لا يرضون عنه حتّىٰ يكون نصرانياً.

فاستحال أن يكون يهودياً نصرانياً في حالٍ، واستحال إرضاؤُهم بذلك.

والرّضا والمحبّة والمودّة نظائر، وضدّ الرّضا: الغَضَب، ويقال: رَضِيَ يَرْضَىٰ رِضَاءً، وأرْضَاهُ إرْضَاءً، وارْتَضَاهُ ارتِضَاءً، واسْتَرْضَاهُ اسْتِرْضَاءً، وتَرضَّاهُ تَرَضِّياً، وتَراضَوْا تَراضِياً، والرَضيُّ والمَرْضيُّ بمعنىٰ «واحد»[3].

---

(١) أي: مُجِدّاً.

(٢) معاني القرآن للزجّاج ١: ٢٠٢، وراجع: تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٤٨٤.

(٣) «واحد» ساقطة من «خ» مثبتة في الباقي.

والرِّضا مَقْصُورٌ مِنْ بَنَاتِ الواو بِدَلالَةِ الرِّضْوَانِ، وتقول: رَجُلٌ رِضاً ورجالٌ رِضاً، وامرأةٌ ونساءٌ رِضاً.

وأصل الباب: الرِّضا، نقيض الغضب[1][2].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ فالمِلَّةُ والنِحْلَةُ والديانَةُ نظائر، وتقول: وَجَدَ فُلانٌ مَلَّةً ومَلالاً، وهو عَدْوىٰ الحُمّىٰ، ومَلَلْتُ الشَيءَ أَمُلُّهُ مَلالاً ومَلالَةً ومَلَلاً: إذا سَئِمْتَهُ.

ومَلَلْتُ الخُبْزَةَ أَمُلُّها مَلّاً. إذا دَفَنْتَها فِي الجَمْرِ، والجَمْرُ بِعَيْنِهِ المِلّة.

وقال صاحب العين: المَلّة: الرَّماد والجَمْر، وكلُّ شَيءٍ تَمُلُّهُ في الجَمْرِ فهو مَمْلُول، قال الشاعر في وصف الحرباء:

.... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بالنَّارِ مَمْلُولُ[3] [٤٣٢]

---

(١) في جنب هذه الأسطر لمادّة «رضى» في هامش النسخة «خ» فقط جملة لم يمكن معرفة محلّها ولا قراءتها ولكن بقرينة كتب اللّغة التالية احتمل أنّها: «ورضوىٰ اسم جبل بعينه».

(٢) لضبط المادّة «رضو» روجعت المصادر التالية: العين ٧: ٥٧، جمهرة اللّغة ٢: ٧٥٣، تهذيب اللّغة ١٢: ٦٤، صحاح اللّغة ٦: ٢٣٥٧، والمحقّقة ٦: ٣١٤، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٢٤٣، المحيط في اللّغة ٨: ٤٢ ـ ٤٣، أساس البلاغة ١: ٣٤٦، ويظهر أشملها للمادّة معجم فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته ٢٤: ٧٤٩.

(٣) ذيل بيت للشاعر كعب بن زهير من قصيدته الشهيرة: بانت سعاد، وتقدّمت ترجمة الشاعر في ١: ٤٧، وهو البيت ٢٦ علىٰ رواية الديوان بشرح السكري، و٢٨ علىٰ رواية غيره من المجاميع، وصدره:

يوماً يظلّ به الحرباء مصطخماً ....

المعنىٰ: كأنّ ما أشرقت عليه الشمس مشويٌّ بالنار من شِدّة حرّها.

المفردات: ضاحية: القِسم الظاهر للشمس. المملول: من الملّة وهي النار، وقيل: جمرتها، والمليلة في البدن وخصوصاً العظام منه.

والمَمْلُولُ: المُمْتَلئ مِنَ المِلّةَ، وطريق مُمَلّ مَلِيلٌ: قد سُلِكَ حتّىٰ صَارَ مَعْلَماً، ومِلّة رسول الله ﷺ الأَمْر الذي أَوْضَحَهُ، وامْتَلَّ الرّجُلُ: إذا أَخَذَ في مِلَّةِ الإِسْلام، أي: قَصَدَ ما أَملَّ مِنْهُ، والأَمَلّ إملال الكِتابِ لِيُكْتَب، والمُلِيْلَةُ مِنَ الحُمّىٰ معروفة.

وأصل الباب: المَلَّةُ، وَهيَ: الحُمّىٰ[1].

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ معناه: هو الذي يهدي إلىٰ الجنّة، لا اليهوديّة ولا النصرانيّة.

وقيل: إنّ معناه الدعاء إلىٰ هدىٰ الله الذي يكذّب قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ وهي الأدلّة الواضحة علىٰ أنّ المطيع لله هو الذي يفوز بثوابه في الجنّة لا من ذكروه من العصاة له.

وهـذه الآية تدلّ علىٰ أنّ من علِم اللهُ منه أنّه لا يعصي يتناوله الوعيد والزجر؛ لأنّه تعالىٰ علم أنّ النبيّ ﷺ لا يعصيه ولا يتّبع أهواءهم، وفيها دلالة علىٰ أنّ كلّ من اتّبع الكفّار علىٰ كفرهم ما له من الله من وليٍّ ولا نصير، لأنّه إذا وجب ذلك في متّبع واحد، وجب ذلك في الجميع[2].

↩ راجع: الديوان بشرح العسكريّ عام ٢٤ وقيل ٢٦هـ: ٣٤، وصنعة السكريّ ت ٢٧٥ هـ: ١٥، وجمهرة أشعار العرب للقرشيّ ٢: ٧٨٩ ت ٣٧ ب ٣٠، وشرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري ت ٧٦١ هـ: ١٦٣، وحاشية عبدالقاهر البغدادي عليها ٢ ق ١: ٥٨٩، ب ٢٩، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ١٥٢، وغيرها.

(١) استعن لضبط المادّة «ملل» بالمصادر التالية: العين ٨: ٣٢٤، جمهرة اللّغة ١: ١٦٨، تهذيب اللّغة ١٥: ٣٥٠، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٣٧٦، صحاح اللّغة ٥: ١٨٢٠، معجم مقاييس اللّغة ٥: ٢٧٥، لسان العرب ١١: ٦٣٠، تاج العروس ١٥: ٦٩٩.

(٢) في النسخة «خ» لأنّه إذا قال ذلك... الجمع». ولا أعتقد فيه كثير فرقٍ.

﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ﴾ نصب بـ(حتّىٰ)، وحكىٰ الزجّاج عن الخليل وسيبويه وجميع البصريّين: أنّ الناصب للفعل (أنْ) بعد حتّىٰ؛ لأنّ حتّىٰ تخفض الاسم في قوله: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[1] ولا يُعرف في العربية حرف يعمل في اسم وفعل، ولا ما لا يكون خافضاً لاسم يكون ناصباً لفعل، فصار ذلك مثل قولك: جاء زيدٌ ليضرِبَك، فإنّها تنصب الفعل بإضمار (أنْ)؛ لكونها جارّة للاسم[2].

قوله تعالىٰ:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (١٢١) آية بلا خلاف.

المعنيّ بهذه الآية ـ في قول قَتادة واختيار الجُبّائيّ ـ أصحاب النبيّ ﷺ الذين آمنوا بالقرآن وصدّقوا به. وقال ابن زيد[3]: هو من آمن بالنبيّ ﷺ من بني إسرائيل، والكتاب ـ علىٰ قوله ـ: التوراة[4].

---

(١) سورة القدر ٩٧: ٥.

(٢) راجع حول «حتّىٰ» كلّاً من معاني القرآن للزجّاج ١: ٢٠١، والكتاب لسيبويه موارد متفرّقة تصل إليها عن طريق الفهرس ٥: ٢٢٩ ت د. هارون، و: ٥: ١٩٣ ت د. يعقوب، معاني الحروف للرماني: نسخة البديري: ١١٩، وفي نسخة كوبرلي: ١٦٤، وهما بتحقيق د. شبلي، والجنىٰ الداني: ٥٤٢ ـ ٥٥٨، المقتضب للمبرّد موارد عدّة تصل إليها عن طريق الفهرس ٤: ١٢٧ ـ ١٢٨، خزانة الأدب للبغدادي موارد عدّة تصل إليها عن طريق الفهرس ١٢: ٥٧٢، شرح الرضي علىٰ الكافية ٤: ٢٧٠، مغني اللبيب ١: ١٦٦، شرح أبياته للبغدادي ٣: ٤٩٣، شاهد ١٨٥، حروف المعاني للزجّاجي: ٦٤ت ١٢٧، وغيرها كثير.

(٣) هو عبدالرحمن بن زيد، وتقدّم في ١: ٢٢٩.

(٤) ممّن أشار لذلك: ابن عطيّة في تفسيره المحرّر الوجيز ١: ٣٤٥، والقرطبي في

⇐

ومعنىٰ قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال ابن عباس: يتّبعونه حقّ اتّباعه ولا يحرّفونه، ثمّ يعملون بحلاله ويقفون عند حرامه، ومثله قوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَـٰهَا﴾[1] أي: تبعها، وبه قال ابن مسعود ومجاهد وقَتادة وعطاء[2].

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام: حقّ التلاوة الوقوف عند ذكر الجنّة والنار يسأل في الأُولىٰ ويستجير من الأُخرىٰ[3].

ﷺ تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٢: ٩٥، وابن جزيّ في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل ١: ٨٢، والثعالبيّ في تفسيره الجواهر الحسان ١: ٣١١، ومنها لغيرها كثير.

(١) سورة الشمس ٩١: ٢.

(٢) تجد هذه الأقوال مجتمعة ومتفرّدة في جملة من المصادر، منها: تفسير الصنعانيّ ١: ٢٨٨ ت ١١٣، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٦٦، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ١٣٣، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٤١، تفسير مجاهد: ٢١٣، الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحديّ ٣: ٢٨٧ ـ ٢٨٨، تفسير بحر العلوم ١: ١٥٥، تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن للطبريّ ٢: ٤٩٢، تفسير ابن كثير ١: ١٦٩، وغيرها كثير.

(٣) أقدم من وجدناه نسب الرواية لأبي عبدالله الإمام الصادق عليه السلام الوزير المغربي ت ٤١٨ في المصابيح في تفسير القرآن العظيم ١: ١٨٤ عن مصادره، وعنه نقلت باقي التفاسير الشيعية حتّىٰ كتب غريب القرآن، مثل غريب القرآن للطريحي ت ١٠٨٥ هـ، ومجمع البحرين ١: ٤٣٢ «محقّق» له أيضاً. ونحوه في إرشاد القلوب للديلمي ت ق ٨ هـ ١: ١٦١ ب ٢٠، تفسير الصافي ١: ١٦٨ ت ١٢١ نقله عن المجمع ١: ٤٧٩، وهو عن العياشي ت ٣٢٠هـ في تفسيره ١: ١٥٢ ت ١٨٩، عن الإمام الصادق عليه السلام.

هذا، وقد رويت بنحوها عن النبيّ الأكرم في مسند أحمد ٦: ٥٣١ ت ٢٢٧٥٠، صحيح مسلم ١: ٥٣٧ ت ٧٧٢، صحيح ابن خزيمة ١: ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ت ٥٤٢ و٥٤٣، سنن الترمذي ٢: ٤٨ ت ٢٦٢، سنن النسائي ١: ٣٤٥ ت ١٠٨٠، ومصادرها بطرقهم الخاصّة وهي كثيرة.

وقال قوم: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ يقرؤونه حق قراءته.

والتلاوة في اللغة علىٰ وجهين:

أحدهما: القراءة.

والثاني: الاتّباع.

والأوّل أقوىٰ، وعليه أكثر المفسّرين[1].

ولا يجوز أن يقال: يتلونه حقّ التلاوة علىٰ مذهب الكوفيّين، كما لا يجوز يتلونه أيّ التلاوة؛ لأنّ أيّاً إذا كانت مدحاً وقع علىٰ النكرة، ولم يقع علىٰ المعرفة، فلا يجوز مررت بالرجلِ حقّ الرجل، كما لا يجوز مررت بالرجل أيّ الرجل، وكما لا يجوز مررت بأبي عبدالله أيّ زيد، وإنّما جاز ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ كما يجوز: ربّ رجلٍ وأخيه.

وقال بعض البصريّين: يجوز مررت بالرجل حقّ الرجل ولا يجوز مع أيّ؛ لأنّ أيّاً تدلّ علىٰ التبعيض، وليس كذلك حقّ، فأمّا مررت بالرجل كلّ الرجل فجائز عند الجميع؛ لأنّ أصله التوكيد، فترك علىٰ حاله.

والمعنيّ بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ اليهود علىٰ قول ابن زيد.

والأولىٰ أن يكون ذلك محمولاً علىٰ عمومه في جميع الكفّار، وبه قال الجبّائيّ وأكثر المفسّرين.

---

(١) تعرّض لذلك الطبري في تفسيره جامع البيان ٢: ٤٩٤. وذكرته جملة من مصادر اللّغة، منها: العين ٨: ١٣٤، جمهرة اللّغة ١: ٤١٠، تهذيب اللّغة ١٤: ٣١٦، المحيط في اللّغة ٩: ٤٦٠، الصحاح في اللّغة ٦: ٢٢٨٩، معجم مقاييس اللّغة ١: ٣٥١، المحكم والمحيط الأعظم ٩: ٥٣٥، تاج العروس ١٩: ٢٣٥، وراجع تفسير آية ١٠٢ من هذا الجزء.

قوله تعالىٰ:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾﴿١٢٢﴾ آية واحدة.

هذا خطاب من الله لبني إسرائيل الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ أمرهم الله أنْ يذكروا نعمته التي أنعم بها عليهم.

والنِّعمة: النّفع الذي يُستحقّ به الشكر[1].

والإنعام والإحسان والإفضال نظائر، ونقيض النعمة: النقمة، وهو الضرر المستحقّ.

ومعنىٰ قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني عَالَمي زمانهم، وتفضيله إيّاهم بأن جعل فيهم النبوّة والحكم، وهذه الآية قد تقدّم ذكر مثلها في رأس نيف وأربعين[2].

وقيل في سبب تكريرها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ نِعَمَ الله لمّا كانت الأصل الذي به يجب شكره وعبادته ذَكّرهُم بها لِيَقْبلُوا إلىٰ طاعَتِهِ واتّباع أمره، ولِيكون مبالغة في استدعائهم إلىٰ ما يلزمهم لربّهم التظاهر بالنعم عليهم.

---

(١) حول النّعمة وما يحيطها راجع: الفروق اللّغوية لأبي هلال: ١٦٠ ـ ١٦٢، معجم الفروق اللّغوية: ٥٤٦ ـ ٥٤٨ ت ٢١٩٥ ـ ٢٢١٢، مفردات الراغب: ٨١٤ ومع التعليقات: ٧١٥، شرح المصطلحات الكلامية: ٣٧٠، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي د. دغيم ٢: ١٣٩٣، معجم المصطلحات الكلامية ٢: ٣٦١، معجم العناوين الكلامية ١: ١٤٢.

(٢) راجع: ٢: ١٩٨ ضمن الآية ٤٧ من سورة البقرة.

والثاني : أنّه لمّا ذكر الكتاب وعنىٰ به التوراة وكان فيه الدلالة علىٰ شأن عيسىٰ ومحمّد صلّىٰ الله عليهما في النبوّة والبشارة المتقدّمة ذكّرهم عزّوجلّ بما أنعم به عليهم من ذلك وفضّلهم، كما جاء ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] بعد نعمٍ ذكّرهم بها، ثمّ عدّد نعماً أُخر، وقال فيها: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأيّ هذه تكذّبان، وكلُّ تقريع جاء فإنّما هو موصول بتذكير نِعَمِه، والثاني غير الأوّل، والثالثُ غيرُ الثاني، وهكذا إلىٰ آخر السورة. وكذلك الوعيد ـ في سورة المرسلات ـ بقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ إنّما هو بعد الدلالة علىٰ أعمال يعظم التكذيب بما تدعو إليه الأدلّة.

والثالث : أنّه مقدّمة لما بعده؛ لأنّه تعالىٰ لمّا أراد وعظهم ذكّرهم قبل ذلك بالنعم عليهم؛ لأنّه استدعاء إلىٰ قبول الوعظ لهم.

وقيل فيه وجه رابع، وهو أنّه لمّا تباعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير.

وموضع ﴿أنّ﴾[2] نصب بالعطف علىٰ ﴿نعمتي﴾.

---

(١) مقطع مكرّر في سورة الرحمن ٥٥ : ١٣ و١٦ و١٨ و٣١ و٢٣، إلىٰ آخره.

(٢) في جميع المطبوعات ﴿التي﴾ وهكذا في المخطوطات لدينا، عدا النسخة «خ» فمنها التصحيح، إذ لم يتقدّم في الآية ﴿التي﴾ معطوفة، والمعطوفة فقط ﴿أنّي﴾ أوّلاً. وثانياً يساعد عليها قول النحّاس في إعراب القرآن ١ : ٢٥٨ حيث يصرّح ﴿أنّي﴾ في موضع نصب عطف علىٰ ﴿نعمتي﴾، وراجع غير واحد من التفاسير، مثل: البحر المحيط ١ : ٣٠٥، التفسير الكبير للفخر الرازي ٣ : ٥٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٧٣، تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٢٥٦، وغيرها كثير عند تفسير الآية ٤٧ والآية ١٢٢، ففيهما البحث المتّحد.

قوله تعالىٰ:

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٢٣) آية بلا خلاف.

ومثل هذه الآية أيضاً تقدّم[١] وبيّنّا ما فيها فلا معنىٰ للتكرار، وبيّنّا أنّ العَدْلَ هو: الفِدْيَةُ، وقيل: هو: المِثْل. ويقال: هذا عِدْلُه، أي: مِثْلُهُ، والعِدْلُ هو الحِمْلُ[٢].

وبيّنّا قول من يقول: إنّ الشفاعة لا تكون إلّا لمرتكبي الكبائر إذا ماتوا مصرّين.

فإن قلنا: ظاهر الآية متروك بالإجماع؛ لأنّه لا خلاف أنّ هاهنا شفاعة نافعة والآية تقتضي نفيها وإن خصّوا بأنّها لا تنفع المصرّين، وإنّما ينفع التائبين[٣].

---

(١) تقدّم أيضاً عند تفسير الآية ٤٨ في ٢: ٢٠١، فراجع.

(٢) تقدّم الكلام حولها في ٢: ٢١٥، ونضيف هنا: غريب الحديث للهرويّ ٣: ١٦٧ و٢٠٠، إصلاح المنطق عدّة موارد، راجع الفهرس: ٤٦٥ «عدل»، المقتضب للمبرّد ٣: ٣٨٢، الكتاب لسيبويه موارد عدّة، راجع الفهرس ٥: ٢٥١ تحقيق د. يعقوب، معاني القرآن للفرّاء ١: ٣٢٠ و٧٥، تاج العروس ١٥: ٤٧١، وغيرها.

(٣) الشفاعة وما يحيط بها تقدّم الكلام عليها في ٢: ٢١١، ونزيد هنا: الاقتصاد للشيخ الطوسي طبعة نور الأنوار: ٢٣٣ ـ ٢٤٧، الالهيّات علىٰ هدىٰ الكتاب والسُّنّة والعقل ٤: ٣٣٧ ت ١٥، معجم المصطلحات الكلامية ١: ٤٠٢، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٦: ١٣١ فقد جمعت آراء العامّة بما لا مزيد عليه.

قلنا: لنا أن نخصّها بالكافرين دون فُسّاق المسلمين.

وأمّا قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ فنتكلّم عليه إذا انتهينا إليه[١].

ومن قال: إنّه ليس يعني أنّه يشفع لها شافع فلا تنفع شفاعته، لكنّه يريد لا تأتي بمن يشفع لها، كما قال الشاعر:

[١٨٦] عَلىٰ لاحِبٍ لا يُـهْتَدىٰ بِـمَنارِهِ[٢] ....

وإنّما أراد به لا منار هناك فيهتدىٰ به، لا يضرّنا؛ لأنّا لا نـقول: إنّ هناك شفاعة تحصل ولا تنفع، بل نقول: إنّ الشفاعة إذا حصلت من النبيّ وغيره فإنّها تنفع لا محالة، وكذلك عند المخالف، وإن قلنا: إنّها تنفع في إسقاط المضارّ، وقالوا هم في زيادة المنافع، غير أنّا اتّفقنا علىٰ أنّها تحصل لامحالة، ولسنا ممّن ينفي حصول الشفاعة أصلاً.

قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١٢٤) آيـة بـلا خلاف.

---

(١) يأتي في سورة الأنبياء ٢١ : ٢٨.

(٢) صدر بيت تقدّم برقم ١٨٦ في ٢: ١٥١، ولنفس الاستشهاد، فراجع، ويأتي في موارد أُخرىٰ.

أسكن الياء من ﴿عَهْدِيْ﴾ حمزة وحفص إلّا ابن شاهي[١][٢].

وكتب في بعض المصاحف ﴿إِبْرَاهِمَ﴾ بغير ياء، وفي أكثرها بالياء.

قال بعض الجَرْهمِيّين: نحن ورثنا علىٰ عهد إبراهيم[٣].

وقرأ ابن عامر ﴿إِبْراهام﴾ في خمسة وثلاثين موضعاً في القرآن كلّه، في البقرة خمسة عشر موضعاً، وهو جميع ما فيها[٤].

---

(١) جاء تارة: ابن ساهي وهو عبدالغني بن بازل ولا يمكن المساعدة عليه؛ لأنّه مصريّ وليس له معاصرة مع حمزة وحفص، والصحيح ابن شاهي بالشين لا السين، وهو الفضل بن يحيىٰ بن شاهي بن سلمة الأنباري، روىٰ عن حفص عن عاصم، ونسبه الخطيب إلىٰ الأنبار، والشيخ المصنّف إلىٰ الكوفة ولا ضير فيها.

للتوسعة راجع: غاية النهاية في طبقات القرّاء ٢: ١١ ت ٢٥٧١، تاريخ مدينة السلام ١٤: ٣٢٩ ت ٦٧٤٨، جامع البيان في القراءات ٢: ٨٢ و١٧٥ و٢٠٤، و٣: ٢٦٠، النشر في القراءات العشر ٢: ٣٧٨.

(٢) ذُكرت القراءات في جمع من المصنّفات منها: حجّة القراءات: ١١٢، معاني القراءات: ٦٣، البدور الزاهرة: ٤٠، التيسير في القراءات السبع: ٦٧. وراجع من مصادر التفسير: تفسير الطبرانيّ ١: ٢٣٩، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٤: ٤٥، تفسير اللباب ٢: ٤٥٦، وغيرها.

(٣) جَرْهُمْ: من عشائر اليمن وقبائلها، لها يد في بناء الكعبة المشرّفة، ومنه أصبحت لهم السدانة والحجابة في فترة، وهذا القول المضطرب لعلّه يشير لذلك، والمهمّ أبيات الشعر المذكورة والمنسوبة لمصاص الجَرْهَمِيّ.

وعلىٰ كلٍّ للتوسعة راجع المصادر المتعرّضة لبناء الكعبة المشرّفة، مثل: أخبار مكّة للأزرقي، موسوعة العتبات المقدّسة قسم مكة، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب: ١٩٦ ت ٧٠٠ و٣٥٥ ت ١٤٥٢، وراجع: تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٥، شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ٢: ٣٤، الميزان في تفسير القرآن ٣: ٣٥٨ (بحث تاريخي)، عنه ميزان الحكمة ٣: ٢٤٨.

(٤) الكلام حول إبراهيم ملخّصه ذكره الشيخ الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٥: أنّ فيه خمس لغات: إبراهيم، إبراهام، إبراهَم، إبرهام، إِبْرَهَمْ. والسبب فيه أنّ العرب تتصرّف في نطق الاسم الأعجمي وتخلط صرفه كيف تشاء، وأوسع من ☜

تقدير الآية : ﴿واذكروا إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ .

والابتلاء هو الاختبار ، وهو مجاز هاهنا ؛ لأنّ حقيقته الأمر من الله تعالىٰ بخصال الإيمان ، فسُمّي ذلك اختباراً ، لأنّ ما يستعمل بالأمر منّا في مثل ذلك علىٰ جهة الاختبار والامتحان ، فجرىٰ تشبيهاً بما يستعمله أهل اللغة عليه .

وقال ابن الاخشاذ[1] : إنّما ذلك علىٰ أنّه جلّ ثناؤه يعامل العبد معاملة المُخْتَبِر الذي لا يعلم ؛ لأنّه لو جازاهم بعلمه فيهم كان ظالماً لهم .

والكلمات التي ابتلىٰ الله إبراهيم بها فيها خلاف[2] ، فيروىٰ في بعض الروايات عن ابن عباس وبه قال قتادة وأبو الجَلْد[3] : إنّه أمره إيّاه بعشرة

تعرّض لذلك المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته ١ : ٨٩ ، المعرّب للجواليقي ٦ : ١٣ ، حجّة القراءات لابن زرعة : ١١٣ ، الحجّة في القراءات لابن خالويه : ٨٨ـ ٨٩ ، ومصادرها .

(١) تقدّمت ترجمته والاختلاف في ضبطه في ٢ : ٣٣ ، فراجع .

(٢) اختلف المفسّرون والفقهاء من الفريقين في المراد من ذلك وحتّىٰ تعدادها ، والكلام طويل حولها تعداداً ومراداً ، فالأفضل الإحالة علىٰ المصادر المهمّة للمراجعة .

فمن الشيعة للمثال : الهداية للشيخ الصدوق : ٨٣ ، من لا يحضره الفقيه ١ : ٥٤ ت ١١٧ ، تفسير علي بن إبراهيم القمّي ١ : ٥٩ ، الخصال : ٢٧١ ت ١١ ، فقه الرضا : ٦٦ ، زبدة البيان : ٤٤ ، استقصاء الاعتبار ١ : ٤٤١ ، كنز العرفان في فقه القرآن للسيوري ١ : ١٩٧ ت ١٢ ، وغيرها كثير .

ومن العامّة فكثيرة أيضاً للمثال راجع : المستدرك للحاكم ٢ : ٦٥٦ ت ٣١٠٩ ، مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار ٢ : ٦٠٠ ـ ٦٠٩ ، والملل والنحل ٢ : ٢٤٩ وهُما للشهرستاني ، سنن البيهقي ٨ : ٥٤ ت ١٧٥٧١ ، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٤٩٩ ـ ٥٠١ ، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢١٩ ت ١١٦١ ـ ١١٧٢ ، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ : ٤١ ، الفتوح لابن أعثم ٤ : ٢٦٢ ، تفسير الدرّ المنثور ١ : ٥٧٩ ، وغيرها كثير .

(٣) ورد تارة أبو الخُلْد ، وأُخرىٰ أبو الجَلْد وهو الصحيح ، فهو : جيلان بن أبي قرة

سنن ، خمس في الرأس وخمس في الجسد .

فأمّا التي في الرأس : فالمضمضة والاستنشاق والفرق وقصّ الشارب والسواك .

وأمّا التي في الجسد : فالختان وحلق العانة وتقليم الأظفار ونتف الإبطين والاستنجاء .

وفي إحدىٰ الروايتين عن ابن عباس أنّه ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين شيئاً .

عشرة منها في [سورة] براءة : ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ...﴾[1] إلىٰ آخرها .

وعشرة في [سورة] الأحزاب : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾[2] إلىٰ آخرها .

وعشرة في سورة المؤمنين إلىٰ قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[3] .

وقيل : عشرة في [سورة] سأل سائل إلىٰ قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[4] فجعلها أربعين سهماً .

✎ ـ أو ابن فروة ـ الأسدي البصري ، صاحب كتب التوراة ونحوها ، روىٰ عنه قتادة وغيره .

راجع : الجرح والتعديل ٢ : ٥٤٧ ت ٢٢٧٥ ، التاريخ الكبير ٢ : ٢٥١ ت ٢٣٦٢ ، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ٧ : ٢٢١٨ ت ١٢١٠٣ ، وكرّر اشتباهاً : أبو الخلد في ٩ : ٣٠٦٥ ت ١٧٣٣٦ .

(١) سورة التوبة ـ براءة ـ ٩ : ١١٢ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٥ .

(٣) سورة «المؤمنون» ٢٣ : ١ ـ ٩ .

(٤) سورة المعارج ـ سأل سائل ـ ٧٠ : ٢٢ ـ ٣٤ .

وفي رواية ثالثة عن ابن عباس أنّه أمره بمناسك الحجّ : الوقوف بعرفة ، والطواف والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار والإفاضة[١] .

وقال الحسن : ابتلاه الله بالكوكب والقمر وبالشمس وبالختان وبذبح ابنه ، وبالنار وبالهجرة فكلّهنّ وفىٰ الله فيهنّ[٢] .

وقال مجاهد : ابتلاه الله بالآيات التي بعدها ، وهي ﴿**إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ**﴾[٣] .

وقال الجُبّائيّ : أراد بذلك كلَّ ما كلّفه من طاعاته العقليّة والشرعيّة[٤] .

وقوله : ﴿**فَأَتَمَّهُنَّ**﴾ معناه : وفىٰ بهنّ ، علىٰ قول الحسن .

وقال قتادة والربيع : عمل بهنّ فأتمّهنّ[٥] .

وقال البلخي : الضمير في ﴿**أَتَمَّهُنَّ**﴾ راجع إلىٰ الله[٦] ، وهو اختيار

---

(١) تقدّمت الإشارة إلىٰ بعض المصادر في الهامش ٢ المتقدّم صفحة ٣٧٢ ، ونضيف : تفسير القرآن العظيم للطبرانيّ ١ : ٢٣٨ ، تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١ : ٢٦٨ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٦٠٠ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ ٢ : ٣٥٢ ، وغيرها كثير من التفاسير .

(٢) مصادره كثيرة وأغلبها مشترك مع مصادر الهامش المتقدّم ، ونضيف : التفسير البسيط ٣ : ٢٩٠ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٨٤ ـ ١٨٥ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٥٦ ، تفسير عبدالرزّاق الصنعانيّ ١ : ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ت ١١٤ ـ ١١٦ ، تاريخ دمشق ٦ : ١٩٣ ت ٣٥١ ضمنها ، تفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية للقيسي ١ : ٤٢٣ ـ ٤٣٠ ، وغيرها .

(٣) مصادره مشتركة مع ما سبق ، مضيفاً تفسير مجاهد : ٢١٣ .

(٤) مصادر الجُبائيّ مفقودة ، ومن نقل كلامه فقد اعتمد علىٰ تفسيرنا التبيان كما في تفسيره المجموع : ٨١ ، مجمع البيان ١ : ٣٩٨ ، عنه بحار الأنوار ١٢ : ٥٧ .

(٥) الآراء تجدها في مصادر كثيرة منها : تفسير الطبريّ جامع البيان ٢ : ٥٠٩ ، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢٢٢ ت ١١٧٣ ، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ١٥٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي زمنين ١ : ١٧٥ ، وغيرها كثير .

(٦) حاله كحال الجُبّائيّ المتقدّم في هامش ٤ فراجع .

الحسين بن علي المغربي[١].

قال البلخي: الكلمات هي الإمامة علىٰ ما قال مجاهد[٢]، قال: لأنّ الكلام متّصل، ولم يفصل بين قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وبين ما تقدّمه بواو، فأتمّهنّ الله بأن أوجب بها الإمامة له بطاعته واضطلاعه، ومنع أن ينال العهد الظالمين من ذريته، وأخبره بأنّ منهم ظالماً فرضي به وأطاعه، وكلّ ذلك ابتلاء واختبار.

والتمام والكمال والوفاء نظائر، وضِدّ التّمام: النُقْصانُ[٣].

يقال: تَمَّ تَماماً، وأَتَمَّ إتْماماً، واسْتَتَمّ استتماماً، وتَمَمَّ تَتْمِيَماً وتَتِمَّةً، وتَتِمَةُ كُلِّ شَيءٍ ما يَكُونُ تَمامُهُ بغايته، كقولك: هذه الدّراهِمُ تَمامُ هذهِ المائة، وتَتِمَّةُ هذهِ المائةِ، والتَمُّ: الشيءُ التَّمام، تقول: جَعلْتُهُ لَكَ تَمَاً أي: بِتَمٰامِهِ.

والتَمِيمَةُ: قِلادَةٌ من سُيورٍ، وربّما جُعِلَتْ فيها العِوَذُ تُعَلَّقُ علىٰ الصِّبيان. والليلة التِّمام: أطْوَلُ لَيْلَةٍ في السَّنَةِ، ويقال: بل لَيْلُ التِّمام لثَلاث عشرة؛ لأنّه يُستَبانُ فيها نُقْصانُها مِنْ زِيادَتها، ويقال: بل ليلة أربع عشرة؛

---

(١) راجع تفسير المصابيح له ١ : ١٨٤.

(٢) أغلب ما تقدّم من مصادر في هامش ٢ من صفحة ٣٧٢، وهامش ٢ و٣ و٥ من صفحة ٣٧٤ ذاكرة له، ونضيف تفسير مجاهد: ٢١٣، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢ : ٣٦٩، تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١ : ٣١٤، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٣٥٠، وغيرها كثير.

(٣) راجع: الألفاظ الكتابيّة للهمدانيّ ت ٣٢٧هـ: ٢٢٥، جواهر الألفاظ للبغداديّ ت ٣٣٧هـ: ٣٤٩ ت ٢٥١، فقه اللّغة وسرّ العربية للثعالبيّ ت ٤٢٩هـ: ٣٤٦ ف ٢٨ تحقيق د. جمال، وهكذا معجم الفروق اللّغويّة: ٤٥٨ ت ١٨٣٨، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة للطائيّ الجياني ت ٦٧٢هـ: ١٤٧، الفروق اللغويّة للعسكري ت ح ٣٨٢هـ: ٢١٩، فروق اللّغات: ٤٤ ت ٢٦.

لأنه يتمّ فيها القمرُ فَيَصِيرُ بَدْراً، ويقال: حَمَلَتْهُ لتمام ـ بفتح التاء وكسرها ـ والتِمامُ في لغة تميم هو التَمامُ.

وقال ابن دريد: امرأة حُبْلىٰ مُتِمٌّ، ووُلِدَ الغُلامُ لتـمٌّ وتَـمام، وبَـدْرٌ تِمام، ولَيْلٌ تِمام بالكسر فيهنّ، وما بعد هذا فهو تَمام بالفتح[١].

وأَصل الباب: التمام وهو الكمال[٢].

وقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ معناه: واجعل من ذرّيتي من يُؤتم به ويُقتدىٰ به، علىٰ قول الربيع وأكثر المفسّرين[٣].

وقال بعضهم: معناه: أنّه سأل لعقبه أن يكونوا علىٰ عهده وورثته، كما قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[٤] فأخبره الله أنّ في عقبه الظالم المخالف له و[لـ] ذرّيّته بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

---

(١) لضبط المادّة «تم» روجعت المصادر التالية: العين ٨: ١١١ جمهرة اللّغة ١: ٨٠، تهذيب اللّغة ١٤: ٢٦٠، المحكم والمحيط الأعظم ٩: ٤٦٩، المحيط في اللّغة ٩: ٤١٧، صحاح اللّغة ٥: ١٨٧٧، معجم مقاييس اللّغة ١: ٣٣٩، المفردات: ١٧٥، لسان العرب ١٢: ٦٧، تاج العروس ١٦: ٥٧٥، الغريبين لأبي عبيد الهرويّ ١: ٢٦١، وأجمع من كلّها المعجم في فقه لغة القرآن ٨: ١١ ـ ٥١ حيث شمل جميع الاشتقاقات مضيفاً جميع موارد الاستعمال في جميع التفاسير وغيرها.

(٢) تجد الإشارة لذلك في: تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٥١٠، تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٢٢ ت ١١٧٧، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٦٩، تفسير ابن أبي زمنين (تفسير القرآن العزيز) ١: ١٧٦، البسيط في تفسير الكتاب العزيز للواحديّ ٣: ٢٩٢، الوسيط في تفسير القرآن المجيد له أيضاً ١: ٢٠٣، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١: ١٥٦، وغيرها كثير.

(٣) تجد ذلك في غير واحد من التفاسير منها: جامع البيان للطبريّ ٢: ٥١٠، تفسير القرآن العزيز لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٢٢ ت ١١٧٥ ـ ١١٧٩، تفسير النكت والعيون ١: ١٨٥، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١: ١٥٦، تفسير الدرّ المنثور ١: ٦١٧، وغيرها.

(٤) سورة إبراهيم ١٤: ٣٥.

والأوّل أظهر.

وقال الجُبّائيُّ: قوله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ سؤال منه لله أن يعرّفه هل في ذرّيّته من يبعثه نبيّاً كما بعثه هو وجعله إماماً[١].

وهذا الذي قاله ليس في الكلام ما يدلّ عليه بل الظاهر خلافه، ولو احتمل ذلك لم يمتنع أنْ يضيف إلىٰ ذلك مسألة منه لله أن يفعل ذلك بذرّيّته مع سؤاله تعريفه ذلك.

والذُّرّيّة والنَّسْلُ والوَلَدُ نظائر، وأراد إبراهيمعليه‌السلام هذا.

وقال بعضهم: عبّر بالذُّرّيّة عن الآباء، وقال تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[٢] أي: آباءهم[٣]. وهذا ليس بواضح.

وبعض العرب يقول: ذِرِيَةَ ـ بكسر الذال ـ وبها قرأ زيد بن ثابت[٤].

قال صاحب العين: الذَّرُّ صِغارُ النّمل واحد ذَرّة.

---

(١) تقدّم مراراً أنّ كتبه مفقودة، أو لا زالت على رفوف الخزانات لم تر النور بعد، والذي ظهر من تفسيره إنّما هو جمع من كتابنا ومجمع البيان وغيرهما، ومع ذلك راجع تفسير الجبّائي جمع د. نبها: ٨١ ت ٣٤.

(٢) سورة يس ٣٦: ٤١.

(٣) ذكرت ذلك جملة من المصادر، منها: تفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ٩: ٦٤٠، التفسير البسيط ١٨: ٤٨٨، تفسير النكت والعيون ٥: ١٩، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٧: ٤٥٣، تفسير البحر المحيط ٩: ٧٠، التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٦: ٧٨، زاد المسير ٧: ٢١ ـ ٢٢، وغيرها.

(٤) ذكر ذلك غير واحد من المصادر منها: معاني القرآن للنحّاس ٤: ١٢١، مختصر في شواذّ القرآن: ١٧، المحتسب ١: ١٥٦، عمدة القاري ١٩: ٢٦٠، تفسير الكشف والبيان للثعلبي ١: ٢٦٩، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢: ٣٦٨، تفسير البحر المحيط ٣: ١١٢، وغيرها.

والذَّرُّ أَخْذُكَ الشَّيْءَ بأطْرافِ أصَابعِكَ، تقول: ذَرَرْتُ الدّواءَ أذِرّهُ ذرّاً، وكذلك الملْحَ وغيره.

واسْمُ الدّوَاء ـ الذي يُتَّخَذُ لِلْعَيْنِ ـ ذَرُور.

والذَّريرَةُ: فُتَاتُ[1] قَصَبِ الطِّيب، وهو: قَصَبٌ يُجاءُ بِهِ مِنَ الهِنْد كأنّه قصب النُّشّاب[2]، والذَّرَارَةُ: ما تَناثرَ مِنَ الشَّيْءِ الذي تَذِرّهُ. والذُرِّيَّةُ فُعْلِيَّةٌ مِنْ ذَرَرْتُ؛ لأنّ اللهَ تعالىٰ ذَرَّهُمْ في الأرْضِ فَنَثَرَهُمْ فيها، كَما أنّ السُرِّيةَ مِنْ سَرَرْتُ، والجَمْعُ: الذّرارِيُّ والسَرارِي وما أشْبَهَهُ وإنْ خُفّفَ جَازَ.

والذَّرّورُ: ذَرْوةُ الشَّمْس، فَهُوَ يَذِرّ ذَرُوراً، وذلك أوّل طُلوعِها وسُقُوطِها علىٰ الأَرض أوْ الشَجَرِ، وتقول: ذَرَّ قَرْنُ الشَمْسِ، أي: طَلَعَ[3].

وأصل الباب: الذّرّ: وهو التفرقة.

وقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾ والنَّيْلُ واللّحاقُ والإدراكُ نظائِر.

والنَّيْلُ وَالنَّوالُ: ما نِلْتَهُ مِنْ مَعْرُوفِ إنْسانٍ، وَأَنالَهُ مَعْرُوفَهُ ونَوَّلَهُ: أعْطَاهُ نَوْلاً، قال طَرَفَة:

---

(١) هذا هو الصحيح، ويساعد عليه ما جاء في النسخة «خ» ومصادر اللّغة الآتية، وأمّا ما في النسخ «هـ، ؤ، س، والحجرية، والمطبوعات»: «ذات» فلا يمكن المساعدة عليه، راجع مصادر الهامش (٣) الآتي.

(٢) هذا هو الصحيح كما جاء في مصادر اللغة الآتية، وأمّا: النشاء، فلا يمكن المساعدة عليه.

(٣) لضبط مادّة «ذرّ» روجعت المصادر التالية: العين ٨: ١٧٥، جمهرة اللّغة ١: ١١٧، تهذيب اللّغة ١٤: ٤٠٤، المحيط في اللّغة ١٠: ٥٥، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٤٥، معجم مقاييس اللّغة ٢: ٣٤٣، الغريبين ٢: ٦٧٢، صحاح اللّغة ٢: ٦٦٣، لسان العرب ٤: ٣٠٣، تاج العروس ٦: ٣٣٠، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٤٥، وأشملها: المعجم في فقه لغة القرآن ٢٠: ٥٩٥.

إنْ تُـنَوِّلهُ فَقَدْ تَمْنَعُهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْري بِالظُّهر[١] [٤٣٣]

وقولهم: نَوْلُكَ أنْ تَفْعَلَ ذلك، معناه: حَقُّكَ أنْ تَفْعَلَ[٢].

والنَّوْلُ: خَشَبَةُ الحائِكِ الذي[٣] يَنْسِجُ الوَسائِدَ عليه[٤] ونحوها، وأداته المنصوبة أيضاً تُسَمّىٰ المِنوَال[٥].

وأصل الباب: النَّيْلُ، وهو اللّحوق.

والمراد بالعهد هاهنا فيه خلاف.

قال السُّدّيُّ واختاره الجُبائيّ: إنّه أراد النبوّة.

وقال مجاهد: هو الإمامة[٦].

---

(١) البيت لطرَفَة بن العبد ـ وتقدّم الشاعر في ١: ١٢٦ ـ في ديوانه من قصيدة يخاطب بها «ماوية» حبيبته ويصف أحواله وتنقّله في البلاد، ولهوه في شبابه، وأحوال قومه.

المعنىٰ واضح من البيت، ومع ذلك تُنَوِّلهُ: إن تُعْطِه مرّة فإنّها تمنعه مرّات، حتّىٰ أنّه من تَمَنُّعِها عليه يكون في مشقّة، وكأنّه يرىٰ نجوم الظهيرة، فإنّه يشبه رؤية نجوم الظهيرة مثل عطاء البخيل شيئاً.

الشاهد فيه: استعماله «تنوّله» وإرادة ما ذكره الشيخ المصنّف.

(٢) الجملة وردت في بعض مصادر اللّغة الآتية علىٰ النفي قولاً ومعنىٰ، أي ما كان نَوْلُكَ أن تفعل ذاك، معناه: ليس من حَقُّكَ أنْ تفعل ذلك؛ لأنّ الضمير راجع للحائك، كما في العين ونحوه في الجمهرة والمحيط.

(٣) هذا هو الصحيح؛ لأنّ الضمير راجع للحائك، وفي مصادر اللّغة: «الشيء» كأنّها أرجعت الضمير إلىٰ الخشبة.

(٤) الضمير تابع لما تقدّم تذكيراً أو تأنيثاً.

(٥) لضبط المادّة «نيل، نول» روجعت المصادر التالية: العين ٨: ٣٣٢، جمهرة اللّغة ٣: ٩٨٩، تهذيب اللّغة ١٥: ٣٧١، المحيط في اللّغة ١٠: ٣٣٨، صحاح اللّغة ٥: ١٨٣٦، لسان العرب ١١: ٦٨٣، مفردات القرآن الكريم: ٧٢٨، تاج العروس ١٥: ٧٦٤، ولعلّ هناك أكثر.

(٦) مصادر قولهما ـ السُّديّ ومجاهد ـ مشتركة، وهي: تفسير مجاهد: ٢١٣، تفسير

لله

وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام ، قالوا : «لا يكون الظالم إماماً»[1] .

وقال أبو حذيفة : لا أتّخذ إماماً ضالاً في الدنيا[2] .

ﭬ النكت والعيون ١ : ١٨٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٢٢٣ ت ١١٨٢ ، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢ : ٥١١ ، التفسير البسيط ٣ : ٢٩٦ ، التفسير الوسيط ١ : ٢٠٣ ، وهُما للواحدي ، تفسير البحر المحيط ١ : ٦٠٣ ، المحرّر الوجيز ١ : ٣٥٠ ، وغيرها كثير .

(١) يدلّ علىٰ ذلك غير واحد من المصادر ، مثل الكافي ١ : ١٣٣ ك الحجّة ب ٢ : طبقات الأنبياء والرسل والأئمّة ح ١ ـ ٢ ، تفسير العياشيّ ١ : ١٥٤ ت ١٩٤ ، بحار الأنوار ٢٥ : ١٩١ ب ٥ عصمتهم ولزوم عصمة الإمام عليه السلام ، وغيرها ، وفي بعض المصادر إمّا دون نسبةٍ أو نسبت لغيرهم ، راجع : تفسير الكشّاف ١ : ٣٠٩ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٦٠٥ ، الأربعين للماحوزيّ : ٥٤ ، منهاج البراعة ١ : ٥٦ ، مسالك الافهام إلىٰ آيات الأحكام للكاظميّ ١ : ١١٨ و٣٤٠ ، وغيرها .

(٢) الجملة ـ ونحوها ممّا يؤدّيها ـ مشهورة في المصادر بنسبتها إلىٰ أبي حنيفة مؤسّس المذهب ، وأمّا نسبتها إلىٰ أبي حذيفة فلم أجده ولم أعرف من هو رغم البحث الكثير ، ولعلّه موسىٰ بن مسعود البصريّ ، أبو حذيفة النهديّ : محدّث مفسّر من أهل البصرة ، عُدّ من شيوخ البخاريّ ، اختلف في حاله ، بعضٌ وثّقه ، وآخرون ضعّفوه . له تفسير القرآن اعتمده الطبري في التاريخ ، راجع : الفهرس ١٠ : ٢١٩ ، والتفسير ، ولوروده في تفسير الكشف والبيان للثعلبي راجع الفهرست ٣٣ : ٣٠١ عدّة موارد فيهما .

ولترجمة النهدي راجع : معجم المفسّرين لعادل نويهض ٢ : ٦٩٣ ، طبقات المفسّرين للأدنه وي : ٤٢٣ ت ٥٩٢ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ١٣٧ ت ١٩ ، قال : توفّي سنة عشرين ومائتين ، غاية النهاية في طبقات القرّاء ٢ : ٣٢٣ ت ٣٦٩٨ ، تاريخ الإسلام للذهبيّ (وفيات ٢١١ ـ ٢٢٠) ١٥ : ٤٢٣ ت ٤٢٣ ، وراجع فهارس الكشف والبيان ٣١ : ٥٨٠ ت ٢٧٩٩ وغيرها .

هذا وقد ذُكرت الجملة في غير واحد من المصادر ، للمثال راجع : تفسير الكشّاف ١ : ٣٠٩ ، شذرات الذهب ١ : ١٥٩ ، الحدائق الوردية ١ : ١٤٤ ، مقاتل الطالبيّين : ٣٦١ و٣٦٤ ـ ٣٦٦ ، عمدة الطالب : ١٢٩ ، الإمامة وأهل البيت عليهم السلام ١ : ٢١٥ ، وغيرها كثير .

وقيل: معناه الأمر بالوفاء له فيما عقده من ظلمه.

وقال ابن عبّاس: فإذا عقد عليك في ظلم، فانقضه.

وقال الحسن: ليس لهم عند الله عهد يعطيهم عليه خيراً في الآخرة، فأمّا في الدنيا فقد يعاهدون فيوفىٰ لهم[1]، وكأنّه علىٰ هذا التأويل طاعة يحتسب بها في الآخرة.

وقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يدلّ علىٰ أنّه يجوز أنْ يعطي ذلك بعضَ ولده إذا لم يكن ظالماً؛ لأنّه لو لم يرد أن يجعل أحداً منهم إماماً للناس كان يجب أن يقول في الجواب: لا، ولا ينال عهدي ذرّيّتك، وكان يجوز أن يقول في العربية: «لا ينال عهدي الظّالِمُون»؛ لأنّ ما نالَكَ فَقَدْ نِلْتَهُ، ورُوي ذلك في قراءة ابن مسعود[2]، إلّا أنّه في المصحف بالياء، تقول: نالَنِي خَيْرُك، ونِلْتُ خَيْرَك[3].

واستدلّ أصحابُنا بهذه الآية علىٰ أنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً من القبائح؛ لأنّ الله تعالىٰ نفىٰ أنْ ينال عهدَه ـ الذي هو الإمامة ـ ظالم، ومن

---

(١) ظهر اتّحاد مصادر أقوالهم فالإشارة إليها جمعاً أفضل، راجع: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ت ١١٨٠ ـ ح ١١٨ و١١٨٦ ـ ١١٨٨، تفسير سفيان الثوريّ: ٤٨، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٥١١ ـ ٥١٤، تفسير عبد الرزّاق الصنعانيّ ١: ٥٨، تفسير الحسن البصري (جمع د. محمّد عبدالرحيم) ١: ١١٤ ت ١٦٦، تاريخ دمشق ٦: ١٩٥ ضمن ترجمة ٣٥١ (إبراهيم بن آزر)، أحكام القرآن للجصّاص ١: ٦٩.

(٢) ذُكر ذلك في غير واحد من المصادر، منها: معاني القرآن للفرّاء ١: ٧٦، مختصر في شواذّ القرآن: ١٦، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٥١٦، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٦٩، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢: ٣٦٩، تفسير التهذيب للجشميّ ١: ٢٧٧، المحرّر الوجيز ١: ٣٥.

(٣) لأنّ النيل تارة موجّه للخير، وأُخرىٰ إلىٰ الفاعل.

ليس بمعصوم فهو ظالم إمّا لنفسه أو لغيره[١].

فإن قيل : إنّما نفىٰ أنْ يناله ظالم في حال كونه كذلك ، **فأمّا** إذا تاب وأناب فلا يُسمّىٰ ظالماً فلا يمتنع أن ينال.

قلنا : إذا تاب لا يخرج من أن تكون الآية تناولته في حال كونه ظالماً فإذا نفىٰ أن يناله فقد حَكَمَ عليه بأنّه لا ينالها ، ولم يفد أنّه لا ينالها في هذه الحال دون غيرها ، فيجب أن تُحمل الآية علىٰ عموم الأوقات في ذلك ، ولا ينالها وإن تاب فيما بعد.

واستدلّوا بها أيضاً علىٰ أنّ منزلة الإمامة منفصلة من النبوّة ؛ لأنّ الله خاطب إبراهيم عليه السلام[٢] وهو نبي ، فقال له : إنّه سيجعله إماماً جزاءً له علىٰ إتمامه ما ابتلاه الله به من الكلمات ، ولو كان إماماً في الحال ، لما كان للكلام معنىٰ ، فدلّ ذلك علىٰ أنّ منزلة الإمامة منفصلة من النبوّة ، وإنّما أراد الله أن يجعلها لإبراهيم عليه السلام.

وقد أملينا رسالة مفردة في الفرق بين النبيّ والإمام ، وأنّ النبيّ قد لا يكون إماماً علىٰ بعض الوجوه ، فأمّا الإمام فلا شكّ أنّه يكون غير نبي ،

---

(١) ممّن استدلّ بها : الكاظميّ في مسالك الافهام ١ : ١١٧ ، وابن شهرآشوب في متشابه القرآن ٢ : ٢٦ ـ ٢٧ ، وبتفصيل جيّد الخاجوئيّ في جامع الشتات : ١٧ ، وغيرهم ، وراجع : غريب القرآن للطريحيّ : ٢٠٥ ، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١ : ١٣٤ ـ ١٣٥ ، تفسير البرهان ١ : ٣١٧ ـ ٣٢٦ ت ٦٠٣ ـ ٦١٦.

هذا وممّا يمكن الإشارة إليه أنّ إتمام هذه الأمور سبب استحقاق الإمامة في النفس شيء منه ، إذ هي ليست بتلك الصعوبة ، ولأنّها لا تحتاج في الامتثال إلىٰ فائق قدرة وبذل جهد حتّىٰ تكون سبباً وعلّة لاستحقاق الإمامة لمن يأتي بها.

(٢) في «خ» زيادة : وموسىٰ ، إلّا أنّ الضمائر بعدها والنسخ الأُخرىٰ لا تساعد علىٰ الإثبات.

وأوضحنا القول في ذلك ، من أراده وقف عليه من هناك[١] .

وإبـراهـيم وإبـراهـم لغتان ، وأصـله : إبـراهـام ، فـحذفت الألف استخفافاً[٢] ، قال الشاعر :

عُذْتُ بِمَا عاذَ بِهِ إِبْراهِمْ[٣] [٤٣٤]

وقال أمية :

مَـعَ إِبْـراهَـمَ ٱلتَّـقيِّ ومُـوسىٰ[٤] .... [٤٣٥]

---

(١) هذه الرسالة مطبوعة ضمن : الرسائل العشر : ١٠٩ ـ ١١٤ .

(٢) تقدّم تفصيل ذلك في ص : ٣٧١ مع مصادره في الهامش (٢) .

(٣) الرجز ذكر في مصادر عدّة ، مختلفة في نسبته وتعدادها لأشطره ، أمّا النسبة فهي بين ثلاث : عمرو بن عبد مَناف ، وعبدالمطلّب ، وزيد بن عمرو بن نُفيل ، وهذا لا يهمّ ؛ إذ المهمّ سياق القصّة ، إذ حاول الناقل أن يقدم تحريم قائلها أكلَه ما ذبح علىٰ النصب ، وأنّه قبل النبيّ الأكرمﷺ ، وقد فُصّل ذلك مع ردّه في القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع : ١٢٤ ـ ١٣١ .

وللرجز واختلافاته راجع : معجم الشعراء للمرزباني : ٣ ، السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٢٥٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٥٧ ، سير أعلام النبلاء ـ السيرة النبوية ـ ١ : ٧٨ ، تاريخ دمشق ١٩ : ٤٩ ضمن ترجمة زيد بن عمرو رقم ٢٣٤٨ ، وغيرها من المصادر كثير .

(٤) شطر من رجز منسوب لأميّة بن أبي الصلت ، وتقدّمت ترجمته في ١ : ٧١ ، ومع كثرة التتبّع لم نجده إلّا في الحجّة لأبي علي الفارسيّ ت ٣٧٧ هـ ٢ : ٢٢٦ ذكره مع شطر آخر :

.... وَٱبْنِ يَعْقُوبَ عِصْمَةٌ فِي الهَـزالِ

وذكر محقّقه أنّه من جملة قصيدة له برقم ٦٢ في صفحة ٤٣٩ من ديوانه ولم أتحقّقه بالرغم من توفّر ثلاث طبعات من الديوان . نعم ، ذكره في طبعة الجبيلي معتمداً علىٰ التبيان . وقد استشهد به في الحجّة كما تقدّم أعلاه لمحلّ الشاهد لدىٰ الشيخ المصنّف .

قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(١٢٥) آية واحدة.

قرأ نافع وابن عامر ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ علىٰ لفظ الخبر، الباقون بلفظ الأمر[1].

قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾ عطف علىٰ قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ وذلك معطوف علىٰ قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ واذكروا ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً﴾، والبيت الذي جعله مثابة هو: البيت الحرام.

والبيت في اللغة والمنزل والمأوىٰ نظائر، يقال: باتَ يَبِيتُ بَيْتُوتَةً وبيّته مُبايَتَةً، وَتَبَيَّتَ تَبَيُّتاً، وَتَبايَتوا تَبايتاً.

والبيت: من أبيات الشِّعْر؛ ومِنْ بُيُوتِ النّاسِ، وَالبَيْتُ مِنْ بِيُوتاتِ العَرَب: أحْيَاؤُها.

وبَيّتَ فُلانٌ أبْياتاً تَبْييتاً: إذا بَناها.

والبَيْتُوتَةُ: الدّخُولُ فِي الليلِ، تقول: بِتُّ أفعلُ كذا، وبالنّهارِ: ظَلِلْتُ،

---

(١) ذَكرت القراءة ـ قراءة نافع وابن عامر ـ جملةٌ من مصادر القراءة، منها: الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٢٢٠، السبعة في القراءات: ١٧٠، الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٦٣، جامع البيان في القراءات ١: ٦١ ـ ٦٢، الموضّح في وجوه القراءات ١: ٢٩٨ ـ ٢٩٩، غاية الاختصار ٢: ٤١٦، الكنز في القراءات العشر: ١٣٠، التذكرة في القراءات: ١٩٤، وغيرها كثير.

وباتوا بَيْتُوتَةً حَسَنَةً .

وأَباتَهُمُ اللهُ إباتَةً ، وَأَباتَهُمُ الأمْرُ بَياتاً ، كُلّ ذَلِكَ دُخُولُ اللّيْلِ ، ولَيْسَ مِنَ النَوْمِ فِي شَيْءٍ ، وما عِنْدَهُ بَيْتُ لَيْلَةٍ ، وَلا بِيتَةُ لَيْلَةٍ ـ بكَسْرِ الباءِ ـ يَعْني : القُوتُ ، واللهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ مِنْ عَمِلِ اللَّيْلِ .

وَبَيَّتُ ٱلقَوْمَ : إذا أَوْقَعْتَ فِيهِمْ لَيْلاً .

والمصدر : التّبييت ، والاسم : البَياتُ ، ومنه قوله : ﴿بَأْسُنَا بَيَـٰتًا﴾[١] .

ويُسَمّىٰ البَيْتُ مِنَ الشِعْرِ بَيْتاً ؛ لِضَمِّهِ الحُرُفَ وَالكَلامَ كَما يَضُمّ البَيْتُ أَهْلَهُ .

وامْرَأَةُ ٱلرَّجُلِ : بَيْتُهُ ، قال الراجز :

مَالِي إذَا أَخَذْتُها صَأيَتُ [٤٣٦]

أَكِبَرٌ قَدْ غَالَنِي أَمْ بَيْتُ[٢]

---

(١) سورة الأعراف ٧ : ٤ و٩٧ .

(٢) نُسب الرجز لرُؤبَة بن العَجاج أو لأبيه العَجاج .

المعنىٰ : الراجز يشكو ضعفه عن سحب الدلو من البئر ، واعتراؤه أنين لا يدري من الكبر هذا أم من النساء ؟ الصأيُ : الصوت الضعيف لِلْفَرْخِ ، ويريد أنينه .

الشاهد : لدى الجميع استعمال البيت بمعنى الأهل والزوجة .

وقد ذكرت بعض المصادر قبله وبعده بيتين هما :

أَقُولُ إذا حَوْقَلْتُ أَوْ دَنَوْتُ

وَبَعْضُ حِيقَالِ الرِّجالِ ٱلمَوْتُ

مالي إذا . . . .

. . . .

لَيْتَ وَهَلْ يَنْفَعُ شَيْئاً لَيْتُ

لَيْتَ الشَبابَ بِيعَ فَاشْتَرَيْتُ

راجع : مجموع أشعار العرب «ديوان رؤبة» : ١٧١ ، الهمز : ٦٥ ، الملاحن : ٨٢ ‹›

وَمٰاءٌ بَيُّوتٌ : إذَا بٰاتَ لَيْلَةً فِي إنٰائِهِ .

وأصْلُ الباب : البَيْتُ : المَنْزِل[١] .

وقوله : ﴿مَثَابَةً﴾ في معناه خلاف ، قال الحسن : يثيبون إليه كلّ عام ، أي : ليس هو مرّة في الزمان فقط[٢] .

وقال ابن عباس : معناه : أنّه لا ينصرف عنه أحد وهو يرى أنّه قد قضى منه وطراً فهم يعودون إليه[٣] .

وقال أبو جعفر عليه السلام[٤] : «يرجعون إليه لا يقضون منه وطراً» .

وبه قال مجاهد .

وحكى الحارثيّ[٥] أنَّ معناه : يحجّون إليه فيثابون

وضمن ت ١٦ ، الأمالي للقالي ١ : ٢٠ ، سمط اللآلي ١ : ٩٧ ، وغيرها من مصادر اللّغة الآتية .

(١) لضبط المادّة اللغويّة «بيت» روجعت المصادر التالية : العين ٨ : ١٣٨ ، جمهرة اللّغة ١: ٢٥٧، تهذيب اللّغة ١٤: ٣٣٣، المحيط في اللّغة ٩: ٤٧٣، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٥٢٤ ، معجم مقاييس اللّغة ١ : ٣٢٤ ، لسان العرب ٢ : ١٤ ، تاج العروس ٣: ٢١ ، وأجمعها المعجم في فقه لغة القرآن ٧: ١٧١ ـ ٢٣٢ ، وغيرها كثير.

(٢) أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٧٢ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) التحيّة أُضيفت من النسخ : «خ ، هـ ، س ، حجرية» والطبعة النجفيّة ، ويساعد عليها ما نُقل في غير واحد ممّا يأتي في المصادر التالية : مسالك الافهام ٢ : ٢٣٩ ، فقه القرآن ١ : ٢٨٩ ، النسخة الخطيّة لتفسير المصابيح للوزير المغربي ت ٤١٨هـ : ٢٩ ، فيكون المراد هو الإمام الباقر عليه السلام .

(٥) هو : محمّد بن أحمد بن محمّد بن الحارث ـ ومنه النسبه ـ الشهير بالحارثيّ والخطيب بساوة ، ثقة ، له كتاب الإمام ، نوادر القرآن .

راجع : الذريعة إلى تصانيف الشيعة للطهرانيّ ٢٤ : ٣٤٧ ، رجال النجاشي : ٣٨٢ ت ١٠٣٨ ، أعيان الشيعة ١ : ١٣٠ ، نقد الرجال ٤ : ١٢٣ ت ٤٤٤٧ ، معجم رجال الحديث ١٦ : ٢١ ت ١٠١٦٠ ، قاموس الرجال ٩ : ٧٨ ت ٦٤٤ .

عليه[١].

وقال الجُبّائيّ: يثوبون إليه: يصيرون إليه[٢].

والفرق بين مَثابَة ومَثاب: أنّ الأخفش قال: مثابةٌ للمُبالَغةُ؛ لما كَثُرَ من يَثُوبُ إليه، كما قيل: عَلّامَةٌ ونَسّابَةٌ وسَيّارَةٌ[٣].

وقال الفَرّاء والزجّاج: معناهما واحد، كالمُقامَة والمَقام بمعنىٰ واحد[٤].

ووزن مَثابَة: مَفْعَلَة، وأَصْلُها مَثْوَبَةٌ مِنْ ثَابَ يَثُوبُ مَثابَةً وَمثاباً وَثَواباً: إذا رَجعَ، فَنُقِلَتْ حَرَكةُ الواو إلىٰ الياء ثمّ قُلِبَتْ علىٰ ما قَبْلها، قال ورقة بن نَوْفَل في صفة الحرم:

مَثَابٌ لأفْنَاءِ القَبائلِ كُلِّها   تَخُبُّ إلَيْهِ اليَعْمَلاتُ الطَّلائحُ[٥]   [٤٣٧]

---

(١) مصادرها مشتركة لشهرتها، راجع على التسلسل: مسالك الأفهام ٢: ٢٣٩، فقه القرآن للراونديّ ١: ٢٨٩، تفسير مجاهد: ٢١٤، شعب الإيمان ٣: ٤٣٨ ت ٣٩٩٥، سنن البيهقيّ ٥: ٢٨٧ ت ٥: ٢٨٧ ت ٩٨٣٠ ـ ٩٨٣١، تفسير الصنعاني ١: ٢٩٠ ت ١٢٢، وبلا نسبة في التمهيد لابن عبدالبر ١٨: ٣١٠ ـ ٣١١، تفسير سفيان الثوريّ: ٤٩.

(٢) تقدّم مراراً أنّ كتبه لا زالت أثراً بعد عين، حتى أنّ رأيه يُنقل ولكن بلا نسبة له، راجع: سنن البيهقي ٥: ٢٨٧ ت ٩٨٣٠، مجاز القرآن لمعمّر بن المثنىٰ ١: ٥٤، عمدة القاري ٥: ٢٦٥، التمهيد لابن عبد البر ١٨: ٣١٠، فقه القرآن ١: ٣٨٩، مسالك الأفهام ٢: ٢٣٩.

(٣) معاني القرآن للأخفش ١: ٣٣٥، وعنه تفسير جامع البيان للطبري ٢: ٣٧٢، التفسير البسيط للواحدي ٣: ٢٩٩، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢: ٣٧٢، المحرّر الوجيز ١: ٢٠٧.

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١: ٧٦، معاني القرآن للزجّاج ١: ٢٠٥.

(٥) البيت اختُلف في نسبته بين ورقة بن نوفل، ولعلّه الصحيح؛ إذ عليه إجماع ←

ومنه : ثاب إليه عَقْلُهُ ، أي : رجع إليه بعد عُزُوبِهِ[١] .

وقوله : ﴿وَأَمْنًا﴾ فالأمن مَصْدَرُ قَوْلِكَ : أَمِنَ يَأْمَنُ أَمْناً ، وإنّما جَعَلَهُ أَمْناً بأنْ حَكَمَ أنّ مَنْ عاذَ بِهِ والتَجأ لا يَخافُ علىٰ نَفسِهِ ما دام فيه بما جعله في نُفوسِ العَرَبِ مِنْ تَعظيمِهِ ، فَكانَ مَنْ فِيهِ آمِناً علىٰ مالِهِ ودمِهِ ، ويُتَخَطَّفُ النّاسُ مِنْ حَولهِ ، كما قال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٢] .

ولِعِظَمِ حُرْمَتِهِ أنّ مَنْ جنىٰ جِنايَةً والتَجَأ إليه لا يُقام عليهِ الحدّ حتّىٰ يخرج ، لكن يُضَيَّق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشراء حتّىٰ يخرج منه فيقام عليه الحدّ .

فإن أحدث فيه ما يوجب الحدَّ أُقيم عليه فيه ؛ لأنّه هَتَكَ حُرمَةَ الحرم .

↩ المصادر ، وأبي طالبعليه‌السلام وهو نادر ، وقد اختلف في روايته أيضاً بما لا أثر له علىٰ الشاهد .

المعنىٰ : أفناء القبائل : مُخْتَلَفَهُم . تَخُبُّ : ضرب من العدو ، اليَعْمَلاتُ : جمع مفردها يَعْمَلَة : الناقة العاملة ، والمطبوعة عليه .

استشهد به جمع منهم : الطبري في تفسيره ٢ : ٥١٧ ، والشافعي في أحكام القرآن ١ : ١١٩ ، والسمعاني في تفسيره ١ : ١٣٦ ، والقرطبي في أحكام القرآن ٢ : ٣٧٢ ، وابن كثير في سيرته النبوية ١ : ٢٦٩ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٣ : ١٥ ضمن ترجمة ورقة بن نوفل ت ٧٩٧ .

(١) لضبط الفعل «ثاب» ومعرفة معانيه وتصرّفه روجعت المصادر التالية : العين ١ : ٢٤٦ ، جمهرة اللّغة ١ : ٢٦٢ ، و٢ : ١٠١٦ ، تهذيب اللّغة ١٥ : ١٥١ ، المحيط في اللّغة ١٠ : ١٨٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ١٨٨ ، معجم مقاييس اللّغة ١ : ٣٩٣ ، صحاح اللّغة القديم ١ : ٩٤ ، والمحقّق ١ : ١٤٦ ، وأجمعهم المعجم في فقه لغة القرآن ٨ : ٦٨٧ .

(٢) سورة العنكبوت ٢٩ : ٦٧ .

ولأنّ الله تعالىٰ جعل الأشهُر الحُرم لا يَحِلّ فيها القِتالُ والقَتْلُ ؛ وكلُّ ذلك بسبب البيت الحرام ، فهو آمن بهذه الوجوه .

وقوله : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أكثر القرّاء علىٰ لفظ الأمر إلّا ابن عامر ونافع فإنّهما قرءا علىٰ لفظ الخبر من فعل ماض[1] .

ويحتمل أن يكون اللّفظ معطوفاً علىٰ قوله : ﴿وَٱذْكُرُواْ﴾[2] كأنّه قال لهم : يا بني إسرائيل ، اذكروا نعمتي واتّخِذوا مِن مَقام إبراهيم مصلّىٰ .

وقال الربيع بن أنس : من الكلمات التي ابتلي إبراهيم بها قوله : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى﴾[3] ، وكأنّه قال : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقال : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى﴾ .

وقيل : إنّه معطوف علىٰ معنىٰ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾؛ لأنّ معناه : واذكروا إذ جعلنا البيت ، واتّخِذوا[4] .

وقيل : إنّه معطوف علىٰ معنىٰ ﴿جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ لأنّ فيه معنىٰ ثوبوا إليه واتّخِذوا[5] .

---

(١) أُشير إلىٰ القراءة هذه ـ أي : بفتح الخاء ـ في جملة من مصادر القراءة ، راجع : السبعة في القراءات : ١٧٠ ت ٤٥ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ : ٢٦٣ ت ٦٩ ، حجّة القراءات : ١١٣ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٢٢٠ ، النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٢٢ ، الموضّح في وجوه القراءات ١ : ٢٩٨ ت ٤٤ ومصادره .

(٢) في آية ٢٢ من سورة البقرة .

(٣) تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٥٢٢ ، المحرّر الوجيز ١ : ٣٥٢ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ١ : ٣٣٥ ، معاني القرآن للزجّاج ١ : ٢٠٧ ، معاني القراءات : ٦٢ ، ومصادرها .

(٥) أُشير إلىٰ ذلك في جملة مصادر منها : تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل ١ : ٣١٠ ، المحرّر الوجيز ١ : ٣٥٢ ، تفسير الدرّ المصون ١ : ٣٦٤ .

وظاهر قوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا﴾ أنّه عامٌّ لجميع المكلّفين[1] إلّا من خصّه الدليل، وعليه أكثر المفسِّرين.

وقال أبو عليّ الفارسيّ: وجه قراءة من قرأ على الخبر: أنّه عطفه على ما أُضيف إليه ﴿إذ﴾، كأنّه: «وإذ ٱتَّخَذُوا»، قال: وتقوية قوله: إنّ ما بعده خبر، وهو قوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾[2].

المعنيّ بقوله: ﴿مِن مَّقَامِ﴾ قيل فيه أربعة أقوال:

الأوّل: ما قاله ابن عبّاس: الحجُّ كلّه مَقَامُ إبراهيم[3].

الثاني: قال عطاء: مَقامُ إبراهيم: عرفة والمزدلفة والجمار[4].

الثالث: قال مُجاهِد: الحرم كلّه مَقامُ إبراهيم[5].

الرابع: قال السُّدّيّ: مَقامُ إبراهيم هو الحَجَرُ الذي كانت زوجة

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة للفارسي ٢ : ٢٢٠، وذكره الطبري في جامعه ٢ : ٥٢٤، والأندلسي في البحر المحيط ١ : ٦٠٩، وعنه زاد المسير ١ : ١٤٢، وغيرها.

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٢٥، وانظر الهامش السابق.

(٣) تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٥٢٥، تفسير ابن أبي حاتم الرازي ١ : ٢٢٦ ت ١١٩٧، تفسير النكت والعيون للماوردي ١ : ١٨٧، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ : ٥٤، زاد المسير لابن الجوزي ١ : ١٤١، تفسير أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٧٥، عمدة القاري ٤ : ١٣٠، فقه القرآن للراوندي ١ : ٢٩٠.

(٤) تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٥٢٥، تفسير البسيط للواحدي ٣ : ٣٠٤، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ : ٣٧٦، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٧٥.

(٥) تفسير مجاهد : ٢١٤ هـ ٢، تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٥٢٥ ـ ٥٢٨، شرح البخاري لابن بطال ٢ : ٥٦، تفسير الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١ : ٤٣٢، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٧٥، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ : ٣٧٦، فتح القدير ١ : ١٣٨، عمدة القاري ٤ : ١٣٠، المحرّر الوجيز ١ : ٣٥٣، اللباب ٢ : ٤٦٣، فقه القرآن للراوندي ١ : ٢٩٠.

إسماعيل وضعته تحت قدم إبراهيم حين غسلت رأسه، فوضع إبراهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت شقَّه ثمّ رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحَجَرِ، فوضعته تحت الشقّ الآخر فغسلته فغابت رجله أيضاً فيه، فجعلها الله من شعائره، فقال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى﴾[1].

وبه قال الحسن وقَتادة والربيع، واختاره الجُبّائيّ والرُّمّانيّ[2].

وهو الظاهر في أخبارنا[3]. وهو الأقوىٰ؛ لأنّ مَقامَ إبراهيمَ إذا أُطلق لا يُفهم منه إلّا المَقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام[4].

وفي المقام دلالة علىٰ نبوّة إبراهيم عليه السلام؛ لأنّ الله تعالىٰ جعل الصخرة تحت قدمه كالطين حتّىٰ دخلت قدمه فيها وكان ذلك معجزةً له.

وقيل في معنىٰ قوله: ﴿مُصَلًّى﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) أُشير إلىٰ رأي السُّدّيّ في أغلب المصادر التفسيرية ولكن غالباً دون نسبة، منها: تفسير السمعاني ١ : ١٣٧، معالم التنزيل ١ : ١٥٢، عون المعبود ١١ : ٣، وفي أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٧٥، الينابيع الفقهية ٧ : ٣٥٦ منسوباً إليه.

(٢) تجد أقوالهم في: أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٧٥، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ : ٥٣، تفسير ابن كثير ١ : ١٧٥، تفسير الدرّ المنثور ١ : ٦٢١ ـ ٦٢٥، عمدة القاري ٤ : ١٣٠، تفسير الجُبّائي (جمع) : ٨٢، وغيرها كثير.

(٣) تفسير العياشي ١ : ١٥٤ ت ٩٥ ـ ٩٦، التوحيد ١ : ١٧٩ ت ١٣، علل الشرائع : ٤٢٣ ب ١٦٠ ت ١، من لا يحضره الفقيه ٢ : ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ب ١٣٩ ت ١٢٢٤ ـ ١٢٣٠، الكافي ٤ : ٤٢٥ ت ١، تهذيب الأحكام ٥ : ١٣٩ ت ٤٥٨، الاستبصار ٢ : ٢٣٥ ت ٨١٥، منتهىٰ المطلب ١٠ : ٣٢٨ ـ ٣٢٩، روضة المتّقين ٤ : ٥٦٨ ـ ٥٦٩، الحج والعمرة في الكتاب والسُّنّة : ٩٩ ت ١٨٢، جامع أحاديث الشيعة ١٢ : ٩٦ ت ١٦١٣١.

(٤) مقام إبراهيم مشهور معروف في المسجد الحرام بين بئر زمزم والكعبة المشرّفة فعلاً، وإذا يغيّر محلّه فإمّا يقدّم إلىٰ الكعبة أو يؤخّر عنها، وجرىٰ ذلك مرّات.
راجع: معجم البلدان ٥ : ١٦٤، مراصد الاطّلاع ٣ : ١٢٥٩.

الأوّل: قال مجاهد: مُدْعَىٰ مأخوذ من صَلَيْتُ بمعنىٰ دَعَوْتُ[١].

الثاني: قال الحسن والجُبّائيّ: قبلةٌ[٢].

الثالث: قال قَتادة والسُّدّيُّ: أُمروا أن يُصلّوا عنده[٣]، وهو المروي في أخبارنا[٤]، وبذلك استدلّوا علىٰ أنّ صلاة الطواف فريضة مثله؛ لأنّ الله تعالىٰ أمر بذلك، وأمره يقتضي الوجوب، وليس هاهنا صلاة يجب أداؤها عنده غير هذه بلا خلاف[٥].

وقوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾ أي: أمرنا أنْ طَهِّرا.

---

(١) تفسير مجاهد: ٢١٤ هـ ٢، تفسير جامع البيان للطبريّ ٢: ٥٢٩، تفسير ابن أبي حاتم الرازي ١: ٢٢٧ ت ١٢٠١، النكت والعيون للماوردي ١: ١٨٧، وغيرها.

(٢) ذكرت قولهما جملة من المصادر، منها: التفسير الكبير للفخر الرازي ٤: ٥٤، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢: ٣٧٧، تفسير اللباب ٢: ٤٦٤.

(٣) أحكام القرآن للجصّاص ١: ٧٥، تفسير الطبراني ١: ٢٤٠، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤: ٥٤، تفسير ابن كثير ١: ٤١٧، وغيرها كثير.

(٤) راجع: الكافي ٤: ٤٢٥ ب ١٣٨ و٤: ٤٢٣ ب ١٣٧، تهذيب الأحكام ٥: ١٣٧ ت ٤٥١ ـ ٤٥٣، الاستبصار ٢: ٢٣٤ ب ١٥٦، تفسير نور الثقلين ١: ١٢٢ ـ ١٢٣ ت ٣٤٧ ـ ٣٥٣، الميزان في تفسير القرآن ١: ٢٨٠، تفسير البرهان ١: ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ت ٦١٧ ـ ٦٢٤.

(٥) خلاف بين الأُصوليّين والفقهاء والمتكلّمين في دلالة صيغة الأمر علىٰ الوجوب، والكلام حولها وحصر مورد الخلاف فيها طويل عريض، وسيف الهامش علىٰ رقبة القلم مشهور، فالإحالة علىٰ المصادر خير، فلمريد التوسعة مراجعة المصادر التالية:

من الشيعة، راجع للمثال: الذريعة للسيد الشريف ١: ٥١، العُدّة للشيخ الطوسي ١: ١٧٠، مبادئ الوصول: ٩٠، كفاية الأُصول: ٦٩، وغيرها كثير.

ومن العامّة للمثال أيضاً: المحصول ٢: ٤٤، الإحكام في أُصول الأحكام ٢: ٣٦٧، روضة الناظر ٢: ٥٩٤، التلخيص للجويني ١: ٢٦٨ ت ٢٢٥، البرهان له أيضاً ١: ١٥٩، المعتمد ١: ٥٧ ت ٤٣٦، التبصرة: ٢٦، العُدّة للفرّاء الحنبلي ١: ٢٢٤، وكثير غيرها؛ إذ لا يخلو كتاب في أُصول الفقه عن هذا البحث إلّا نادراً.

قال الجُبّائيّ: أُمرا أن يُطهِّراه من فَرْثٍ ودمٍ كان يطرحه عنده المشركون قبل أن يصير في يد إبراهيم.

(ويجوز أن يُريدَ طهّراه من الأصنام والأوثان التي كانت عليه للمشركين قبل أن يصير في يد إبراهيم)[1]، وبه قال قَتادةُ ومُجاهدٌ.

وقال السُّدّيُّ: طهّرا بيتي ببنائكما له على الطهارة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾[2][3].

والطائف والدائر والجائل نظائر، طَافَ يَطُوفُ طَوْفاً: إذا دار حول الشَّيء، وأَطاف بِهِ إطَافَة: إذا أَلَمَّ بهِ، وَطَوَّفَ تَطْوِيفاً، والطَوْفُ: خَشَبٌ، أو قَصَبٌ يُجْمَعُ بَعْضُهُ إلىٰ بَعْضٍ، يُرْكَبُ عَلَيْهِ في البَحْر.

والطَوَفَانُ: مَصْدَرُ طافَ يَطُوفُ طَوْفاً، فأمّا طَافَ بالبَيْتِ فَهُوَ طَوّافٌ، وَأَطافَ به: إذا أحاط به.

والطَّائفُ: العاسُّ.

والطَوّافُونَ: المماليك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾[4].

والطائفُ: طائف الجِنِّ والشَّيْطانِ، وهو كلُّ شَيءٍ يَغْشَىٰ القَلْبَ

---

(١) المحصورة ساقطة من النسخة «خ» مثبتة في البواقي.

(٢) سورة التوبة ٩: ١٠٩.

(٣) وحدة المصادر وتقاربها يستدعي جمعها في هامش واحد. راجع: أحكام القرآن للجصّاص ١: ٧٥ بلا نسبة، تفسير جامع البيان للطبري ٢: ٥٣٣، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١: ٢٧٢، تفسير معالم التنزيل للبغوي ١: ١٥٣، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٥٤، تفسير الجواهر الحسان للثعالبي ١: ٣١٥، تفسير لباب التأويل للخازن ١: ٧٩، تفسير مجاهد ٢١٤، زاد المسير ١: ٤٢، تفسير الدرّ المنثور ١: ٦٣٣، تفسير الفخر الرازي ١: ٥٧، وغيرها.

(٤) سورة النور ٢٤: ٥٨.

مِنْ وَسْواسِهِ فَهُوَ طَيْفُهُ.

والطائفَةُ مِنْ كلّ شَيءٍ: قِطْعَةٌ، تقول: طائفةٌ مِنَ النّاسِ، وطائفةٌ مِنَ اللّيْل، قال الله تعالىٰ: ﴿وطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾[1].

وأصل الباب: الطَوْفُ: ٱلدَّوْرُ[2].

ومعنىٰ ﴿الطَّآئِفِينَ﴾ هاهنا قيل فيه قولان:

أحدهما: ما قال سعيد بن جُبَير: ﴿الطَّآئِفِينَ﴾ من أتاه من غُربة.

والثاني: قال عطاء ـ واختاره الجُبائيّ وغيره ـ: هم الطائفون بالبيت[3]. وهو الأصحّ.

وقوله: ﴿وَٱلْعَـٰكِفِينَ﴾ هاهنا قيل فيه أربعة أقوال:

الأوّل: قال عطاء ـ واختاره الجُبائيّ ـ: إنّهم المقيمون بحضرته.

والثاني: قال مجاهد وعِكْرِمة: إنّهم المجاورون.

والثالث: قال سعيد بن جبير وقَتادة: إنّهم أهل البلد الحرام.

والرابع: قال ابن عبّاس: هم المصلّون[4].

---

(١) سورة المزّمّل ٧٣: ٢٠.

(٢) لضبط مادّة «طوف» روجعت المصادر التالية: العين ٧: ٤٥٨، تهذيب اللّغة ١٤: ٣٣، جمهرة اللّغة ٢: ٩٢١، المحكم والمحيط الأعظم ٩: ٢٤٢، المحيط في اللّغة ٩: ٢١٠، الصحاح في اللّغة محقّق ٤: ١١٢، والقديم ٤: ١٣٩٦، معجم مقاييس اللّغة ٣: ٤٣٢. العباب الزاخر: ٤٠٣ وغيرها.

(٣) القولان تجدهما في: تفسير جامع البيان للطبري ٢: ٥٣٤، تفسير ابن أبي حاتم الرازي ١: ٢٢٨ ت ١٠٢١١ ـ ١١٢٠٨، تفسير الجُبّائيّ: ٨٢ ت ٣٥ «جمع»، تفسير النكت والعيون للماوردي ١: ١٨٨، معاني القرآن للزجّاج ١: ٢٠٧، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١: ١٥٧، تفسير القرآن المجيد لابن أبي زمنين ١: ١٧٧.

(٤) تفسير الجُبّائي «جمع» ٨٢: ت ٣٥، البحر المحيط في التفسير للزركشي ١: ☜

والأوّل أقوىٰ ؛ لأنّه المفهوم من إطلاق هذه اللّفظة ، قال النابغة :

عُكُـوفٌ عـلىٰ أبْـياتِهِمْ يَـثْمِدُونَها   رَمَىٰ اللهُ في تِلْكَ الأكُفِّ الكَوانِعِ[1]   [٤٣٨]

والعكْفُ واللّزومُ والدَّوامُ علىٰ الشيءِ نظائرُ، تقول: عَكَفَ يَـعْكُفُ عَكْفاً وعُكُوفاً: إذا لَزِمَ الشَّيء وأقامَ عَلَيهِ فَهُوَ عَاكِفٌ، وَعَكَفَ الطَّيْرَ بالقَتيل.

والعاكف: المُعْتَكِفُ في المَسْجِدِ، قَلَّما يقولون: عَكَفَ ـ وإن قيل كان صواباً ـ وإنّما يقولون: اعْتَكَفَ.

ويقال للنظم إذا نَظَمَ فيهِ الجَوْهَر: عكف تعكيفاً، والمَعْكُوف المَحْبُوس.

وأصل الباب: العَكْفُ: وهو اللّزوم[2].

✎ ٦١١ ، تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٥٣٥ ، تفسير النكت والعيون للماوردي ١ : ١٨٨ ، تفسير المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١ : ٣٥٤ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ : ٣٧٨ .

(١) بيت للنابغة الذبياني ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ٥٥ ـ من قصيدة قالها في زرعة ابن عمرو العامري ، وفي طبعات الديوان بعض اختلاف لا يضرّ بالشاهد ، والبيت من ق ١٢ ب ٩ من طبعة : أبو الفضل إبراهيم .

يثمدونها : يسألونها ويلحّون في المسألة ، رمىٰ الله : جَدَعَها ، الكوانع : الملتصقة بالوجوه .

المعنىٰ العامّ : أنّهم يلحّون في مسألتهم ، ويطيلون إقامتهم علىٰ الأبواب ، ولقلّة سعيهم للرزق كأنّهم يسألون البيوت رزقهم ؛ لضعفهم وعدم خروجهم للغارة فأصبحوا أذلّاء .

راجع : الديوان بتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم : ٨٦ ، ق ١٢ ، ب ٩ . واستشهدت به بعض اللّغويات منها : العين ١ : ٢٠٤ ، أساس البلاغة ١ : ٩٩ ، لسان العرب ١٤ : ٣٣٧ ، تاج العروس ١٩ : ٤٧٥ .

(٢) لضبط المادّة «عكف» روجعت المصادر التالية : العين ١ : ٢٠٥ ، تهذيب اللّغة ١ : ٣٢١ ، جمهرة اللّغة ٤ : ١٤٠٦ ، المحيط في اللّغة ١ : ٢٢٩ ، لسان العرب ٩ : ٢٥٥ ، معجم مقاييس اللّغة ٤ : ١٠٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ١ : ٢٨٢ ، صحاح اللّغة ٤ : ١٤٠٦ ، تاج العروس ١٢ : ٣٩٦ ، المعجم في فقه لغة القرآن ٢٥ : ٧٦١ ـ ٨١٠ .

والمعنيّ بقوله: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال قَتادة وعطاء: هم الذين يصلّون عند الكعبة يركعون عندها ويسجدون[(١)].

وقال الحسن: ﴿ٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ جميع المؤمنين، وبه قال الفرّاء[(٢)]. وهو الأقوىٰ؛ لأنّه العُمُومُ.

فإن قيل: كيف أمر الله تعالىٰ أن يُطَهّر بيته، ولم يكن هناك بيت بعد؟

قيل: معناه: ابنيا لي بيتاً مطهّراً في قول السُّدّيّ[(٣)].

وقال عطاء: معناه طهّرا مكان البيت الذي تبنياه فيما بعد[(٤)].

وفي الآية دليل علىٰ أنّ الصلاة جوف البيت جائزة[(٥)].

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني ١: ١٣٨، تفسير الكشف والبيان للثعلبي ١: ٢٧٢، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤: ٥٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ١٧٧، تفسير فتح القدير ١: ١٤٢، تفسير الدرّ المنثور ١: ٦٣٤، تفسير اللباب ٢: ٤٦٨، فقه القرآن للراوندي ١: ٢٩١، معاني القرآن للفرّاء ١: ٧٧ بتفاوت.

(٢) نفس المصادر.

(٣) تعرّض لذلك غير واحد من التفاسير، منها: جامع البيان للطبريّ ٢: ٥٣٢، النكت والعيون ١: ١٨٨، جامع أحكام القرآن ٢: ٣٧٧، زاد المسير ١: ١٤٢، البحر المحيط ١: ٦١١.

(٤) ذُكر هذا القول في غير واحد من التفاسير، منها: جامع البيان للطبري ٢: ٥٣٢ ـ ٥٣٣، البحر المحيط ١: ٦١١.

(٥) ذكرت ذلك جملة من مصادرنا، منها: الكافي ٤: ٥٢٨ ـ ٥٢٩ ب دخول الكعبة الأحاديث، التهذيب ٥: ٢٧٥ ب ٢١ دخول الكعبة، الاستبصار ١: ٢٩٨ ب ١٦٢، الوافي ١٤: ١٢٨٣ ـ ١٢٩٠ ب ١٦٥ دخول الكعبة ت ١٤٢٧٤ ـ ١٤٢٨٩، وسائل الشيعة ٤: ٣٣٦ ب ١٧.

وقد اعتمدها الفقهاء مثل: صاحب الجواهر ٢٠: ٦٢، وصاحب مستند الشيعة ١٣: ٨٦ ـ ٨٨، وصاحب هداية الأمّة ٥: ١٩٨ ت ١٣١٠ ـ ١٣١٤، وصاحب مهذّب الأحكام ٥: ٤٣١، والآملي في كتاب الصلاة ٣: ٦٨٠، والحائري في كتاب الصلاة: ١١٠، وغيرهم من الفقهاء، ولعلّه لا يخلو مصدر فقهي عن هذا البحث.

قوله تعالىٰ:

﴿وإذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(١٢٦) آية.

التقدير: ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾.

فإن قيل: هل كان الحرم آمناً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام؟

قيل: فيه خلاف، قال مجاهد عن ابن عبّاس وأبو شريح الخزاعي[1]: كان آمناً؛ لقول النبيّ صلى الله عليه وآله حين فتح مكة: (هذه حرم حرّمها الله يوم خلق السماوات والأرض)[2]، وهو الظاهر في رواياتنا[3].

---

(١) صحابي اشتهر بكنيته: أبو شريح، وابن شريح، المتّفق عليهما، والمختلف في اسمه ونسبه كثيراً، روىٰ عن النبيّ صلى الله عليه وآله، عُدّ من طبقة ابن عبّاس، حمل لواء خزاعة عام الفتح، حاول أن يثني والي المدينة ليزيد عن البعث إلىٰ مكّة لحرب ابن الزبير فلم يفلح في ذلك، توفّي عام ٦٨هـ.

راجع: الإصابة ٧: ٩٨ ت ٦٠٨، الاستيعاب ٤: ١٦٨٨ ت ٣٠٣٣، أُسد الغابة ٥: ١٦٤ ت ٥٩٩٧.

وأمّا بكنيته ابن شُرَيح فقد ورد في جملة مصادر، منها: المبسوط للسرخسي ٤: ١٦٧، مجمع الزوائد ١: ١٦٩ و٤: ١٧٦، معرفة السنن والآثار ٦: ١٧٦، كنز العمّال ٩: ٥٦، خلاصة تهذيب التهذيب: ١٤٥، ولعلّهما واحد.

(٢) ورد في عدّة صحاح منها: شُعَبُ الإيمان ٣: ٤٤١ ت ٤٠٠٧، سنن البيهقي ٥: ٣١٩ ت ٩٩٤٤، المصنّف للحافظ عبدالرزّاق ٥: ١٤٠ ت ٩١٨٩، صحيح ابن خزيمة ٢: ٧٦ ـ ٧٧ ت ٩٥٨، مصابيح السُنّة ٢: ٢٩٣ ت ١٩٧٩، مسند أحمد ١: ٤٢٩ ت ٢٣٤٩، صحيح ابن حِبّان ٩: ٣٥ ـ ٣٦، وغيرها كثير.

(٣) أشارت لذلك جملة من مصادرنا، منها: الكافي ٤: ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ت ٣ ـ ٤، ☜

وقال قوم : كانت قبل دعوة إبراهيم كسائر البلاد ، وإنّما صارت حرماً بعد دعوته عليه السلام ، كما صارت المدينة ؛ لما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : (إنّ إبراهيم عليه السلام حَرَّمَ مكّة ، وإنّي حَرَّمْتُ المدينةَ)[1] .

وقال بعضهم : كانت حراماً قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حراماً بعد الدعوة[2] .

و[الوجه] الأوّل يمنع الله إيّاها من الاصْطِلامِ[3] والانتقام كما لحق

⇐ الفقيه ٢ : ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ت ٢٣١٤ و٢٣١٦ ، وسائل الشيعة ١٢ : ٥٥٧ ب ٨٨ ، منتقىٰ الجمان ٣ : ٤٨ ، الوافي ١٢ : ٣٢ ت ١١٤٥١ ، مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله ٣ : ٥٩٣ ، موسوعة الأحاديث للنجفي ١٠ : ٤١٩ ت ١٣٣٥٥ ـ ١٣٣٥٦ ، تفسير الصافي ٢ : ٧٨ ـ ٧٩ ت ٩١ .

واعتمده آخرون في فتواهم مثل : الحدائق الناضرة ١٥ : ٥٢٩ ، جواهر الكلام ١٨ : ٤١٤ ، مستند الشيعة ١١ : ٤٠١ وغيرهم كثير .

(١) يظهر اتّفاق الفريقين علىٰ روايته ، راجع : صحيح مسلم ٢ : ٩٩١ ت ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، سنن البيهقي ٥ : ٣٢٢ ت ٩٩٥٥ و٩٩٥٦ ، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٧٩ ، المحلّىٰ ٧ : ٢٣٧ ، نيل الأوطار ٥ : ١٠١ ، النكت والعيون ١ : ١٩٠ ، فتح العزيز ٧ : ٥١٣ ، وغيرها من مصادر العامّة .

أمّا الطائفة الحقّة فراجع للمثال : مسائل الخلاف ٢ : ٤٢٠ ـ ٤٢١ م ٣٠٧ ، النهاية : ٣٨٧ ، التهذيب ٦ : ١٢ ب ٥ تحريم المدينة ، الأحاديث ، والثلاثة للشيخ الطوسي ، وقبله الشيخ الكليني في الكافي ٤ : ٥٦٣ ب تحريم المدينة ، تذكرة الفقهاء ٧ : ٣٧٥ م ٢٩٥ ، فقه القرآن للراوندي ١ : ٤٤٢ ، الغدير في الكتاب والسُنّة والأدب ١١ : ٤٥ وما بعدها ، مسالك الافهام للكاظمي ٢ : ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ، وغيرها كثير جدّاً .

(٢) ذكر ذلك في مصادر عدّة منها : التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ : ٦٠ ، تفسير اللباب ٢ : ٤٧٣ ، مسالك الافهام ٢ : ٢٩٧ ، مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله ٣ : ٥٩١ ومصادره .

(٣) الاصطلام : تأتي تارة بمعنىٰ قطع العُضو ، أي : الأنف والأُذن ، ولا مورد لها . وأُخرىٰ بمعنىٰ : الإبادة من الوجود ، ولعلّها المرادة ، راجع : العين ٧ : ١٢٩ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٨٩٦ ، تهذيب اللّغة ١٢ : ١٩٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٣٣٥ ، ⇐

غيرها من البلاد ، وبما جعل في النفوس من تعظيمها والهيبة لها .

والوجه الثاني : بالأمر علىٰ ألسنة الرسل ، فأجابه الله تعالىٰ إلىٰ ما سأل ، وإنّما سأل أن يجعلها آمناً من الجدب والقحط[1] ؛ لأنّه أسكن أهله ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾[2] ولا ضرع ، ولم يسأله أمنه من انتقال وخسف ، لأنّه كان آمناً من ذلك .

وقال قوم : سأله الأمرين[3] علىٰ أنْ يُديمهما له ، وإنْ كان أحدهما مستأنفاً والآخر كان قبل .

ومعنىٰ قوله : ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي يأمنون فيه ، كما يقال : ليلٌ نائمٌ ، أي : النوم فيه[4] .

المحيط في اللّغة ٨ : ١٥٢ ، الصحاح ٥ : ١٩٦٦ ، والمحقَّق ٥ : ٣٢١ ، معجم مقاييس اللّغة ٣ : ٢٩٩ ، مادّة : «صلم» .

هذا ، وفي بعض النسخ بدل الصاد : ضاد ، أي : الاضطلام : أي الظلم ، راجع العين ٨ : ١٦٢ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٩٣٤ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ٣٨٢ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٢٣ ، المحيط في اللّغة ٨ : ١٥٢ ، الصحاح ٥ : ١٩٦٦ ، والمحقّق ٥ : ٣٢١ ، معجم مقاييس اللّغة ٣ : ٤٦٨ . «ظلم» ولعلّ لكلٍّ وجهاً .

(١) جاء ذلك في عدّة مصادر منها : تفسير النكت والعيون ١ : ١٨٩ ، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٧٩ ، تفسير الطبري ٢ : ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ، تفسير عزّالدين السلمي ١ : ١٦٢ ، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ : ٥٢ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٦١٣ ، تفسير زاد المسير ١ : ١٤٣ ، الأحكام السلطانية ١ : ١٩٢ .

(٢) سورة إبراهيم ١٤ : ٣٧ .

(٣) الأمران هما : الأمن والرزق ، ذكر ذلك في غير واحد من المصادر ، منها : ما تقدّم مثل : أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٧٩ ، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ : ٦٠ ، تفسير اللباب ٢ : ٤٧٢ ، وغيرها . وراجع : درّة التنزيل للاسكافيّ : ١٦ ـ ١٧ ، ملاك التأويل للعاصمي الغرناطيّ ١ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٤) وهو التعبير باسم الفاعل نائم وإرادة اسم المفعول منه ينام فيه . راجع : حقائق

والبَلَدُ والمِصْرُ وَالمدِينَةُ نظائر .

ورجل بَليد : إذا كان بَعيدَ الفِطنَة ، وكذلِكَ يُقَالُ للدّابَةِ التي تَقْصُر عَنْ نَظَائِرها .

وأصل البَلادَة : التأثير ، ومِنْ ذلك قولُهم لكَرْكَرةِ البَعِير : بَلْدَة ؛ لأنّه إذا بَركَ أثّرت ، والبَلَدُ : الأثر في الجلد وغيره ، وجمعه أبلاد .

وإنّما سُمِّيَت البِلاد من قولك : بَلَدٌ أو بَلْدَةٌ ؛ لأنّها مَواضِعُ مَواطِنِ النّاسِ وتأثيرهم .

والبَلَدُ : المقبرة ، ويقال : هو نفس القبر ، قال خفاف :

كُلُّ امْرِىءٍ نَازِلٌ أَحِبَّتَهُ وَمُسْلِمٌ وَجْهَهُ إلىٰ البَلَدِ[1] [٤٣٩]

و ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[2] يعني : بمكّة .

والتَبَلُّد : نَقِيضُ التَجَلُّد ، وهو اسْتِكَانَةٌ وَخُضُوع .

وتَبَلَّدَ الرَّجُلُ : إذا نَكَسَ وَضَعُفَ في العُمْرِ وغَيْرِهِ حَتّىٰ في السجود .

التأويل للشريف : ١٣١ ، تفسير جامع البيان للطبري ١٤ : ٤٢ ، التمهيد لابن عبدالبرّ ١ : ٢١٦ ، منهاج البراعة للراوندي ١ : ٣٨٩ ، صحاح اللغة محقّق ٥ : ٤٤٢ «نوم» ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١١٤ ، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ٣ : ٤٧٥ ، وغيرها كثير .

(١) البيت للشاعر خُفاف بن نُدْبَة ـ وهي أُمّه ـ وتقدّمت ترجمته في ١ : ١٦٥ ، والبيت من جملة أبيات حكمية تشتمل عليها القصيدة المذكورة في الديوان : ١٦ ب ١٢ ق ١٥ ، وفيها مع الديوان بعض اختلاف لا يضرّ الشاهد ، والديوان أوجه ؛ إذ فيه عِوض «نازل» فاقد ، وهو أعمّ معنىً ، وفي بعض المصادر : «تارك» .

وإضافةً للديوان راجع أيضاً : منتهىٰ الطلب في أشعار العرب ١ : ١٣١ ق ١٢ ، المخصّص لابن سيده ٣ : ١٨٢ .

والشاهد استعمال : البَلَد وإرادة القبر منه .

(٢) سورة البلد ٩٠ : ١ .

والبَلْدَةُ : مَنْزِلٌ من مَنازِلِ القَمَرِ[١].

وأصل الباب : البَلَد ، وهو : الأثر في الجلد وغيره .

وقوله : ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلاً﴾ يعني : بالرزق الذي أرزقه إلىٰ وقت مماته .

وقيل : فأُمَتِّعُهُ بالبقاء في الدنيا[٢].

وقال الحسن : أُمَتِّعُهُ يعني : بـالأمن والرزق إلىٰ خـروج محمّد ﷺ فيقتله إن أقام علىٰ كفره أو يجليه عنها[٣].

وقد قُرِئَ في الشواذّ ﴿فَأَمْتِعْهُ﴾ علىٰ وجه الدعاء بصورة الأمر[٤] ﴿ثُمَّ أَضْطَرَّهُ﴾ بمثل ذلك علىٰ أن يكون ذلك سؤالاً من إبراهيم : أن يُمتِّع الكافر قليلاً ثمّ يضطرّه بعد ذلك إلىٰ عذاب النار .

والأوّل أجود ؛ لأنّه قراءة الجماعة[٥]، وهذا مروي عن ابن عباس[٦].

والراء مفتوحة في هذه القراءة ، وكان يَجوزُ أن تُكسر ، كما يقال : مُدَّ

---

(١) راجع مادّة «بلد» في : العين ٨ : ٤٢ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ١٢٧ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣٠١ ، المحيط في اللّغة ٩ : ٣١٣ ، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٣٤٢ ، صحاح اللّغة ٢ : ١٨ ، معجم مقاييس اللّغة ١ : ٢٩٨ ، وأوسعها إحاطةً بالمادّة : معجم فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته ٦ : ٥١٥ .

(٢ و ٣) ذُكرا في غير واحد من المصادر ، منها : تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٥٤٧ ، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٨٠ ، تفسير الهُوّاري ١ : ١٤٨ ، التفسير الكبير للرازي ٤ : ٦٢ ، تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٧٨ ، تفسير اللباب ٢ : ٤٧٧ ، علماً أنّه في بعضها بلا نسبة .

(٤) شواذّ القراءات : ٧٥ ، إعراب القراءات الشواذّ ١ : ٢٠٤ ، المحتسب ١ : ١٠٤ ، البحر المحيط ١ : ٦١٤ ، وغيرها .

(٥) السبعة في القراءات : ١٧٠ ت ٤٦ ، معاني القراءات : ٦٣ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٢٢١ ، وجملة أُخرىٰ .

(٦) راجع : تفسير جامع البيان للطبري ٢ : ٥٤٦ ، المحتسب ١ : ١٠٤ ، البحر المحيط ١ : ٦١٤ ، وغيرها .

ومُدٌ ولم يقرأ به أحد .

وقرأ ابن عامر وحده ﴿فَأُمْتِعُهُۥ قَلِيلاً﴾ من أمتعت علىٰ الخبر .

الباقون بالتشديد بدلالة قوله : ﴿مَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1][2] .

والفرق بين مَتَّعْتُ وأمْتَعْتُ : أنّ التشديد يدلّ علىٰ تكثير الفعل ، وليس كذلك التخفيف .

وفعّلت وأفعلت يجيء علىٰ خمسة أقسام :

أحدها : أنْ يكونا بمعنىً واحد ، كقولهم : سَمَّيْتُ وأَسْمَيْتُ .

و[**الثاني**] : يجيء علىٰ التكثير والتقليل ، كَمَتَّعْتُ وأَمْتَعْتُ .

و[**الثالث**] : يجيء علىٰ النقص ، كقولك : فَرَّطْتُ : قَصَّرْتُ ، وأَفْرَطْتُ : جَاوَزْتُ .

والرابع : تَوَلَّيْتُ الفِعْلَ وَتَرَكْتهُ حَتّىٰ يَقع كقوله : ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾[3] أي : يهدمون ، فأمّا أَخْربْتُ : فمعناه تَركتُ المنزلَ وَهَرَبْتُ منه حتّىٰ خَرِبَ .

والخامس : أنْ يَنْفَرِدَ أَحَدُهُما عن الآخَرِ ، كقولك : كَلَّمْتُ ، لا يقال فيه : أفْعَلْتُ وأَجْلَسْتُ ، ولا يقال منه : فَعَلْتُ[4] .

---

(١) آية متكرّرة في سورة يونس ١٠ : ٩٨ ، والصافّات ٣٧ : ١٤٨ .

(٢) انظر : السبعة في القراءات : ١٧٠ ت ٤٦ ، والاقناع في القراءات السبع ٣٧٦ ت ١٢٦ ، والمبهج في القراءات السبع ٢ : ٨٢ ، والحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٢٢١ ، وحجّة القراءات : ١١٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ : ٣٦٥ ، وغيرها من مصنّفات القراءة .

(٣) سورة الحشر ٥٩ : ٢ .

(٤) أُشير إلىٰ ذلك بنحوٍ وآخَر في شرح أُصول الكافي ١٠ : ٧٣ ، الزاهر في غريب ﴿

ومعنىٰ ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ : أدفعه إلىٰ عذاب النّار وأسُوقه إليه .

والاضطرار : هو الفِعْلُ في الغَيْرِ علىٰ وَجْهٍ لا يمكنه الانفكاك منه إذا كان من جنس مقدوره ، ولهذا لا يقال : فلان مضطرّ إلىٰ كونه ـ وإن كان لا يمكنه دفعه عن نفسه ـ لمّا لم يكن الكون من جنس مقدوره . ويقال : هو مضطرّ إلىٰ حركة الفالج ، وحركة العروق ، لمّا كانت الحركة من جنس مقدوره .

وقوله : ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فالمصير : هو الحال التي يؤدّي إليها أوّلُ لها .

وصارَ وحالَ وآلَ نظائر .

ويقال : صَارَ يَصِيرُ مَصِيراً ، قياسه رَجَعَ يَرْجِعُ مَرْجِعاً وصَيَّرَهُ تَصْيِيراً .

قال صاحب العين : صِير كلِّ أمْر : مَصِيرُهُ ، والصَّيْرُورَةُ : مَصْدَرُ صَارَ يَصِيرُ صَيْرُورَةً .

وقال بعضهم : صَيُّورُ الأمْرِ : آخِرهُ .

قال الكُمَيْت يمدح هِشام بن عبدالملك :

مَــلِكٌ لَــمْ يُــضَيِّعِ اللهُ مِـنْهُ بَـدْءَ أَمْـرٍ وَلَـمْ يُـضِعْ صَيُّورا[1] [٤٤٠]

ألفاظ الشافعي : ٩٥ ، شمس العلوم ٨ : ٥١٦ ، وأشارت إليه جملة من كتب القراءة منها : الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٢٢٢ ، الحجّة في القراءات السبع : ٨٧ـ٨٨ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ : ٧٦٥ ت ٧١ ، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ : ٦٢ ، كلٌ بنحوٍ ذكرها .

(١) البيت لم يرد في الديوان ، ولم نجده إلّا في أساس البلاغة للزمخشري ٢ : ٣٧ ، وفيه بعض اختلافٍ لا يضرّ .

الشاهد فيه : قوله : «صيّورا» حيث أراد منها : الأخيرة .

وصارَةُ الجَبَل: رَأسُهُ.

والصَيْرُ: الشَقّ، وفي الحديث: (مَنْ نَظَرَ فِي صَيْرِ بابٍ فَفُقِئتْ عَيْنُهُ فَهِيَ هَدرٌ)[1].

وصَيْرةُ البَقَر: مَوْضِعٌ يُتَّخذ لِلْحَظِيرَة، وإذا كان للغَنم: فَهُوَ زَرِيبَةٌ.

وأصْلُ البابُ المصِيرُ: وهو المآل[2].

ومعنىٰ الآية والله أعلم: أنّ إبراهيم سَألَ سُؤالَ عَارِفٍ باللهِ مُطِيعٍ لَهُ، وهو: أنْ يَرْزُقَ مِنَ الثَمَراتِ مَنْ آمن بالله واليوم الآخر، فأجابه الله عزّ وجلّ إلىٰ ذلك، ثمّ أعلمه أنّه يُمتّع مَنْ كَفَرَ به؛ لأجلِ الدّنيا، ولا يمنعه من ذلك كما يتفضّل به علىٰ المؤمن، ثمّ يضطرّه في الآخرة إلىٰ عذاب النار وبئس المصير، وهي كما قال: نعوذ بالله منها.

---

(١) حديث مشهور في كتب صحاح الحديث وكتب اللّغة، راجع منهما من الطائفة الحقّة وأغلبها بمعناها: الكافي ٧: ٢٩٠ ـ ٢٩١ عدّة أحاديث بمعناه، ت ١، تهذيب الأحكام ١٠: ٢٠٦ ت ٨١٣، دعائم الإسلام ٢: ٤٢٧ ت ١٤٨٤، شرح الأخبار ٢: ٣٨٨، وهما للقاضي نعمان المصري، وغيرها كثير.

ومن العامّة: جملة كثيرة منها: مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٣٨ ـ ١٣٩ ت ٩٠٩٦، سنن أبي داوُد ٥: ٢٣٠ ب في الاستئذان ١٣٦ ت ٥١٧١ ـ ٥١٧٥، سنن النسائي ٤: ٢٤٧ ت ٧٠٦٥، سنن الدارقطني ٣: ١٩٩ ت ٣٤٨، كنز العمّال ٩: ١٠٧ ت ٢٥٢١٢، أحكام القرآن للجصّاص ٣: ٣١٣، وكثير غيرها ومن الطائفتين.

وأمّا كتب اللغة فأغلب المشار إليها في الهامش الآتي بإضافة: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٦٦، تاج العروس ٧: ٦١٣، لسان العرب ٥: ٢٥٧ مجمع البحرين ٢: ١٠٦٢ «هدر» فيها.

(٢) لضبط مادّة «صير» روجعت المصادر التالية: العين ٧: ١٤٨، تهذيب اللّغة ١٢: ٢٣٠، معجم مقاييس اللّغة ٣: ٣٢٥، القاموس المحيط ٢: ١٤٥، صحاح اللّغة ٢: ٤٩، لسان العرب ٤: ٤٧٧، الطراز الأوّل ٨: ٢٧٨.

وقوله في الآية: ﴿قَلِيلاً﴾ يحتمل أن يكون صفة للمصدر[١]، كما قال: متاعاً حسناً فوصف به المصدر، وليس لأحد أن يقول: كيف يوصف به المصدر وهو فعلّ يدلُّ علىٰ التكثير؟ فكيف يستقيم الكثير بالقليل في قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ وهلّا كانت قراءة ابن عامر أرجح علىٰ هذا؟ وذلك أيضاً إنّما وصفه بأنّه قليلٌ من حيث كان آخره إلىٰ نفاد ونقص وفناء، كما قال: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[٢].

ويجوز أيضاً أنْ يكون صفة للزمان، كما قال: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[٣] يعني: بعد زمان قليل.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[٤] أي: «تُحْمَل إليهم من الآفاق»[٥].

---

(١) ﴿قليلاً﴾ نصبه له وجهان: إمّا علىٰ الوصف لمصدر محذوف أي: «تمتيعاً قليلاً»، أو صفة لظرف محذوف أي «زماناً أو وقتاً قليلاً»، وقد أُشير إلىٰ ذلك في جملة من المصادر، منها: تفسير البسيط ٣: ٣١٤، تفسير ابن عربي ١: ٥٧، المحرّر الوجيز ١: ٣٥٧، البيان في إعراب القرآن ١: ١٢٢، البحر المحيط ١: ٦١٦، تفسير اللباب ٢: ٤٧٦، تفسير النسفي ١: ٨١، وغيرها كثير.

(٢) سورة النساء ٤: ٧٧.

(٣) سورة المؤمنون ٢٣: ٤٠.

(٤) سورة إبراهيم ١٤: ٣٧.

(٥) ذُكر في عدة مصادر منها عوالي اللآلي ٢: ٩٦ ت ٢٥٨، مسالك الافهام للكاظمي ٢: ٢٩٧، بحار الأنوار ١٢: ٨٦، تفسير البرهان ١: ٣٣٠ ت ٦٣٥، تفسير الصافي ٣: ٩١، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٥١ ت ١١٨، كنز العرفان ١: ٤٧٧ ت ٢، وفي الجميع منسوباً إلىٰ الإمام عليه السلام.



فهرس الموضوعات

تكملة تفسير سورة البقرة